

الجواهر المضيَّة

في بيان الآداب السلطانية

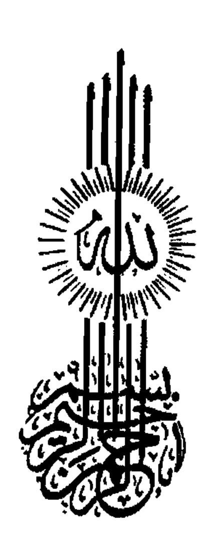
للإمام المحدث الفقيه
زين الدين عبد الرءوف المناوي
المتوفى ١٠٣١هـ (رحمه الله)

تحقيق
أ.د. عبد الله بن إبراهيم بن عبدالله الناصر



جامعة الملك سعود
النشر العلمي والمطابع

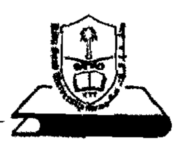

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الجواهر المضيّة
في بيان الآداب السلطانية

للإمام المحدث الفقيه
زين الدين عبد الرءوف المناوي
المتوفى ١٠٣١هـ (رحمه الله)

تحقيق
أ.د. عبد الله بن إبراهيم بن عبدالله الناصر
قسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية-جامعة الملك سعود



النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية

ح جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ (٢٠١٣م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المناوي، زين الدين عبدالرءوف

الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية/زين الدين عبدالرءوف المناوي ؛ عبدالله ابن إبراهيم بن عبدالله الناصر – الرياض، ١٤٣٤هـ.

ص٤٤٤ ؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٣ -١١٢ -٥٠٧ -٦٠٣ -٩٧٨

١ – الإسلام -نظام الحكم. ٢-الخلافة. ٣ -الإسلام -نظريات سياسية.

أ. الناصر، عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٥٧ ١٤٣٤/٦١٢٤

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٦١٢٤

ردمك: ٣ - ١١٢ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة ، وقد وافق المجلس العلمي على نشره بعد اطلاعه على تقارير المحكمين في اجتماعه الخامس عشر للعام الدراسي ١٤٣٤/١٤٣٣هـ، الذي عُقد بتاريخ ١٤٣٤/٤/٢٨هـ، الموافق ٢٠١٣/٣/١٠م.


النشر العلمي والمطابع ١٤٣٤هـ

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ورسم له الطريق القويم ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي مَنْ تمسك بنهجه نجا، ولقي من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، فهو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، لا شريك له وهو على كل شيء قدير، وأُصلي وأسلم على نبينا محمد مُشيِّد دولة الإسلام، ومقيم العدل في الأنام، صلوات ربي عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد حَفَل التراث الإسلامي بكثير من المؤلفات التي تُعنى ببيان آداب السلطان وأحكام الإمام، ومن الحكمة أن يستفيد أهل العلم مما أنتجه المتقدمون، وأن ينطلقوا من حيث انتهى الآخرون؛ فلذا توجهتْ عنايتي لبعث هذا السفر الجليل، وهو كتاب: " الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية " للإمام الجليل والمحدث الفقيه الشافعي: عبد الرءوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ؛ وذلك لأنه يمثل لبنة في بناء الفكر السياسي الإسلامي.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه يعرض صورة جلية للقواعد التي ينبغي أن تُبنى عليها الأنظمة السياسية الشرعية، التي عليها مدار الفلاح في سياسة العباد، وإصلاح حال البلاد.

كما أن هذا الكتاب يمتاز عن سائر الكتب المصنفة في هذا المجال بنظرته الشمولية

للآداب السلطانية ، فقد جمع ما نُثر من آداب فيما صنفه العلماء والكتاب ، سواء من علماء المسلمين أو حكماء الحضارتين الشرقية والغربية ، وقد تعرّض لأبواب لم يتعرّض لها غيره من المؤلفين في الأحكام والآداب السلطانية ، كالحديث عن عناية الحكام بالعمران ، وبيان أسباب دوام ملكهم وزواله ، وحديثه عما ينبغي أن يكون عليه الحاكم في خاصة نفسه من أحكام الطب الروحاني والجسماني ، إلى غير ذلك مما يهم كل ذي ولاية وصاحب رعاية.

وقد رأيت تحقيق هذا الكتاب وإخراجه وتقديمه لطلاب العلم عامة ، مع خدمة بعض مباحثه خاصة المتعلق منها بالسياسة الشرعية. راجيا من الله التوفيق والسداد.

المحقق



المحتويات

الصفحة

القسم الدراسي

- **المقصد الأول**: تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.
- **المقصد الثاني**: ترجمة المؤلف: عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢ -١٠٣١هـ).
- **المقصد الثالث**: منهج المؤلف في الكتاب.
- **المقصد الرابع**: الموارد التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه.
- **المقصد الخامس**: وصف الكتاب.
- **المقصد السادس**: منهجي في التحقيق.

المقصد الأول

تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

تباين العلماء من أصحاب كتب الطبقات والفهارس في نسبة مخطوط " *الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية* "، فمنهم من نسبه إلى الشيخ " زين الدين عبد الرءوف بن تاج العارفين المُناوي" المتوفي سنة١٠٣١هـ، ومنهم من نسبه إلى ابنه " زين العابدين بن عبد الرءوف بن تاج العارفين" المناوي المتوفى ١٠٢٢هـ.

وسأبين ذلك، محاولا استجلاء وجه الصواب فيما هنالك:

أولا: من نسب الكتاب إلى زين الدين عبد الرءوف المناوي المتوفى سنة ١٤٣١هـ

١ -ابنه تاج الدين محمد في رسالة له اختصرها من كتاب إعلام الحاضر والبادي بمقام والدي الشيخ عبد الرءوف المناوي الحدادي ، فقد قال في معرض ذكر مؤلفات والده: (وآخر في آداب الملوك وسماه: "الجواهر المضيَّة في الآداب السلطانية")[1]

٢ -النسختان اللتان اعتمدتُ عليهما في التحقيق، وهما نسخة مكتبة ليدن، ونسخة مكتبة عارف حكمت، فقد نسبتا الكتاب إلى الشيخ: عبد الرءوف المناوي

---

(١) انظر مخطوطة المكتبة الخالية في القدس، رقم ٢٧ تراجم. نقلا عن الدكتور/محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه على كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣ -معجم مكتبة عارف حكمت، فقد وقفت على بيانات الكتاب، وقد دونت كما يلي: (الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية، للمناوي: زين الدين عبدالرءوف ابن تاج العارفين بن علي الحدادي. ت ١٠٣١هـ).

٤ -الشيخ: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني في كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(١) فقد جاء فيه: ("الجواهر المضية في الأحكام السلطانية"لزين العابدين: عبد الرءوف المناوي الشافعي مختصر، مرتب على مقصدين:

الأول: في أحوال السلطان وفيه عشرة أبواب.

والثاني: في أحوال الوزراء والوكلاء وفيه عشرون بابا.

وترجمته: لمحمد بن موسى البسنوي، ألفه للسلطان مراد خان الرابع).

ويلاحظ هنا أن صاحب كشف الظنون لم يأت بين اللقب والاسم بلفظة "ابن" وكأنه جعل "زين العابدين" لقبا للشيخ "عبد الرؤوف" مخالفا في ذلك ما تعارف عليه أصحاب كتب التراجم من أن لقبه " زين الدين "، وأن "زين العابدين" هو لقب ابنه، ويلاحظ أيضا أن الترتيب الذي ذكره صاحب كشف الظنون هو ترتيب نسخة عارف حكمت نفسه.

٥ -خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام؛ فقد ترجم المؤلف للشيخ عبد الرءوف المناوي وجعل هذا الكتاب من مصنفاته(٢)، وسماه: "الجواهر المضيَّة في الآداب السلطانية".

٦ -عبد القادر الأرناؤوط، وطالب عواد في مقدمة تحقيقهما على شرح "الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية" تأليف الشيخ: محمد منير بن عبده أغا النقلي.

(١) كشف الظنون ١/ ٦٧١

(٢) الأعلام ٦/ ٢٠٤.

٧ - الدمشقي الأزهرى المتوفى ١٣٦٧هـ، وهو شرح على كتاب الأحاديث القدسية للشيخ" عبد الرءوف المناوي " ، فقد ذكرا الكتاب بعنوان :"الجواهر المضيئة في الآداب السلطانية"، ونسباه للشيخ عبد الرءوف المناوي.

ثانيا: من نسب الكتاب إلى زين العابدين بن عبد الرءوف المناوي

زين العابدين هو ابن زين الدين عبد الرءوف المناوي، طلب العلم مبكرًا على أبيه وغيره من علماء الشافعية في وقته كالشمس الرملي، والخطيب الشربيني، وله حاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى، وشرح على الأزهرية، وحاشية على الروض الأنف للسهيلي، وله عدة رسائل، توفي قبل أبيه سنة ١٠٢٢هـ[(١)]، وقد عزا الكتاب إليه؛ عمر رضا كحاله في معجم المؤلفين في ترجمته لزين العابدين حيث جعل هذا الكتاب من مصنفاته، وسماه " الجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية"[(٢)].

ثالثا: الصحيح في نسبة الكتاب

الذي تطمئن إليه النفس هو أن مخطوط "الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " من تأليف الشيخ "زين الدين عبد الرءوف المناوي" المتوفى سنة ١٠٣١هـ ، وأن من نسبه إلى ابنه " زين العابدين" المتوفى سنة ١٠٢٢هـ قد وَهِم في ذلك، أو اختلطت عليه نسبته بسبب تقارب اللقبين، واتحاد النسبين، وسطوع نجم الرجلين في سماء العلم، فمن لم يدقق جعل " زين العابدين " ، وهو لقب الابن محل " زين الدين " وهو لقب الوالد. والذي حملني على ترجيح ذلك هو أن ابنه محمد تاج الدين قد عد هذا المصنف بين ما تركه والده (رحمه الله) ، وذلك في رسالته التي تركها لنا مختصرة من كتاب: إعلام الحاضر والبادي بمقام والدي الشيخ عبد الرءوف المناوي الحدادي[(٣)]. الذي

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ١/٤٤١ .

(٢) ٤/١٩٦

(٣) انظر مخطوطة المكتبة الخالية في القدس، رقم ٢٧ تراجم. نقلا عن الدكتور/محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه على كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣.

تطمئن إليه النفس هو أن مخطوط "الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " من تأليف الشيخ "زين الدين عبد الرءوف المناوي " المتوفى سنة ١٠٣١هـ ، وأن من نسبه إلى ابنه " زين العابدين" المتوفى سنة ١٠٢٢هـ قد وَهِم في ذلك، أو اختلطت عليه نسبته بسبب تقارب اللقبين، واتحاد النسبين، وسطوع نجم الرجلين في سماء العلم، فمن لم يدقق جعل " زين العابدين "، وهو لقب الابن محل " زين الدين، " وهو لقب الوالد. والذي حملني على ترجيح ذلك هو أن ابنه محمد تاج الدين قد عد هذا المصنف بين ما تركه والده (رحمه الله)، وذلك في رسالته التي تركها لنا مختصرة من كتاب: إعلام الحاضر والبادي بمقام والدي الشيخ عبد الرءوف المناوي الحدادي[١].

أضف إلى ذلك ما وقفت عليه في ترجمة الشيخ: "زين العابدين بن عبد الرءوف المتوفى سنة ١٠٢٢هـ " من عرضه لبعض المتون التي حفظها على الشمس الرملي من كبار علماء الشافعية في عصره، وأن الشمس الرملي توفي وزين العابدين لا يزال في زمن العرض، فانتقل إلى الشهاب أحمد الشربيني الخطيب.

فإننا إذا علمنا ذلك، وعرفنا أن شمس الدين الرملي توفي سنة ١٠٠٤هـ ، وأن السلطان العثماني مراد خان الثالث الذي كُتبت له هذه الرسالة توفي سنة ١٠٠٣ هـ، تبين لنا أن هذه الرسالة كتبت وزين العابدين الابن لا يزال صغيرًا يعرض ما حفظه من المتون على مشايخ زمانه، وأنه لم يكن أُجيز بالتأليف حتى ذلك الوقت، على عادة الأزهريين في عصره، من عدم تصدر النابغ للتأليف أو التدريس إلا إذا أُجيز بذلك من الأشياخ ، إذا علمنا ذلك أدركنا بُعد نسبة هذا الكتاب إلى زين العابدين المتوفي سنة ١٠٢٢هـ.

أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب في أصل وضعه عبارة عن رسالة نصح وإرشاد وتوجيه خوطب بها صدر الزمان وحاكم دولة المسلمين "السلطان العثماني"، واللائق

---

(١) انظر مخطوطة المكتبة الخالية في القدس، رقم ٢٧ تراجم. نقلا عن الدكتور/محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه على كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣.

بهذا المقام الشريف ألا يتصدر لنصحه إلا عالم بزغ نجمه، وعلا قدره، وفاح شذا علمه بين علماء قرنه، فيرشح لذلك من بينهم، ويقدم علي غيره بمؤهلات علمه وبيانه، لتكون صفاته حاملة للسلطان على الاستماع إليه والأخذ عنه، وهذا لا يكون إلا لرجل أفنى زمانه في مدارسة العلم وتدريسه .

وهذا منطبق على الشيخ عبد الرءوف، ويبعد أن يكون لابنه الذي توفي السلطان العثماني عنه سنة ١٠٠٣هـ، وهو لا زال يعرض ما حفظه من المتون على الخطيب الشربيني.

رابعا : عنوان الكتاب

إن أكثر من ذكر الكتاب من أصحاب التراجم والمؤرخين، اتفقوا على تسميته : "الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية "، ومع ذلك فقد سماه ابنه محمد تاج الدين في ترجمته لوالده :" الجواهر المضيَّة في الآداب السلطانية"[(١)]،كما وقفت على من ذكره باسم:" الجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية" كصاحبي كشف الظنون ومعجم المؤلفين[(٢)].

ويظهر لي أن الذين عنونوه بأحد العنوانين المختصرين ؛ إنما تجوزوا في ذكر العنوان، بسبب تقارب بين كتب الأحكام السلطانية وكتب الآداب، والكتاب ناطق بذلك فهو جامع بين الغرضين، وإن كان إلى الآداب أقرب منه إلى الأحكام السلطانية

وعلى كل فقد نص المؤلف في هذه الكتاب على اسمه نصا ؛ فقال:(وسميته : الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية)، وقد جاءت تسميته للكتاب منسجمة مع الغرض الذي صُنف من أجله، ولهذا أثبته عنوانا في التحقيق.

---

(١) انظر مخطوطة المكتبة الخالية في القدس، رقم ٢٧ تراجم. نقلا عن الدكتور/محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه على كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣.

(٢) انظر: كشف الظنون ١/ ٦٧١، ومعجم المؤلفين ٤/١٩٦ .


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقصد الثاني

ترجمة المؤلف: عبد الرءوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١هـ)

أولا: نسبه

هو: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين بن يحيى ابن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام الحدادي، ثم المُناوي القاهري، الشافعي[(١)].

اسمه: "عبد الرءوف"، هكذا نصّ من ترجم له من أصحاب كتب التراجم[(٢)]، وقال الزركلي في الأعلام[(٣)]، ورضا كحاله في موضع من معجم المؤلفين[(٤)]: "محمد عبد الرءوف بن تاج الدين"، فهو معروف بالاسمين، ولعل هذا مما درج عليه المصريون من تركيب الأسماء تركيبًا مزجيًا.

---

(١) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٢/٤١٦.

(٢) راجع: عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ٤/١٩٦، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٢/٧٨.

(٣) انظر: الأعلام ٦/٢٠٤.

(٤) معجم المؤلفين ١٠/ ١٦٦.

و"الحدادي" نسبة إلى قرية من أعمال تونس الغرب يقال لها: حداده[١]، ولعل "حداده" هذه هي مدينة "لحدادة" الجزائرية التابعة إداريا لولاية سوق أهراس، فهي أقرب المدن الجزائرية إلى تونس، أو هي مدينة "حدادة" الجزائرية التابعة لولاية سطيف الواقعة شرق العاصمة الجزائرية بحوالي ٣٠٠ كم"[٢].

ولم أقف على ما يقطع بصحة النسبة إلى شيء مما سبق.

أما "المناوي"، فهو بضم الميم، نسبة إلى "منية بني خصيب" بضم الميم، قال السيوطي: (المُناوي: بالضم إلى مُنية بني خصيب بلد بصعيد مصر)[٣]، وهي مدينة من أعمال مصر الوسطى تعرف حاليا بمحافظة "المنيا"، تقع جنوب القاهرة بنحو ٢٤١كم، وبنو خصيب هؤلاء نسبة إلى: (الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر، من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد)[٤]، وقد كانت له قصة طريفة في تخصيصه بهذه المنية أوردها ابن بطوطة في رحلته[٥]، وقد توارث الأبناء هذه المنية عن والدهم، وعمّروها، وقطنوا بها حتى فني نسلهم، وقد وصفها ابن بطوطة في رحلته[٦]، فقال: (هي مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مبنية على شاطئ النيل، وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل، بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد).

و "المُناوي" بضم الميم بخلاف "المِنْياوي" بكسرها نسبة (للمِنْية) اسم

---

(١) انظر مخطوطة المكتبة الخالية في القدس، رقم ٢٧ تراجم. نقلا عن الدكتور/محمد رضوان الداية في مقدمة تحقيقه على كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ١٣.

(٢) المرجع السابق بتصرف.

(٣) انظر: لب اللباب في تحرير الأنساب ١/ ٨٠.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي ١/ ٢٥٨.

(٥) انظر: رحلة ابن بطوطة ١/ ١٩.

(٦) المرجع السابق.

لعدة قرى بمصر، جاءت مضافة لأسماء بلفظ الإفراد والتثنية والجمع، والكل بالكسر، إلا مُنْية بني خَصيب بالصعيد، ومُنْية عَجَب قرية بالأندلس، فهما بالضم، والنسبة للأولى مُناوي ، وللثانية مُنْيِيٌّ)[١] .

ثانيا: مولده ونشأته وطلبه العلم

وُلد الشيخ عبد الرءوف المناوي في سنة ٩٥٢ هـ في بيت علم ومعرفة، فنشأ في حجر والده، وحفظ القرآن قبل بلوغه، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية، وألفية ابن مالك، وألفية العراقي في السيرة، وألفية الحديث له أيضا، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده، ثم أقبل على الاشتغال، فقرأ على والده علوم العربية، وتفقه بالشمس الرملي، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن النور علي بن غانم المقدسي، وحضر دروس الأستاذ محمد البكري في التفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطي، والشيخ قاسم، والشيخ حمدان الفقيه، والشيخ الطبلاوي ، لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملي وبه برع .

وأخذ التصوف عن جمع من الصوفية في عصره، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس، وكان لا يتناول منها شيئًا، ثم رفع نفسه عنها وانقطع عن مخالطة الناس، وانعزل في منزله، وأقبل على التأليف، فصنف في غالب العلوم، ثم ولي تدريس المدرسة الصالحية، فحسده بعض قرنائه، وكانوا لا يعرفون مزية علمه لانزوائه عنهم، ولما حضر الدرس فيها وَرَدَ عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه، وشرع في إقراء مختصر المزني، ونصب الجدل في المذاهب، وأتى في تقريره بما لم يسمع من غيره، فأذعنوا لفضله، وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضوره.

---

(١) انظر: لب اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ١٠٧.

وأخذ عنه منهم خلقٌ كثير منهم الشيخ البابلي، والسيد إبراهيم الطاشكندي، والشيخ علي الأجهوري، والولي المعتقد أحمد الكلبي، وولده الشيخ محمد، وغيرهم وكان مع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دُسّ عليه السم، فَتَوَالَى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوي، ولمَّا عجز صار ولده تاج الدين يستملي منه التآليف ويسطرها[١].

ثالثا: وفاته

توفي عبد الرءوف المناوي صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف، وصُلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودُفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم، وقيل في تاريخ موته: " مات شافعي الزمان " رحمه الله[٢]، وقيمة هذه العبارة بحساب الجمَّل يساوي ١٠٣١هـ .

رابعا: عقيدته ومذهبه الفقهي

المناوي أشعري العقيدة مصرح بأشعريته في كثير من كتبه، ومنها هذا الكتاب حيث يقول ناقلاً ومقررًا لكلام تاج الدين السبكي: (ومن حقه ـ أي الإمام ـ دفع أهل البدع والأهواء، وكفأ شرهم، ويطالع عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء بالقبول، ويدين الله برأي الشيخ أبي الحسن الأشعري)[٣] .

وهو صوفي المنهج، أخذ التصوف عن مجموعة من متصوفة زمانه، فقد أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي، ثم عن الشيخ محرم الرومي حين قدم مصر،

---

(١) انظر ترجمته في معجم المؤلفين ١٩٦/٤ ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٧٨/٢ .

(٢) انظر ترجمته في معجم المؤلفين ١٩٦/٤ ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٧٨/٢ .

(٣) انظر: ص ١٩٥ من هذا الكتاب.

كما تتلمذ على الشعراني، وألف في شيخه علي الخواص ترجمة بعد وفاته سماها: ترجمة الشيخ علي الخواص شيخ الشيخ عبد الوهاب الشعراني.

وهو شافعي، تتلمذ على الشمس الرملي من كبار علماء الشافعية في زمانه، وبرع في المذهب حتى قيل عنه عند وفاته: " مات شافعي الزمان "[١].

خامسا: منزلته العلمية

قال عنه المحبي[٢]: " الإمام الكبير، الحجة الثبت، القدوة صاحب التصانيف السائرة، وأجلّ أهل عصره من غير ارتياب، وكان إمامًا فاضلاً، زاهدًا، عابدًا، قانتًا لله، خاشعًا له، كثير النفع، وكان متقربًا بحسن العمل، مثابرًا على التسبيح والأذكار، صابرًا صادقًا، وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام، وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره"

وما ذكره المحبي عنه من أنه: " أجل أهل عصره من غير ارتياب" فيه نظر؛ فعصره وإن كان عصر ضعف في جميع المجالات للأمة الإسلامية، وخاصة المجال العلمي والعسكري، إلا أنه لا يخلو من الأعلام الذين خدموا الإسلام بعلمهم وتأليفهم ممن هم أقوى منه صنعة، وأظهر أثرًا.

الذين خدموا الإسلام بعلمهم وتأليفهم ممن هم أقوى منه صنعة، وأظهر أثرًا.

وما ذكره المحبي عنه من أنه: " أجل أهل عصره من غير ارتياب" فيه نظر؛ فعصره وإن كان عصر ضعف في جميع المجالات للأمة الإسلامية، وخاصة المجال العلمي والعسكري، إلا أنه لا يخلو من الأعلام الذين خدموا الإسلام بعلمهم وتأليفهم ممن هم أقوى منه صنعة، وأظهر أثرًا.

---

(١) انظر ترجمته في المواضع السابقة.

(٢) انظر: خلاصة الأثر ٢/ ٧٨.

كما أن ثناءه عليه بأنه: "قد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها، وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره"، فهذا صحيح من حيث الجمع، فالمناوي يغلب عليه جانب الجمع والنقل أكثر من التمحيص والتحقيق والدراسة، فهو شبيه بالسيوطي في طريقته، وإن غلبه السيوطي في كثرة الجمع وشمول التأليف.

وما ذكرته من غلبة النقل عليه ظاهرٌ جليٌّ في هذا المصنف الذي قمت بتحقيقه فهو في غالبه نقول اقتبسها من كتب المتقدمين، مع قلة إعمال رأيه فيها، فهو ربما نقل المعلومة على علاتها كما أشرنا إليه كثيرًا في أثناء التحقيق على بعض المواضع التي نقلها.

سادسا: مؤلفاته

قال الزركلي: (له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص)[١] ويظهر أن المؤلف عالم موسوعي ألف في الكثير من الفنون والعلوم الشرعية وغيرها.

ومن مؤلفاته ما يلي[٢]:

أولا: مؤلفاته في التفسير

١ -تفسير سورة الفاتحة وبعض سورة البقرة.

٢ -فردوس الجنان في مناقب الأنبياء المذكورين في القرآن.

ثانيا: مؤلفاته في الحديث

١ -فيض القدير شرح الجامع الصغير.

٢ -الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي.

٣ -التيسير مختصر شرح الجامع الصغير في الحديث.

---

(١) الأعلام ٦/ ٢٠٤. وانظر مقدمة

(٢) انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٤/ ١٩٦، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٢/ ٧٨.

٤ -اليواقيت والدرر في شرح نخبة الفكر .

٥ -الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.

٦ -بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين .

٧ -الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور .

٨ -نتيجة الفكر في شرح نخبة الفكر .

٩ -نخبة الكنوز في سر الرموز في الحديث.

١٠ -كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق.

١١ -المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق.

١٢ -كتاب الأدعية المأثورة بالأحاديث المأثورة.

ثالثا في العقيدة والتصوف

١ -إرسال أهل التعريف في التصوف.

٢ -المطالب العلية في الأدعية الزهية.

٣ -الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود.

٤ - الدرر الجوهرية بشرح حكم العطائية. .

٥ -شرح المشاهد للشيخ الأكبر.

٦ -شرح القصيدة العينية.

وهي قصيدة النفس لابن سينا.

٧ -شرح على رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف.

٨ -شرح قصيدة ابن سينا في النفس والروح.

٩ -شرح على هدية الناصح للشيخ أحمد الزاهد، لم يكمله .

١٠ -ترتيب الحكم للشيخ علي التقي سماه: فتح الحكم بشرح ترتيب الحكم لكنه لم يكمله.

١١ -فتح الرؤوف الجواد .

وهو أول كتاب شرحه في الآداب، وهو شرح على منظومة ابن العماد في آداب الأكل.

١٢ -وله شرح على المواقف التقوية، لم يكمله .

١٣ -وكتاب في فضل العلم وأهله.

١٤ -شرح على ألفية ابن الوردي في المنامات.

١٥ -غاية الأماني في شرح العقائد للتفتازاني.

١٦ - إعلام بأصول فني المنطق والكلام.

رابعا: مؤلفاته في الفقه

١ -إتحاف الناسك بأحكام المناسك .

وهو كتاب في مناسك الحج على المذاهب الأربعة .

٢ -الإحسان ببيان أحكام الحيواد .

٣ - الجواهر المضية في الأحكام السلطانية، وقيل: الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية. وهو هذا الكتاب الذي أقوم بتحقيقه.

٤ -فتح الرؤوف القادر لعبده هذا العاجز القاصر.

وهو شرح على عماد الرضي في آداب القضاء.

٥ -وله كتاب في الفرائض " إسفار البدر عن ليلة القدر".

٦ -إحسان التقرير بشرح التحرير للقاضي زكريا.

٧ -تهذيب التسهيل في أحكام المساجد.

٨ -تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف.

٩ -النزهة في أحكام الحمام الشرعية والطبية.

١٠ -فتح الرؤوف الصمد بشرح صفوة الزبد. وهو شرح على زبد بن أرسلان، نظم فيها أربعة علوم هي: علوم أصول الدين، وأصول الفقه، والفقه، والتصوف.

١١ -إحسان التقرير بشرح التحرير .

وهو شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

١٢ -اختصار التمهيد للإسناوي ، ولم يكمله.

١٣ -فتح الرؤوف الخبير بشرح كتاب التيسير نظم التحرير .

وصل فيه إلى كتاب الفرائض، وأكمله ابنه تاج الدين محمد.

١٤ -بلوغ الأمل بمعرفة الألغاز والحيل، وهو كتاب في الألغاز والحيل.

١٥ -إتحاف الطلاب بشرح كتاب العباب.

انتهى فيه إلى كتاب النكاح، وحاشية عليه لكنه لم يكملها.

١٦ - شرح على المنهج، انتهى فيه إلى الضمان.

١٧ -حاشية على شرح المنهج، لم يكملها.

١٨ -شرح على تصحيح المنهاج سماه: الدر المصون في تصحيح القاضي ابن عجلون، لكنه لم يكمله .

١٩ -شرح مختصر المزنى ، لم يكمله .

٢٠ -شرح على البهجة الوردية سماه: الفتح السماوي بشرح بهجة الطحاوي، ثم اختصره في نحو ثلث حجمه، وكلاهما لم يكملهما .

٢١ -الإحسان ببيان أحكام الحيوان. وهو كتاب في بيان أسماء الحيوان.

خامسا: مؤلفاته في السيرة

١ -الفائق في حديث خاتمة رسل الخالق.

٢ -فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب.

وهو الشرح الصغير لكتاب الخصائص الصغرى للجلال السيوطي .

٣ -توضيح فتح الرؤوف المجيب .

وهو الشرح الكبير لكتاب الخصائص للسيوطي.

٤ -الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم.

وهو كتاب اختصر فيه شمائل الترمذي ، وزاد عليه أكثر من النصف.

٥ -شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي.

٦ -الفتوحات السبحانية في شرح الدرة السنية في نظم السيرة النبوية (صلى الله عليه وسلم) . وهو شرح على ألفية العراقي في السيرة النبوية.

سادسا: مؤلفاته في علم اللغة العربية

١ -أحكام الأساس في مختصر أساس البلاغة.

٢ -عماد البلاغة.

٣ -كتاب الأمثال.

٤ -المحاضر الوضية في الشمعة المضية.

وهو شرح على الشمعة المضيئة في علم العربية للسيوطي.

٥ -شرح على القاموس ، انتهى فيه إلى حرف الذال.

٦ -قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان.

٧ -غاية الإرشاد في معرفة الحيوان والنبات والجماد.

٨ -أسماء البلدان.

٩ -التوقيف على مهمات التعاريف وهو ذيل على كتاب التعريفات للجرجاني.

١٠ -تاريخ الخلفاء.

سابعا: مؤلفاته في الطب

١ -بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج.

٢ -وكتاب منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين.

٣ - وكتاب في التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده.

٤ -وكتاب في دلائل خلق الإنسان.

ثامنا: مؤلفاته في التراجم

١ -في إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن.

٢ -سيرة عمر بن عبد العزيز.

٣ -الصفوة في مناقب بيت آل النبوة.

٤ -الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية

٥ -ترجمة السيدة فاطمة.

٦ -ترجمة الإمام الشافعي.

تاسعا: مؤلفات أخرى

قال المحبي في خلاصة الأثر: (وله مؤلفات أخرى غير هذه، وبالجملة، فهو أعظم علماء هذا التاريخ آثارًا، ومؤلفاته غالبها متداولة كثيرة النفع، وللناس عليها تهافت زائد، ويتغالون في أثمانها، وأشهرها شرحاه على الجامع الصغير، وشرح السيرة المنظومة للعراقي)[١].

رحمه الله رحمة واسعة، وغفر له ولجميع علماء أمة الإسلام.

---

(١) ٧٩/٢

المقصد الثالث

منهج المؤلف في الكتاب

قسم المناوي كتابه " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " إلى مطلبين رئيسين :

المطلب الأول: تناول فيه المؤلف ما يجب على السلطان تجاه دولته ورعيته، وما يكون له من الحقوق عليهم، وما ينبغي أن يكون عليه في خاصة نفسه، وقد ضمن هذا المطلب أربعة عشر بابا تختلف طولاً وقصرًا، بدت شاهدًا على سعة اطلاعه ووفرة معارفه وتنوعها، فقد بدا فيها أديبًا، فقهيًا، محدثًا، متكلمًا، مؤرخًا، طبيبًا، وهذا لا يستغرب من أمثال المناوي فما من باب من أبواب هذه العلوم إلا وقد رمى المناوي فيه بسهم ؛ ولذا بدت إشعاعاته متنوعة الأطياف مختلفة الأوصاف.

ومن ذكائه تعرض المناوي لموضوعات لم يسبقه إليها أحد ممن كتبوا قبله في الأحكام والآداب السلطانية، منها حديثه عما يجب أن يكون عليه السلطان في خاصة نفسه من الطب الجسماني والروحاني، وتعرضه لذكر خصائص فصول السنة، وما يجب على السلطان فيها، وتدبير دخول الحمام والخروج منه، وإفراده بابًا لذكر سير الملوك السابقين، مع التركيز على ما اشتهروا به من علامات العدل والإنصاف، والتأكيد على أن من عدل منهم دامت دولته، ورضيت عنه رعيته، وأن مَنْ ظلم منهم كانت عاقبة أمره خسرًا، والكتاب في جملته غني بالأدبيات الرقيقة والحكم الرفيعة.

المطلب الثاني: ضمنه المؤلف عشرين بابا تحدث فيها عن الوجوه التي ينبغي أن يكون عليها الملك في علاقاته مع من حوله من العامة وأصحاب الوزارات والولايات والوظائف المتعلقة بإدارة البلاد وتسيير الأمور، وما يجب أن يلتزم به صاحب كل وظيفة من الآداب الكريمة ، والقيم الإسلامية السمحة، وهو في ذلك على منهجه من ذكر العبر والعظات، والإكثار من الاستشهاد بالأحاديث والحكم وإن أطال في بعض الأبواب دون بعض.

والذي ظهر لي من خلال معايشتي للمخطوط وإنعام النظر فيه أنه لم يُوضع لغرض علمي، وإنما كان وضع لتزويد السلطان وكل من ولي أمرًا من الأمور السياسية بما ينبغي أن يعلمه من الأسس التي يقوم عليها الملك، والعلوم والآداب التي يجب عليه أن يتحلى بها؛ والحقوق التي له على الغير، والتي للغير عليه، لتستقيم سيرته، وتدوم ولايته، فالكتاب سياحة كلية تبين القواعد العامة للحكم والرئاسة دون خوض في الدقائق، وتتبع للفروع.

لذا؛ لم يتعرض المؤلف في مصنفه لمناقشة المسائل التي عُنيت بها كتب الأحكام السلطانية، فلم يتعرض للأحكام الفقهية المتعلقة بسياسة الدولة وعلاقاتها الخارجية، أو تقسيم الولايات، ونحو ذلك مما اشتملت عليه الكتب المصنفة في هذا العلم، وما تعرَّض له من هذه المسائل في الكتاب، فإنما قدمه في صورة نصيحة ينبغي للوالي أن يلتزمها، فلم يستخدم المنهج الفقهي المعتمد على تحرير المسائل، وبسط الأدلة، وهو فيها مع ذلك مختصر مقتصر.

ولعل تطلعه للنصح والإرشاد هو الذي حمله على الإكثار من إيراد الأحاديث والحِكم والعظات، والآداب والرقائق لتكون أدعى إلى قبول كلامه، ويبدو هذا جليا في بابي العدل وشرفه، وما يجب على السلطان أو نائبه على الرعية، حيث لا يكاد يستهل الباب بتقرير مضمون الباب حتى يردف ذلك بذكر الأحاديث، ثم يتبعها بذكر

الحكم واللطائف بإسهاب واسترسال، وكأنه يريد بذلك أن يخاطب القلوب؛ ليوجهها إلى امتثال الآداب الإسلامية والقيم المرضية، والاقتداء بأهل العدل والإنصاف، وهذا واضح في عموم كتابه، لاسيما في باب العدل، الذي أطال فيه النفس حتى كأنه ما وضع كتابه إلا لتقريره، ولا غرو فالعدل أساس الملك.

الملحوظات على منهج المؤلف

يلحظ على منهج المناوي ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب ما يلي:

١ـ أن المناوي لم يصنف كتابه لغرض علمي، وإنما صنفه نصيحة للسلطان العثماني (مراد خان الثالث) في الرتبة الأولى، ثم لمن يحيط به من خاصته، ووزرائه وندمائه في الرتبة الثانية، ثم لكل مَنْ ولي أمرًا من أمور المسلمين، ولو كان غير مسلم في الرتبة الثالثة، ثم لكل مَنْ في ربقته رعية يلي أمرها، ويدبر شئونها، وهم آحاد الرعية ولذا نجده يقول في المقدمة: " وهذا الكتاب ـ وإن كان أصل وضعه للأحكام السلطانية ـ ينتفع بغالبه حتى آحاد الرعية، فإن الرجل سلطان بيته وعياله رعيته"، وكتابه وافٍ بهذا الغرض الذي صنفه من أجله.

ولعلنا نلتمس في توجيهه الخطاب لكل من ولي أمرا ولو كان غير مسلم مبررا لما ورد في بعض أبواب مصنفه من نحو قوله: (وينبغي أن يكون حسن السياسة، فإن الذي لا سياسة له تسخط عليه الناس، وأن لا يشتغل بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر، ولا يديم ضرب الكرة والصيد؛ فإن ذلك يشغله عن المهمات، ولكل عمل وقت).

فشرب الخمر ليس من الأمور التي ينبغي تركها؛ لأنها تشغل عن المهمات، بل لأنها حرام في ذاتها، فمثل هذا يعذر المناوي فيه بأنه جعل مصنفه قاعدة عامة يستفيد منها كل من ولي أمرًا ـ مسلمًا كان أم غير مسلم ـ كما في الأمور التنفيذية التي يجوز أن

يليها غير المسلمين، وهو في ذلك كان مقلدا الغزالي[١] في " غياث الأمم"، مقتديًا بالتاج السبكي في "معيد النعم ومبيد النقم"، فكتاب السبكي كُتب بهذا الأسلوب الذي يخاطب به كل مَنْ ولي أمرًا مسلما كان أو غير مسلم، فيجد كل إنسان فيه ما يعينه على حفظ نعمة الرئاسة التي أسداها الله إليه؛ ولذا لقي كتاب السبكي رواجًا عند المسلمين وغير المسلمين، حتى عرض له بركلمان ووستنفلد، واعتنى به المستشرق السويدي مهرمن، وطبعه في ليدن طبعة حشاها بتعليقاته[٢].

٢ -المناوي في هذا المصنف ناقلٌ لأقوال سابقيه، مختصرٌ لها، مختار بينها، فلم يظهر فيه بصورة العالم المبتكر، والفقيه المجتهد كما في كتابه "فيض القدير شرح الجامع الصغير" مثلا، إذ غالب ما ذكره في هذا الكتاب نقله من كتب سابقيه مع تصرف في العبارة بالاختصار حينًا، وبالإطناب حينًا آخر.

ولربما أسهب المناوي في تقرير بعض الآداب التي نقلها عن مصادره ببسط العبارة في بيانها زيادة على ما في المصدر، أو بالإكثار من ذكر النصوص الشريفة الدالة عليها الداعية إليها.

وقلما يزيد المناوي من كلامه على الأصل الذي نقل عنه، كما في زيادته لبعض المعارف التي استجدت في مجال الطب على ما ذكره أرسطو في كتابه، وهذا يدل على مدى إدراكه لما ينقله وتحليله لما يستفيده من كتب غيره.

وأحيانًا يتصرف المناوي في العبارة باستبدال لفظة قليلة الاستعمال بأخرى هي أشهر منها وأوضح.

وقلما يورد العبارة بنصها، وعلامة نقلها بالنص أن يذكر قائلها كأن يقول: "قال السبكي"، أو قال الإمام ويقصد به: "الجويني".

---

(١) التبر المسبوك ص ٢٦

(٢) انظر: مقدمة التحقيق لكتاب معيد النعم ص "س"

ولقد وقفت على عبارات في مصنفه تتبعتها، فإذا هي مع وجازتها منقولة من عدة مصادر، لكنه نظمها في سلك واحد بقدرة فائقة مع الاحتفاظ بنص قائليها لتبدو كأنها عبارة لعالم واحد، وهذا يلمح إلى قوة ذاكرته، وحسن تصرفه وحفظه عبارات الكتب حفظًا متقنا يساعده على استحضارها جميعا في اللحظة الواحدة.

٣ -بدا المناوي في كتابه ـ غالبا ـ في صورة المقرر لما ذكره سابقوه، من غير مناقشة له، فتراه ينقل الكلام على علاته من غير تحليل أو تعليق إذا كان ذلك مقبولا عنده ، فإن لم يرضه تركه وعدل إلى غيره من غير تعليق، وهذه علامة عدم الرضا عن كلام صاحب المصدر الذي ينقل عنه، فتجده ـ مثلاً ـ ينقل عن أرسطو قوله: (ومن تحرك كثيراً، أو عبث بيديه، فهو صلف مهذار خداع، ومن كان وقوراً، فهو تام العقل مدبر صحيح القاعدة)، فيستبدل كلمة "القاعدة" بكلمة " العقيدة " لأنها أدق في التعبير عن المراد، إذ القاعدة تشمل قاعدة القيم والانتماء والعلاقة وغير ذلك، أما العقيدة فمرتبطة بالقيم التي يؤمن بها.

كما تجده ينقل رواية الثعالبي والمسعودي في ترتيب ملوك الفرس والقبط، ثم يتركهم في منتصف الطريق ويستبدل بهما رواية أخرى؛ لكونها أرجح من وجهة نظره.

٤ -يدمج المناوي في مصنفه بين الآداب والسياسة، فلا يجعل بينهما فارقًا، وإنما يخرج بهما من مشكاة واحدة هي الشرع المطهر، فينطلق بهما من النصوص الشرعية، وهذا خلافٌ للمناهج السياسية المعاصرة التي تفصل بينهما؛ إذ تقرر عندها أنه لا مانع من بناء السياسة على أنقاض الدين والأخلاق.

٥ -المناوي رحمه الله محدِّث مصنف في علم الرواية، لذا تراه معنيا في هذا المصنف بتخريج الأحاديث التي يستشهد بها، وإن ارتدى فيما أورده من أحاديث ثوب التساهل، إذ أغلب الأحاديث التي استشهد بها فيه ضعيفة، بل منها ما هو شديد الضعف .

كما أنه لم يهتم بضبط الأحاديث، بل منها ما جاء في الكتاب بلفظ مغاير لجميع

الروايات التي وقفت عليها، بالإضافة إلى إعادته الحديث الواحد في غير موضع من كتابه.

٦ -نقل المناوي كثيرًا مما كتبه الغزالي في التبر المسبوك مما يتعلق بتمجيد حضارة الفرس ودولتهم، وأكثر الاستشهاد بحكم ملوكهم وعظات كبرائهم، ولعل أغلبها تتضمن مبالغات تحتاج إلى تأمل ونظر، بل منها ما لا يقبله العقل، وكان الأجدر به ألا ينقل شيئا إلا بعد تمحيص وتدقيق، مع التزام العناية بما عليه خلفاء الأمة الإسلامية وملوكهم.

وهذا الأسلوب كثر -وللأسف -في أكثر كتب الأحكام السلطانية وخاصة المتأخرة منها، ويظهر تأثرها بكتاب الغزالي سالف الذكر الذي أكثر فيه من النقول عن الفرس، وهذا يخالف منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما ممن ركزوا على سياسة الخلفاء الراشدين أو من تبع سيرتهم؛ فالإمام أبو عبد الله القلعي في كتابه: "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة"؛ جعل القسم الثاني منه -وهو الذي أفرده لسير الملوك وأخبارهم -مقصورا على سير الخلفاء من زمن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى المتوكل على الله العباسي.

٧ -المناوي مع كثرة نقوله عن كتب سابقيه إلا أنه قليل العزو جدا؛ فقلما ينسب الكلام إلى قائله، وهذا بلا شك مثَّل نوعاً من الصعوبة في معرفة القائل أثناء التحقيق، بل الغالب أن يذكر كلام سابقيه دون أي إيحاء بالنقل بل يرسله وكأنه من كلامه، وهو بخلاف ذلك عند ذكر المواعظ والأخبار فغالب أمره نسبتها إلى قائلها، وإن كان أحيانا يذكر الحكمة مكتفيا في عزوه بقوله: " قيل، أو قال بعض الحكماء ".

٨ -لغة المناوي عربية فصيحة صحيحة، فهو مع منهجه الذي سار عليه في اقتباس أقوال سابقيه واختصارها؛ لم يهبط في مزالق الاختصار المخل بالمعنى المقصود من الكلام، وقد أعانه على ذلك دربة بعلوم العربية، وإلمام بأبعاد المعنى الذي يريد اختصاره، وهو في عموم مصنفه مدقق يختار الألفاظ المناسبة.

المقصد الرابع

الموارد التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه

من خلال قراءة الكتاب وتحقيق نصه؛ ظهر لي أن المؤلف ـ رحمه الله ـ اعتمد على مجموعة من المصادر العلمية التي رجع إليها واستفاد منها في مصنفه: " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية"، وأكثرها من كتب الأحكام السلطانية المصنفة قبله، خاصة كتاب التبر المسبوك، وغياث الأمم، والأحكام السلطانية للماوردي، كما أنه استفاد من كتب التاريخ في القسم الذي خصصه لبيان تواريخ بعض الملوك وذكر بعض سيرهم؛ وهو الباب العاشر من المطلب الأول:

وسأذكر أهم الكتب التي رجع إليها المؤلف رحمه الله واعتمد عليها في كتابه مرتبا لها حسب ما أراه أكثر إفادة ورجوعا وذلك حسب الاجتهاد خلال تحقيق الكتاب:

١ -التبر المسبوك في نصيحة الملوك، لمحمد بن محمد أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

٢ -غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي الجويني(ت ٤٧٨هـ)

٣ -معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١ هـ)

٤ -الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)

٥ -سر الأسرار المسمى " السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة" لأرسططاليس.
٦ -بدائع السلك في طبائع الملك، لأبي عبد الله محمد بن الأزرق (ت: ٨٩٦هـ)
٧ - مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).
٨ -سراج الملوك، لأبى بكر الطرطوشي المالكي (ت ٥٢٠هـ)
٩ - العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)
١٠ -تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت٥٧١ هـ)
١١ -مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني النيسابوري رحمه الله (ت ٥١٨ هـ)
١٢ - المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين الأبشيهي (ت ٨٥٢ هـ)
١٣ -مروج الذهب، لأبي الحسن المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)
١٤ - البداية والنهاية، لأبي الفداء بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)
١٥ -أخبار العلماء بأخيار الحكماء، لجمال الدين القفطي (ت ٦٤٦ هـ)
١٦ -المنهج المسلوك في سياسة الملوك، لعبد الرحمن بن نصر (ت ٥٩٠ هـ)
١٧ -لباب الآداب ، لأبي المظفر بن منقذ الكناني (ت ٥٨٤ هـ)
١٨ -ماضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)
١٩ -غرر أخبار ملوك الفرس، لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)
٢٠ -النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، لأبي المحاسن بن تغري بردي (ت ٨٧ هـ)
٢١ - أخبار الزمان، لأبي الحسن المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)
٢٢ - المواعظ والاعتبار، لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)
٢٣ - عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)
٢٤ -خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي (٨٣٧هـ)
٢٥ -صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي(ت ٨٢١ هـ)

٢٦ -حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

٢٧ -نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري (ت ٧٣٣ هـ)

٢٨ -التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، (ت ٦٠٨ هـ)

المقصد الخامس

وصف الكتاب

اعتمدتُ في تحقيقي للمخطوط على نسختين، أذكرُ بياناتهما فيما يلي :

أولا : نسخة ليدن:

وهي نسخة حصلت عليها من مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، وهي مكتوبة في حياة المؤلف سنة ١٠٢٦هـ، وبياناتها كالتالي :

- العنوان : الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية.
- المؤلف : عبد الرءوف بن المناوي الحدادي.
- عدد الألواح : ستون لوحة عليها تصحيحات في الحواشي.
- عدد الأسطر : تسعة وعشرون سطرًا.
- الخط : نسخ عادي.
- بداية المخطوط : (بسم الله الرحمن الرحيم، وبالله التوفيق، أحمد الله الملك الذي ليس كمثله شيء وبيده النفع والضر).
- نهاية المخطوط :(ووجه الخلاص من هاتين الورطتين، يكون بأحد أمرين الموت أو المفارقة، ولا طريق له قبل المفارقة إلا الوفاء والمحافظة، والله سبحانه وتعالى أعلم)
- الناسخ : " محمد جمال الدين المتبولي الأنصاري " .

●الختم: عليه ختم مكتبة جامعة ليدن، وترقيمه كالتالي: (acadlvgd) مثبت في أسفل اللوحة الخامسة.

●حالة المخطوط: نسخة ضوئية كاملة، خطه واضح، وتصحيفاته قليلة.

●وصف اللوحة: كتابة عاديه دون تسطير.

● التعليقات: كتب على جانبي المخطوط الأيمن والأيسر بعض التعليقات والتصحيحات المتعلقة بالمخطوط، وخاصة بتصحيح النص بعد كتابته من الناسخ.

ثانيا: نسخة مكتبة عارف حكمت:

وهي نسخة بها اختصار بالحذف في عدة المواضع ، وقد أشار إلى هذا الاختصار صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون بقوله: ("الجواهر المضية في الأحكام السلطانية" لزين العابدين: عبد الرءوف المناوي الشافعي مختصر، مرتب على مقصدين)[1] وقد بينت المواضع التي زادتها نسخة ليدن على نسخة عارف حكمت في أثناء التحقيق.

●العنوان: "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية " للإمام العلامة، خاتمة الحفاظ والمحققين، عمدة الفقهاء والمحدثين، سيدنا ومولانا، الشيخ عبد الرءوف ابن شيخ الإسلام المرحوم تاج العارفين المناوي، رحم الله سلفه، وأطال النفع بطول بقائه علينا وعلى كافة المسلمين، آمين.

وهذه الصياغة تدل على أن النسخة كتبت في حياة المؤلف ـ رحمه الله ـ، ولكن هذا لا يقطع به لاحتمال نقلها عن نسخة أخرى كتبت في حياته.

●تصنيف المخطوط: من كتب التاريخ، رقم التصنيف: (٩٠٠/٨٠)، رقم عام: (٣٨٢٦).

●عدد الألواح: ٥٠ لوحة، عليها تصحيحات في الحواشي.

●المقاس: ١٩،٨ × ١٤،٢.

(١) كشف الظنون ١/ ٦٧١

●عدد الأسطر : خمسة وعشرون سطرًا.

●الخط : عادي.

●بداية المخطوط : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالله التوفيق ، أحمد الله الملك الذي ليس كمثله شيء وبيده النفع والضر).

●نهاية المخطوط : (وأن لا يتعرضوا إلا لمن اتضح فساده ، ثم فوائد ، وقصيدة للناسخ)

●الناسخ : " جانم أحمد جلبي " .

●الختم: خُتمت بختم وقفية الشيخ عارف حكمت ، يتضمن الختم البيانات التالية :(مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني " أحمد عارف حكمت الله بن عصمت الله الحسني " في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم شرط ألا يخرج عن خزانته ، والمؤمن مأمون على أمانته)

●حالة المخطوط : أوراقه جيدة ، وتكثر به التصحيفات والتحريفات ، والتي توضح أن الناسخ غير متخصص.

●وصف اللوحة : الورقة الأولى مزخرفة ومذهبة ، أما بقية الأوراق فإطاراتها مسطرة بالمداد الأحمر ، كُتب عنوانها بالمداد الأبيض ، واسم المؤلف بالمداد الأحمر ، والنص بالمدادين الأسود والأحمر ، أوراقها تميل إلى الاصفرار .

● التعليقات : كتب على جانبي المخطوط الأيمن والأيسر بعض التعليقات والتصحيحات المتعلقة بالمخطوط وخاصة بتصحيح النص بعد كتابته من الناسخ.

المقصد السادس

منهجي في التحقيق

أشير في بداية الأمر إلى الفرق بين دراسة الكتاب وتحقيقه.

فالدراسة أشمل من التحقيق، وتكون غالبا للكتب التي سبق تحقيقها، حيث يتم دراسة المسائل التي ذكرها المؤلف ورأيه فيها ومنهجه في تقريرها.

أما التحقيق، فهو متعلق بإخراج النص كما أراده المصنف مع خدمته بما جرى عليه العرف العلمي، من مقارنة المخطوط بنسخه المتوفرة، أو بما رجع إليه المؤلف ونقل عنه، وكذا بتخريج الأحاديث الواردة فيه، وترجمة أعلامه ونحو ذلك مما يقتضيه منهج التحقيق.

ويتلخص منهجي في التحقيق في تقديم الكتاب للقارئ بأسلوب واضح بعيد عن التشويش بكثرة الإحالات والأقواس والمقارنات والتي تخرج بالكتاب عن غرض القارئ. ومن الأمور التي راعيتها في التحقيق؛ ما يلي:

١ -اعتمدتُ في تحقيقي للمخطوط على النسختين اللتين سبق وصفهما، وهما نسخة مكتبة "ليدن"، وجعلتها أصلا ورمزت لها أثناء التحقيق بـ (ل)، ثم قابلت عليها نسخة مكتبة عارف حكمت ورمزت لها أثناء التحقيق بـ (ع).

وما كان صحيحا في نسخة ليدن أثبته في المتن، وقلت في الهامش: هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: (...) وأذكر لفظ نسخة عارف حكمت، وأما إن كان العكس، فإني أثبت في المتن لفظ نسخة عارف حكمت ثم أنبه على ذلك في الهامش بقولي: هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "... " وأذكرُ لفظ نسخة ليدن.

أما إن كان المعنى غير في كلتا النسختين محتملا، رجحت بينهما بما ورد في المصادر التي اعتمد المناوي عليها، وأوضح ذلك في الهامش فأقول مثلا: هكذا في (ل) وفي التبر المسبوك، وأما في (ع) فبلفظ: "...."، وأذكر لفظ نسخة عارف حكمت.

أما إذا كان المعنى بعيدًا في نص النسختين، صححت النص في المتن في ضوء المصادر التي اعتمد المناوي عليها، وأشير إلى ذلك في الهامش بقولي: في (ل) بلفظ "...."، وفي (ع) بلفظ: "..."، وفي التبر مثلا: "......" وأذكر لفظ الغزالي.

٢ـ لاحظت أثناء التحقيق أن المناوي قد جمع مادة هذا الكتاب من كتب المتقدمين عليه، ومن ثم اعتنيت بتخريج نصوص الكتاب ومقابلتها على المصادر التي اعتمد عليها المناوي، مقدما النسخ المحققة الموثوق بها من نسخ هذه المصادر، ولم أكتف بالرجوع إلى الأصول التي اعتمد عليه المناوي، بل رجعت إلى ما عاداها من المصادر التي يغلب على ظني ذكرها لما نقله المناوي وذلك قدر الاستطاعة.

٣ـ إذا أطال الشيخ المناوي في الاقتباس من أحد المصادر بيَّنت ذلك عند بداية الاقتباس، منبهاً على الموضع الذي سينتهي الاقتباس عنده، ثم أعود فأنبه على انتهاء الاقتباس مرة أخرى عند نهاية الكلام المقتبس.

٤ـ إذا كرر الشيخ المناوي الاقتباس من مصدر من المصادر اتخذت اختصارا لهذا المصدر أذكره عند العزو إليه، منبها على هذا الاختصار عند أول عزو، وهذه أهم الاختصارات:

أ) انظر: " التبر" أعني: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للإمام أبي حامد الغزالي

ب) انظر: "الغياثي" أعني: غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين الجويني

ج) انظر: "سر الأسرار" أعني: كتاب سر الأسرار المسمى بـ " السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة" لأرسططاليس.

د) "عند الثعالبي في الغرر، أي: غرر أخبار ملوك الفرس، لأبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي.

هـ) " عند المسعودي، أي: في "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران" لأبى الحسن علي عبد الحسين بن على المسعودي .

وما عدا ذلك من الكتب أعزو إليه باسمه من غير اختصار.

٥ -اعتنيتُ بتصحيح التصحيفات وتقويم التحريفات التي وقعت في نسختي الكتاب، وذلك في ضوء عبارة المصادر التي اقتبس منها المناوي، مع عزو التصحيح إلى الأصل المنقول منه مشفوعا ببيان موضعه فيه، وقد أبقيت على عبارة المؤلف متى استقام المعنى، حفاظاً على عبارته المختصرة، حتى وإن اختلفت الألفاظ، فإذا كان المعنى غير مستقيم صححت العبارة في ضوء عبارة المصدر المقتبس منه.

فإن لم أقف على المصدر الذي نقل المناوي منه، صححتها بما يبدو لي مما يتوافق مع السياق، منبها على ذلك في الهامش.

٦ -تتبعت الألفاظ الغريبة والمستهجنة، فبينت معناها الحرفي بالرجوع إلى قواميس اللغة؛ ثم فسرت المراد باللفظ في ضوء ما يقتضيه السياق.

٧ -عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله عز وجل، وإن كان فيها تصحيف قومته دون إشارة إلى ذلك.

٨ -قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، ولتمييز القول الشريف وضعت الحديث بين معكوفتين، أما إن كان في الحديث تصحيف أو سقط، ولم يوافق لفظه المذكور في الكتاب شيئا من الروايات الواردة في كتب السنة، صححت لفظه

الوارد في الكتاب، ونبهت على ذلك في الهامش، وقد اكتفيت في التخريج والحكم على الحديث بما أورده متأخرو المحققين لأبين للقارئ الرأي في الحديث المذكور.

٩ -نبهتُ على الأخطاء العقدية التي وقع فيها المؤلف (رحمه الله)، مبينا وجه الخطأ، ومعرفا بالمعتقد الصحيح لأهل السنة والجماعة.

١٠ -اعتنيتُ بالتعليق على بعض المسائل الفقهية التي تناولها المؤلف بشيء من الاختصار وحسب ما يقتضيه الحال، وخاصة المسائل المتعلقة بالسياسة الشرعية.

١١ -صوبت نسبة ما ورد من الأقوال منسوبا إلى غير قائله، وذلك بعد الرجوع إلى أمهات كتب التراث المعتمدة للتحقق من صحة نسبتها.

١٢ -خرجت أبيات الشعر الواردة في الكتاب وعزوتها إلى قائليها، فإن كان فيها تصحيف أو تحريف صححته على ضوء ما ذكره أصحاب المصادر؛ بعد مقابلة البيت على أكثر من مصدر للتحقق من عدم وروده برواية موافقة لما في الكتاب.

١٣ -قمت بإعداد ترجمة مختصرة لما ورد في الكتاب من أعلام، سواء من الرواة، أو العلماء، أو الملوك، والوزراء والحكماء، ويكون ذلك في أول ذكر لهم، فإن لم أقف للعلم المذكور على ترجمة نبهت على ذلك، وهذا قليل بفضل الله.

١٤ -بينت معاني العبارات غير الواضحة التي قد يغلق معناها على القارئ وذلك حسبما بدا لي من معناها، فإن وجدت شرحا لها في كتب الآداب اكتفيت بنقل كلام من كفاني ذلك.

١٥ -اعتنيتُ بإخراج النص من حيث تقسيمه إلى فقرات متناسبة، مع ضبطها بعلامات الترقيم.



نماذج اللوحات

نماذج اللوحات



الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية
تأليف العبد الفقير عبد الرؤوف ابن
المناوي الحدادي كفاه الله
شر الشيطان وكفى المعاد
آمين
م

Ex Legato Viri Ampliss. LEVINI WARNERI.

شكل رقم (١).غلاف مخطوط "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية للمناوي.

نسخة مكتبة ليدن

شكل رقم (٢-أ).اللوحة الخامسة من مخطوط " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

نسخة مكتبة ليدن

شكل رقم (٢-ب).اللوحة الخامسة من مخطوط " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

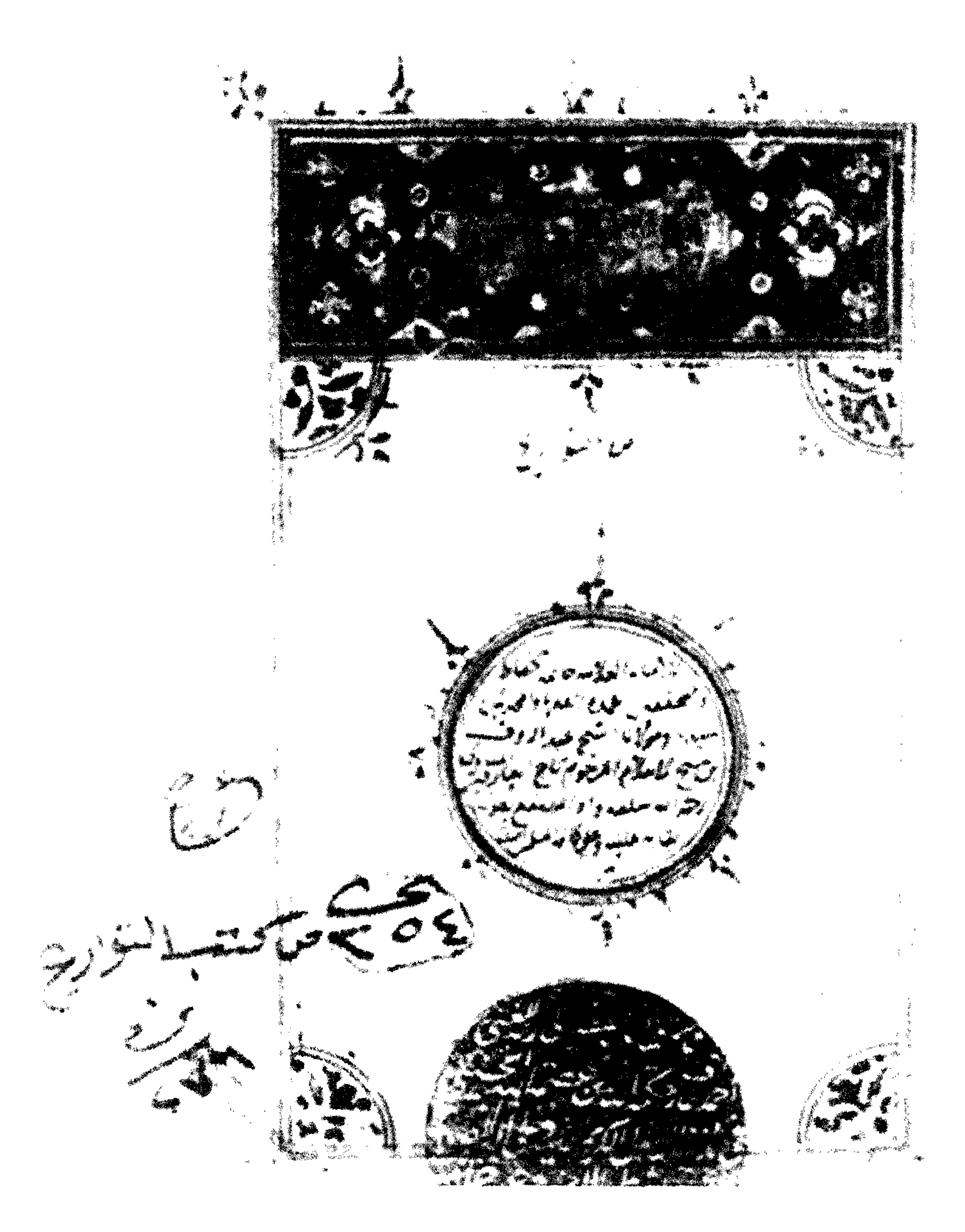
نسخة مكتبة ليدن

شكل رقم (٣-أ).اللوحة السادسة من مخطوط " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

نسخة مكتبة ليدن

شكل رقم (٣–ب). اللوحة السادسة من مخطوط " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

نسخة مكتبة ليدن



شكل رقم (٤).غلاف مخطوط " الجواهر المضيَّة في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

" نسخة مكتبة حكمت عارف "

بسم الله الرحمن الرحيم

شكل رقم (٥).اللوحة الثانية من مخطوط " الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية " للمناوي.

" نسخة مكتبة حكمت عارف "

النص المحقق



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبالله التوفيق

أحمَد الله الملكَ الذي ليس كمثله شيء، وبيده النفع والضَر[1]، والبسط والقبض،

---

(١) كلام المناوي من قوله: " وبيده النفع والضر " إلى قوله: " ويزين نحرها ووريدها " نقله من مقدمة كتاب "غياث الأمم في التياث الظلم " لإمام الحرمين الجويني " ، والمشهور بالغياثي، وذلك بتصرف من المناوي في صياغة بعض العبارات. وسأشير إلى غياث الأمم عند المقابلة عليه بقولي: " وفي الغياثي: " وذلك في عموم التحقيق. ويلحظ أن هذه المقدمة تحتوي على مغالطات كثيرة في العقيدة، وأسلوبها معقد، فهي على طريقة أهل الكلام الذين يحبون التقديم بمقدمات تبين مدى قدرتهم اللغوية، وقوة سبكهم ، وكل هذا بخلاف المنهج السلفي السليم، انظر إلى مداخل كتب ابن تيمية وابن القيم، وقارن بين مقدماتهم ومقدمات أصحاب هذا الاتجاه مثل الرازي والجويني والغزالي، ومن على شاكلتهم، وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية الرد على أصحاب هذا الاتجاه؛ جزاه الله عن الأمة خيرا، ومما جاء في كتابه "درء تعارض العقل والنقل" ١/١٦٠، ما أورده عن زعيم من زعماء هذا الاتجاه، وهو الرازي حيث يقول: " وأنشد أبو عبدالله الرازي - في غير موضع من كتبه مثل كتاب أقسام اللذات - لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم، وأنه ثلاث مقامات العلم بالذات والصفات والأفعال، وعلى كل مقام عقدة فعلم الذات عليه عقدة ، هل الوجود هو الماهية أو زائدة على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة، هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة، هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها ؟ ثم قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب، ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال=

والنشر والطيُّ، فالعقول عن عز جلاله مَعْقُولة[١]، ومعَاقِدُ العُقُود في نعت جماله مَحْلُولة[٢]، وقلوب العارفين على[٣]الجِد في الطلب مَجْبُولة[٤]، وأيدي المريدين[٥]إلى

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ سورة طه: ٥ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ فاطر: ١٠، واقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورى: ١١ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ طه: ١١٠ ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ مريم: ٦٥، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

(١) معقولة: أي ممنوعة ومحبوسة، قال ابن منظور: " اعتُقِل: حُبِس". لسان العرب، مادة "عقل"، والمقصود أن عقول البشر عاجزة عن إدراك كمال عزته وغلبته، وسمو امتناعه، ورفعته جلَّ وعلا.

(٢) المعاقد: جمع معقد، وهو موضع العقد من الحبل، قال ابن منظور: " موضع العَقْد من الحبل: مَعْقِد؛ وجمعه مَعاقد ... والعِقْد: الخيط ينظم فيه الخرز، وجمعه عُقود" لسان العرب، مادة "عقد"، ويريد المصنف بذلك أن العقول، وإن كانت عاجزة عن إدراك حقيقة ذاته؛ فإن ألسنتها لاهجة بنعوت جماله وجلاله، فهو الموصوف بكل كمال، و المنزه عن كل نقص.

(٣) هكذا في (ل)، وكذا في مقدمة الغياثي: ص١، أما في (ع) فبلفظ: "عن الجد في الطلب" واخترت لفظ (ل) لتوافقه مع ما في الغياثي ولمناسبة المعنى للسياق.

(٤) هكذا في (ل)، وكذا في مقدمة الغياثي: ص١، وخالفتهما (ع) ففيها بلفظ: "محبولة" واخترت لفظ (ل) لتوافقه مع ما في الغياثي ولمناسبة المعنى للسياق.

(٥) هكذا في (ل)، وكذا في مقدمة الغياثي: ص١، وخالفتهما (ع) ففيها بلفظ "المريديون"، واخترت لفظ (ل) لتوافقه مع ما في الغياثي ولمناسبة المعنى للسياق، ولعله أراد بذلك بيان أن المريد الذي سلك الطريق إلى الله من شأنه أنه يمسك عن الكلام في بيان ذات الله مكتفيا بما أخبر به تعالى عن نفسه، فهو قليل الكلام إن تحدث عن ذات الله. والمريد من مصطلحات الصوفية وطرقهم الضالة، انظر في فضح هذه الطريقة كتب ابن تيمية، ومنها كتاب الاستقامة ١/ ٣٠٥. وهل يقال: ذات الله؟ هناك من يمنع هذه النسبة؛ لأن الله ـ عز وجل ـ قال عن نفسه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ آل عمران: "٢٨"، ولم يقل: ذاته، ولكن ورد استخدام هذا اللفظ في بعض الأحاديث الصحيحة منها حديث "لم يكذب إبراهيم" عليه السلام " إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله ـ عز وجل ـ ...". أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٣٣٥٨".

الأعناق مغلولة، وأفئدة القانعين بملك الدارين مَعْلُولة[١]، وغاية العابدين والزاهدين مواعيد مأمولة[٢]، ودماء[٣] الهلكى في الله مهدرة مطلولة[٤]، وحدود المشمرين في غير ما قدَّر لهم مَفْلُولة [٥]، ونهاية المكاشفين حَيْرة وحسرة مَحْصُولة[٦]، ولا ينفع مع القدر المَحْتُوم وسيلة، ولا يدفع القضاء الأزلي حيلة، والأفهام دون حمى العز مَبْهُورة[٧]، والأوهام مقهورة، والفِطَن مَدْخورة[٨]، والبصائر مدحورة، والفِكَر عن

(١) أَعَلّ فعل رباعي، وزن مضارعه يَعِلُّ ، واسم المفعول منه مُعَلّ، فالقياس على ما قاله ابن سيده أن تأتي على مُعَلَّة لا على مَعْلُولة ؛ قال ابن منظور: " قال ابن سيدة : المعروف إنما هو أعله الله فهو معل" لسان العرب، مادة " علل ". والمقصود – هنا – أن الواجب على الإنسان أن يسعى إلى معرفة ذات الله بمعرفة ما يجب له من صفات الكمال والجلال ؛ وإن كان عاجزًا عن إدراك حقيقة ذاته ؛ لأن ذلك مما لا تدركه العقول ؛ وعليه، فإن من قنع بملك الدارين، واكتفى بذلك عن معرفة الله ؛ فإن في نفسه علةً وضعفًا ناتجين عن القناعة بما سوى الله.

(٢) لعل المراد -هنا - بيان أن الزاهدين والعابدين لا يبتغون من سلوكهم الطريق إلى الله إلا أن ينالوا ما وعدهم الله به من المواعيد ؛ والتي من أجلها فوزهم برضاه، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم.

(٣) في (ع) و(ل): " دما الهلكى " بغير همز، وفي الغياثي : " دماء الهلكى " بألف ممدودة، والأنسب ما في الغياثي : ، وهكذا في سائر المخطوط كل ألف ممدودة تكتب دون همزة.

(٤) الدماء المطلولة هي المهدرة الضائعة، فيكون قوله : " مهدرة مطلولة " من باب تأكيد المعنى، قال الفيومي : "طلَّ السلطان الدم طلاًّ : من باب قتَل أهدره ". المصباح المنير مادة " ط ل ل ". ولعل المقصود بذلك هو بيان أن من أفنى حياته في طلب ما أخفى الله عن عباده، فقد أضاع حياته، وأهدر أيامه .

(٥) هكذا في (ع) وفي (ل) مقلولة، وفي الغياثي ص٢ : "مغلولة"، والفل هو الأنسب للحدود، فالفل : هو عيب يلحق بحد السيف من كثرة الاستعمال في الحروب، قال ابن منظور في لسان العرب: " الفَلُّ ، بالفتح واحد فلول السيف ، وهي كسور في حده " لسان العرب، مادة " فلل ". والمراد: أن المشمرين والساعين لمعرفة المستور ستبلى عزائمهم، وتتلف عقولهم دون أن يطلعوا على شيء من حقيقة ذات الله مما أخفاه الله عنهم.

(٦) لعل المراد أن المكاشفين الذين خصهم الله بمزيد معرفة وفضل لم يقفوا هم - أيضا - على ما يزيل عنهم مقام الحيرة، ويوقفهم على أرض المعرفة والاطلاع.

(٧) مبهور: اسم مفعول من بهر بمعنى انقطع، قال ابن منظور: " البُهْر: انقطاع النفس من الإعياء فهو مبهور" لسان العرب، مادة " بهر "، والمراد: أن العقول بعدما سلكت كل طريق عقلي للتعرف على حقيقة الذات الإلهية قد انقطعت بها المناهج ، والتوت بها المسالك، ولم تطلع على ما هنالك.

(٨) هكذا في (ل) وفي (ع) بلفظ "مدخورة"، وما في (ل) أنسب، وإن كان "الدخر" غير بعيد أيضا فهو=

مدارك الحق مَقْصورة، وذكر اللسان أصوات وأجراس(١)، ومُتَضَمن الفكر وسواس(٢) والسكون عن الطلب تعطيل (٣)، والركون إلى مَطْلوب مُحصّل تمثيل(٤)، وبذل المهج في أدنى مسالك المريدين قليل، وليس إلى درك حقيقة الحق سبيل. ونار الله على أرواح المشتاقين موقدة(٥)، ومدارك الوصول بأعلاق العز موصدة، ومن قنع بالدعوى ضاع زمانه، ومن تحقق في الإرادة طالت أحزانه(٦)، ومن ضَرِي(٧) بالكلام

= بمعنى الابتلاء بالذل والصغار. قال ابن منظور: " الدُّخُور: الصَغار والذل " لسان العرب، مادة " دخر"

(١) هكذا في الغياثي ص٢: " وذكر اللسان أصوات وأجراس "وفي (ل) و (ع): " أصوات والأجراس " غير أن الناسخ في (ع) ضرب على اللام ألف، وما في الغياثي هو الأنسب. والمقصود: أن كلمات اللسان ما هي إلا أصوات ونبرات تصدر عن الإنسان، وهي أوعية للتصورات العقلية الناشئة عن الخبرات السابقة للإنسان التي حصلها مما وقعت عليه حواسه ومداركه، وجميع هذه الأصوات بما تحتوي عليه من صور وأخيلة تتنزه ذات الباري سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " ومتضمن الفكر والوسواس ". والمعني : أن كل ما يحصل في الفكر من تخيلات إنما هي من وساوس الشيطان ولا علاقة لها بالحقيقة.

(٣) هكذا في (ل) وكذا في الغياثي ص٢، وخالفتهما (ع). ولعله يقصد أن من ترك ما بيّن الله من صفاته فقد عطلها، بخلاف من قاسها على غيرها كما في الجملة التي تليها.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " إلى محصل طلب تمثيل "، والمقصود بيان أن طرائق العقول ومناهج الفلسفة لا يتوصل بها إلى معرفة حقيقة ذات الله بل إلى التشبيه والتمثيل ؛ لأن هـه المناهج وإن نجحت في مجالاتها التي وضعت لها - عندما استخدمت في غير ما وضعت له كانت سببًا للضلال والانحراف بدلاً من الاهتداء والرشاد. فالحقيقة التي لابد للباحث أن يؤمن بها هي كما قال المناوي في نفس هذه الفقرة: " وليس إلى درك حقيقة الحق سبيل ".

(٥) لعل المقصود هو بيان أن الأرواح بطبيعتها تواقة متطلعة مشتاقة إلى باريها تسكن بالقرب منه، وتأنس بالركون إليه، ولكن الأبواب دون القرب الحقيقي موصدة، وعن القرب مغلقة، وقد أبدلها الله بالقرب منه في الصلاة وغيرها من العبادات كما تفيد النصوص.

(٦) والمقصود بيان أن من ركب رأسه، وتولى كبره، واتبع هواه في إمكانية الاطلاع على حقيقة ذات الله ؛ فإن زمانه سيضيع، وحياته ستفني، وهو لم يخرج بعد عن حيز تلك الضلالة.

(٧) ضري بالكلام: لهج به، وأكثر من ترديده. قال ابن منظور: " ضَرِي به ضَرَ، أو ضَرَاوة : لهج "لسان=

صَدَى جنانه، ومن عرف الله تعالى كَلَّ لسانه، جل جلاله، وتقدست أسماؤه، استواؤه استيلاؤه[(١)]، ونزوله بِرُّه وحباؤه[(٢)]، ومجيئه[(٣)] حُكمه وقضاؤه، ووجهه

=العرب، مادة " لهج "، والمقصود هو بيان أن كثرة الكلام فيما يتعلق بذات الله ـ جل جلاله ـ ومحاولة البحث فيها مما يصيب الفؤاد بالصدى. ولا يبعد أن يكون قصده بالكلام المعنى الاصطلاحي الذي هو العلم المعروف، فقد كان السلف يرون أنه بدعة.

(١) المناوي في قوله: "استواؤه استيلاؤه، ونزوله بِرُّه وحباؤه، ومجيئه حُكمه وقضاؤه.... الخ " يعرض منهج الأشاعرة في تأويل بعض الألفاظ الواردة في القرآن والسنة، والتي يرى الأشاعرة -لاسيما المتأخرين منهم -تأويلها، وعدم حملها على المعنى الظاهر منها، فمن ذلك أنهم أولوا الاستواء الوارد في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ بالاستيلاء عليه، مخالفين في ذلك ما عليه السلف من إثبات ما أثبته الله لنفسه من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، قال ابن كثير: " وأما قوله تعالى: ﴿ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] " انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٦، ومن تأويلات الأشاعرة ـ أيضا ـ تأويل النزول الوارد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ... ". أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم "١٨٠٩ " ـ أوَّلوه بنزول بِرّه. وقد بيّن العلماء أن نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، "راجع كتاب شرح لمعة الاعتقاد لمحمد بن صالح العثيمين ص ١٥ ". أما صفة المجيء الثابت بقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، فقد أوّله الأشاعرة بمجيء الحكم والقضاء، وهذا مما خالف فيه الأشاعرة منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم؛ فمجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى. "انظر المرجع السابق ص ١٣"

(٢) هكذا في الغياثي ص٢، خلافا لما في (ل) و(ع) ففيهما بلفظ "حياؤه"، وما في الغياثي أقرب.

(٣) هكذا في (ل) وفي الغياثي ص٢، وخالفتهما (ع) ففيها بلفظ: " محبته "، وما في (ل) هو الأصح.

بقاؤه، وتقريبه إصفاؤه، ومحبته آلاؤه، وسخطه بلاؤه، وبعده علاؤه[١]، العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه.

غرقت في بحور سرمديته عقول العقلاء، ونزفت في وصف صمديته علوم العلماء، ولم يحصِّل منه أهل الأرض والسماء إلا على الصفات والأسماء، فالخلق رسوم خالية، وأجساد بالية، والقدرة الأزلية لها والية، جلَّت ساحة الربوبية، وحِمَى العز الدَّيْمُومية، عن فهم[٢] كلِّ جني وإنسي، ومناسبة عرش وكرسي، فالشواهد دونها منطمسة، والعلوم مندرسة، والعقول مختلطة ملتبسة، والألسن[٣] محتبسة، فلا تحييث[٤] ولا تحييز، ولا تحقيق ولا تمييز، ولا تقدير ولا تجويز، وليس إلا وجهه العزيز.

وقد أفلح الحامدون، وخاب الجاحدون، وفاز المؤمنون، وكُفي المتوكلون، واعترف بالوحدانية لله المُؤَيدون، وأيقن بنبوة المرسلين، وصدق خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين الموفقون، صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين ما طلع فجر، وزخر بحر، ودار فلك، وسبَّح ملك، واختلف الجديدان، واعتقب المَلَوان[٥].

---

(١) عبارة " ووجهه بقاؤه، وتقريبه اصفاؤه، ومحبته آلاؤه، وسخطه بلاؤه، وبعده علاؤه" مما تفردت به (ل) وخلت منه(ع).

(٢) هكذا في الغياثي ص٣، أما في (ع) فبلفظ: "فهم كلام جني وانسي" ، وأما في (ل) فبلفظ: " فهم كلام كل جني وانسي " ، وما في الغياثي هو الأنسب، ولعل هذا من تصحيفات النساخ.

(٣) في الغياثي ص٣: " والألسنة معتقلة محتبسة " أما في (ع) فبلفظ: " والإنس محتبسة "، وأما في (ل) فبلفظ: "والأسن محتبسة" ولعلها تصحيف " الألسن"، وما في الغياثي هو الأنسب مع مراعاة المصحف في (ل)؛ وهنا تجدر الإشارة إلى أن المناوي عند النقل يتصرف في العبارة بالاختصار حينا ، وباستبدال بعض الألفاظ بأخرى حينا آخر، وربما أضاف في ثنايا المنقول كلامًا من عنده، وهذا في عموم المخطوط.

(٤) هكذا في (ل) وكذا في الغياثي ص٣ ، وخالفتهما (ع) ففيها بلفظ: " فلا تحييت" ، وما في (ل) هو الأنسب.

(٥) الجديدان: الليل والنهار .والمَلَوان -بفتح الميم واللام - طرفي النهار.

وبعد :

فهذا[١] مجموع يجمع أحكام الله[٢] تعالى في الزعامة[٣] بين الخاصة والعَامَّة، محتويًا على العجب العجاب، منطوياً على لباب الألباب، أُحْدُوثة على مَكَرِّ العصر، وغُرَّة في جبهة الدهر، يَعْشُو[٤] إلى مَنَارها المُرْتبك في الشبهات، ويلوذ بآثارها المُنْسلك في مثار المتاهات، ويهتدي بنجومها المتوقي عن مهاوي الورطات، وينخنس برجومها المتعثر في ذيول[٥] الضلالات، عروساً احتضنها طَبٌّ[٦] بالحضانة، فذ[٧] استوظف في القيام عليها زمانَه.

فلم يزل[٨] يُقَوِّم[٩] قدَّها[١٠]، ويُورِّدُ[١١] خَدَّها، ويكحِّل بالبصائر[١٢] أحداقها،

---

(١) هكذا في (ل) أما في متن (ع) فبدون لفظة "فهذا"، وقد أثبتها الناسخ في حاشيتها اليمنى.

(٢) يلحظ أن أكثر الكتاب نصائح موجهة للسلاطين أما الأحكام الشرعية فقليلة مقارنة بها.

(٣) هذا من تسميات علم الإمامة الذي هو من فروع علم الأحكام السلطانية.

(٤) أي: يهتدي بها السائر في ظلمات الشبهات، فتكون هاديه إلى الخلوص منها.
قال ابن منظور: "عشوته: قصدته ليلا" لسان العرب، مادة "عشا".

(٥) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "ديول الضلالات" بالدال، وما في (ل) أصح.

(٦) الطَّبُ: هو الماهر في صناعته المجيد لقانونها، قال ابن منظور: "رجل طَبٌّ: عالم بالطب" لسان العرب، مادة "طبب".

(٧) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "قد".

(٨) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "يرى"، وما في (ع) أنسب.

(٩) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "بقرم" وما في (ع) أنسب.

(١٠) هكذا في (ل) و(ع)، أما في مقدمة الغياثي فبلفظ: "قدمها"، وما في الجوهرة هو الأنسب؛ وذلك لأن القدم لا يوصف بالاستقامة، وإنما الذي يوصف بذلك هو القد، والقدم هو: "القَدَم من لدن الرُّسْغ ما يطأُ عليه الإنسان" لسان العرب، مادة "قدم"، أما القد فهو: "القامةُ" لسان العرب، مادة "قدد".

(١١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "بورد"، وما في "ع" هو الأنسب للسياق.

(١٢) في (ع) و(ل): "البصاير"، وهكذا كل همزة على كرسيها تكتب ياءً في سائر المخطوط.

ويشق إلى صوب البدائع والزخارف آماقها، ويرصف[١] دررها وعِقْيَانها[٢]، ويشنف[٣] بِقِرَطة[٤] الحقائق آذانها، ويُنَطِّق بغرر الكلام لسانها، ويطوق بجواهر الحِكَم جِيْدَها، ويزَيِّن[٥] نحرها ووريْدَهَا[٦].

فدُونك تحفة كأنها سبيكة عَسْجد، أو درٌّ منضد، يشتمل من الكلم النبوية على أحاديث يعظم في هذا الغرض[٧] نفقها[٨]، ومن ألفاظ الحكماء على حكم يجل نفعها، ومن أخبار قدماء الملوك ما يعود نفعه حتى على أهل السلوك، ومن تواريخ الملوك الماضين ما فيه عبرة للناس أجمعين.

وهذا الكتاب ـ وإن كان أصل وضعه للأحكام السلطانية ـ ينتفع بغالبه حتى آحاد الرعية، فإن الرجل منهم[٩] سلطان بيته وعياله رعيته، كما ورد في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[١٠] فالرعية الخاصة[١١] هي

---

(١) هكذا في (ع)، أما في (ل) فبلفظ "يرضف"، وما في (ع) أنسب للسياق.

(٢) قال ابن منظور: " العقيان: ذهب ينبت نباتا، وليس مما يستذاب، ويحصل من الحجارة، وقيل: هو الذهب الخالص " لسان العرب، مادة " عقا ".

(٣) هكذا في (ل) وكذا في الغياثي ص٤ وخالفتهما (ع) بلفظ: " زين ".

(٤) جمع قرط قال ابن منظور: "القُرْط الذي يعلَّق في شحمة الأُذن، والجمع أَقْراط وقِراط وقُروط وقِرَطة " لسان العرب، مادة " قرط ".

(٥) هكذا في الغياثي ص٤، وخالفه ما في (ع) و(ل) ففيهما بلفظ: "زين " وما في الغياثي هو المناسب للسياق.

(٦) إلى هنا انتهى نقل المناوي من مقدمة الغياثي بتصرف منه.

(٧) هكذا في (ل)، أما في (ع) فبلفظ "عرضها".

(٨) هكذا في (ع)، أما في (ع) فبلفظ "نفقها".

وما في (ع) أنسب حتى لا تتكرر الكلمة نفسها في سياق السجع.

(٩) هكذا في (ل)، وسقطت لفظة "منهم" من (ع)

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم " ٤٧٨٩ "

(١١) هكذا في (ع)، أما في (ل) فبلفظ "فإن الرعية خاصة" وما في (ع) أنسب للسياق.

جوارح الإنسان والراعي[١] قلبه إذ هو المخاطَب والمطالَب، والعامة طبقات متصاعدة، فمن الناس من رعيته ولده وزوجته فقط، ثم من رعيته ذلك وأهل محلته، ثم من يرعى مع ذلك آله وأقاربه لكونه مطاعاً فيهم، ثم من يرعى أهل بلده كشيخ البلد، ثم من يرعى أهل مدينة كالأمير، ثم من يرعى أهل إقليم[٢] كالوزير ثم من يرعى أقاليم كثيرة كالملك.

ثم السؤال على هذا الترتيب، فمن كانت رعيته أكثر؛ كان سؤاله يوم القيامة[٣] أعظم وحسابه أشد.

وسنحصر[٤] المقصود منه في مطلبين:

الأول : فيما له وعليه عموماً وخصوصاً وما يحتاج إليه في خاصة نفسه وشرف العدل وما يتعلق بذلك، وفيه أبواب :

الأول: فيما يناط بالإمام من الأحكام الكلية .

الثاني: في تعريف الإمامة ووجوب نصب الإمام[٥]

الثالث: في شرط الإمام القوام على أهل الإسلام.

الرابع: فيما تنعقد به الإمامة.

الخامس: نصب الإمام وتفصيل الطرق التي تنعقد بها الإمامة.

السادس: في العدل وشرفه والثناء عليه في جميع الملل والنحل.

السابع: فيما يجب للملك على الرعية.

---

(١) هكذا في (ل)، أما في (ع) فبلفظ: " والداعي " والأنسب ما في (ل) لمناسبته معنى الحديث الشريف.

(٢) هكذا في (ل)، أما في (ع) فبلفظ (إقليمه).

(٣) في (ل) و (ع): " القيمة " وهكذا كلما وردت كلمة " القيامة " كتبت دون ألف.

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "وينحصر"

(٥) هكذا في (ل) وسقط هذا الفصل والثلاثة التي تليه من (ع) فلم تذكر في النسخة أصلا، بل جعل الفصل الثاني: في العدل وشرفه والثناء عليه في جميع الملل والنحل، وعليه فعدد الفصول في (ع) عشرة أبواب أما في (ل) فكما أثبته في المتن.

الثامن: فيما يجب على السلطان للرعية[١].

التاسع: فيما ينبغي أن يكون السلطان عليه في خاصة نفسه.

العاشر: فيما يحتاجه من الطب الجسماني.

الحادي عشر: فيما يحتاجه من الطب الروحاني.

الثاني عشر: فيما يتعين معرفته من علم الفراسة.

الثالث عشر: فيما يحتاج إليه من الوقوف على حِكَم الحكماء.

الرابع عشر: في تواريخ[٢] بعض الملوك وذكر بعض سيرهم.

المطلب الثاني[٣]: في وزراء الملك ونوابه وأمرائه وخاصته ومتعلقات ذلك، وفيه أبواب:

الأول: في الوزراء[٤].

الثاني: في نائب السلطان.

الثالث: في الحاجب

الرابع: في الترجمان.

الخامس: في أصحاب الأخبار.

السادس[٥]: في كاتب السر.

السابع: في الموقعين.

الثامن: في سفرائه ورسله.

التاسع: في سياسته لخواصه وندمائه

العاشر: في سياسته للعامة.

---

(١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ (ع).

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "تعبير" والأصح كما في (ل) لتطابقها مع ما سيأتي في موضعه من الكتاب.

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فقد جعلها الفصل الخامس عشر ولعله من خطأ الناسخ.

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "الوزارة.

(٥) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "الخامس".

الحادي عشر: في الإمارة على البلاد.

الثاني عشر: في عماله.

الثالث عشر: في ولاة الحرب.

الرابع عشر: في الجند.

الخامس عشر: في عمال الخراج.

السادس عشر: في استخراج الخراج.

السابع عشر: في البريد.

الثامن عشر: في ناظر الجيش.

التاسع عشر: في الطواشية[1].

العشرون: في صاحب الشرطة.

وسميته

"الجواهر المضيّة في بيان الآداب السلطانية"

وها أنا أبوح[2] بمضمون هذا الكتاب وسره، وأتبرأ من حولي وقوتي، لائذاً بتأييد الله ونصره فأقول:

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "الطواشهيه" والصحيح ما في (ل) كما سيأتي في موضعه من الكتاب.

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "أتبوح"



المطلب الأول

فيما له وعليه عموماً وخصوصاً، وما يحتاج إليه في خاصة نفسه، وشرف العدل وما يتعلق بذلك[1]

وفيه أبواب:

الباب الأول: "فيما يناط بالإمام من الأحكام الكلية".

الباب الثاني: في تعريف الإمامة ووجوب نصب الإمام.

الباب الثالث: في شروط الإمام القوام على أهل الإسلام.

الباب الرابع: فيما تنعقد به الإمامة.

الباب الخامس: في نصب الإمام وتفصيل الطرق التي تنعقد بها الإمامة.

الباب السادس: في العدل وشرفه.

الباب السابع: فيما يجب على السلطان أو نائبه على الرعية.

---

(١) هذا العنوان ليس موجودا في (ل) و (ع) ولكنه موجود ضمن الخطة التي ذكرها المؤلف في استقصاء مطالب الكتاب وأبوابه والمذكورة في الصفحتين السابقتين، وأوردته من باب بيان تقسيمات الكتاب للقارئ.

الباب الثامن: فيما يجب على السلطان ونائبه للرعية.

الباب التاسع: فيما ينبغي أن يكون الملك عليه في خاصة نفسه.

الباب العاشر: فيما يحتاجه الملك من الطب الجسماني.

الباب الحادي عشر: فيما يحتاجه من الطب الروحاني.

الباب الثاني عشر: فيما يتعين معرفته من علم الفِرَاسَة.

الباب الثالث عشر: فيما يحتاج إليه من الوقوف على حِكَم الحكماء.

الباب الرابع عشر: في تواريخ بعض الملوك وذكر بعض سيرهم.

الباب الأول

فيما يناط بالإمام من الأحكام الكلية

اعلم أن مطلوب الشرائع من الخلائق التمسك بالتقوى، والاعتصام بما يقربهم إليه تعالى من السبب الأقوى، والاكتفاء ببلاغ(١) من الدنيا، والكف عن دواعي(٢) الهوى؛ لكن الله فطر الخلق على التشرق(٣) للشهوات، فتعلقت التكاليف بتمييز الحلال عن الحرام، وتهذيب مسالك الأحكام، ثم لما جُبلت النفوس على التطلع إلى الأَجَلِّ، والتعلق إلى تحصيل الدنيا بالوسائل، والتهالك على جمع الحُطام، وذلك يجر إلى النزاع والخصام، والتنافس فيها والازدحام، اقتضى الشرع فيصلا بين الأنام، فقيض الله السلاطين وأولي الأمر ليكفوا المعتدين، ويعضدوا المقتصدين، ويشيدوا مباني الرشاد، ويحسموا مادة الغي والفساد، فتنتظم(٤) أمور الدين والدنيا.

---

(١) البلاغ: هو زاد الطالب إلى المطلوب، قال ابن منظور: "البلاغُ: ما يُتَبَلَّغُ به ويُتَوَصَّلُ إلى الشيء المطلوب" لسان العرب، مادة "بلغ".

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "داعي"

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "التشرف" ولفظ (ع) ليس ببعيد، فقد قال ابن منظور: "التشرف للشيء التطلع، والنظر إليه، وحديث النفس، وتوقعه". لسان العرب، مادة "شرف".

(٤) في (ع) و(ل): "فينتظم" ما أثبته هو المناسب للسياق.

وما بعث الله نبياً من الأمم الماضية حتى عضده بسلطان، ومنهم من اجتمع[١] له بين النبوة والسلطان، كداود وسليمان عليهما السلام[٢]؛ ثم ختمهم بأفضلهم، وشد بالسيف أزره، وضمن تأييده ونصره؛ ثم استأثره الله تعالى، فقام من بعده خلفاؤه بأحكام قواعد الإسلام طوعاً و كرهاً.

وهذه توطئة لبيان ما يتعلق بالإمام من الأحكام، فنقول: المتعلق به الأمورُ[٣] الكلية الدنيوية والدينية.

فمن[٤] وظيفته حفظ الدين ودفع شبهات الزائغين:

١ـ أن يرعى حفظ أهل الإيمان بنفسه ورقبائه، ويصونهم عن تزاحم[٥] الأهواء، وهواجم الآراء، فإن حسم المبادي[٦] أهون من قطع التمادي[٧].

٢ـ ومن وظائفه تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الدين؛ فإن الله تعالى لم يولّه أن يكون مستريحاً، بل لينصر الدين ويعلي الكلمة؛ فمن حقه أن لا يدع الكفار يكفرون[٨]، وأن يقيم جماعة في البحر لأجل الحرب يتلصصون .

٣ـ وإن نجم[٩] مبتدع في العقائد: فعليه دفعه ومنعه وزجره؛ فإن إهماله يخبط

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "جمع"

(٢) هكذا في (ل) أما (ع) فسقط منها " عليهما السلام".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "بالأمور"، والأمور هنا خبر.

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " ممن".

(٥) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "تراجم".

(٦) المبادئ " بالهمزة " بمعني الذي في أول الأمر، وهنا خففت الكلمة بحذف الهمزة لتتوافق السجعة .

(٧) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " المتمادي"

(٨) لهذه العبارة تكملة في الغياثي ص١٧، قال الجويني: " فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله، ولا يؤمنون بالله، ولا بر

(٩) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "يحم"، والنجم الظهور، قال ابن منظور" (نَجَمَ الشيءُ يَنْجُمبالضم نُجوماً طَلَعَ وظهر) لسان العرب مادة "نجم"

العقائد، ويخلط القواعد، ويجر المحن، و يثير الفتن؛ وإذا رسخت البدع في الصدور أفضت إلى عظائم الأمور.

٤ـ ومن خرج من المبتدعة عن الطاعة: تدارك أمرَه حسب الاستطاعة؛ فقد يجر الأمر إلى تعطيل الثغور في الديار، واستجراء الكفار، وحسم مادة البدع من أهم ما يجب الاعتناء به؛ فإن قويت شوكتهم صال عليهم صولة وسطا، سطوة تخرب ديارهم، وتمحق آثارهم، وهذا في قواعد العقائد.

٥ـ أما اختلاف العلماء في الأحكام فهو من الله مِنَّة[١]، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم (اختلاف أمتي رحمة)[٢]، فلا يتعرض الإمام لفقهاء الإسلام فيما يتنازعون فيه من تفاصيل الأحكام؛ وليس له أن يحملهم على مذهب واحد، فإن ذلك لا يصدر إلا عن معاند.

٦ـ ومن وظيفة الإمام: أن لا يغفل عن إقامة شعائر الإسلام، فإن عطل أهل ناحية الأذان أو الجماعة: أمرهم بذلك، فإن أبوا حملهم على السيف، ومن[٣] لم يظهر شعاراً ظاهراً من العبادات البدنية لا يَتَعرض له إلا إن رفع[٤] إليه واقعة فيرى فيها رأيه[٥].

---

(١) هكذا في (ع) وسقط من (ل) لفظ " منه"

(٢) قال الحافظ زين الدين العراقي: " ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا، وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ " اختلاف أصحابي لكم رحمة "، وإسناده ضعيف " انظر تخريج أحاديث الإحياء ١/ ٢٠ وقال الألباني: (إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء). وقال عنه أيضاً (باطل مكذوب .... وإن من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيرًا من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الشديد الواقع بين المذاهب الأربعة) انظر: السلسة الضعيفة ١/ ٥٩. وإنما أوردت هذا الكلام؛ لكثرة ما رأيت من الأحاديث الضعيفة في هذا الكتاب، رغم أن المؤلف من علماء الحديث وكبار مؤلفيه، ولعل انتماءه إلى طرق التصوف أثّر عليه، فجعله يتساهل في إيرادها والاستشهاد بها.

(٣) في (ل) متن (ع) " ما " غير أن ناسخ (ع) علم عليها في الحاشية العليا بعلامة التصحيح إلى "من" و "من" أقرب إلى الصحة.

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "وقع"

(٥) هكذا في (ع) وسقط من (ل) لفظ "رأيه"

٧- ومن وظيفته: بذل كنه الجهد في الجهاد، ومنابذة أهل الكفر والعناد؛ فيطلب من ذلك ما لم يحصل، ويحصِّل ما هو حاصل.

٨- ومن وظيفته: الاهتمام بحصد المتلصصين والمترصدين وقطاع الطريق، وإقامة السياسات والعقوبات الزاجرة عن ارتكاب الفواحش والموبقات، والقيام على المشرفين على الأصقاع بأسباب الحفظ والصون، والولاية على من لا ولي له من الأطفال والمجانين، وسد حاجات المحاويج، وصرف الفيء والغنيمة والزكاة في مصارفها المبيَّنة في كتب الفقه، وحفظ الأموال الضائعة التي جُهل مالكها أو أُيس منه.

٩- وعليه الاعتناء بتحصين القلاع، وسد الثغور، فهو من أهم الأمور، فيرتب على كل ثغر من الرجال ما يليق به، وإعداد الأسلحة وآلات الدفع، ويرتب جماعة للغارات على أطراف بلاد الكفار، ويقدم الأهم فالأهم، معتمداً على فضل ربه لا على جِده وقوته، ويحافظ على ما فيه حصول الأمن والعافية للرعية، والإمام في حكم الدَّرَقة[(١)] للمسافر والحاضر.

١٠- وعليه نصب القضاة لفصل الحكومات.

١١- وعليه زجر الغواة، وردع الطغاة بضروب[(٢)] العقوبات، وقتال قطاع الطريق والبغاة.

١٢- وإذا أدى اجتهاد الإمام إلى حكم في مسألة، ودعا إلى موجب اجتهاده[(٣)] تحتمت طاعته.

١٣- وعليه إقامة الحدود إذا ثبت عنده موجبها، ولا يجوز له العفو، وليس

---

(١) الدرقة نوع مخصوص من جنس التروس، قال ابن منظور: "الدرقة: الحَجَفة وهي تُرْس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب" لسان العرب، مادة "درق".

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "ضرب"

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "اجتهاد"، والأنسب ما أثبته ؛ لاقتضاء السياق ذلك.

لغيره أن يشفع عنده في إسقاطها، ويعزر من فعل ما يقتضي التعزير، و له في العفو متسع، و يتأكد في ذوي الهيئات؛ لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)[١] .

١٤ـ ولا يجوز أن يبلغ بالتعزير الحد، وقول الماوردي[٢]: "له ذلك إن رآه مصلحة "[٣] عملاً بقول مالك رضي الله عنه:" للإمام أن يقتل في التعزير بفساد الزمان"[٤]، وأطنب إمام الحرمين[٥] في رده، وقال: لو جاز ذلك لجاز القتل بالتهمة إذا قامت القرائن، وفي ذلك جراءة للملوك على تعدي الحدود الشرعية وقد وقع لبعض العلماء أن بعض الملوك سأله عن الوقاع في رمضان، فقال: من فرط منه ذلك: لزمه

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن حديث رقم (٣٨٠٣)، وابن حبان في صحيحه حديث رقم (٩٤)، قال شعيب الأرنؤوط: (سنده حسن في الشواهد) انظر صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط ٢٩٦/١.

(٢) الماوردي هو: على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، صاحب الحاوي والأحكام السلطانية؛ من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه، وغير ذلك، وجُعلت إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة. قال الخطيب: كان ثقة، مات في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة "انظر: طبقات الشافعية الكبرى لتقي الدين السبكي ١٧٥/٥ ".

(٣) قال الماوردي: "وَلا يَتَجَاوَزَ التَّعْزِيرَ إلَى الْحَدِّ إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِيهِ، فَيَسْتَوْفِيَهُ إذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الاجْتِهَادِ فِيهِ" الأحكام السلطانية ص ١٩٤.

(٤) في (ل) و(ع): أنه لا يبلغ بالتعزير القتل، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الأنعام: "١٥١"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" متفق عليه. وقد ذهب بعض الفقهاء إلى جواز القتل تعزيرًا في جرائم معينة بشروط مخصوصة من ذلك: قتل الجاسوس المسلم إذا تجسس على المسلمين، وذهب إلى جواز تعزيره بالقتل مالك، وبعض أصحاب أحمد، ومنعه أبو حنيفة، والشافعي وأبو يعلى من الحنابلة، وتوقف فيه أحمد" انظر: الموسوعة الفقهية" "٢٦٣/١٢".

(٥) الجويني هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، لقبه: إمام الحرمين، وكنيته: أبو المعالي، النظار الأصولي المتكلم، البليغ، الفصيح، الأديب، من أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان و سبعين و أربعمائة. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٥ / ١٠٢

صوم شهرين متتابعين، فقيل له: لِمَ لَمْ[١] تذكر العتق ؟ فقال: يستهزأ بالوقاع فيه، ويفعل الشهر كله، ويعتق عن كل يوم رقبة، فذكرت له مالا يطيقه ؛ ليكف[٢].

قال الإمام[٣]: وهذا تغيير لدين الله بالرأي.

١ـ ومنع الماوردي تبليغ مدة الجيش سنة ؛ نظراً إلى مدة التغريب في حد الزنا، بل على الإمام أن يبدلهم بغيرهم إذا مضى عليهم سنة، ونازعه غيره بما لا يجدي.

٢ـ وعلى الإمام[٤] أن ينهى الناس عن الوقوف في مواقف التهم، ومن لم ينزجر ؛ عاقبه السلطان على مخالفته.

٣ـ ولا يجوز له قتل من أتهم بالزندقة، وإن ظهرت عليه مخايلها[٥] ما لم يثبت عليه ما يوجب الكفر الصريح، فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يداري المنافقين مع تواتر الوحي بنفاقهم وشقاقهم[٦]، وهو القدوة والأسوة.[٧]

---

(١) هكذا في (ع) وسقط من (ل) لفظ "لم"

(٢) راجع الغياثي ص ١٦٣ وما بعدها، فهذه العبارات ينقلها عن الجويني بتصرف واختصار.

(٣) يقصد بالإمام: إمام الحرمين الجويني، وهكذا يشير إليه في سائر المخطوط ؛ فأينما قال المناوي: قال الإمام، فهو إمام الحرمين الجويني، وهو ـ هنا ـ يشير إلى قول الجويني: " ولو ذهبنا نَكْذِب للملوك، ونطبق أجوبة مسائلهم على حسب استصلاحهم، طلبا لما نظنه من فلاحهم، لغيرنا دين الله بالرأي " انظر: غياث الأمم ص ١٦٧.

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "وعليه"

(٥) المَخايل جمع مَخِيْلَة، وهي السحابة التي ترعد، وتبرق، فيتخيل أنها ستمطر، فإذا أمطرت ذهب عنها التخييل. راجع لسان العرب، مادة " خيل".

والمراد بالمخايل ـ هنا ـ هو ما يوهم من علامات الزندقة الظاهرة، فإنه لا اعتداد بهذه المخايل ؛ ما لم يقم الدليل الصريح الواضح على الكفر.

(٦) مداراة الرسول صلى الله عليه وسلم للمنافقين من أعظم المسالك التي استخدمها صلى الله عليه وسلم لضبط الوضع الأمني في حكومته، فمن مدارته لهم عدم قتله إمامهم عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ بنِ سلول، وتلطُّفه به ؛ حتى لا يثير عليه قومه وعشيرته.

(٧) ثمة فارق بين المدارة والمداهنة، فالمداراة هي عمل مشروع يتوصل به الإنسان إلى غرض ممدوح=

فصل

١ـ وعلى الإمام سد الحاجات والخصاصات، وذلك من أعظم المهمات، فيحث الأغنياء بالموعظة الحسنة على أداء ما فرض الله عليهم من الزكاة ونحوها في السَّنَة، فإن لم يف ذلك بحاجات الفقراء: وجب على الإمام سد خلتهم، ودفع الضرر عنهم من بيت المال، فإن عارض ذلك ما هو أهم منه، أَمَرَ الموسرين بالقيام به.

٢ـ وعليه أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر باللسان والسنان(١).

وليس للرعية إلا الموعظة، والترغيب والترهيب بتخَضُّع واستكانة ورفق، من غير فظاظة ولا غلظة، ولا فحش في حق الصغير والكبير.

حكى التاج السبكي(٢): عن أبيه(٣) أنه دخل على بعض الأمراء، فوجده لابساً

=شرعا؛ أما المداهنة، فهي فعل يتوصل به الإنسان إلى غرض بغض النظر عن كونه مباحاً أو محظوراً، وذلك عن طريق إقرار من عنده المصلحة على حاله وتعظيمه له، ولو كان فعله ممنوعاً شرعًا. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق، أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله، ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق" انظر: الروح لابن القيم ص ٢٣١ ـ طبعة دار الكتب العلمية ١٩٧٥م، ومن ذلك: عدم قتله لإمام الكفر والنفاق عبدالله ابن أبي بن سلول، وتلطفه به، حتى لا يثير عليه قومه وعشيرته.

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "البنان". والسنان هي السيوف.

(٢) التاج السبكي هو: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي الشافعي ـ نسبة إلى قرية سبك العبيد ـ من أعمال محافظة المنوفية بمصر، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، ناظم، ناثر، وهو صوفي المنهج، أشعري العقيدة، ولد بالقاهرة. من تصانيفه: شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، ومعيد النعم ومبيد النقم، وهو أحد الكتب التي اعتمد عليها المناوي في كتابه هذا، توفي سنة ٧٧١ هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦/٢٢٥، وهدية العارفين لإسماعيل ابن محمد البغدادي ١/٣٣٨.

(٣) والد تاج الدين السبكي هو: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي الأنصاري، السبكي الشافعي، عالم في الفقه والتفسير والمنطق والقراءات والحديث والخلاف والأدب والنحو واللغة والحكمة. ولد=

للحرير، فقال له: يا أمير هذا نقص في قدرك، فإن مَماليكك يشاركونك في ذلك، وبكم الذراع من هذا؟ قال: بدينار، قال: في الصوف ما هو بخمسة دنانير، فأكثر كلُّ ذراعٌ، مع كونه اللائق بشهامة الرجال والشجعان والأبطال الذين مثلك، فأعجبه ذلك ونزع ثيابه الحرير فوراً(١). ودخل بعض وعاظ زمانه على بعض الأمراء، وعليه ثياب حرير فقال: حرام، اللهم إن(٢) هذا منكر لا أرضاه، فأمر بضربه وإخراجه.

٣- وعليه أن يكلف المتهم بالتطفيف عَرْضَ ميزانه ومكياله وتحريرهما.

فصل

١- وعليه أن يرتب في ديوانه من العساكر والأجناد ما يحصل به الكفاية والسداد، ولا يكتفي بالمتطوعة الذين لا ينهضون إلا إذا ندبوا، واستعدوا، وتأهبوا.

٢- ولا تقوم المملكة إلا بجنود مجنَّدة، وعساكر مجردة، وهؤلاء هم المرتزقة، وأول من جنَّد الجنود، وعَسْكر العساكر، ودوَّن الدواوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فصار ذلك عمدة العالمين إلى يوم الدين، ولا يكون ذلك إلا بمال يجمعه، ومن ذلك الخراج والجزية وغيرهما مما هو معروف.

٣- وعلى(٣) الإمام أن يَدُرَّ من بيت المال على الجند الذين هم نجدة المسلمين وعدتهم وشوكتهم، كِفَايَتَهُم الموَظَفَةَ لهم؛ ليستغنوا عن المكاسب والمطالب.

=بمصر سنة ٦٨٣هـ، من تصانيفه: الإبهاج في شرح المنهاج للبيضاوي، الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، توفي في جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ بظاهر القاهرة، ودفن بمقابر الصوفية.

انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٦/٢٢٥.

(١) أورد تاج الدين السبكي هذه القصة عن أبيه في طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٤٧.

(٢) هكذا في (ع) وفي سقط من (ل) لفظ "إن".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "فعلى".

٤ـ ويَدُرَّ على[١] الذين هم[٢] لإقامة أركان شعار الإيمان، وانقطعوا بسبب ذلك عن التوصل إلى ما يقيم أَوَدَ عيالهم، كِفَايَتَهم حتى يتصدوا لذلك بفراغ جنان، وصفاء أذهان، وهم: الحكام، والمؤلفون، والمفتيون، والمتفقهون، وكل من يقوم بقاعدة من قواعد الدين يلهيه قيامه عما[٣] فيه قوامه.

٥ـ ويُعمل الفكرةَ في[٤] شأن الفقهاء والعلماء، ويبحث عن حالهم، وينزِّل كلاً منهم منزلته اللائقة، ويميز المستحق من غيره، فإن الله سائله عن ذلك.

٦ـ وينظر في مصالحهم وأوقافهم[٥]، ولا يضع المدارس والوظائف في يد غير[٦] مستحقها؛ فإن فعل ذلك، فقد خرق حجاب الهيبة، ويُخْشى[٧] أن تكون عاقبة أمره إلى الخيبة.

فهذا قول كلي فيما عليه، وتفاصيل جزيئاته مذكورة في كتب[٨] الفقه والأحكام السلطانية، لكنا تعرضنا لبعض تلك الجزئيات في أبواب تأتي لمسيس[٩] الحاجة إليها.

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فسقطت منها لفظ "على".

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) ففي موضع "هم" فراغ.

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "كما" بالكاف.

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "إلى".

(٥) هكذا في (ل)، وفي معيد النعم ص١٨ " أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم "، أما في (ع) فبلفظ: "وأوقاتهم"، والأنسب ما في معيد النعم، والمراد بالأوقاف ـ هنا ـ ما أوقفه الناس على طلاب العلم ومعلميهم.

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " في تدبير" وما في "ع" أصح.

(٧) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: : " ويكشي " والأنسب ما أثبته.

(٨) هكذا في (ع) أما في (ل) فسقط لفظ "كتب".

(٩) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "ليس".

فصل

اعلم أنه لا يمكن الإمام تعاطي مهمات المسلمين في أقطار الأرض، وقد اتسعت أكنافها، وتباعدت أطرافها، فلابد من الاستنابة في أمور. وشغله الذي لا يخلفه فيه أحد مطالعة الكليات، إذ لو وكَّل ذلك لغيره، وعمل على أن لا يبحث، ولا يختبر، ولا ينفذ[١]، وفوّض ذلك لمن يثق[٢] به، وآثر التخلي للدعة والترف، بل وللعبادة[٣]؛ أُوخذ بحق الإمامة يوم القيامة إما[٤] يتَعَاتُبٍ[٥]، أو يُعَاقَبُ. فإذاً[٦] منصب الإمامة يوجب النظر العام في حقوق الأنام والمستخلفين عليهم.

فأما التفاصيل فما تولاه بنفسه هو الأصل.

وما استخلف فيه من أمور الخاصة كجباية الخراج والصدقات، فينبغي أن يكون المُولَّى مستجمعاً للصيانة والديانة والشهامة والكفاية اللائقة بما يتولاه، وإن كان عبداً مملوكاً.

ومن ذلك تفويض جر الجند إلى بلاد الكفار، فلا بدَّ فيمن قلده ذلك من الثقة والصرامة والشهامة وليكن ممن حنَّكته[٧] التجارب، وهذبته المذاهب[٨]، لا يستفزه نزق[٩]، ولا يضجره خلق، وليكن طبا في الغزو[١٠] هجوماً في مظان الحاجات على

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "ينفد" بالدال.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "لم يثق".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "أو للعبادة".

(٤) في (ل) بإسقاط لفظ "إما" وفي (ع) بإثباتها.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "بتاعتب".

(٦) هكذا في "ع" أما في (ل) فبالنون "إذن" والأصح أن تكون بالألف لعدم وقع المضارع بعدها.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "حنكه التجارب" بهاء في آخره قبلها كاف.

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وهدبته" بالدال.

(٩) في (ل) و (ع): "برق" وفي الغياثي: "نزق"، وما في الغياثي هو الأنسب.

(١٠) هكذا في (ل) وسقط من (ع) عبارة "طبا في الغزو".

القدر(١)، عارفاً بغوائل القتال، مصطبراً في مُلْتطم الأهوال، محبباً في الجند، لا يُمقت لفرط فظاظة، مُهاباً لا يراجع في الدنيات من غير حاجة؛ ثم الإمام تقدم له في المواسمَ والمغانم(٢) والأسرى فيجدها(٣) وِزْرا وذكرى، وهذه الأمور قريبة(٤) إذا اختصت بتسيير(٥) العسكر والقتال، وتكفي(٦) فيها الثقة، واستجماع ما ذكر(٧)، وعمدتها الشجاعة والاستطاعة، والتيقظ لهَذا الشأن، والرأي قبل شجاعة الشجعان.

وأما ما يعم فيه كالقاء، فشرط فيه الحرية، وكذا الاجتهاد، وخالفه أبو حنيفة(٨) فإن فقد المجتهد، أو لم يشترط(٩) الاجتهاد، فلابد أن يكون المُوَلَّى فطناً مميزاً عن رعاع

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "الغدر".

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "يقدم له مراسمَ في المغانم"، وفي الغياثي ص٢١٦: "ثم الإمام يقدم له مراسم في المغانم والأسرى فيجدها وزرا وذكرى"، والأقرب فيما يبدو لي هو ما أثبته إذا أرجعت الضمير في قوله "يتخذها" علي الدنيات.

(٣) هكذا في الغياثي ص٢١٦، أما في (ل) و(ع)، فبلفظ "يتخذها"، وما في الغياثي هو الأنسب.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "قرينة".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "بيسير" وفي الغياثي ص٢١٦: "بجر".

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "يكفي" وفي الغياثي بلفظ: "ويكفي" بياء في أولها بالعطف.

(٧) أي من الصفات السابقة كما تدل عليه عبارة الغياثي ص٢١٦: "ويكفي فيها الثقة واستجماع ما أشرنا إليه من البصائر وعمدتها الشجاعة..."

(٨) الضمير في قوله: "خالفه" عائد على شرط الاجتهاد؛ حيث لم يصرح المناوي في عبارته بذكر من قال بذلك، وهو الشافعي كما نص عليه الجويني في الغياثي ص ٢١٦ حيث قال: "ثم مذهب الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ..أن شرط التصدي للحكم بين العباد استجماع صفات الاجتهاد، ولم يشترط أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك، وذكر الفقهاء هذه المسألة من فنون مسالك الظنون، والذي أراه القطع باشتراط الاجتهاد،" فيكون تقدير الكلام جريًا على اختصار المناوي هكذا: وخالف في اشتراط الاجتهاد فيمن يتولى القضاء أبو حنيفة. فالاجتهاد في القاضي شرط أولوية عند الأحناف، لأنه متعذر الوجود في كل زمن وفي كل بلد، فكان شرط الأولوية بمعنى أنه إن وجد فهو الأولى بالتولية. راجع حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين٢١/ ٣٠٢.

(٩) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "نشرط".

الناس، معدوداً من الأكياس، يفهم الواقعة المرفوعة إليه على حقيقتها، ويحل الإشكال منها.

ثم يتخير مفتياً يعتقد أرجحيته، فيعمل بقوله.

وقد نَجَزَ الكلام على نياط[1] بكليات ما على الأئمة من الأحكام، ولم يبق إلا التفاصيل، وسيجيء بعضها بعون الملك الجليل.

ثم أقول: قد مَنَّ الله تعالى على أهل الإيمان بصدر وحيد الدهر، القائم في[2] هذا العصر[3]، أحمد الملوك سيرة، وأظهرهم عدلاً، وأطهرهم سريرة، كافل

---

(١) هكذا في (ل) و(ع) بلفظ: " علي نياط ما على الأئمة "، والأنسب أن يقال: " على ما يناط بكليات ما على الأئمة " إذا جرينا في ذلك على عادة المناوي في الاستئناس بعبارة الجويني، فقد جاء في الغياثي ص: ٢٢٢: "وقد نجز بحمد الله ومنه وحسن تأييده جوامع الكلام فيما يناط بالأئمة من أحكام الأمة " والنياط هو ما يعلق عليه الشيء من جراب أو حبل ونحو ذلك، قال ابن منظور: "ونِياطُ كل شيء مُعَلَّقُه كنِياطِ القوْسِ والقِرْبة. تقول: نُطْتُ القربةَ بنِياطِها نَوْطاً، ونِياطُ القوس مُعَلَّقُها، والنِّياط الفُؤَاد والنِّياطُ عِرْق علق به القلب من الوتين ". والمراد: الكلام المتعلق بكليات ما على الأئمة " لسان العرب، مادة " نيط "

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فجاءت العبارة هكذا: " بصدر العالم وحيد الدهر في هذا العصر".

(٣) من غير الممكن تحديد اسم السلطان العثماني الذي خصه المناوي بالمدح والثناء؛ وذلك لعدم المعرفة الدقيقة بالتاريخ الذي ألف فيه المناوي هذه الرسالة، غير أن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني ذكر في كشف الظنون ١/ ٦٧١: أن المناوي كتب هذه الرسالة لمراد خان الرابع، ومراد خان الرابع تولى الحكم في ذي القعدة سنة ١٠٣٢هـ بينما توفي عبد الرؤوف المناوي في صفر من السنة ذاتها، فلعله يقصد: مراد خان الثالث ابن السلطان سليم "٩٨٢ هـ : ١٠٣ هـ" وهذه نبذة عنه:

ولد مراد الثالث ابن السلطان سليم الثاني في مانيسا عام ٩٥٣هـ، ونال تعليماً جيداً على يد بعض العلماء، ومن أشهرهم سعد الدين أفندي، وإبراهيم أفندي، وقد أخذ منهم العلوم السائدة في عهده. غير أن اهتمامه الكبير كان بالأدب؛ كتب أربعة دواوين اثنين منها باللغة التركية، وأحدها باللغة الفارسية وآخرها باللغة العربية، مما يدل على إتقانه للغتين العربية والفارسية على نحو متميز، يمكنه من نظم الشعر بهما .=

الإسلام وملاذه، وكرشفه[(١)] وعياذه، دافع البغاة[(٢)] والمتمردين، قامع المبتدعة والناجمين، ملجأ الأمم، ومستخدم السيف والقلم، ومَنْ ظَلَّ ظِلُّ[(٣)] الملك بيُمْن مساعيه مَمْدوداً، ولواء النصر معقوداً، وقواعد الملة في أيامه راسخة، وأطواد الهيبة شامخة، وأوتاد الدولة باذخة، ورواق المجد ممدودٌ، ولواء النصر معقودٌ، ودماء المسلمين محقونة، وأموالهم محفوظة مصونة، وأسباب المكاسب منظومة، ومطالع المُعْتَدِين[(٤)] أطوادهم مردومة، والتوزيعات على الرعية[(٥)] مرفوضة، والمصادرات منقوضة.

=ولما جلس على عرش الملك عام ٩٨٢هـ. وكان عمره تسعة عشر عاماً. جدد العهود مع دول الإفرنج ووقعت في عهده بعض المعارك مع المجر، فاستولى على بعض قلاعها، وضمها إلى ولاية البوسنة. وأخضع بعض المناطق في شمال المغرب العربي مثل الجزائر والمغرب للدولة العثمانية عام ٩٨٤هـ. كما وقعت في عهده بعض المعارك مع الإيرانيين وفتح بعض المناطق من جورجيا مثل تفليس وذلك عام ٩٨٦هـ. ومنح بعض الامتيازات الأجنبية لفرنسا. ولما استأنف الإيرانيون الحرب ضد الدولة العثمانية، تصدت لها القوات العثمانية، وهزمتها، وانتزعت منها ولايتي شروان وداغستان. كما وقعت في عهده حرب طاحنة مع النمسا، ومن أهم الأعمال، التي أنجزت في عهده القضاء على النفوذ البرتغالي في المغرب، وضم بعض المناطق إلى الدولة. للمزيد من ترجمته انظر: كتاب" الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط" ١/ ٣٨٤ وما بعدها

(١) قال ابن منظور: "الكَرْشَفَةُ الأَرض الغليظة وهي الخَرْشَفَةُ ويقال كِرْشِفَةٌ وخِرْشِفَةٌ " لسان العرب، مادة "كرشف "، ولعل المراد هنا هو تشبيه السلطان بالأرض الغليظة بجامع الصلابة والقوة في كل، بالإضافة إلى الاحتياج إليه في استقرار أمر الدولة ورسوخ قدمها.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " البغاء ".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فسقطت لفظة "ظل" بكسر الظاء.

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "المتقدمين".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " والتوريعات على الرغبة "، وما في (ل) أنسب للسياق، والمعنى: أن من سمات عهد الممدوح أن الحقوق مرصودة لأصحابها مصروفة إلى أهلها، فالعطايا لمن لا يستحق بغير وجه مرفوضة وكذلك مصادرة حقوق أصحاب الأملاك معدومة.

والقوافل والرفاق على أطواق[١] الطرق في حفظ[٢] الأمن وادعون[٣]، وأهل والقوافل والرفاق على أطواق[٤] الطرق في حفظ[٥] الأمن وادعون[٦]، وأهل العرامة[٧] مطرقون تحت هيبة سلطنته خاضعون، وحرم الرعايا مصونة، من جهة جنود الإسلام مرعية، محفوظة من نزغاتهم وبرقاتهم محصية[٨].

قد دفع الله بعساكره وأمرائه ووزرائه معضلات[٩] الأمور، ودرأ بشكيمتهم[١٠] فنون الدواهي على كرور الدهور، أليس[١١] بهم انحصار الكفار في أقاصي الديار، وبهم تخفق بنود الدين على الخافقين، وبهم[١٢] أقيمت دعوة الحق في الحرمين، وانبثت[١٣] كتائب الملة في المشرقين والمغربين، وآضت[١٤] مناظم الكفار منكوسة، ومعالمهم معكوسة، وانبسطت هيبة الإسلام القصية[١٥]، فحصل بذلك غاية الأمن

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "أطراف"

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "خفض"

(٣) هكذا في (ل) أما في "ع) فبلفظ "دائمون"

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "أطراف"

(٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "خفض"

(٦) هكذا في (ل) أما في "ع) فبلفظ "دائمون"

(٧) هكذا في(ع) أما في (ل) فبلفظ "العرامة" وهي: الشدة والقوة ، انظر: لسان العرب، مادة " عرم " .

(٨) كذا في (ل) و (ع): " محصية " بالصاد، والإحصاء العد والحفظ قال ابن منظور: "الإحْصاءُ العَدُّ والحِفْظ وأَحْصَى الشيءَ أَحاطَ به " لسان العرب، مادة " حصى ".

(٩) هكذا في (ع) وسقط من (ل) لفظ "معضلات"

(١٠) هكذا في هامش (ع) وسقط من (ل) لفظ " شكيمتهم ".

(١١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "ألفين".

(١٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " فيهم ".

(١٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "أنبتت".

(١٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " أضنت"، وآضت بمعنى: رجعت. انظر لسان العرب مادة" أيض".

(١٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "الفصية".

والأمنية، وأماتوا البدع والأهواء والآراء الفاسدة، فأعظم بها من مصلحة على الدين عائدة، وأوطأوا[١] رقاب الزنادقة، وكل فرقة مارقة، فلم يبق في خطة الإسلام متظاهر ببدعة إلا أضحى منكوباً مرعوباً، وأصبح أهل الإسلام آمنين، والمنة لله رب العالمين.

كيف ولولا سلطان العالم وجنوده، لملك الكفار البلاد، واستعبدوا العباد، وخرقوا عن ذوات الخدور حجب الرشاد، ومال إليهم من لا خلاق لهم من حثالة الناس بازدياد، وتهدمت المساجد، ورفعت الشعائر والمشاهد، وانْفَضَّت الجماعات والآذان، وشهرت النواقيس والصلبان، وتفاقمت دواعي الافتضاح، وصارت خطة الإسلام بحراً طافحاً بالكفر الصراح، فجزا الله بني عثمان خيراً ما بذلوا في الذب عن دين الله الأرواحَ [٢]، وركبوا إلى الموت أجنحة الرياح، وما وهنوا وما استكانوا وإن عض فيهم[٣] السلاح، وفشا فيهم الجراح، حتى حفظوا خطة الدين وحموا ديار المسلمين.

فيجب على كافة الأنام لزوم الدعاء لمولانا سلطان الإسلام، فريد[٤] الدهر ووحيد[٥] العصر، الذي لم يأت بمثله مكر الأدوار، ولم يحتو على شكله محدب الفلك الدوار، ولم يسمح[٦] بنظيره مقلب الأيام والأقدار، ومضطرب الدهور والأعصار، كيف وقد تعطفت عاطفته على علماء الأقطار، وكلأت همته العلية شعار الدين في أقاصي الديار، وحسم غوائل البدع والفتن بالرأي الثاقب من غير حرج ولا إظهار ضرار، وداري بتدبيره وحسن خلقه ما يكل عنه حد الحسام البتار، واهتم بالمساجد

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " وأضأ"

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " فجزا الله قوما بذلوا في الذب عن دين الله الأرواح".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "عصتهم" .

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "فرد".

(٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "وبروق".

(٦) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "يمنح" .

والمشاهد[١] والمجالس والمدارس في الأمصار ، وحن[٢] إلى سدته الأصفياء والأخيار، حنين الطيور إلى الأوكار، أمتع الله ببقائه المسلمين، وحفظ مهجته على المؤمنين، وفي[٣] هذه النبذة من المقدار ما يغني عن الإكثار[٤].

ثم إني أذكر الآن ما على صدر الزمان من أحكام المليك الديان، بعد توضيح ما إليه من مقاليد أمور أهل الإيمان فأقول :

يجمع[٥] ذلك كله أن عليه بذل المجهود في إقامة[٦] ما إليه، وهذا على إيجازه متضمن[٧] للنهاية المشعرة بالغاية، لكني أذكر ما تمس الحاجة إليه مقرراً، وأشير إلى المغزى[٨] مذكراً، وقد قال عز وجل[٩] لعظيم النبيين: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ

---

(١) إذا كان قصد المؤلف الاهتمام بالمشاهد من القبور والأضرحة ونحوها، وتزيينها للعبادة من التوسل والطواف حولها ونحو ذلك من البدع والشركيات ، فلا شك أن هذا منقصة ومثلبة، وليست ممدحة ومحمدة

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "خبب".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " في " دون واو قبلها. والأنسب أن نقول : " وفي "بإثبات الواو العاطفة.

(٤) هذا المسلك الذي سلكه المؤلف من الإفراط في مدح السلطان والإكثار من الثناء عليه في وقته ، مما لا ينبغي لأهل العلم أن يقدموا عليه، فالمدح إنما يكون عند الحاجة إليه، وبما ينطبق حقا على الممدوح شريطة ألا يقوده ذلك إلى الاغترار بنفسه، أما إسداء الألقاب والمدائح التي لا يمكن أن تتحقق لأحد حتى من كبار العادلين من سلاطين الأمة كما فعل المؤلف هنا ؛ فإنه لا يتناسب مع ما ذكرنا من شروط المدح وآدابه. جعلنا الله ممن يمدح حقا ويقول صدقا وغفر الله لمؤلف الكتاب.

(٥) من هذا الموضع وحتى قوله : " ومن سوغ للسلطان الإحجام عن مطالعة مصالح الأنام فقد غشه بإجماع علماء الإسلام" يختصر المناوي كلام إمام الحرمين في الغياثي : من ص ٢٧٢ : ٢٧٨

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "إمانة"

(٧) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "يتضمن"

(٨) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "المعزي".

(٩) هكذا في (ع) وسقط عبارة "عز وجل من (ل)

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] والتذكير ينزع صمام الصمم[٢] عن صماخ اللب، ويقشع غمام الغمم عن سماء القلب.

فأقول: حقوق الله على خلقه على قدر النعم، والهموم بقدر الهمم، وأنْعمه تعالى إذا لم تُشْكر نِقَم . والمُوَفَّق من تنبه[٣] لما له وعليه قبل أن يزل به القدم، والحازم[٤] من نظر في أولاه لعاقبته وتزود من دنياه لآخرته.

فمن ذلك:

١ـ الاهتمام بمجاري الأخبار في أقاصي الديار، فإن النظر في أمور الرعايا مرتب على الاطلاع على الغوامض والخفايا، وما لم تطلع شمس راعي الرعية على صفة الإشراف امتدت يد الظلمة إلى الضعفة بالإتلاف[٥]، والغَنَم إذا نام عنها راعيها عاثت الذئاب فيها، وإذا عُمِّيَتْ أخبار المعتدين أنشبوا أظفارهم في المستضعفين؛ ثم كتموا عن ولي الأمر أخبارَهم وطمسوا آثارَهم، ويَخُون حينئذ ويَغُش[٦]الناصح وتشيع المخازي والفضائح، ويبدو[٧] في مال[٨] بيت المال الغلول، ويظهر وتشيع المخازي والفضائح،

---

(١) سورة الذاريات "٥٥"

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "صماخ"

(٣) هكذا في (ل) وسقط قوله" من تنبه" من (ع) .

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "الجازم".

(٥) في (ل) : " وما تطلع شمس راعي الرعية على صفة الأشراف امتدت يد الظلمة إلى الضعفة بالإتلاف" وفي (ع) "بالإملاق" وما أثبته استأنست فيه بعبارة الغياثي ص ٢٧٣ قال: "وإذا انتشرت من خطة المملكة الأطراف وأسبلت العماية دون معرفتها أسداد الأعراف، ولم تطلع شمس رأي راعي الرعية على صفة الإشراق والإشراف امتدت أيدي الظلمة إلى الضعفة بالإهلاك والإتلاف".

(٦) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "يغشى". وفي الغياثي٢٧٣ : "ويخون حينئذ المؤتمن، ويغش الناصح وتشيع المخازي والفضائح "

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "ويبدق " بقاف في أخره.

(٨) هكذا في (ل) وسقط لفظ "مال" من (ع)

ويبدو[١] في مال[٢] بيت المال الغلول، ويظهر فيه النقص والخمول.

فالحزم أن يجعل في كل بلد زمراً[٣] من ثقاته يطالعونه بمهماته، ولا يغادرون نفعاً ولا ضراً إلا أبلغوه إياه سراً، فإذا أحس أهل الفساد بأنهم[٤] من الملك بالمرصاد هابوا سطوته وانتظمت أمور البلاد.

٢ـ ثم إن عليه مراجعة العلماء العاملين الذين ليسوا فيما بيده من الطامعين فإنهم قدوة الأحكام وأعلام الإسلام؛ وورثة النبوة وقادة الأمة ومصابيح الظلمة.

٣ـ فإن قام ولي الأمر بما عليه؛ وطرأت[٥] حالة لا يمكنه دفعها فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإن تكن الأخرى فهو بالنظر في ذلك أحرى، وقد قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أثناء خطبته: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٦]، ومن سوغ للسلطان الإحجام عن مطالعة مصالح الأنام فقد غشه بإجماع علماء الإسلام.

٤ـ وملاك الأمر كله ربط مصالح الخلق بما شرعه له خالقهم؛ الذي هو[٧] أعلم بمصالحهم ومفاسدهم، والشريعة المحمدية متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم، ولا يتطرق الفساد إلا من الخروج عنها، ومن لزمها: صلحت أيامه وحسن نظامه. قال السبكي[٨]: وقد اعتبرت ذلك ـ ولا ينبئك مثل خبير ـ فما وجدت، ولا

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ويبدق" بقاف في أخره.

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ "مال" من (ع)

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " رمزا".

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ "فإنهم".

(٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "طراءت"

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٤٧٨٩".

(٧) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " هو الذي".

(٨) انظر: كتابه معيد النعم ومبيد النقم ص٤١ وما بعدها بتصرف من المؤلف.

رأيت، ولا سمعت بسلطان، ولا نائب سلطان، ولا وزير، ولا أمير، ولا حاجب، ولا صاحب شرطة يلقي الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب الدنيا؛ أو تكون مصيبته أخف من مصيبة غيره، وأيامه أصلح، وأكثر أمناً وطمأنينة، وأقل مفسدة؛ فمن شاء فليتأمل سير الملوك العادلين والظالمين، وأي الدولتين أكثر طمأنينة، وأطول مدة.

وما ظن أحد أنه يدبر الدنيا بعقله ويصلح البلاد برأيه وسياسته، ويتعدى حدود الله وزواجره إلا كانت عاقبته وخيمة، وأيامه منغصة، وتفتح[1] عليه أبواب الشرور، ويتسع الخرق على الراقع، فلا تسد[2] ثُلْمَة إلا وتنفتح[3] ثلمات، ولا تسكن فتنة إلا وتهيج فتنات، وفي ذلك قيل:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

من توهم أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق ويعاقب المسلمين بلا جرم لم تصلح أيامه فهو مخطئ في سياسته، ألا ترى قوله تعالى جلت قدرته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[4]، الآية، انظر كيف نفى الإيمان عمن لم يتصف بالانقياد والإذعان وبالله المستعان[5]

(١) في(ل) و(ع) بلفظ: "ينفتح" بياء في أوله. وفي معيد النعم ص٤١: "تفتح" بتاء في أوله. والأنسب ما في مبيد النعم.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "يسد".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "ينفتح".

(٤) سورة النساء "٦٥".

(٥) إلى هنا انتهى كلام السبكي بتصرف من المؤلف.



الباب الثاني[1]

في تعريف الإمامة ووجوب نصب الإمام

اعلم أن الإمامة رئاسة تامة، ورعاية عامة، على الخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا، متضمنها حفظ الحوزة، وحماية البيضة، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الجنف[2] والحيف، والانتصاف للمظلوم من[3] الظالمين، واستيفاء الحقوق[4] من الممتنعين، كذا عرفها إمام الحرمين.

ونُقض بالنبوة.

وعرفها الماوردي بأنها: خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[5] وأُورد عليه؛ نحو الإمارة والقضاء.

---

(١) الباب الثاني والثالث والرابع والخامس، من زيادة (ل) على (ع)، فقد خلت نسخة(ع) من هذه الأبواب تماما.

(٢) كذا في الغياثي ص١٥ وأما في (ل) فبلفظ " الحتف". والجَنَفُ: المَيْلُ والجَوْرُ. انظر لسان العرب لابن منظور، مادة "جنف".

(٣) أثبت من في الحاشية اليمنى.

(٤) هكذا الغياثي ص٥، وأما في (ل) فبلفظ " واستبد الحثوث".

(٥) انظر الحكام السالطانية ص ٣.

وعرفها في المقاصد[١] بأنها: رئاسة عامة في أمر الدنيا والدين خلافة عن النبوة[٢].

وأُورد عليه؛ المجتهد بأنه لا يجب إتباعه على كافة الأمة بل على من قلده فقط، والأمر بالمعروف كذلك.

وكذلك عدل الشريف المحقق[٣] كالعضد[٤] إلى تعريفها بأنها: خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة.[٥]، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة، فخرج نحو القضاء والإمارة الخاصة والمجتهد والأمر بالمعروف، فهذا أجود التعاريف.

ونصب الإمام عند الإمكان واجب، لأنَّ ما وجب من نحو إقامة الحدود، وسد الثغور، وحفظ النظام وغير ذلك، لا يتم إلا به، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا واجب، وأن فيه جلب منافع ودفع مضار لا تحصى، وذلك واجب

---

(١) أي السعد التفتازاني في المقاصد، وهو: سعد الدين، مسعود بن عمر التفتازانى، من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. من كتبه (تهذيب المنطق، والمطول في البلاغة، ومقاصد الطالبين في علم الكلام. توفي سنة ٧١٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢١٩/٧ .

(٢) شرح المقاصد ٢٣٢/٥. وفي هذا الموضع من نسخة (ل) سبق عين من الناسخ حيث كرر فيه عبارة "وأورد عليه نحو الإمارة والقضاء" ثم كرر تعريف السعد التفتازاني.

(٣) المراد بقوله " الشريف المحقق" الشريف الجرجاني، وهو: علي بن محمد بن علي، المعروف فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية له نحو خمسين مصنفا، منها: التعريفات، وشرح مواقف الإيجي توفي سنة ٨١٦هـ. انظر الأعلام للزركلي ٧/٥.

(٤) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالاصول والمعاني والعربية من تصانيفه: المواقف في علم الكلام، والعقائد العضدية، والرسالة العضدية في علم الوضع، توفي سنة ٧٥٦هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٩٥/٣.

(٥) فقد تعقب كل من الجرجاني والإيجي من عرف الإمامة بأنها: "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، ثم قال الإيجي: "والأولى أن يقال هي خلافة الرسول في إقامة الدين" وزاد الجرجاني "وحفظ حوزة الملة". انظر شرح المواقف ٣٤٥/٨

إجماعا، وما فيه من بعض مضار لا يلتفت إليه لقلته، ولأن وجوب طاعته ومعرفته بالكتاب والسنة تقتضي وجوب نصبه.

وقول ابن كيسان[١] والخوارج: لا يجب أصلا، وبعض المعتزلة: إلا عند الظلم، وبعض الأهواء مختلفة وقد لا يتفق على واحد، فتقع المشاجرة والمناجرة[٢]، رُدَّ بأن اعتبار جهة الترجيح، وحرمة المخالفة بعد بيعة البعض يدفع الفتنة والمفسدة، ولو سلِّم فعدم نصبه أشد، وكيف يجوز ترك الناس يلتطمون ائتلافا واختلافا، ولا يجمعهم ضابط، ولا يربط شتات رأيهم رابط! فالقول بذلك هجوم على شق العصا، ومقابلة الحقوق بالعقوق، وخرق للإجماع، وحيد عن سنن الإتباع، ولا يرتاب ذو عقل أن الفصال[٣] عن البيضة محتوم، ولو تُرِك الناس فوضى لنحل النظام، وهلك الأنام[٤]، وفضت[٥] المجامع، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن، والسيف والسنان يفعلان ما لا يفعله البرهان، ولا حاجة إلى الإطناب بعد البيان.

وإذا تقرر وجوب نصبه فالذي عليه أهل السنة وجمهور المعتزلة أنه مستفاد من الشرع المنقول، لا من قضايا العقول، وشذت الزيدية وبعض المعتزلة فقالوا: يجب

---

(١) هو: عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم. فقيه معتزلي مفسر، كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، خلا أنه كان يخطئ عليا عليه السلام في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله، من كتبه تفسير الأصول، وله مناظرات مع أبي الهذيل العلاف، توفي نحو سنة ٢٢٥.
انظر الأعلام للزركلي ٣/٣٢٣.

(٢) المناجرة: مفاعلة من "نجر" بمعنى: المقاطعة، قال ابن منظور: (النَّجْرُ: القَطْع، ومنه نَجْرُ النَّجَّارِ) انظر: لسان العرب مادة "نجر".

(٣) في (ل) بلفظ "الفصال" وما أثبته هو الأوفق لمناسبته لما في الغياثي ص١٦ فكلام المناوي هنا اختصار بتصرف لكلام الجويني هناك..

(٤) في (ل) "الأيام" وما أثبته هو الأوفق لمناسبته لما في الغياثي ص١٧ .

(٥) في (ل) "وقضت".

عقلا لما فيه من دفع المضار، وفساد بيِّن، ثم الوجوب إنما هو على الناس، وقول الشيعة: على الله، لأنه لطف محصل للمعرفة، مقرب للطاعة، مبعد عن المعصية.

رد بأن فيه مفاسد أيضا كاختلاف الآراء أو تباين الأغراض، وبأن فعل الطاعة وترك المعصية مع فقد الإمام أشق وأقرب إلى الإخلاص، وبأنه لا يتعين لطفا، بل خلقه معصومين ألطف.

ومن ثم قال الإمام[1]: القول بذلك جهل بحقيقة[2] الإلهية، وذهول عن سر الربوبية، والأديان والملل والشرائع والنحل أحوج إلى الأنبياء منها إلى الأئمة، فإن جاز خلاء الزمان عن النبي وهو معتصم دين الأمة، فلا بعد[3] في خلوه عن الأئمة.

---

(١) أي الجويني راجع الغياثي ص ١٧.

(٢) هكذا في الغياثي ص ١٧، وما في (ل) بلفظ "تحقيقه".

(٣) هكذا في الغياثي ص١٨، وما في (ل) فبلفظ "فلا يدع".



الباب الثالث

في شروط الإمام القوام على أهل الإسلام[1]

فشرطه:

١ - التكليف، والحرية، والذكورة، والعدالة، والشجاعة.

٢ - وسلامة الأعضاء عن نقص يمنع إتمام الحركة وسرعة النهضة، ليقيم الحدود، ويقاوم الخصوم، ويحمي بيضة الإسلام.

٣ -والثبات[2] في المعارك، والاجتهاد ليقوم بمصالح الدين، ويتمكن من إقامة الحجة وحل الشبهة في العقائد الدينية، ويشتغل بالفتوى في أحكام الوقائع، نصا واستنباطا.

٤ - وإصابة الرأي ليقوم الأمور.

٥ -وبصارة تدبير الحرب، والسلم، وترتيب الجيوش، وحفظ الثغور كما مر فهذه الصفات شروط معتبرة بإجماع المعتبرين.

---

(١) في هذا الباب يلخص المناوي كلام سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد في مبحث بعنوان" الشروط التي تجب في الإمام" ٥/٢٤٣ .

(٢) معطوف على سلامة الأعضاء.

وقول الأشاعرة والجبائيان[١]: كونه قرشيا لحديث (الأئمة من قريش)[٢]، (قدموا قريشا)[٣]، (قريش ولاة هذا الأمر)[٤] لأن الصحبة[٥] عملوا بمضمون هذه الأحاديث، وأجمعوا عليه فصار دليلا قاطعا يفيد اليقين باشتراط القرشية.

وقول الخوارج: لا يشترط[٦]؛ لخبر: (أطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي أجزع كأن رأسه زبيبة)[٧] ولأنه لا أثر للنسب في مصالح الملك والدين. رُدَّ بحمله على غير الإمام الأعظم جمعا بين الأدلة، لأنه مبالغة على سبيل الفرض، بدليل قيام الإجماع على عدم كون الإمام عبدا، وبأن لشرف النسب أثر في جَمْع الآراء وبذل الطاعة، ولا أشرف من قريش سيما وقد ظهر منهم أشرف الأنبياء صلى الله عليه

---

(١) في (ل) "الجبانيان"، والأصح الجبائيان وهما :

أ) أبو علي، محمد بن عبد الوهاب بن سلام، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة "الجبائية"، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، نسبته إلى "جبى" من قرى البصرة، ودفن بجبى، له (تفسير) حافل مطول، رد عليه الأشعري، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٥٦/٦ .

ب) أبو هشام : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب، من أبناء أبان مولى عثمان، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت " البهشمية " نسبة إلى كنيته " أبي هاشم "، من مصنفات " الشامل في الفقه، وتذكرة العالم، والعدة، في أصول الفقه، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر الأعلام للزكلي ٧/٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند حديث رقم "١٢٣٢٩"، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده ١٣٥٤ ، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٣٨٣ في صحيح الجامع.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم" ١٨ "، شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين وهو مرسل، وصححه السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم "٦١٢٤".

(٥) اسم جمع لا واحد له من لفظه.

(٦) أي كونه قرشيا.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم "٦٩٣".

وسلم، نعم إذا لم يكن توفر الشروط ساغ بناء الأحكام المتعلقة بالإمام على كل ذي شوكة نصب واستولى.

واشتراط الشيعة كونه هاشميا علويا، وعالما بكل شيء حتى الغيب، قولٌ بلا حجة مع مخالفة الإجماع.

وقولهم: يجب كونه أفضل أهل زمانه لقبح تقديم المفضول عقلا.

رُدَّ بأن تقديم المفضول قد يكون أصلح، وليس كالنبوة لأن البعثة من قبل الحكيم العليم، فيختار الأفضل بل تحصل الأفضلية بالبعثة.

وقولهم: يجب كونه معصوما كالنبي بجامع إقامة الشرع، ولأنه واجب الطاعة نصا وإجماعا فلو لم تجب عصمته أمكن كذبه في الأمر والنهي، ولأن غير المعصوم ظالم؛ لأن المعصية ظلم للنفس أو للغير، فلا ينال عهد الإمامة الظالمون، ولأنه يحتاج إليه لجواز الخطأ علينا فلو جاز عليه افتقر إلى إمام فيلزم التسلسل، ولأنه شُرِع حافظا فلو جاز خطؤه صار ناقصا، ولأنه لو أقدم على المعصية؛ فإما أن يلزم الإنكار عليه فيضاد لزوم طاعته، أو لا فيخالف قيام الأدلة، ولأنه لا طريق لنقل الشريعة مدى[١] الأيام إلا بعصمة الإمام، وقد يفقد أهل التواتر في الأحكام.

رُدَّ بأن نصب الإمام إلى من لا طريق لهم إلى معرفة عصمته [بخلاف النبي][٢]، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فمبعوث من الله مقرون دعواه بالمعجزات الدالة على عصمته، وعدم عصمته فيما يتعلق بالشرع مفض إلى الإخلال، منفر عن الاتباع.

وبأنه إنما[٣] يطاع فيما لا يخالف الشرع، ويكفي في الوثوق به العلم والعدالة

(١) في (ل) "مدى".

(٢) في (ل) بدون هذه العبارة، وبها يستقيم المعنى، وهي مستقاة من كلام التفتازاني في شرح المقاصد ٥/٢٤٨، وهو الأصل الذي لخص المناوي منه هذه الردود. والتقدير: والاعتراض مردود لأنه..الخ.

(٣) في (ل) بلفظ "ولأنه إما"، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بلفظ: "ورد بأنه إنما يطاع ...الخ.

والإسلام، ولا يمتنع عند مخالفيه مخالفته، والرجوع إلى العلماء.

وبأن[١] عدم العصمة لا يوجب العصيان فضلا عن الظلم الذي هو أخص، على أن المراد في الآية عهد النبوة.

وبأن وجوب نصبه شرعي للإجماع، لا عقلي لجواز الخطأ، ولو سُلِّم؛ فلمصالح[٢] لا تحصى، ولو سُلِّم، ففي العلم والعدالة ومراجعة[٣] الكتاب والسنة وعلماء الأمة غنى عن العصمة.

وبأنه حافظ بالأدلة[٤] وبالاجتهاد لا بالذات، فعند[٥] الخطأ أو المعصية يرد ويصد.

وبأن لزوم طاعته إنما هو فيما لا يخالف الشرع، وبأن الظن كافٍ في البعض فيكفي[٦] الآحاد، والقطعي إلى أهل التواتر، والإجماع.

وأما اشتراط المعجزة، والعلم بالمغيبات، واللغات، والحروف، والصنائع، وطبائع الأغذية والأدوية، وعجائب البر والبحر، والسماء والأرض[٧] فمن[٨] الخرافات.

---

(١) في (ل) بلفظ "ولأن". وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بلفظ: "ورد بأن عصمته .. الخ.

(٢) في (ل) بلفظ "لمصالح" بدون الفاء، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بلفظ: "ولو سلم فلمصالح .. الخ.

(٣) في (ل) "مراجعة" بدون واو العطف، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بإثباتها.

(٤) في (ل) "للأدلة"، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بلفظ: " بالأدلة".

(٥) في (ل) "عند" بدون الفاء، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٨ بإثباتها.

(٦) في (ل) بلفظ "فتكفي"، وفي شرح المقاصد ٥/٢٤٩ بلفظ "فيكفي".

(٧) في (ل) بلفظ " في السماء والأرض"، في (ل) وفي شرح المقاصد ٥/٢٥٢ بلفظ "والسماء والأرض".

(٨) في (ل) بلفظ " من الخرافات" بدون حرف الفاء وفي شرح المقاصد ٥/٢٥٢ بإثباتها.

الباب الرابع

فيما تنعقد به الإمامة[1]

وهو عند أهل السنة وجمهور المعتزلة أحد أربعة أمور، سيأتي تفصيلها في الباب الآتي، وقالت الشيعة: لا طريق لثبوتها إلا النص لوجوه:

الأول: أن من الشروط ما لا يعلمه أهل البيعة كالعصمة والأفضلية، والعلم بجميع مسائل الدين تفصيلا.

ورد بأنه يكفي غلبة الظن بفرض تسليم الاشتراط.

الثاني: ليس إليهم تولية الأمور الجزئية كقضاء وحسبة، فكيف بالإمامة العظمى.

ورد بأنه لوجود الإمام، وإمكان الرجوع إليه في ذلك، فإن فرض عدمه، وجب القول بانعقادها بالبيعة تحصيلا للمصالح المنوطة بها، ودفعا للمفاسد.

الثالث: أن الإمامة لإزالة الفتن، وإثباتها بالبيعة مظنة إثارتها باختلاف الأغراض كما في زمن علي ومعاوية[2]، فتعود على موضوعها بالنقض.

ورد بأنه لا فتنة عند الانقياد إلى الحق، فإن جهات الترجيح من السبق وغير

---

(١) هذا الفصل يلخص فيه المناوي كلام السعد التفتازاني في شرح المقاصد، المبحث الثالث: "ما تثبت به الإمامة" ٥/٢٥٢.

(٢) في (ل) بلفظ "معاوية".

معلومة من الشرع، ونزاع معاوية ليس في إمامة علي رضي الله عنه، بل إنه هل تلزمه بيعته قبل الاقتصاص من قتلة عثمان، أو لا؟

الرابع: أن مختار أهل البيعة يكون خليفة منهم لأمر الله ورسوله.

قلنا: قام الإجماع على أن مختارهم خليفة، ألا ترى أن ما وجب بشهادة الشاهد، وقضاء القاضي، وقول المفتي حكم الله لا حكمه، فالبيعة غير مثبتة للإمامة حتى يتم ما ذكر، بل علامة مظهرة لها كالأقيسة والإجماعات الدالة على الأحكام الشرعية.

الخامس: إذا عقد أهل بلدين لمستعدين[1]، وجهل السبق أو السابق، لزم خلو الزمان عن إمام، إذ لا يمكن تصحيحهما ولا إبطالهما، ولا تعيين الصحيح، ولا نصب ثالث.

قلنا: يرجح أحدهما أو ينصب ثالث، ولا فساد.

السادس: أنه عليه الصلاة والسلام ما ترك الاستخلاف في أدنى غيبة، ولا البيان في أدنى ما يحتاج إليه، بل كان إذا خرج إلى غزوة، بعدت أو قربت، استخلف على المدينة، ولا يترك أهل البلد فوضى أي متساوين لا رئيس لهم، فكيف يخلي الأمة عند الغيبة الكبرى التي لا رجوع فيها بلا إمام يقتدى به ويرجع إليه.

السابع: أنه أرأف بأمته من الأم بولدها، وقال: (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)[2] وكان يعلمهم حتى آداب قضاء الحاجة، فيكيف يترك الوصية بهم إلى واحد، وكيف لا يعين لهم من يصلح حالهم به معاشا ومعادا، ومن البيِّن أنه لا نص في حق أبي بكر رضي الله عنه، فتعين في علي رضي الله عنه.

الثامن: قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[3]، والإمامة أعظم من أمور

---

(١) في (ل) بلفظ "إذا عقد أهلا له لأهلين"، وفي شرح المقاصد ٥/٢٥٦، كما أثبته.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم "٨٠"، وقال الأعظمي: حديث حسن.

(٣) سورة المائدة الآية رقم "٣".

الدين فكيف تهمل؟!

وأجيب: بأن التفويض لاختيارهم واجتهادهم نوع استخلاف ووصية، والجمهور على أنه لم ينص على إمام[1]، لكنه كان يعلم ذلك بإعلام الله له، وقيل: نص على أبي بكر رضي الله عنه خفيا، وقيل: جليا، وقال الشيعة: على علي بالرمز والتلويح، والإمامة بالإعلان والتصريح، وقال العباسية: على العباس وخصه من بين الناس.

وأجيب بأمرين:

أحدهما: أنه لو كان نص جلي في هذا الأمر الكلي لاشتهر ونقل نقل الفرائض لتوفر الدواعي على نقله، ولم تتوقف الصاحبة في الإذعان، ولم يترددوا حين اجتمعوا لذلك الشأن، ولم يختلفوا في التعيين، ولم يشكوا في الحق اليقين.

وزعم أنهم كتموه بغضا وحسدا، أو عنادا ولددا، أو اعتقادا لنسخه حين لم يعمل أكابر الصحابة على وفقه، ولم يتمسك به المستحق لإثبات حقه افتراء واجتراء، والعاقل المنصف لا يظن بجمع وصفهم الله بكونهم خير الأمم، واتخذهم المصطفى صلى الله عليه وسلم أمناء شريعته، وهداة طريقه، مع علمه بحالهم ومآلهم، واشتهار عدلهم وهداهم، وتركهم هواهم، وبذلهم الأنفس والأموال في محبته، وقتلهم الأقارب والعشائر في نصرته واتباع شريعته، أنهم خالفوه قبل أن يدفنوه، وعدلوا عن الحق وخذلوه، ونصروا الباطل وأيدوه، ومنعوا المستحق حقه وكتموه، مع كونه لعمر الله لائقا بمنصب الإمامة، مرضيا لرتبة الزعامة، ولم يقم هو بإظهاره وإعلانه، مع جلالته وعلو شانه، وجموم[2] أنصاره وأعوانه، كما قام به من غير نفيه، حين أفضى

---

(١) في (ل) بلفظ: " على أنهم لم ينصوا على إمام" ، وفي شرح المقاصد ص ٢٥٨ كما أثبته.

(٢) الجم: ما اجتمع من الشيء الكثير، قال ابن منظور: (والجَمُّ ما اجتمع من ماء). انظر لسان العرب، مادة "جمم".

الأمر إليه، وأقام الحجة والسنان والبرهان عليه، مع أن الخطب إذ ذاك أشد، والخصم ألد، والمخالف لا يحويه الحد، ولا يحيطه العد، فاستبان بارتجال الأذهان، أن النص لو كان، لاستحال فيه الخفاء والكتمان، ولتناجى[١] به على قرب العهد أو بعده اثنان على مكرِّ الزمان.

فوضح بمجموع ما ذكر الآن أمران:

أحدهما: بطلان مذهب زاعم العلم بالنصب.

الثاني: القطع بأنه لم يجر من المصطفى صلى الله عليه وسلم تولية ونصب، ولو ساغ تقدير الكتمان في الأمور الخطيرة، لجر ذلك أمورا عسيرة.

فقد بطل ادعاء النص وطاح، واستبان الحق لباغيه ولاح.

الثاني[٢]: أن هنا أمارات ربما تفيد باجتماعها القطع بعدم النص:

-كقول العباس لعلي رضي الله عنهما، وعمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما: امدد يدك أبايعك

-وقول أبي بكر رضي الله عنه: بايعوا عمر وأبا عبيدة رضي الله عنهما.

-وقوله: وددت إن سألت المصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر فيمن؟

-وكقبول علي الشورى.

- وكقوله لطلحة: إن أردت بايعتك.

- وكاحتجاجه على معاوية بالبيعة له دون النص عليه.

- وكمعاضدته لأبي بكر وعمر في الأمور، وإشارته عليهما بالأصلح.

- وكسكوته عن النص عليه في خطبه وكتبه، ومفاخراته ومخاصماته.

-وكإنكار زيد بن علي مع علو رتبته ذلك ككثير من عظماء أهل البيت.

---

(١) بألف التثنية.

(٢) المقصود هنا الجواب الثاني، المشار إليه سابقا بقوله: "وأجيب بأمرين".

وقول المخالف : يستحيل عادة أن يهمل المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، ولم يهمل ما دونه. أجيب : بأن ترك النص على معين غير إهمال، بل تفويض معرفة الأحق الأليق إلى اجتهاد أولي الألباب، واختيار أهل الحل والعقد من الأصحاب، وأنظار ذوي البصيرة بمصالح الأمور، وتدبير سياسة الجمهور.

التاسع : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[1] نزلت في علي رضي الله عنه حين أعطى السائل خاتمه وهو ساجد، والولي هو المتصرف في الأمر، إذ ولاية النصرة تعم الكل، والمتصرف في شأن الأمة هو الإمام.

قلنا : ما قبل الآية شاهد على أنه لولاية المحبة والنصرة دون التصرف، ووصف المؤمنين يمكن كونه للمدح لا للتخصيص أو لزيادة شرفهم.

العاشر: ما تواتر من حديث غدير خم[2]، والمنزلة[3]، فإن المراد بالولي هنا الأولى ليطابق مقدمة الحديث، ولأن المولى يقال للمعتق، والعتيق، وابن العم، والجار، والحليف، والناصر، والأولى بالتصرف، وما عدا الأخير غير مراد قطعا، فإن المعتق والجار وابن العم يؤدي إلى الكذب، والنبي لم يكن معتقا ولا حليفا لأحد، وحمله على الناصر ممنوع إذ كل احد يعلم من دينه ضرورة وجوب تولي المؤمنين بعضهم

---

(١) سورة المائدة آية رقم "٥٥"

(٢) حديث غدير خم أخرجه ابن ماجة في سننه حديث رقم "١١٦" عن البراء بن عازب، قال: (أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق ، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى، قال : ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال : فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه)

(٣) المراد هنا حديث المنزلة ،وهو ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعل :(أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى)

لبعض، فيتعين الحمل على المتولي للأمر بالتصرف فيه كما في الآية: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾(١) ومنزلة هارون(٢) من موسى عليهما السلام بمنزلة المعرف باللام، فيدل على أن جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة، ثابت لعلي رضي الله عنه من المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ لو لم يكن اللفظ محمولا على المنازل لم يصح الاستثناء، ومن المنازل الثابتة لهارون استحقاقه الخلافة والتصرف في أمر العامة لو بقي بعده، وهو معنى الخلافة، إذ لا معنى لها إلا القيام مقام المستخلف فيما كان له من التصرف، فلزم كونه خليفته بعد موته، بفرض بقائه، وإلا كان عزله موجبا لنقصه والنفرة عنه، وذلك لا يجوز على الأنبياء.

وأجيب: بمنع التواتر بل الكلام في صحته(٣)، فقد طعن فيه جمع من أئمة الحديث، ومنع(٤) دلالته على حصر الإمامة فيه، إذ غايته الدلالة على استحقاقها وثبوتها مآلا، ثم لا عبرة بالآحاد في مقابلة الإجماع، وتَرْكُ عظماء الصحابة الاحتجاج لهما آيةُ عدم الدلالة، والحمل على العناد غواية.

ولو سلم عموم المنزلة لكونهما اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم المنازل كما لو عرف باللام، فلا يشمل الخلافة والتصرف بطريق النيابة، لأن هارون شريك في النبوة، وذلك مقتضي للاستقلال بالتبليغ عن الله، ولا يدل على بقائها بعد موت المستخلف، وليس انتفاؤها عزلا ونقصا، بل عود إلى الكمال وهو الاستقلال بالنبوة، وتصرف هارون إن بقي إنما يكون لنبوته، وقد انتفت في حق علي كرم الله وجهه، فكذا ما تفرع عليها.

---

(١) سورة الحديد آية رقم "١٥".

(٢) في (ل) بلفظ "هرون" وهكذا فيا ذكرت فيه من مواضع.

(٣) الضمير هنا عائد حديث غدير خم.

(٤) أي والكلام في منع دلالته.

فقد زال غيهب الإشكال، وسقط وجه الاستدلال، فإن الاستدلال بالظاهر الذي يتطرق إليه مسلك التأويل ليس عليه في القطعيات تعويل، فما الظن بالمجمل الذي لا يظهر لمعناه من حيث اللفظ تفصيل.[١]

الثاني عشر: النصوص الجلية: كسلموا عليه بإمرة المؤمنين، أنت الخليفة من بعدي، أنت إمام المتقين، هذا خليفتي عليكم، أنت أخي ووصي وخليفتي بعدي وقاضي ديني ـ بكسر الدال ـ.

وأجيب بأن هذه الألفاظ نقلها عدة من الرواة هم عرضة الزلل والخطأ والهفوات، وإن ظهر لبعضهم أنهم من الأثبات الثقات، والمطلوب في هذا الفن القطع لا غلبة الظن، على أنها آحاد فلا تقاوم الإجماع، ولو صحت ودلت لم تخف على الصحب من بعدهم سيما العِشْرة المطهرة، ولو سلم فغاية إثبات خلافته لا نفي خلافة غيره.

وكسر دال "ديني" غير مسلم بدليل رواية البزار عن أنس مرفوعا: (علي يقضي ديني)[٢] بفتحها، وإذا جرى الكلام في معرض الاستفهام والاستبهام لم يسغ الاعتصام به في مجتهدات الأحكام، فكيف ينصب الإمام وهو شرف الأنام، وأحق ما يتعلق بتحقيقه الاهتمام.

الثاني عشر: القدح في إمامة الآخرين:

إما إجمالا لظلمهم بسبق كفرهم لآية: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣]،

---

(١) هذه العبارة في(ل) وردت بلفظ " فإنه بالظاهر الذي لا يتطرق إليه التأويل، ليس عليه في القطعيات تعويل، فما الظن بالمحمل الذي لا يظهر لمعناه من حيث اللفظ تأويل" وما أثبته هو عبارة الجويني في الغياثي ص٣٠، وقد ساقها في معرض الرد على الشيعة في الاستدلال بحديث المنزلة فقال: (وهذه اللفظة حقا من المجملات المعدودة عند ذوي التحصيل من أغمض المعوصات) ثم ذكر هذه العبارة، والغياثي هو أحد المصادر التي اعتمد عليها المناوي في هذا المؤلف.

(٢) أخرجه البزار في مسنده حديث رقم "٦٦٤٩".

(٣) سورة البقرة آية رقم "٢٥٤".

فَحَصَر الظلم الكامل في الكافر، وعهد الإمامة لا يناله ظالم، وفساده ظاهر.

وأما تفصيلا في أبي بكر رضي الله عنه، فلأمور:

الأول: أن أبا بكر رضي الله عنه خالف القرآن في منع إرث المصطفى صلى الله عليه وسلم بخبر واه رواه هو، وهو قوله: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)[١].

قلنا: قد يخص عام الكتاب بخبر الواحد القطعي الدلالة سيما المسموع من فم المصطفى صلى الله عليه وسلم فإنه بمنزلة التواتر.

الثاني: مَنْع فاطمة رضي الله عنها فدك[٢] مع أنها ادعت النحلة، وشهد علي وأم أيمن وصدق الأزواج.

قلنا: لو سلم فللحاكم الحكم بالمعلوم لا بقول المعصوم، ونصاب البينة لم يكمل، ولعله لم ير الحكم بشهادة ويمين.

الثالث: خالف المصطفى صلى الله عليه وسلم استخلافه عمر رضي الله عنه، وقد عزله المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الصدقة.

قلنا: ليس انقضاء التولية بانقضاء الشغل عزلا، ولا مجرد فعل لم يفعله المصطفى صلى الله عليه وسلم قدحا.

ولم يوله المصطفى صلى الله عليه وسلم شيئا من الأعمال المتعلقة بإقامة قوانين الشرع والسياسات العامة، وحيث بعثه إلى مكة ليقرأ على أهلها سورة براءة عزله باتباعه عليا، وقال: (لا يؤدي عني إلا رجل مني)[٣] فلم يره أهلا لتبليغ ذلك، فلا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم "٤٠٣٦".

(٢) في (ل) بدون ذكر "فدك"، وهي قرية بخيبر، والعبارة في شرح المقاصد " ومنها أنه منع فاطمة رضي الله عنها فدك وهي قرية بخيبر مع أنها أدعت أن النبي صلى الله عليه وسلم نحلها إياها". فأثبتها ليستقيم المعنى، ولعلها سقطت من الراوي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "١٢٤٢٨". وقال شعيب الأرنؤوط " إسناده ضعيف رجاله ثقات رجال الشيخين غير زيد بن يثيع ".

يكون أهلا للإمامة العظمى بالأولى.

قلنا : لا نسلم أنه لم يوله شيئا ، بل أمره على الحجيج ، وأمره بالصلاة بالناس.

الرابع : أنه لم يكن عارفا بالأحكام ، حيث قطع يسار سارق ، وأحرق المازني بالنار وهو يقول : أنا مسلم ، وتوقف في إرث الجد والجدة والكلالة.

قلنا : لو سلم فكم مثله للمجتهدين.

الخامس : شكَّ في استحقاقه عند موته حيث قال : وددت لو سألت المصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر فيمن هو ، وكنا لا ننازعه أهله.

قلنا : لو صح لم يدل على الريب بل على عدم النص ، وعلى مبالغته في طلب الحق.

السادس : أن عمر رضي الله عنه مع كونه ناصره ، وحميَّه ، وولي عهده ، ذمه وأنكر عليه عدم قتل خالد بن الوليد[١] حيث قتل مالك بن نويرة[٢] ، وهو مسلم ، طمعا في امرأته ودخل بها من ليلته وضاجعها ، فأشار عليه عمر رضي الله عنه بقتله ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا أغمد سيفا شهره الله على الكفار ، وقال عمر رضي الله عنه : إن وليت لأقيدنه به ، وقال عمر رضي الله عنه : إن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة وقّى الله شرها ، فإن عاد لمثلها فاقتلوه.

قلنا : نسبة الذم إليه من الأكاذيب الباردة ، فإن عمر رضي الله عنه مع كمال

---

(١) هو الصحابي الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أحد أشراف قريش في الجاهلية لما حضرته قال : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، توفي سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر الاستيعاب ١/١٢٨ .

(٢) قال ابن عبد البر : (هو مالك بن نويرة بن حمزة اليربوعي التميمي. قال الطبري : بعث النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن نويرة على صدقة بني يربوع. وكان قد أسلم هو وأخوه متمم بن نويرة الشاعر فقتل خالد بن الوليد مالكاً يظن أنه ارتد حين وجهه أبو بكر لقتال أهل الردة. واختلف فيه هل قتله مسلماً أو مرتداً؟ وأراه والله أعلم قتله خطأً. وأما متمم فلا شك في إسلامه. انظر الاستيعاب ١/٤٢٣ .

عقله ووفور حرمه، كانت إمامته بعهد أبي بكر رضي الله عنه، والقدح في أبي بكر رضي الله عنه، قدح في إمامته، وإنكاره عدم قتله خالد اجتهاد منه، وقوله في بيعة أبي بكر رضي الله عنه فلتة: معناه أن الإقدام على مثله دون مشاورة الغير وتحصيل الاتفاق منه مظنة للفتنة.

وأما تفصيلا لعمر رضي الله عنه، فلأمور:

الأول: أنه أمر برجم حامل وأخرى مجنونه؛ فنهاه علي رضي الله عنه عن رجمهما، فقال: لولا علي رضي الله عنه لهلك عمر.

الثاني: نهي عن المغالاة في الصداق، فقالت له امرأة، ألم يقل الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[1] فقال: كل الناس أفقه من عمر[2].

قلنا: ولو سلم علمه بالحمل والجنون، وأن نهيه عن المغالاة للتحريم، فليس بقادح.

الثالث: شك في موت المصطفى صلى الله عليه وسلم مع أن الكتاب ناطق به.

قلنا: لحالة[3] الحزن والذهول، أو تحمَّل الآية على أنه يموت بعد تمام الأمر.

الرابع: أنه تصرف في بيت المال والغيلم[4] بغير حق، ومنع أهل البيت خمسهم، ومنع متعة النكاح ومتعة الحج.

قلنا: اجتهادات لا تقدح في الإمامة ولو مع ظهور الخطأ.

الخامس: أنه جعل الخلافة شورى بين ستة مع الإجماع على امتناع الاثنين.

قلنا: بطريق الاستقلال والتشاور في تعيين واحد منهم.

السادس: أن عثمان رضي الله عنه ولّي من ظهر فسقه وفساده، وصرف بيت

---

(١) سورة النساء، آية رقم "٢٠".

(٢) الخبر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم "١٤٧٢٥"، بسند منقطع.

(٣) في (ل) بلفظ "لفاتة"، ولعها تصحيف من الناسخ.

(٤) الغيلم: منبع الماء في البئر.

المال لأقاربه، وحمى لنفسه، وآذى ابن مسعود، وعمارا، وأبا ذر، وورد طريد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأسقط القود عن عمر، والحد عن الوليد بن عتبة، وخذله الصحب حتى قتل، ولم يدفن إلا بعد ثلاث.

قلنا: بعض ذلك غير قادح، وبعضه افتراء، وبعضه اجتهاد، وترك النصرة والدفن بلا عذر قادح فيهم لا فيه.

خاتمة

علم مما مر أن الإمام الحق عندنا وعند المعتزلة وأكثر الفرق بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ أبو بكر رضي الله عنه لإجماع أهل الحل والعقد، وإن كان من البعض بعض توقف، وقد ثبت إذعان علي رضي الله عنه لأمره ونهيه، وإقامة الجمع والأعياد معه، والثناء عليه حيا وميتا، وتسميته خليفة، والاعتذار عن تأخره عن بيعته، وحديث التقية تضليلا للأمة، ولو كانت لكانت في زمن معاوية، وقد يتمسك بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (اقتدو بالذين من بعدي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)[١].

وقوله: (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)[٢] وقوله في مرضه: (إئتوني[٣] بكتاب وقرطاس اكتب لأبي بكر كتابا لا يخالف فيه اثنان) وقوله: (يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر)[٤] وباستخلافه في الصلاة ولم يعزله، وهذه ظنيات ربما يفيد اجتماعها القطع.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، حديث رقم " ٣٨١٦ "، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ، انظر حاشية الأرنؤوط على صحيح ابن حبان ، حديث رقم (٦٩٠٢" .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم "٦٩٤٣" قال الأرنؤوط : إسناده حسن .

(٣) أخرجه البزار في المسند، حديث رقم "٢٣٤"، وقال شعيب الأرنؤوط في حاشيته على مسند أحمد حديث رقم "٢٤٢٤٥" : حديث ضعيف .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم : " ٦٣٣٢"

وبالجملة والتفصيل: فالذي عليه التعويل: أن الصحب شَهِدوا وغِبنا، واستيقنوا من عَيان واستربنا[١]، وكانوا قدوة للأنام، وأسرة الإسلام، لا يأخذهم في الله عذل[٢] ولا ملام، وما كانوا قدوة للأنام، وأسرة الإسلام، لا يأخذهم في الله عذل[٣] ولا ملام، وما كانوا بعد استأثار الله برسوله[٤] تحت اقتهار واقتسار، بل مالكين لأعنة الاختيار، لا يؤثرون على الحق أحدا، ولا يجدون من دونه ملتحدا.

وقالت الشيعة: علي لانتفاء الشروط في غيره من العصمة، والنص، والأفضلية.

والجواب: منع الاشتراط، ثم منع عدم الاكتفاء في أبي بكر؛ وقد قال علي نفسه في شأن أبي بكر: رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا.

---

(١) استفعل من ترب، بمعنى: أصابه التراب فلم ير شيئا، فقد جاء في المعجم الوسيط مادة "ترب": (ترب: تربا أصابه التراب)، ومعنى الجملة أن الصحابة رضي الله عنهم استيقنوا عن معاينة ورؤية في مقابل أننا لم نرى ونشاهد حتى نحاكمهم في هذا الأمر.

(٢) في (ل) بلفظ "عدل"، وفي الغياثي ص ٣٣ كما أثبته.

(٣) في (ل) بلفظ "عدل"، وفي الغياثي ص ٣٣ كما أثبته.

(٤) في (ل) بلفظ "ورسوله". وفي الغياثي ص ٣٣ كما أثبته.

الباب الخامس

في نصب الإمام وتفصيل الطرق التي تنعقد بها الإمامة

تولية الناس رجل الإمامة وقبولها فرض كفاية، وانعقادها بأحد أمور:

الأول: فتنعقد عند أهل السنة والمعتزلة ببيعة بعض أهل الحل والعقد، الذين حنكتهم[1] التجارب وعرفوا الصفات المرعية فيما يناط به أمر الرعية؛ من العلماء والقضاة والرؤساء والأمراء وإن قلّوا، للإجماع على إمامة أبي بكر بعقد عمر له من غير توقف إلى اكتفاء الكل، ولاكتفاء الصحب مع صلابتهم في الدين بعقد ابن عوف لعثمان[2] ولم يتوقفوا على اجتماع كل من في المدينة من الوجهاء فضلا عن إجماع الأمة، ولم ينكر عليهم أحد، وانطوت عليه الأعصار إلى وقتنا هذا، فعلم أنه لا يشترط عدد، بل تنعقد ببيعة من تيسر حضوره ممن ذكر.

نعم، يشترط في الإمام حصول مبلغ من الأتباع والأشياع ليحصُل بهم شوكة ظاهرة، ومنعة قاهرة، بحيث لو فرض هياج فتنة غلب على الظن ألا يصطلم[3] أتباع

(١) في (ل) بلفظ "حنكهم"، أما في الغياثي ص٥٠، فكما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ "لعثمن".

(٣) أي يبادوا، قال ابن منظور: (واصْطُلِمَ القوم أُبيدوا والاصْطِلامُ إذا أُبيد قَومٌ من أَصلهم) لسان العرب=

الإمام، إذ لا بد من رعاية الشوكة في هذا الباب.

فإن بايع واحد مطاع كثير الأشياع أفادت بيعته ما ذكر؛ انعقدت، وإن بايع مائة رجل لا تفيد، وقد يبايع رجلان ومئتان ولم تفد بيعتهم شوكة.

ولا يشترط في المبايع الاجتهاد على الأصح، ولا حضور الشهود إن عقد جمع، فإن عقد واحد شرط على الأصح عند الشافعية.

ويشترط أن يجيب المبايع، فإن امتنع لم يجبر إن تعدد المتأهل، وإلا أجبر، بل يلزمه طلبها وله أجر مثله عادة، ولو غنيا، وليس تقديم الأسن.

ثم إن كثر الحرب قدم الأشجع، أو البدع فالأعلم، والأولى تقديم جاهل عدل على عالم فاسق، ولو تنازعاها لم يقدح فيهما على الأصح، وإذا وصل الخبر إلى أهل الأصقاع البعيدة لزمتهم الموافقة.

ولا يصح نصب إمامين في وقت وإن تباعد إقليماهما إلا إذا كان بينهما ما يمنع وصول ضرر كل منهما إلى الآخر، كبحار وأودية عظيمة، وإذا منع فعقد لهما معا أو جهل السبق أو السابق بطلا، أو مرتبا بطل الثاني وعزر ومن بايعه إن علموا، وإن عرف السابق ثم نسي توقف لظهوره، فإن تضرر الناس بالتوقف بويع أحدهما لا غيرهما.

الثاني: الاستخلاف، وهو أن يعقد في حياته الخلافة لآخر بعده، وإن لم يشاور أحدا على الأصح، بلفظ كاستخلفتُ فلانا، ولو أصله أو فرعه، لكن يلزمه رعاية الأصلح للناس الأجمع للشروط ولو مفضولا يستقيم الأمر به، ولا تورث الإمامة بحال، وفي أوصيت بها وجهان.

ويشترط قبول المعهود له لفظا قبل موت الخليفة ولو متراخيا، فيكون خليفة في حياته ثم يخلفه بعد موته أو عزله نفسه، ويشترط أن يكون فيه أهلية الإمامة من وقت

=مادة "صلم".

العقد، فلو كان طفلا أو فاسقا عند العهد لم يصح، وإن كمل عند موت العاهد، ولو استخلف غائبا فإن علمت حياته صح وإلا فلا، ولو عهد لاثنين أو أكثر قدم أهل الاختيار الأصلح منهم لا غيرهم.

وليس للإمام عزل ولي عهده بلا سبب؛ لأن استخلافه من حق المسلمين لا لنفسه، وبه فارق جواز عزله لنوابه بلا سبب.

ولا لولي العهد نقل ما إليه من العهد لغيره، فإن استعفى جاز إعفاؤه إن كان ثمَّ غيره وإلا فلا.

الثالث: الشورى وهو أن يُحضر الإمامُ الكلَّ بين اثنين فأكثر على أنهم يتشاورون، فمن اختاروه كان إماما، ولا يشترط رضى غيرهم ولا اتفاقه، وليس لهم الاتفاق في حياته إلا بإذنه، فإن خيف انتشار الأمر بعده استأذنوه.

الرابع: الاستيلاء، فإذا مات الإمام أو انعزل فتصدى للإمامة متأهل بلا بيعة ولا استخلاف؛ وقهر الناس بشوكته وجنوده انعقدت إمامته، وكذا إن استولى غير متأهل بنحو فسوق أو جهل، لكنه يعصى. ولو تفرد رجل بشروط الإمامة لم يصر إماما بمجرده بل لا بد من إحدى الطرق، ولو انعقدت إمامته بالشوكة فقهره آخر انعقدت إمامته، بخلاف ما لو انعقدت إمامته ببيعة أو استخلاف معتبر.



الباب السادس

في العدل وشرفه[1]

اعلم[2] أن العدل قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح المخلوقين، وله وضعت الموازين، وهو المرغوب المألوف، المؤمن كل مخوف، به تتآلف القلوب، وتلتئم الشعوب، ويظهر الصلاح، وتتصل أساب النجاح، وتنعقد عرى اليمن والفلاح، ويشمل الناس التناصف، والتواصل والتعاطف.

وهو مأخوذ من الاعتدال الذي هو القوام والاستواء، المجانبان للميل والالتواء، وهو ميزان الله في أرضه الذي تُوفَّى به الحقوق، وترأب[3] به الصدوع والفتوق.

وحقيقته: وضع الأمور في مواضعها، لا بوضع الشدة مكان اللين وعكسه، ولا السوط مكان السيف وعكسه، وإلى ذلك أشار المتنبي[4] بقوله:

---

(١) يختصر المناوي بيان أصول العدل من كلام الغزالي في التبر المسبوك ١٠/٣. وأعزو إلى هذا الكتاب عند المقابلة بقولي: وفي التبر، وذلك في عموم الكتاب.

(٢) من قوله: "اعلم أن العدل قوام الدنيا "إلى قوله:" وقيل: عدل السلطان أنفع للرعية من عدل السلطان" من زيادات (ل) على (ع).

(٣) في (ل) " وترائب "

(٤) هو: أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب=

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى[١]

والإنصاف: استيفاء الحقوق وإخراجها بالأيدي العادلة، والسياسات الفاضلة وهو والعدل نوعان، نتيجتهما علو الهمة، وطلب براءة الذمة، باكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل. فالإنصاف استثمار، والعدل استكثار، فيصير المُلك بالإنصاف مستمرا، وبالعدل مستكثرا، وما نقص ملك من إنصاف، ولا جاه من إسعاف، وقد قيل: من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، وقيل: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان.

واعلم أن أصول العدل والإنصاف عشرة:[٢]

الأول[٣]: أن تعرف قدر الولاية وخطرَها.

فإنها نعمة من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له، ولا سعادة بعده، ومن قصّر عن النهوض بحقها وقع في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر.

ودليل عظم قدرها، وجلالة خطرها: ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة)[٤].

=العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين تنبأ في بادية السماوة"بين الكوفة والشام" فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الإخشيد، فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، توفي سنة ٣٥٤هـ.

انظر الأعلام للزركلي ١/١١٥ .

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/٢٦٤ .

(٢) هكذا في (ل) وفي التبر ص٣ ، وأما في (ع) فذكر أنها تسعة ، وأغفل الناسخ العاشر منها، وهو : " أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع " ، وقد توسع المناوي في ذكر الأحاديث فوق ما ذكره الغزالي في التبر.

(٣) أي الأصل الأول .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق عبد الرحمن بن الحسين الصابوني حديث رقم" ٤٧٦٥"=

وقوله: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)[١] وذكر منهم السلطان[٢] العادل.

وقال: (السلطان ظل الله ورمحه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقاً كلهم عابد مجتهد). رواه الأصبهاني[٣]، [٤].

وقال: (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف، وبه ينتصر المظلوم)، وقال[٥]: (من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة) رواه وما قبله ابن النجار[٦]،[٧].

وقال: (السلطان ظل الله في الأرض، فإذا دخل أحدكم بلداً ليس فيها سلطان،

=بلفظ "يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ، أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً" ، وقال الزيلعي في نصب الراية ٤/٦٧ معلقا على رواية عدل ساعة: "قلت غريب بهذا اللفظ " ضعفه الألباني ، انظر السلسلة الضعيفة حديث رقم "٩٨٩" .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٦٢٠" .

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ " السلطان" من (ل) .

(٣) الأصبهاني هو: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية.

ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء عشرة أجزاء، ومعرفة الصحابة، توفي سنة ٤٣٠هـ. الأعلام للزركلي ١/ ١٥٧ .

(٤) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب " فضيلة العادلين" "حديث رقم "١٨"، وضعفه الألباني. سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٤٧٧ .

(٥) هكذا في (ل) وسقط لفظ " وقال " من (ع) .

(٦) أخرجه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ٢/ ٧٢، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٤/ ١٦٥.

و الحديثان في ذيل تاريخ بغداد رواية واحدة لم يفصل بينهما.

(٧) ابن النجار هو : محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة ،مؤرخ حافظ للحديث. من أهل بغداد، من كتبه: الكمال في معرفة الرجال ، و ذيل على كتاب "تاريخ بغداد" لابن الخطيب، توفي سنة ٦٤٣هـ . الأعلام للزركلي ٧/٨٦

فلا يقيمن به) رواه الأصبهاني[١] .

وقال :(السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه[٢] ضل ومن نصحه اهتدى)[٣] رواه البيهقي[٤]،[٥].

وقال :(السلطان ظل الرحمن في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار أو خان أو ظلم [٦]كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر) رواه الديلمي[٧]،[٨].

---

(١) الأصبهاني هذا غير السابق والمراد به هنا: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، من حفاظ الحديث، العلماء برجاله. يقال له: أبو الشيخ. ونسبته إلى جده حبان. له تصانيف منها: أخلاق النبي وآدابه، والعظمة. توفي سنة ٣٦٩هـ. الأعلام للزركلي ١٢٠/٤ . ومن روايته أخرجه السيوطي في جمع الجوامع ١/ ١٣١٢٩ ، ومن طريق أخرى عن أنس أخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم " ١٦٤٢٧ "وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، حديث رقم "٧٠٩٢" .

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "نصحه ضل " .

(٣) هكذا في (ل) وتقدم على الحديث السابق في (ع) .

(٤) البيهقي هو: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، من أئمة الحديث. ينسب إلى بيهق من قرى نيسابور، من كتبه، الأسماء والصفات، والسنن الكبرى والصغرى، توفي سنة ٤٣٥هـ . الأعلام للزركلي ١١٦/١ .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم " ٣٣٥١ ". وقال الألباني: " موضوع ". انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، حديث رقم "٧٠٩٤" .

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " وإن جار أو خان أو ظلم" وهذا الأصح الموافق لرواية البزار في مسنده حديث رقم "٥٣٨٣ " ولم أقف على رواية توافق (ل) .

(٧) الديلمي هو: أبوشجاع شيروية بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني: مؤرخ من العلماء بالحديث، له مسند الفردوس، وتاريخ همذان . توفي سنة ٥٠٩ هـ . الأعلام للزركلي ١٨٣/٣ .

(٨) قال علاء الدين البرهان فوري :"أخرجه الديلمى ". انظر: كنز العمال حديث رقم "١٤٢٨٥ "، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم " ٦٩٨٤"، أشار إليه السيوطي في الجامع الصغير بعلامة التضعيف . انظر: الجامع الصغير حديث رقم "٤٨٢٠"

وقال : (السلطان ظل الله في الأرض ، فمن أكرمه أكرمه الله ، ومن أهانه أهانه الله)[١] . رواه الطبراني[٢]،[٣].

وقال : (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر ، وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو خان أو ظلم كان عليه الوزر ، وكان على الرعية الصبر ، فإذا جارت الولاة قحطت السماء ، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي ، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا خفرت[٤] الذمة أُدِيلَ[٥] الكفار) . رواه البزار[٦].

وقال : (إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان ، فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض) رواه البيهقي[٧].

---

(١) هكذا في (ع) وسقط هذا الحديث من (ل) .

(٢) الطبراني هو : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام ، وإليها نسبته. له ثلاثة (معاجم) في الحديث ، منها المعجم الصغير ، التفسير والأوائل) ودلائل النبوة. توفي سنة ٣٦٠ هـ. الأعلام للزركلي ١٢١/٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى الطبراني حديث رقم "٤٨١٥" ، ولم أقف عليه عند الطبراني ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم "٧٣٧٣" . ضعفه الألباني. انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم "٧٠٩٣" .

(٤) في (ل) "أحقرت " وفي (ع) " أخفرت " وما أثبته هو ما في مسند البزار .

(٥) الدولة الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء ، وقوله : ندال من الإدالة ، وهي الغلبة ، يقال : أديل لنا على أعدائنا ، أي : نصرنا عليهم ، انظر شرح أبي داوود للعيني ٢٩٩/٥

(٦) البزار هو : أبو بكر أحمد بن عمرو البزار : حافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة. حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام ، وتوفي في الرملة. له مسند سماه : البحر الزاخر ، توفي سنة ٢٩٢هـ. الأعلام للزركلي ١٨٩/١ .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم "٦٩٩٠ ". ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "١٧٠٩"

وقال: (ثلاثة لا تحرم[١] عليك أعراضهم: المجاهر بالفسق والإمام الجائر والمبتدع) . رواه ابن أبي الدنيا[٢]،[٣].

وقال: (أربعة دعوتهم مستجابة: الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجل يدعو لوالديه). رواه أبو نعيم[٤].

وقال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) . رواه الإمام أحمد وغيره[٥].

وقال: (ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرا، والمظلوم، والإمام المقسط)[٦] رواه البيهقي[٧]

وقال: (ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم،

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ : " يحرم " ، وعند ابن أبي الدنيا كما أثبته بالمثناة الفوقية.

(٢) ابن أبي الدنيا هو: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي، حافظ للحديث، مكثر من التصنيف. له مصنفات اطلع الذهبي على ٢٠ كتابا منها، ثم ذكر أسماءها كلها، فبلغت ١٦٤ كتابا، منها " الفرج بعد الشدة، ومكارم الأخلاق. توفي سنة ٢٨١هـ . الأعلام للزركلي ١١٨/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا في كتاب ذم الغيبة والنميمة حديث رقم "٩٧" .ضعفه الألباني . انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٦٣٣٧" .

(٤) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم " ٦٤٨٧" . ضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم " ٢٧٣٨" .

(٥) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم " ٩٧١٤"، والترمذي في سننه حديث رقم " ٣٨٩٥ " ، وابن ماجة في سننه حديث رقم " ١٧٥٢ " . وقال شعيب الأرنؤوط : " صحيح بطرقه وشواهده ". انظر: مسند أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط ٣٠٤/٢ .

(٦) هكذا في (ل) وسقط هذا الحديث من (ع) .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٦٩٧٣) وأشار إليه السيوطي بعلامة التضعيف في الجامع الصغير حديث رقم " ٣٥١٣" .

والمقسط ـ أي العادل ـ) . رواه البيهقي[١] .

وقال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر). رواه مسلم[٢، ٣] .

وقال : (ثلاثة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : التاجر الأمين ، والإمام المقتصد ، وراعي الشمس بالنهار) . رواه الديلمي[٤] .

وقال : (أربعة يبغضهم اللهُ يومَ القيامةِ : البياعُ الحلاَّف ، والفقيرُ المختَالُ ، والشيخُ الزاني ، والإمامُ الجائر) . رواه النسائي[٥، ٦] .

وقال : (اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد له ناصرا غير الله) . رواه

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ عند البيهقي ، أما رواية البيهقي فبلفظ : " ثلاث من توقير جلال الله : ذو الشيبة في الإسلام ، وحامل كتاب الله ، وحامل العلم مع من كان صغيرا أو كبيرا " ، وأخرجه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم " ٧٧٢٤" ، وإليه عزاه السيوطي في الجامع الصغير . وضعفه الألباني . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٦٣٤٦".

(٢) الإمام مسلم هو : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري ، حافظ ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور ، أشهر كتبه صحيح مسلم ومن كتبه : الكنى والأسماء. توفي سنة ٢٦١هـ . الأعلام للزركلي ٢٢١/٧ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم " ٣٠٩ " .

(٤) قال الألباني : "أخرجه الديلمي "٢/ ٦٣" من طريق الحاكم بسنده عن محمد بن إبراهيم بن عمرو بن يوسف ابن أبي ظبية : حدثني أبي عن جدي عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعًا. قلت : وهذا إسناد ضعيف ؛ من دون عطاء لم أعرفهم " . انظر : السلسلة الضعيفة حديث رقم " ٣٤٥٤" .

(٥) النسائي هو : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي : صاحب السنن ، القاضي الحافظ ، شيخ الإسلام. أصله من نسا (بخراسان) له : السنن الكبرى والمجتبى وهو السنن الصغرى ، من الكتب الستة في الحديث. وله الضعفاء والمتروكون . توفي سنة ٣٠٣هـ . الأعلام للزركلي ١٧١/١ .

(٦) ساقط من المتن ، وأثبته الناسخ في الهامش الأيسر. أخرجه النسائي في السنن حديث رقم "٢٥٢٨" أشار إليه السيوطي في الجامع الصغير بعلامة التصحيح حديث رقم "٩٣٢" .

الديلمي[١].

وقال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر). رواه الطبراني وغيره[٢].

[٣]وقال: (سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة) رواه الطبراني[٤].

وقال: (سيكون من بعدي سلاطين الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله). رواه الطبراني[٥].

وقال: (سيليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة الله، فله الأجر وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية الله فعليه الوزر وعليكم الصبر). رواه الطبراني[٦].

وقال: (أيما وال ولي من أمر المسلمين شيئا، وقف على جسر جهنم فيهتز به الجسر حتى يزول كل عضو منه). رواه ابن عساكر[٧].

---

(١) قال الغماري: " أخرجه الديلمى ١١٦/١١٥/١ من طريق الطبراني" . انظر: كتاب المداوي "٥٥٩/١ رقم "٥١٣"، وضعفه الألباني . انظر : السلسلة الضعيفة حديث رقم "٢٣٩٢" .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط حديث رقم " ١٥٩٥" .. حسّنه الألباني، انظر: حديث رقم : "١٠٠١" في صحيح الجامع .

(٣) في هذا الموضع من (ل) كرر الناسخ حديث: (أربعة يبغضهم اللهُ يومَ القيامةِ: البياعُ الحلاَّف) ولعله سبق عين من الناسخ .

(٤) أخرجه الطبراني حديث رقم " ٩" . وأبو يعلي في المسند حديث رقم " ١٠٨٨ "، وضعفه الألباني، انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم " ٣٧٢٢" .

(٥) قال الهيثمي: "رواه الطبراني ، وفيه حسان بن غالب ، وهو متروك". انظر: مجمع الزوائد ٤٤٣/٥ ، ولم أقف عليه عند الطبراني، وأخرجه الحاكم في المستدرك حديث رقم "٦٦٦٥". ضعفه الألباني انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: "٧٠٤٩".

(٦) لم أقف عليه عند الطبراني، وقال المناوي في فيض القدير: أخرجه الطبراني عن ابن مسعود، قال الحافظ العراقي ضعيف . أنظر فيض القدير ١٣٢/٢ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم " ٦٩٨٣" .

(٧) انظر مختصر تاريخ دمشق ٤٢/٥ ، قال الألباني: " منكر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/ ١٣٢"=.

وقال : (أيما وال ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ، ونشرت الملائكة صحيفته ، فإن كان عادلاً نجاه الله بعدله ، وإن كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة يزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ، ثم ينخرق به الصراط ، فأول ما يتقي به النار أنفه وحر وجهه) . رواه ابن بشران[(١)، (٢)] .

وقال : (أيما راع لم يرحم رعيته ، حرم الله عليه الجنة) رواه الطرابلسي[(٣)،(٤)] .

وقال : (أيما راع استرعى رعية ، فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ، ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء) . رواه الخطيب البغدادي[(٥)،(٦)] .

وقال : (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم ولم يجتهد لهم ، كنصيحته[(٧)]

= انظر : السلسلة الضعيفة حديث رقم"٧١٤٧" ، وقال الهيثمي : " فيه سويد بن عبد العزيز ، وهو متروك" مجمع الزوائد ٥/٢٠٦ .

(١) ابن بشران هو : عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي بالولاء ، البغدادي ، أبو القاسم : واعظ. كان مسند العراق في عصره. له كتاب الأمالي . توفي سنة ٤٣٠هـ. الأعلام للزركلي ٤/١٦٤ .

(٢) أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه حديث رقم " ٦٨" ، وضعفه الألباني . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٥٠٦١" .

(٣) الطرابلسي هو : أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي الطرابلسي ، من حفاظ الحديث ، محدث الشام في عصره. له : فضائل الصحابة ، والرقائق والحكايات ، توفي سنة ٣٢٦هـ. الأعلام للزركلي ٢/٣٢٦ .

(٤) أخرجه خيثمة الطرابلسي في جزئه عن أبي سعيد الخدري ١/ ٧٩. ضعفه الألباني . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٥٠٣٩" .

(٥) الخطيب البغدادي هو : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، المعروف بالخطيب : أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين.له : تاريخ بغداد ، والكفاية في علم الرواية. توفي سنة ٤٦٣هـ. الأعلام للزركلي ١/١٧٢

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد "١٠/١٢٦" عن عبد الرحمن بن سمرة . قال الألباني : " موضوع " انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم : "٥٠٣٨".

(٧) هذا الحديث ساقط من (ع) وفي (ل) بلفظ "كنصيحته "وبهذا اللفظ ذكره المناوي في فيض القدير ٣/٢٠٥ ، ووقفت عليه في المعجم الصغير للطبراني حديث رقم "٤٦٥" بلفظ : "لنصحه " ، وبه أثبته محمد شكور محمود ، محقق الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني ، في المتن الذي حققه ثم قال : (في المطبوع والأصل" لنصحه " وفي فيض القدير : " كنصيحته " ولعل ما أثبتناه هو الصواب) انظر=

وجهده لنفسه كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار) رواه الطبراني[١]

وفي بعض الأحاديث القدسية: (قال الله تبارك وتعالى: اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرًا غيري)[٢].

وقال: (أيما وال ولي على قوم، فَلاَنَ لهم، ورفق بهم، رفق الله به يوم القيامة). رواه ابن أبي الدنيا[٣].

وقال: (الإمام الضعيف ملعون). رواه الطبراني[٤].

وقال: (والذي نفس محمد بيده إنه ليرفع للسلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية، وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة) كذا أورده الغزالي[٥]، [٦].

ثم قال[٧]: " فإذا كان كذلك، فلا نعمة أجلّ من أن يعطى العبد درجة السلطنة

=الروض الداني ٢٨٣/١، والحديث ضعفه الألباني، انظر حديث رقم: "٢٢٥٤" في ضعيف الجامع.

(١) المعجم الصغير حديث رقم "٤٦٥".

(٢) هذا الحديث ساقط من (ع) وورد في (ل) بلفظ " اشتد غضبي على من لم يجد له ناصرًا غيري"، وما أثبته موافق لما في المعجم الأوسط للطبراني حديث رقم "٧١"، والحديث ضعفه الذهبي، انظر مجمع الزوائد ٢٣٩/٤.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا في الزهد حديث رقم " ١٢٨٣." وأخرجه مسلم حديث رقم " ٤٨٦٢ ".

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم "٩٠٥٩ ": "رواه الطبراني وسقط من إسناده رجل بين عبد الكريم ابن الحارث وبين ابن عمر، وفيه جماعة لم أعرفهم ". وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم: "٥١٠٠".

(٥) الغزالي هو: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الاسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. من كتبه إحياء علوم الدين، والتبر المسبوك في سياسة الملوك. توفي سنة ٥٠٥ هـ. الأعلام للزركلي ٧/ ٢٢.

(٦) انظر: التبر ٣/١، ولم أقف عليه في كتب السنن.

(٧) أي الغزالي في التبر.

ويجعل ساعة من عمره بجميع[١] عمر غيره، ومن لم يعرف قدر هذه النعمة، واشتغل بظلمه وهواه، خيف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه "[٢].

[٣] قال سفيان[٤] الثوري: لأن[٥] تلقى الله بسبعين ذنبا فما بينك وبينه، أهون من أن تلقاه بذنب واحد مما بينك وبين العباد.

وقال: من طالت عداوته، زال سلطانه.

وقال: الظلم يسلب النعم، ويجلب النقم.

قالوا: من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم[٦] الحرية والمُلك، إلى دناءة العبودية والمِلك.

وقالوا: ليس شيء أشرع إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة، من الإقامة على الظلم

قال بعض الحكماء: شر الملوك الأفاك السفاك.

وقالوا: الظلم أسرع إلى تبديل النعم وتعجيل النقم؛ من الطيور إلى أوكارها ومن الماء في الانحدار.

وقالوا: سبع حطوم[٧] خير من سلطان ظلوم.

---

(١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "لجميع".

(٢) انظر: التبر ١/٣.

(٣) من هذا الموضع، وحتى قوله: "فأمر بقتله حالا" مما زادته " (ل) على (ع).

(٤) في (ل) بلفظ: "سفين". وهو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، من كتبه: الجامع الكبير، والجامع الصغير، كلاهما في الحديث، توفي سنة ١٦١ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣/١٠٤.

(٥) في (ل) بلفظ: "لا" وفي غرر الخصائص للوطواط ١/٣١، بلفظ "لأن".

(٦) في (ل) بلفظ: "كوم".

(٧) في (ل) بلفظ: "أسرع حطوم" وفي غرر الخصائص للوطواط ١/٣١ بلفظ "سبع". والحطوم هو الذي يدق الأشياء ويحطمها، قال ابن منظور: (وأَسد حَطُومٌ يَحْطِمُ كلَّ شيء) انظر لسان العرب مادة "حطم".

وكان زياد[١] ممن استطال بجوره وعسفه[٢] في ولايته على العراقَيْن[٣]، فلما ذل له من فيهما عظمت نفسه واستقلهما، فكتب إلى معاوية: قد ضبطت العراقين بيميني، وشمالي فارغة، فضَم له الحجاز، فاجتمع أهل المدينة إلى المسجد النبوي ولاذوا بقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم يسألون الله الإقالة منه، ورفع ابن عمر[٤] يديه وقال: اللهم اكفنا شمال زياد كما كفيتنا يمينه، فطعن فيها، فشاور شريحا[٥] في قطعها، فقال: لك رزق مقسوم وأجل معلوم، وأكره إن كانت لك مدة أن تعيش أجزم، وإن جاء أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد، فإذا سألك: لم قطعتها؟ تقول: بغضا للقائك وفرارا من قضائك؛ فنزل[٦]، فلما خرج شريح لامه الناس، فقال: استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا أمانة المشورة وددت أن الله قطع يده يوما ورجله يوما، وسائر أعضائه يوما.

---

(١) هو زياد ابن أبيه: من دهاة العرب، الولاة القادة الفاتحين، اختلفوا في اسم أبيه، فقيل: عبيد الثقفي، وقيل: أبو سفيان، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، توفي سنة ٥٣ هـ انظر الأعلام للزركلي ٣/٥٣.

(٢) في (ل) بلفظ: "وعققه" وفي غرر الخصائص للوطواط ١/٣١ بلفظ "وعسفه".

(٣) المقصود بالعراقين البصرة والكوفة، كما صرح بذلك الوطواط في غرر الخصائص ١/٣١.

(٤) المقصود عبد الله بن عمر، كما صرح به الوطواط في الخصائص الواضحة ١/٣١، وهو ابن عمر ابن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئا جهيرا، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة ن توفي سنة ٧٣ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/١٠٨. ومولده ووفاته فيها

(٥) هو: شريح بن الحارث بن قيس، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧ هـ وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة سنة ٧٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٦١.

(٦) هكذا في (ل) أما في غرر الخصائص ١/٣١ بلفظ: "فتركها" ولعل المراد: نزل على رأيه فتركها، ويكون هذا من تصرفات المناوي بالمعنى.

وشكى بعض البلغاء عاملا للمأمون، فقال: يا أمير المؤمنين ما ترك فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا عِلْقًا[١] إلا عَلِقَه[٢]، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا غلة إلا غلها، ولا عرضا إلا عرض له، ولا دقيقا إلا دقه، ولا جليلا إلا أجلاه، فأمر بقتله حالا .

الأصل الثاني:[٣] أن يصحب العلماء العاملين:

ويعمل بنصحهم، ويحذر من علماء السوء الذين يحثونه على الدنيا، فإنهم يغرونه ، ويطلبون رضاه طمعاً فيما بيده من خبيث الحطام، ويتحايلون لما فيه رضاه[٤] لرضاه بالمكر والحيل المنكرة، ويزينون له القبيح.

حُكي أن الخليفة الرشيد[٥] ـ أو غيره ـ مات والده عن جارية فائقة الجمال، فغلب حبها على قلبه لما وُلِّي الخلافة، فطلبها ليواقعها، فارتعدت وبكت، فلحقته خشية فتركها، فدخل عليه أعلم أهل بغداد ، فذكر له القصة، فقال له: النسوة فُسَّاق ولا تصدق في أن أباك وطأها، وقد لا يكون فعل، وما عليك في ذلك بأس.

ولما مات عمر بن عبد العزيز[٦] أراد الخليفة القائم من بعده أن يجري على سننه

---

(١) العلق من الأشياء هو النفيس الذي تتعلق به الأنفس لنفاسته، قال ابن منظور:(والعِلْق: بالكسر النفيس من كل شيءٍ . الواحد عِلْق بالكسر سمي به لتَعَلُّقِ القلب به) انظر لسان العرب، مادة : "علق"

(٢) في (ل) بلفظ: " ولا غلقا إلا علقه"، وفي "غرر الخصائص" لوطواط كما أثبته، ومعنى " علقه " أي نشب به فلم ينفذ منه . قال ابن منظور: (عَلِقَ بالشيءِ عَلَقاً وعَلِقَهُ نَشِب فيه) انظر لسان العرب مادة: علق

(٣) أي: من أصول العدل .

(٤) هكذا في (ل) وسقط من (ع) قوله " لمن فيه " .

(٥) الرشيد هو: أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، توفي سنة ١٩٣هـ . الأعلام للزركلي ٨/ ٦٢ .

(٦) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. توفي سنة ١٠١هـ. الأعلام للزركلي ٥/ ٥٠ .

في العدل؛ فشهد له ثلاثون شيخاً من علماء السوء أن الخليفة لا حساب عليه؛ فترك ذلك.(١)

والعالم الصالح هو من لا يطمع فيما عند السلطان من المال، وينصفه في الوعظ والمقال.

دخل شقيق البلخي(٢) على الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد؟ قال: شقيق، ولست بالزاهد، قال: عظني، قال: إنه ـ تعالى ـ أجلسك مكان الصدِّيق، ويطلب منك صدقه، ومكان الفاروق، ويطلب منك الفرق بين الحق والباطل، ومكان المرتضى، ويطلب منك مثل عدله وعلمه؛ فانظر كيف تعمل! فأمر له بألف دينار، فقال: أنا آمرك أن ترفع يدك عما فيها، وأنت إليَّ تلقيها(٣)؛ ولم يقبلها.

وقال عمر بن عبد العزيز للقرظي: صف لي العدل. فقال: كل مسلم أصغر منك سناً؛ فكن له أباً، وكل مسلم أكبر منك سناً؛ فكن له ولداً، وكل مسلم مثلك؛ فكن له أخا، وعاقب كل مجرم على قدر جرمه، ولا تضرب أحداً سوطاً على حقد فإنه يُصيِّرك إلى النار.

ودخل زاهد على بعض الخلفاء فقال له: عظني، فقال: دخلت الصين، وكان ملكها أصم، فرأيته يبكي ويقول: ما أبكي لزوال سمعي، بل لمظلوم لم(٤) أسمعه يستغيث فأغيثه، ونادى أن من ظُلم يلبس أحمر؛ فكان يركب كل يوم ويطوف، فمن رأى عليه أحمر دعاه وأزال شكواه، فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الكافر على

---

(١) هاتان الموعظتان السابقتان مما زاده المناوي على ما في التبر.

(٢) شقيق البلخي هو: شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان. ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية بكور خراسان. وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر. توفي سنة ١٩٤ هـ. الأعلام للزركلي ١٧١/٣ .

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " وأنت تلقيها إلي " وما في (ع) أوفق للسجعة .

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ "لم " من (ل).

عباد الله وأنت مؤمن، وقال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة[(١)]: عظني فقال: من عهد آدم إلى وقتنا هذا لم يبق خليفة غيرك، فقال: زدني، قال: إن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن لم يكن معك، فإلى من تلتجئ؟ فقال: حسبي.

وقال[(٢)] لأبي حازم[(٣)]: عظني، فقال: إذا نمت ضع الموت تحت رأسك، وكلما أحببت أن يأتيك الموت وأنت مُصِرٌّ عليه، فلازمه، وتجنب ضده، فربما كان الموت منك قريباً.

فعلى من وُلِّي ولاية أن يجعل ذلك نصب عينيه، ويقبل الموعظة التي وعظه بها غيره.

الثالث:[(٤)] أن لا يقنع بعدم الظلم: بل يُهذِّب حاشيتَه وعمّاله على ذلك: فإنه يُسأل عن ظلمهم كما يسأل عن ظلم نفسه.

وكتب[(٥)] عمر إلى عامله أبي موسى[(٦)]: السعيد من سعدت به رعيته، واحذر التبسط، فإن عمّالك يقتدون بك.

---

(١) أبو قلابة هو: عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي: عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، من أهل البصرة. أرادوه على القضاء. فهرب إلى الشام، فمات فيها. وكان من رجال الحديث الثقات. توفي سنة ١٠٤هـ. الأعلام للزركلي ٨٨/٤.

(٢) أي عمر بن عبد العزيز كما في التبر ص٣.

(٣) أبو حازم هو: سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له: الأعرج، عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهدا عابدا،. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحدا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم) أخباره كثيرة. توفي سنة ١٤٠هـ. الأعلام للزركلي ١١٣/٣.

(٤) أي: من أصول العدل.

(٥) هكذا في (ل) وسقط "الواو" من (ع) ففيها بلفظ "كتب" بدونها.

(٦) أبو موسى هو: عامل عمر على البصرة، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري صحابي مشهور أمره وهو أحد الحكمين بصفين مات سنة خمسين وقيل بعدها. تقريب التهذيب لابن حجر ٣١٨/٢.

وفي التوراة[١]: كل ظلم عمله عمَّال السلطان، وعلم به أُوخِذ به، وليسِ أحد أشد خسراناً[٢] ممن باع دينه بدنيا غيره.

فعلى السلطان حفظ العدل على رعيته بمنع عمّاله منه، ولا يتم ذلك إلا بحفظ العدل أولاً من باطنه؛ بأن لا يتبع[٣] شهواته، بل يجعلها[٤] تحت أسْر عقله ودينه، والعقل منه[٥] جوهر الملائكة، وهو من جند الله، والشهوات من جند الشيطان، فمن يجعل جند الله أسْر جند الشيطان كيف يعدل في غيره ؟!. وإذا ظهرت شمس العدل في الصدر انتشر نورها إلى خواص الملك، فيصِلُ شعاعها إلى الرعية، ومن طلب الشعاع من غير الشمس طلب محالاً.

الرابع[٦]: أن الملك يكون ـ غالباً ـ متكبراً، ومن التكبر يحدث السخط الداعي إلى الانتقام، والغضب غَوْل[٧] العقل وعدوه، فمن تكبر، فليس بعاقل، ومن لم يكن عاقلاً لم يكن عادلاً.

الخامس[٨]: أن يحب للناس ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه، ولا يَفْعل معهم إلا ما يحب أن يُفْعل به، وفي الحديث: (من أصبح، وهو لا يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم)[٩].

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " التورية ".

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " خسرا ".

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " تقع ".

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " تجلعها ".

(٥) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " من ".

(٦) أي: من أصول العدل.

(٧) في لسان العرب: "قال ابن السكيت: يقال: غاله يَغُوله إذا اغْتاله، وكل ما أَهلك الإِنسان، فهو غُول وقالوا: الغضب غُول الحلم، أَي أَنه يُهْلكه، ويَغْتاله، ويذهب به". مادة " غول ".

(٨) أي: من أصول العدل.

(٩) أخرجه الطبراني في " الصغير ص٩٠٧" بلفظ: "من لا يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم، و من لا=

السادس[١] : أن لا يحقر أرباب الحوائج، ويدعهم وقوفاً ببابه.

السابع: أن لا يعوِّد نفسه الاشتغال بالشهوات واللذات، فيشتغل بها عن[٢] النظر في حال المظلوم.

الثامن[٣] : أنه مهما أمكنه أن يعمل الأمور بالرفق واللطف، فلا يعدل للشدة والعنف.

التاسع[٤] : أن يجتهد أن ترضى عنه رعيته.

وقيل لذي القرنين[٥]: أي شيء من مملكتك أحب إليك؟

قال: العدل والإنصاف، وأن أُكافئ من أحسن إليَّ بأكثر من إحسانه.

والعدل ميزان الله في أرضه، من تعلق به أوصله إلى الجنة.

وقال قتادة[٦] في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾[٧] أراد به العدل.

وقال[٨]: ابن آدم اعدل كما تحب أن يعدل فيك.

=يصبح ويمسي ناصحًا لله ورسوله ولكتابه ولإمامه و لعامة المسلمين، فليس منهم". ضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم "٣١٠".

(١) أي: من أصول العدل.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " عن والنظر في حال المظلوم "بواو بعد عن.

(٣) أي: من أصول العدل.

(٤) أي: من أصول العدل.

(٥) اختلف العلماء في شخصية ذي القرنين، فقيل: هو الإسكندر بن فيلبوس اليوناني، وقيل: كان اسمه مرزبان ابن مرزبة من ولد يونان بن يافث بن نوحٍ، وكان أسود، وقال بعضهم: كان نبيًّا.
وقال أبو الرَّيحان البيروني في كتابه المسمَّى بـ "الآثار الباقية عن القرون الخالية": قيل: إنَّ ذا القرنين هو أبو كربٍ سُمَيٌّ بن عبرين بن أقريقيش الحميريّ. انظر: تفسير اللباب لابن عادل ١١/١٠.

(٦) قتادة هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. توفي سنة ١١٨هـ. الأعلام للزركلي ٥/ ١٨٩.

(٧) سورة الرحمن " ٨ ".

(٨) أي قتادة كما في الدر المنثور للسيوطي ١٤/ ١٠٦.

واعلم[١] أن أفعال الخلق عائدة إلى أفعال الملوك، ألا ترى أنه إذا وصف بعض البلاد بالعمارة، وأن أهله في أمان وراحة دل ذلك على عدل الملك وعقله ؟

وكان من سياسة كسرى أنو شروان[٢] أنه لو أُلقى حملٌ من ذهب في مكان مدة لم يتجرأ أحد على إزالته من مكانه.

وقال له وزيره يونان[٣]: لا تركن إلى الأشرار، فتخرب ولايتك، وتفتقر رعيتك، فيصير ملكك إلى الخراب، ويقبح اسمك في الدنيا .

وكتب[٤] أنو شروان إلى عماله: إن أخبرت أن في ولايتي أرضًا خرابًا صلبت عاملها، وخراب البلاد مِنْ عجز السلطان أو جوره.

ولما عُمِّدَ إيوانه[٥] توقف تربيعه على بيت عجوز بجواره، فطلبه منها بأضعاف قيمته، فقالت: لا أبيع جِوار الملك بحال، فتركها، فقيل له[٦]: يصير إيوانك أعوج[٧]! فقال: اعوجاجه استقامته.

فيجب على الملك الآن أن يسلك طريق الملوك المتقدمين، ويعمل على مناهجهم في العدل، ويقرأ وصاياهم، ويعمل بها، فإنهم أطول أعمارا وأكثر تجاربا واعتبارا .

وكان كسرى أنوشروان يقرأ كتب المتقدمين، ويعمل على مناهجهم في العدل،

---

(١) من هذا الموضع وحتى نهاية الفصل يختصر المناوي كلام الغزالي في التبر من ص ٢٠ : ٣٤ .

(٢) كسرى أنو شروان: أفضل ملوك فارس علمًا وحكمًا ورأيًا، وأكثرهم بحثًا عن العلم، وقد حكم كسرى أنو شروان بلادَ الفرسِ ثمانية وأربعين عامًا. وذلك في القرن السادس الميلادي، حيث ماتَ عام ٥٧٤ ميلادية. انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٤/٢٩٩

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " فكتب " .

(٥) أي وضعوا له الأعمدة لتشييده . ولعل الضمير عائد على أنوشروان.

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " فقيل لم " .

(٧) هكذا في (ل) وأسقط لفظ : " أعوج " من (ع).

ويقرأ وصاياهم ويعمل بها.

وقال كسرى لوزيره يونان: أخبرني بسير الملوك؟ن فقال: أمدحهم لك بثلاثة أشياء أم بشيئين أم بواحد؟

قال: بثلاثة، قال: ما وجدت لهم قط كذباً في شيء، ولا رأيت لهم في شيء جهلاً، ولا في حال من الأحوال غضبًا، قال: امدحهم باثنين، قال: كانوا أبداً يسارعون إلى الخير، ويحذرون من الشر، قال: امدحهم بواحد، قال: كانت سلطتهم على أنفسهم أكثر منها على غيرهم.

وقد بلغ من عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حد أقام فيه الحد على ولده حتى مات[1].

وكان إسماعيل أحد ملوك بني ساسان[2] يجلس كل يوم بعد العصر، ويسمع الدعاوى كالقاضي، وكان عسكره مائة ألف، وببركة عدله ظفّره الله بأعدائه.

ولما ولي أنوشروان السلطة كتب إليه وزيره يونان: أمور الملك على ثلاثة أشياء:

- إما أن ينصف رعيته، ولا ينتصف منهم، وذلك أعلى الدرجات.
- أو ينصف، وينتصف وذلك عدل.
- أو ينتصف، ولا ينصف، وهو ظلم. فاختر أيها أردت؟

---

(١) أثر عمر رضي الله عنه في أنه جلد ابنه أبو شحمة حدا حتى مات غير صحيح، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: أبو شحمة بن عمر بن الخطاب جاء في خبر واهٍ، أن أباه جلده في الزنا فمات، ذكره الجوذقاني ...ا. هـ الإصابة ٧/٢١٠، برقم ١٠١١٢، وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: بعد أن ذكر الحديث بطوله وبطرقه: هذا حديث موضوع كيف روي ومن أي طريق نقل؟ وضعه جهال القصاص ليكون سببا في تبكية العوام والنساء، فقد أبدعوا فيه وأتوا بكل قبيح ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به، ونسبوا الصحابة إلى ما لا يليق بهم، وكلماته الركيكة تدل على وضعه، وبعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه. الموضوعات ٣/٢٧٠ـ ٢٧٥.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

ودخل رجل على المهدي[(١)]، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا، فأعط رعيتك قسطاً من طيب عيشك، قال: وما أعطيهم؟ قال: العدل؛ لأن الرعية إذا نامت في أمن عدل منك نمت أنت في قبرك.

وسئل أرسطو[(٢)] هل يجوز أن يدعي أحد ملكاً غير الله ؟ قال: من وجدت فيه هذه الخصال، وإن كانت عارية: العلم والعدل والسخاء والرأفة[(٣)].

وسأل الإسكندر[(٤)] أرسطو: أيما أفضل من مَلَك الشجاعة أو العدل؟

قال: إذا عدل السلطان لم يحتج إلى شجاعة.

وقيل للإسكندر: إن الله أعطاك ملكاً عظيماً، فاستكثر من النساء؛ لتكثر أولادك، فَتُذكر بهم، فقال: ليس ذكر الرجال بَعْدَهم بكثرة الأولاد، بل بحسن السيرة والعدل، ورجل غلب رجال الدنيا لا يجوز أن تغلبه النساء.

وعَزَل الإسكندر عاملاً عن عمل كبير وولاَّه دونه، فجاء للإسكندر يوماً فقال

---

(١) المهدي هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨ هـ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهرا، توفي سنة ١٦٩هـ. الأعلام للزركلي ٦/٢٢١ .

(٢) أرسطو: هو أرسطوطاليس بن نيقوماخس، وتفسير أرسطوطاليس "تام الفضيلة"، وكَانَ أرسطوطاليس تلميذ أفلاطون المتصدر بعده بعهده فِي الموضعين اللذين تقدم بهما أصحابه، وإلى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين، وهو آخر حكمائهم، وسيد علمائهم، وكَانَ أرسطوطاليس معلم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية وبآدابه عمل فِي سياسة رعيته وسيرة ملكه، ولأرسطوطاليس رسائل كثيرة معروفة مدونة. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء لجمال الدين القفطي ١/١٧ .

(٣) مثل هذا السؤال لا يوجه إلى أرسطو، وكان الأجدر تنزيه الكتاب عن هذه النقول، وإن كان رحمه الله نقل جلها عن التبر المسبوك للغزالي.

(٤) الإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني "٣٥٦ ق.م ـ ٣٢٣ ق. م" حاكم الإمبراطورية المقدونية، قاهر الإمبراطورية الفارسية وواحد من أذكى وأعظم القادة الحربيين على مر العصور، وهو ابن فيليبوس الثاني المقدوني ملك مقدونيا القديمة. كان أرسطو معلمه الخاص، انظر: البداية والنهاية ٢/١٢٥ .

له: كيف تجد عملك؟ فقال له: الرجال لا تشرف بالأعمال بل الأعمال تشرف بالرجال، وذلك بحسن السيرة والعدل والإنصاف، وتجنب الإسراف، فأعجب به الإسكندر، وأعاده لعمله الأول.

وقال سقراط[١]: العالم مُرَكَّب من العدل، فإذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر.

وقيل لبزر جمهر[٢]: بم يتظاهر[٣] عز المَلِك؟ قال: بثلاثة أشياء حفظ الأطراف مع دفع العدو، وتجنب الجور، وإكرام العلماء.

وفي بعض الآثار إن أجلَّ النعم بعد الإسلام: الصحة والأمن، والأمن إنما يكون من عدل، ومتى كان السلطان ضعيفاً انتفى العدل، وكثر الفساد في الرعية.

وفي المثل: جَور السلطان مائة عام، ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة. وإذا جارت الرعية سلط الله عليهم ملكاً جائراً "كما تكونوا يول عليكم"[٤].

وقال الإسكندر لحكمائه: أوضحوا لي من الحكمة منهجاً أحكم فيه أعمالي؟

فقال أكبرهم: لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضه، وأعْمِل الفكر، واتخذه وزيراً، واجعل العدل صاحباً ومشيراً، ولا تُسرع في أمر بغير مشورة، وتَجنَّب الميل

---

(١) سقراط: هو الحكيم اليوناني، والفيلسوف المشهور، كَانَ من تلاميذ فيثاغورس، وعاش فِي زمن أفلاطون، مدة عمره وَلَمْ ينزل بيتاً. اقتصر على الفلسفة ونظرياتها، أعرض عن ملاذ الدينا، ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين فِي عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة، فثوروا عَلَيْهِ العامة، واضطروا ملكهم إِلَى قتله. لَهُ حكم مشهورة. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ١/ ٨٧.

(٢) برزجمهر هو: بزرجمهر بن البختكان، ويقال له بروزيه، مترجم كتاب كليلة و دمنة من الهندية إلى البهلوية، كان بارعا في تعبير الرؤيا. و صار حكيم القصر في عهد كسرى أنوشروان ومستشاره ووزيره وتعزى إليه كثير من الحكم و الأقوال المأثورة. راجع كتاب كليلة ودمنه ١/ ٢٠.

(٣) هكذا في (ل) و (ع): "يتظاهر"، وفي التبر ص٢٤: "بأي شيء يظهر عز الملك".

(٤) لعله يشير إلى الحديث الشريف الذي أخرجه الحاكم في المستدرك "حديث رقم ٤٦٩٨" عن على رضي الله عنه قال: "إن يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خياركم".

والمحاباة في وقت العدل.

وقال يونان وزير كسرى: يجب أن يكون معك أربعة أشياء دائماً: العدل، والعقل، والصبر، والحياء، وينتفي عنك أربعة: الحدة، والكبر، والبخل، والعداوة[١].

وقال له: اعلم أن الملوك الذين قبلك مضوا، والذين بعدك لم يصلوا؛ فاجتهد أن يكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم يحبونك.

وركب كسرى أنوشروان أيام الربيع، فسار في الرياض، فأعجبه فَخَرَّ ساجداً لربه وقال لصحبه: إن خضب السنين من عدل السلاطين وإحسانهم للرعية.

وفي الحديث: (العدل عز الدين)[٢].

فيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام، وكل الأعمال توزن بميزان العدل، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾[٣] يعني به العدل، وأحق الناس بالمملكة والجاه من كان في قلبه مكانٌ للعدل.

وقال معاوية[٤] للأحنف[٥]: كيف الزمان الآن ؟، قال: أنت الزمان يا أمير المؤمنين، إن صلحت صلح وإن فسدت فسد.

وقال: كما أن الدنيا عمرت بالعدل تخرب بالجور؛ لأن العدل يضيء نوره، وتلوح تباشيره عن مسيرة ألف فرسخ.

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبتقديم " العداوة " على " البخل ".

(٢) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، ولعل المراد ما تشير إليه الأحاديث الواردة في العدل.

(٣) سورة الرحمن"٧".

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ "معويه "، ومعاوية هو: الصحابي الجليل معاوية بن "أبى سفيان" صخر بن حرب بن أمية ، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحاً حليما وقورا. توفي رضي الله عنه سنة ٦٠ هـ. الأعلام للزركلي ٧/٢٦١ .

(٥) هو : الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري. واسمه الضحاك، وقيل: صخر، والأحنف لقب.أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قيل مات سنة "٦٧ هـ" ، وقيل: سنة "٧٢هـ".
انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ١/١٦٧ .

وقال الفضيل بن عياض[١] : لو كان دعائي مستجاباً لم أدعُ لغير السلطان العادل ؛ لأنه صلاح العباد وزينة البلاد.

وفي الحديث : " المقسطون على منابر اللؤلؤ يوم القيامة "[٢].

وليس شيء للملوك خير من العقل والعدل ، فإن[٣] بالعقل بقاء العز ودوامه ، وبالعدل بقاء السرور ونظامه ، ومن اجتمعا فيه اجتمع فيه اثنا عشر خصلة حميدة : الثقة ، والأدب ، والتقى ، والأمانة والصحة ، والحياء ، والرحمة ، وحسن الخلق ، والوفاء ، والصبر ، والمداراة ؛ وهذه من خواص آداب الملوك .

وقال أردشير[٤] : كل عزيز[٥] لا يَضَع قَدَمَه على بساط العلم كان عاقبته ذلاً ، وكل عدل ليس معه خوف الله تعالى وإن كان تاماً كان مصيره إلى الندم.

وقال عبد الله بن طاهر[٦] لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا ؛ وتدوم في بيتنا؟ قال : ما دام العدل والإنصاف مبسوطاً في هذا الإيوان.

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي ، أبو علي : شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصالحين. كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. "توفي سنة ١٨٧ هـ. انظر : الأعلام للزركلي ١٥٣/٥.

(٢) أخرجه ابن حبان حديث رقم "٤٤٨٤". قال شعيب الأرنؤوط " صحيح " انظر صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط ٣٣٦/١٠

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " فإن " .

(٤) يذكر في المخطوط بالراء والزاي وكلاهما واحد " قيل : في نسبه أردشير بن بابك بن ساسان ، وهو الذي ملك الفرس بعد ملك أردوان بن بهرام آخر ملوك الإشكانية ، على يديه رجعت ممالك الفرس ، وأسس مملكة قوية استمرت إلى يزدجرد الذي قُتل في أول خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٨٩/١ ، . وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٧٤/١ . و البداية والنهاية لابن كثير٢٣١/٢.

(٥) في (ل) و(ع) بلفظ : " عز " ، وفي التبر ص٣٢ : " كل عزيز " ، وما في التبر هو الأنسب.

(٦) هو : أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي بالولاء ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاه المأمون خراسان ، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ . الأعلام للزركلي ٩٣/٤ .

وكان رسم ملوك العجم أن يجلس يوم النوروز[١] والمهرجان، وعن يمينه موبذموبذان ـ وهو بلسانهم قاضي القضاة ـ وينادي المنادي: من ظُلِم؟، فإن شكى أحد من السلطان قام من مكانه وقعد بين يدي موبذ موبذان مع خصمه، وقال له: احكم، ولا تحابي؛ فإن الله ـ تعالى ـ إذا أهدى الحظوظ إلى عباده ولّى عليهم خيارهم، فيسمع الدعوى عليه، فإن ثبت الحق بحجةٍ أُخذ بتمامه فوراً، وإلا عُوقِب المدعي، ونودي عليه: هذا جزاء من يريد عيب الملوك والمملكة، فإذا فرغ الملك من الدعاوى وضع التاج على رأسه، وقال لخواصه: إنما أنصفت من نفسي؛ لئلا يطمع أحد في الجور على أحد، فكل من له منكم خصم، فليرضه، وإلا عوقب.

ولم يزل ملوكهم على هذا حتى ولي يزدجرد[٢] الأثيم، فظلم وأفسد، فجاء يوما فرس في غاية الحسن لم يُرَ مثله، فدخل من باب داره، واجتهد كل من حضر من عسكره أن يلزموه، فامتنع عليهم حتى وقف[٣] قرب يزدجرد، فوقف، فقال: تنحوا عنه، فإنه هدية من الله إليَّ؛ ونهض فمسح وجهه وأمد[٤] يده على ظهره، والفرس لا يتحرك، فانصرف يزدجرد نحو كَفَلِهِ[٥] ليضع مثل ذلك[٦]، فرفسه، فقتله، وفرَّ الفرس فلم يقدر أحد على إمساكه.

---

(١) هكذا في (ل) و(ع): وفي التبر ص ٣٤، "النيروز"، والأخير هو المشهور في الكتب.

(٢) يزد جرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي سلب منه الملك،. راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٢٩.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وصل " وهو الأصح لقوله بعدها فوقف.

(٤) هكذا في (ل) و(ع): بألف متقدمة.

(٥) قال ابن منظور: "الكَفَل بالتحريك: العجُز، وقيل: رِدْفُ العجُز " ١١/٥٨٨.

(٦) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: بدون بيان، وإليك النص الموضح من التبر المسبوك للغزالي: "والفَرس ساكن لا يتحرك، فاستدعى يزد جرد السرج، فأسرجه بيده، وجذب حزامه، وأوثقه، وانحرف نحو كفله ليضع التفر فيه، فرفسه الفرس على فؤاده رفسة محكمة، فخر ميتاً في الحال" انظر: التبر١/٣٤.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تأسفت على موت أربعة من الكفار: أنو شروان؛ لعدله، وحاتم الطائي؛ لكرمه، وامرئ القيس؛ لشعره، وأبي طالب؛ لبره)[١].

وقال حكيم لبعض الملوك[٢]: إنما فخرك بإظهار عدلك، وإيثار فضلك، لا بجمال بِزَّتك[٣]، وتمكن عزتك، وفراهة مركبك، وكثافة موكبك.

ويقال: الملك يبقى على العدل مع الكفر، ولا يبقى على الإيمان والجور، وإليه أشار بعضهم بقوله:

عليك بالعــدل إن وليـت مملكــة   واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا   يبقى مع الجور في بدو ولا حضر[٤]

ودخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما، فسلم فلم يرد، فذكر ذلك لعبد الرحمن بن عوف، وقال: أخاف أن قد وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلَّم عبد الرحمن أبا بكر في ذلك، فقال: إنه أتاني وبين يدي خصمان قد فرَّغت لهما سمعي وبصري وقلبي، وعلمت أن الله سائلي عنهما، وعما قالا، وعما قلت؛ فشغلني عن رد السلام.

---

(١) لم أقف عليه في كتب السنة.

(٢) من هذا الموضع وحتى قوله: "على الأيام إحسان وعدل" مما زادته (ل) على (ع) وهو في غالبه ملخص من كتاب غرر الخصائص للوطواط ١ / ١٧، والمستطر من فن مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي

(٣) في لسان العرب مادة "بزز": "البِزَّةُ: الهيئة".

(٤) عزا أحمد قبش هذه الأبيات إلى أبي الفتح البستي. انظر مجمع الحكم والأمثال ص١.

وأبو الفتح هو: علي بن محمد بن الحسين، شاعر عصره وكاتبه، كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة له "ديوان شعر، فيه بعض شعره وفي كتب بالأدب كثير من نظمه غير مدون. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: "زيادة المرء في دنياه نقصان" توفي سنة ٤٠٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/٣٢٦.

ويقال: حق على من ملّكه الله على بلاده، وحكمه في عباده، أن يكون لنفسه مالكا، وللهوى تاركا، وللغيظ كاظما، وللظلم هاضما، وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهرا، وللحق في السر والعلانية مؤثرا، وإذا كان كذلك؛ ألزم النفوس طاعته، والقلوب محبته، وأشرق بنور عدله زمانه، وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه ولقد صدق من قال:

يا أيها الملك الذي بصلاحه صلح الجميع
أنت الزمان فإن عدلت فكله أبدا ربيع

وكتب بعض الملوك إلى عامل له: إذا أنت لم تدع فرضا إلا أقمته، ولا مظلوما إلا نصرته، فقد حزت العدل بالطرفين، واستوجبت حسن المثوبة في الدارين.

ويقال: إذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد؛ لم يف عدله بجوره.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: مَلِك عادل، خير من مطر وابل.

وكان كسرى يقيم رجلين من موابذته عن يمنه وشماله؛ إذا أراد النظر في أمور الناس، فكان إذا زاغ حركّاه بقضيب معهما، وقالا له: أيها الملك أنت مخلوق لا خالق، وعبد لا مولى، وليس بينك وبين الله قرابة، أنصف الخلق وانظر لنفسك.

ويقال: إنه كتب ثلاث رقاع:

أحدها: أمسك غضبك فإنك لست بإله، وإنك ستموت ويأكل بعضك بعضا.

وفي الثانية: ارحم عبد الله يرحمك الله.

وفي الثالثة: احمل عباد الله على الحق فإنه لا يصلحهم[1] إلا ذلك، فإذا جلس للناس عامة لينظر في أمورهم؛ قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع؛ فإذا رآه غضب على أحد ناوله الرقعة الأولى، فإذا رآه تمادى في غضبه ناوله الثانية، فإذا لم ينته

(١) في (ل) بلفظ "يسهم" وجاءت هذه العبارة في المستطرف لأبي الفتح الأبشيهي ص٢٠٨ بلفظ: (وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك).

ناوله الثالثة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه في المواسم، فإذا اجتمعوا قال: يا أيها الناس إني لم استعمل عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من[١] أعراضكم، ولا من[٢] أموالكم شيئا إنما استعملتهم ليحجزوا بينكم، ويردوا[٣] عليكم فيئكم، فأيكم كانت له عندي مظلمة فليقم[٤].

وصف أعرابي أميرا عادلا فقال: هو عالم برعيته، عادل في أقضيته، عار من الكبر، قابل للعذر، سهل الحجاب، متحيز إلى الصواب، رفيق بالضعيف، مكرم للشريف، غير مجاف للقريب، ولا مخيف للغريب.

وكان شمس المعالي قابوس بن وشمكير[٥] عادلا في ملكه، لا يؤتى بمُفْسد إلا أقام الحق عليه، ولو أنه أقرب الناس إليه.

وقَّع جعفر بن يحيى[٦] إلى بعض عماله: أنصف من وُلِّيت أمره، وإلا أنصفه منك من وُلِّي أمرك.

---

(١) في (ل) بلفظ "في"، وفي غرر الخصائص ١/٤٩ بلفظ "من" وهو الأصح.

(٢) في (ل) بلفظ "في"، وفي غرر الخصائص ١/٤٩ بلفظ "من" وهو الأصح.

(٣) في (ل) بلفظ "يؤدوا"، وفي غرر الخصائص ١/٤٩ بلفظ "يردوا" وهو الأصح.

(٤) هذه الرواية عن عمر روها ابن شبة بسنده عن عطاء، انظر كتاب: تاريخ المدينة ٣/٨٠٦.

(٥) هو: قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلي، أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان، وليها سنة ٣٦٦ هـ وأخرجه منها عضد الدولة البويهي سنة ٣٧١ ثم استعادها قابوس سنة ٣٨٨ واشتد في معاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة، وهو مستعرب، نابغة في الأدب والإنشاء، جمعت رسائله في كتاب سمي: "كمال البلاغة" وله شعر جيد بالعربية والفارسية، توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٥/١٦٩.

(٦) هو: جفعر بن يحيى بن خالد البرمكي، أحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، استوزره هارون الرشيد، ملقيا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي؛ فانقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فقتله في مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة، وكانت لجعفر توقيعات جميلة توفي سنة ١٨٧ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٣٠.

ووقع أخوه الفضل[(١)] : بئس الزاد إلى المعاد التعدي على العباد .

ومن ظرائف اللطيف المسلوك في استدعاء عدل الملوك، ما يحكى: أن عمر بن عبد العزيز[(٢)] ركب يوما إلى الصلاة فلقيه رجل من أهل اليمن متظلما فقال:

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم فقد أتاكم غريب الدار مظلوما

فقال له: ما ظلامتك ؟ فقال: غصبني الوليد بن عبد الملك[(٣)] ضيعتي، فأمر بالكشف عن ذلك، فوجد كما قال الرجل، فخرجها من الديوان وردها عليه، وأعطاه كلفة نفقة الطريق .

وسأل عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة[(٤)] عن حال رعيته مع العمال، فقال: رأيت الظالم مقهورا، والمظلوم منصورا، والغني موفورا، والفقير مبرورا، فقال: الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتي .

وتعرَّض له متظلم في بعض الطرقات فوقف له وأزال شكايته، فقيل له: هلا صبرت حتى يستقر بك المنزل ! فقال: رأيت الخير سريع الذهاب، وخشيت أن أفوِّته

---

(١) هو: الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ قال ابن الأثير: كان الفضل من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله، توفي سنة ١٩٣هـ .
انظر الإعلام للزركلي ١٥١/٥ .

(٢) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل: له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ ، توفي سنة ١٠١ هـ . انظر الأعلام للزركلي ٥٠/٥ .

(٣) هو: الوليد بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية في الشام ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ وتوفي سنة ٩٦ هـ . انظر الأعلام للزركلي ١٢١/٨ .

(٤) في (ل) بلفظ: " رجاء بن حياة ". وهو: رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، شيخ أهل الشام في عصره. من الوعاظ الفصحاء العلماء، كان ملازما لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر وله معه أخبار، توفي سنة ١١٢ هـ انظر الأعلام للزركلي ١٧/٣ .

بنفسي، وإنما هي فرصة قدمت فيها العزم، واستصحبت الحزم.

ولقد أوضح السبيل للحكام ودلهم على تنفيذ الأحكام؛ من قال:

إذا كنت يوما حاكما بين خصمين ففكر واستدم
واضرب ألسنة بالفرض فإن وضح البرهان فاصدع واستقم

وقال شاعر يمدح متوليا اتصف بهذه الخلة؛ من الرؤساء والجلة:

لا تقدح الظنة في حكمه شيمته عدل وإنصاف
يمضي إذا لم تلقه شبهة وفي اعتراض الشك وقاف[1]

وقال آخر[2]:

لكل ولاية لابد عزل وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال على الأيام إحسان وعدل

فصل

قال أرسطو للإسكندر[3]: اعلم أن العدل من صفات الباري تقدس، والملك خليفته على خلقه، فيجب أن يتشبه في جميع أحواله به.

والعدل صورة العقل الذي وضعه[4] الله في أحب خلقه إليه، وبه عمرت

---

(١) هذه الأبيات لأبان بن عبد الحميد اللاحقي في سوار بن عبد الله القاضي. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ٤٧٦١.

(٢) لم أقف في الموسوعات التي ذكرته على قائله.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فقد سقط لفظ: "أرسطو" من المتن واستدرك في الحاشية اليسرى. هذا ولعل المناوي ينقل هذا الفصل عن أرسطو في كتاب سر الأسرار، وإن كانت النسخة التي بيدي قد خلا منها هذا الموضوع فلم أجد فيها مقالة العدل، وهي إحدى المقالات العشرة التي ضمها الكتاب، ولعله نقله من نسخة أخرى تحتوي هذه المقالة.

(٤) في (ل) و (ع) بلفظ: " وصفه " وما أثبته هو الأوفق بالسياق ولعله من تصحيفات النساخ.

الأرض، وقامت الممالك، وانطاع العباد، وبه أُنِّس المستوحش، وقَرُب المتباعد، وسَلِمت النفوس من كل دغل، وغش، وحقد، وفساد، وإفساد، ولذلك قالوا:

عدل السلطان أنفع للرعية من خصب البلدان.

وسلطان عادل خير من مطر وابل.

والعدل والملك أخوان لا غناء لأحدهما عن الآخر.

وهو قسمان: ظاهر وباطن. فالظاهر: ما ظهر من أفعال الصانع على شرائط: هي السواء في الوزن والكيل، وهو مشتق منها.

والباطن: الانقياد لحكم الصانع، في[1] إتقان مصنوعاته، وتحقيق مقولاته.

والعدل: اسم معناه الإنصاف، ورفع الجور، وصحة الوزن، وتسوية الكيل، وهو اسم جامع لخلال المروءة وخصال الكرم وفعل الجميل.

والعدل أقسام:

- فعدل[2] يجب به الحكم عند الحاكم.

- وعدل يلزم المرء في محاسبته نفسه فيما بينه وبين الله تعالى[3]، ثم العدل فيما بينه وبين الناس على قدر الحالات ومنازل المعاملات.

قال أرسطو للإسكندر: أمثل لك صورةَ كُرْتَةٍ[4] حُكْمِيَّة فلسفية سياسية[5] تنبئك عما في العالم بأسره تحتوي على سياسة العالم[6]، وتشتمل على طبقاتهم،

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "وفي"، بزيادة "واو" قبل حرف الجر.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "عدل"، دون "فاء".

(٣) هكذا في (ل) أما (ع) فسقط منها لفظ: "تعالى".

(٤) هكذا في (ل) و (ع): ولعل المراد بها صورة منقوشة على "كُرْتة"- وهى كلمة غير عربية، عربت إلى قرطه وهي القباء. انظر: لسان العرب، مادة "قرطق"، وما بعدها صفات لها.

(٥) هكذا في حاشية (ع) وفي متنها "موسية"، فقد صححها في الهامش الأيسر إلى "سياسة"، وأشار إليها بعلامة التصحيح، وفي (ل) بلفظ "موسوية".

(٦) لعل المراد بالعالم الخلق، وفي لسان العرب: "وقيل: جمع العالَم الخَلقِ العَوالِم وفي التنزيل (الحمد =

وكيفية وصول[١] الواجب من العدل إلى كل صنف، وقسمتها قسمة دورية فلكية، لكل قسم منها طبيعة، ابدأ بأي قسم شئت توالى[٢] لك ما بعده كتوالي دور الفلك، ولما كانت البداية كلها أسفلها وأعلاها وقعاً على العالم، بدأت في هذه النصبة[٣] بالعالم، وهذه الصورة هي زبدة الكتاب، ولو لم أذكر غيرها كَفتْ، فتدبرها بنظر صادق يسهل لك القياد، وتتمكن من المراد وهي هذه:

العالم بستان سياجه[٤] الدولة	**الدولة سلطـان تحيا به[٥] السنة**
السنة سياسـة يسوسها الملك	**الملك راع يعضـــده الجيش**
الجيش أعـوان يكنفهـم المال	**المال رزق تجمعه[٦] الرعـية**
الرعية عبيد يستعبدهم العدل	**العدل مألوف به صلاح العالم[٧]**

=لله ربِّ العالمين). قال ابن عباس: رَبِّ الجن والإنس " ٤١٦/١٢، أما تدبير الأكوان، فهي للباري سبحانه جل وعلا.

(١) في (ل)و(ع): " أصول ".

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " يتوالى ".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "نصب ".

(٤) هكذا في (ل) وفي وفي مقدمة ابن خلدون ٣٩/١، أما في (ع) فبلفظ: " سياحة ".

(٥) في (ل) بلفظ " محجته"، وفي (ع) بلفظ: " مجبته "، وفي مقدمة ابن خلدون ٣٩/١ " تحيا به "، وما في المقدمة هو الأنسب.

(٦) في (ل) و(ع): " يجمعه "، وفي مقدمة ابن خلدون ٣٩/١ " تجمعه "، وما في المقدمة هو الأنسب.

(٧) قال ابن خلدون في المقدمة ٣٩/١: "وفي الكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه، إلا أنه غير مستوفى، ولا معطى حقه من البراهين، ومختلط بغيره، وقد أشار في ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التي نقلناها عن الموبذان وأنو شروان، وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها هو قوله: العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تحيا به السنة، السنة سياسة يسوسها الملك، الملك نظام يعضده الجند، الجند أعوان يكفلهم المال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عبيد يكنفهم العدل، العدل مألوف وبه قوام العالم، العالم بستان ثم ترجع إلى أول الكلام".

تمت أثبتوها؛ لئلاً تشكل على قارئها [١].

خاتمة

قال أرسطو للإسكندر: احسم أيها الملك علل الناس كلهم برفع الظلم، ولا تحوجهم إلى القول، فإن الرعية إذا قَدرت أن تقول قَدِرت أن تفعل؛ فاجتهد أن لا تقول[٢] تسلم من أن تفعل[٣].

(١) راجع بدائع السلك في طبائع الملك لأبى عبد الله محمد بن على بن الأزرق الأندلسي "المتوفى: ٨٩٦هـ ٤١/١

(٢) أي الرعية.

(٣) راجع سراج الملوك لأبى بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي "المتوفى٥٢٠هـ ٩٦/١.



الباب السابع

فيما يجب على السلطان أو نائبه على الرعية

اعلم[(١)] أن الله تعالى اختار من بني آدم فرقتين ، وفضَّلهما[(٢)] على خلقه :

الأولى : الأنبياء ؛ ليبيِّنوا للناس أمر دينهم ، وما ينجيهم في الآخرة.

الثانية : الملوك ؛ ليحفظوهم من اعتداء بعضهم على بعض ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[(٣)].

وحسبك في شرف الملوك أنه تعالى عز سلطانه قرن ذكرهم بذكر الأنبياء، فقال: ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾[(٤)].

فَمَلَّكهم أزمة الإبرام والنقض[(١)]، وربط مصالح خلقه بحكمته وأحلهم أشرف محل بقدرته، فقد جاء في الأخبار أن السلطان ظل الله في أرضه.

---

(١) المناوي في هذا الفصل يتخير من بين العبارات الواردة في التبر، ويبسطها، ويتوسع في تحقيق معانيها سواء أكانت من كلام الغزالي أم جاءت في ثنايا ما يورده من عظات .

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " وفضلها " .

(٣) سورة البقرة "٢٥١".

(٤) سورة المائدة "٢٠"

قال صلى الله عليه وسلم: (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف، وبه[١] يستنصر المظلوم). رواه ابن النجار[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، يرفع له عمل سبعين صِدّيقاً كلهم عابد مجتهد) رواه الأصبهاني[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)[٤]، وذكر منهم الإمام العادل).

وقال صلى الله عليه وسلم: (من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة) رواه ابن النجار[٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: (السلطان ظل الله في الأرض، فمن غشه ضل، ومن نصحه اهتدى). رواه البيهقي[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: (السلطان ظل الله في الأرض، فإذا دخل أحدكم بلداً ليس فيها سلطان، فلا يقيمن به[٧]) رواه أبو الشيخ[٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: (السلطان ظل الرحمن في الأرض يأوي إليه كل

= الشيء ونقيضه

(١) هكذا في (ل) وكذلك في ذيل تاريخ بغداد، وسقط لفظ "به" من (ع).

(٢) سبق تخريجه ص١١١.

(٣) سبق تخريجه ص ١١١.

(٤) سبق تخريجه ص١١١.

(٥) سبق تخريجه ص١١١.

(٦) سبق تخريجه ص١١٢.

(٧) هكذا في الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم "٤٨١٩" وفي (ل) بلفظ: "بها" وفي (ع) بلفظ "فيها"

(٨) أورده السيوطي في "الجامع" حديث رقم "٤٨١٩" من رواية أبي الشيخ عن أنس.
وسبق تخريجه ص١١٢

مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، وإن جار، وخان، وظلم كان عليه الإصر، وعلى الرعية الصبر) . رواه الديلمي[١].

وقال صلى الله عليه وسلم : (السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه : أكرمه الله، ومن أهانه : أهانه الله) . رواه الطبراني [٢].

وقال صلى الله عليه وسلم : (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، وإن جار، أو خان، أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر، فإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة؛ هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا؛ ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت الذمة؛ أديل[٣] الكفار) رواه البزار[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان ، فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض) . رواه البيهقي [٥].

وقال صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، والأخ يدعو لأخيه بظهر الغيب). رواه الإمام أحمد وغيره[٦].

والمراد بالإمام ـ هنا وفيما يأتي ـ السلطان.

وقال صلى الله عليه وسلم : (أربعة دعوتهم مستجابة : الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجل يدعو لوالديه) . رواه أبو نعيم[٧].

---

(١) سبق تخريجه ص١١٢.

(٢) هكذا في (ع) وسقط هذا الحديث من (ل) والحديث سبق تخريجه ص١١٣ .

(٣) هكذا في (ع) وهو موافق لما في مسند البزار حديث رقم "٥٣٨٣" ، أما في (ل) فبلفظ " أدبل".

(٤) سبق تخريجه ١١٣.

(٥) سبق تخريجه ص١١٣ .

(٦) سبق تخريجه ص١١٤ .

(٧) سبق تخريجه ص١١٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يرد[١] دعاؤهم: الذاكر الله كثيراً، والمظلوم، والإمام المقسط) رواه البزار.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بيّن النفاق : ذو الشيبة في الإسلام وذو العلم، والإمام المقسط) رواه البيهقي[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: التاجر الأمين ، والإمام المقتصد ، وراعي الشمس بالنهار) . رواه الديلمي[٣]

وقال صلى الله عليه وسلم: (سيليكم أمراء يفسدون، وما يصلح الله بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة الله، فله الأجر، وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية الله ، فعليه الوزر، وعليكم الصبر) رواه الطبراني[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (أيما وال ولي على قوم فَلاَنَ لهم، ورفق بهم رفق الله تعالى به يوم القيامة) رواه ابن أبي الدنيا.[٥]

ورُوي عنه: (والذي نفس محمد بيده إنه ليرفع للسلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية، وصلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة) [٦]. كذا أورده الغزالي[٧] .

وإذا علمت ذلك، فمن أعطاه الله تعالى درجة الملوك، وجعله ظله في الأرض ؛

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (عل فلفظ " لا يرد الله دعائهم "، وما في (ع) هو الموافق لما في مسند البزار، حديث رقم "٨٧٥١" .

(٢) سبق تخريجه ص١١٥ .

(٣) سبق تخريجه ص١١٥ .

(٤) سبق تخريجه ص١١٦.

(٥) سبق تخريجه ص١١٨.

(٦) أورده الغزالي في التبر ٣/١ ، ولم أقف عليه في كتب السنن.

(٧) يلحظ أن هذه الأحاديث سبق أن أوردها المؤلف في باب العدل وأغلبها ضعيف.

وجب على الخلق محبته وطاعته، والانقياد له ومتابعته[١]، وحرم عليهم الخروج عليه وإن جار على مذهب أهل الحق، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[٢]، فَقَرَن طاعة ولاة الأمور بطاعة الله ورسوله.

وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: " اسمعوا، وأطيعوا، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة "[٣]. رواه البخاري[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم[٥]: (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك وأَثَرة عليك)[٦]. رواه مسلم وغيره.

فعلى كل من أتاه الله الدين، وجعله من المسلمين أن يحب الملوك والسلاطين، ويدعو لهم، ويطيعهم، وينصحهم؛ لقول المصطفى صلي الله عليه وسلم: " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين "[٧]، وذلك بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق الحق والخلق، والصلاة خلفهم، وجهاد الكفار معهم، وأداء الزكاة إليهم، وترك الخروج عليهم إذا ظهر منهم حيف، أو جور، أو سوء سيرة، وتنبيههم عند السهو، وجمع الكلمة[٨] عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، وكفهم عن الظلم بالتي هي أحسن، وعدم

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " ومتابعته والانقياد له " وما في (ع) أوفق للسجعة.

(٢) سورة النساء "٥٩".

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبياض في موضع البخاري، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٦٩٣".

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) ففراغ في هذا الموضع.

(٥) هكذا في (ع) وأما (ل) فسقطت منها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم "٤٨٦٠".

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم "٢٠٥".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " عند الشهور جمع الكلة "

تغريرهم بالثناء عليهم[١]، والدعاء بصلاح حالهم، وإحسان الظن بهم وغير ذلك.

وعلى كل عاقل أن يعلم أنه ـ تعالى ـ يعطي السلطنة والمملكة لمن يريد، وأنه يؤتي ملكه من يشاء قال تعالى[٢]: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ ﴾[٣]، فعلى العبد الانقياد والتسليم لحكم الخبير العليم.

واعلم أن قيام نظام العالم السفلي بأربعة أشياء: الدين، والملك، والناس، والمال[٤]، ولا يستغني بعضها عن بعض، ومُثِّل ذلك بالفسطاط: فهيئته هي الدين، وعموده السلطان، وأطنابه الناس، وأوتاده المال، كما قال الشاعر[٥]:

لا يصلُحُ الناس فوضى[٦] لا سراةَ لهم ولا سراةَ إذا جُهَّالهُم سادُوا

والبيت لا ينبني إلا له عُمد ولا عماد إذا لم تلف أوتاد[٧]

وإن تجمع أوتاد وأعمدة يوما[٨] بلغوا الأمر الذي كادوا

ومما يتعين على الناس ـ سيما الرعية ـ أن الواحد منهم لا ينبسط إلى السلطان، بل يخاطبه بالتوقير والمهابة والإعظام، فمن انبسط على الملوكُ فقد ظلم نفسه وتعرض للتلف، ولو كان

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " عليه "

(٢) هكذا في (ع) ومسقط من (ل) قوله: " قال تعالى " .

(٣) سورة آل عمران "٢٦" .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبتقديم المال على الناس .

(٥) هذه الأبيات من كلام صُلاءة بن عمرو ـ المعروف بـ "الأفوه الأودي " انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه ١/١ .

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " قوضا "، وفي العقد الفريد ١/١ " فوضى "، والأنسب ما في (ل) والعقد الفريد .

(٧) هكذا في (ع) وسقط من (ل) عجز هذا البيت وصدر الذي يليه .

(٨) في (ل) بلفظ : "ساكن " وفي (ع) بلفظ : " مساكن "، وفي العقد الفريد ١/١ "يوما" ، والأنسب ما في العقد الفريد .

أعظم خواص السلطان بل[١] أو ولده ، فالانبساط[٢] عليهم محذور كبير.

ومثل من انبسط على السلطان كمثل الحواء[٣] الذي يكون دهره مع الحيات يأكل معها، ويقوم ويقعد وينام معها، أو كرجل يكون بين التماسيح التي تبتلع الآدميُ، فلا يزال[٤] مخاطرا بروحه. ولهذا قال بعض[٥] الحكماء ليس للسلطان صديق، ولا قريب، ولا خادم، ولا ولد، وقال الشاعر :

لو أنك[٦] للسلطان نجل فداره[٧] وخَفْ منه إن أحببتَ رأسَك سالما

ولا احترام منه[٨] لأحد إلا إن[٩] كان محتاجًا إليه ؛ لشجاعة[١٠] أو رأي أو علم أو غير ذلك ، فإذا أخذ حاجته منه ، لم تبق له عنده مودة ولا صداقة ، ولم يكن له عنده[١١] وفاء.

والملك يستصغر كبار ذنوبه، ويستعظم صغار ذنوب غيره، ولذلك قال سفيان

---

(١) هكذا في (ل) وسقط من (ع) لفظ : "ل".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فإبدال الفاء من "فالانبساط" واوً .

(٣) هكذا في (ل) وسقط من (ع) لفظ : "الحواء".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " فلاي " .

(٥) هكذا في (ع) وسقط من (ل) لفظ : "بعض" .

(٦) في (ل) و (ع) بلفظ : " لو أنك " ، وفي التبر ص ٢٨ : " إن كنت " .

(٧) أي استخدم معه المداراة . قال ابن منظور : "والمُدَارَاةُ في حُسْن الخُلُق والمُعاشَرةِ مع الناس يكونُ مهموزاً وغير مهموز ، فمن همزه كان معناه الاتِّقاءَ لشَرِّه ، ومن لم يهمزه جعله من دَرَيْت الظَّبْي أي احتَلْت له وخَتَلْته حتى أَصِيدَه " . لسان العرب ، مادة " درا " .

(٨) في (ل) و(ع) : دون " منه " .

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " من " .

(١٠) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " كشجاعة " .

(١١) هكذا في(ل) وأما في عين فبلفظ : " ولا صداقة ولا وفاء" .

الثوري[١]: لا تصحب السلطان، وإياك وخدمته، وإياك والقرب منه، فإنك إن كنت مطيعاً أتعبك، وإن خالفته قتلك[٢].

ولا ينبغي لأحد أن يدخل على الملك بلا حاجة.

حُكِي أن يزدجرد دخل على والده في وقت لم يعتد الدخول عليه فيه، فقال أبوه لسلحداره[٣]: اضرب الحاجب الفلاني ثلاثين خشبة، واطرده، وأقم غيرَه مقامه، ففعل، وكان عُمْر يزد جرد إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، ثم جاء يوماً، وأراد الدخول على أبيه، فرده الحاجب، وقال: إن عدت، ورأيتك[٤] ـ هنا ـ ضربتك[٥]؛ فقبل[٦].

قال أرسطو: إنما السلطان كالغيث الذي هو بركة سماء الله وحياة أرضه، وقد تتأذى[٧] به السفن، ويتداعى به البنيان، وتنزل[٨] الصواعق، ويدِّر السيل، فتهلك به الخلق، وتموج به البحار فيشتد البلاء على أهلها، فلا يمنع الناس ذلك إذا تأملوا آثار رحمة الله التي أحيا بها النبات، وأخرج بها الثمرات أن يشكروا نعمة الله عليهم.

---

(١) سفيان الثوري هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير كلاهما في الحديث، وكتاب في الفرائض، وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته. توفي سنة ١٦١هـ. الأعلام للزركلي ١٠٥/٣.

(٢) انظر: التبر ص٢٩

(٣) السلحدار: هو الذي يحمل السلاح. انظر: معيد النعم ص ٣٤.

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ: " رأيتك " دون واو قبلها، وفي التبر ص٢٩ بإثباتها.

(٥) كمال العبارة كما في التبر ص ٢٩: "فعاد يزد جرد في بعض الأيام، وأراد أن يدخل على والده شهريار فجعل الحاجب يده في صدره، ورده على عقبه، وقال: إن عدت، ورأيتك ههنا ضربتك ستين خشبة ثلاثين لأجل الحاجب المعزول، وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملك في غير وقت الإذن".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فصل".

(٧) في (ل) بلفظ "تتأذى" وأما في "ع" فبلفظ: "تتأدى".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وينزل".

وإنما السلطان كالريح التي ينشرها الله بين يدي رحمته، فيجعلها لقاحاً للثمار وأرواحاً للعباد؛ وقد[١] تضر كثيراً براً وبحراً؛ فلذلك قال المصطفى(عليه الصلاة والسلام): " لا تسبوا السلطان؛ فإنه فيء الله في أرضه "[٢].

ولما قدم الخليفة المنصور[٣] المدينة حاجاً قال لحاجبه الربيع: أريد الاجتماع بالزهري[٤] أو ابن المسيب[٥]، فذهب إليه وقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ قال: أجبه، فلولا السلطان لذبحك أعداء الدين في صدر بيتك.

خاتمة

يجب على من كان مقبول القول عند ولي الأمر أن ينصحه، وينتهي إليه ما يتضح له، ويتحققه من حال الرعية، ويساعد عنده على الحق بما يمكنه، ولا يكن حظه الاقتصار على حطام يجمعه لنفسه، ودنيا يضمها إليه، فإنه سبب زواله عنه.

وما أحمق من كانت له كلمة نافذة عند ولي الأمر، فوجد مظلوما يستغيث،

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "قد".

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم "٦٩٨٧"، وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم "٢٢٦٤".

(٣) المنصور هو: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء. توفي سنة ١٥٨هـ. الأعلام للزركلي ٤/١١٧.

(٤) الزهري هو: أحمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. توفي سنة١٢٤ه. الأعلام للزركلي ٧/٩٧.

(٥) لعله شك من راوي القصة في أي العالمين ذكر بدليل قوله بعده: " فذهب إليه ".

وابن المسيب هو: التابعي الجليل سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي. كان رجلا صالحا فقيها. توفي ٩٤ هـ. تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٧٦.

فشكر[١] الله أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر، وترك المظلوم يتخبطه الظلم، وهو قادر على نصره، فذلك الذي صلاته وبال عليه؛ كما قال الفقهاء فيمن يصلي، فوجد غريقاً يمكنه إنقاذه يقطع[٢] صلاته وينقذه، فهذان سيان[٣].

وزوَّر بعض كتاب الإنشاء علامة على مرسوم بمبلغ صرف له من الخزينة، فتأمل القاضي الفاضل[٤] العلامة ،وسأل السلطان كتابة علامة أخرى بجانبها[٥] ليميز بينها، فكتب، فقال: يا مولانا إن كانت[٦] الأولى مزورة، فهذه العلامة وضعت بحق فأرى أن يعفى عنه، ويعطى المكتوب له لتخلد هذه الحسنة[٧] في صحائف السلطان وتذكر في سيرته على مر الدهور والعصور والأزمان[٨].

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ : " شكر " ، وفي معيد النعم ص ١٦ "فشكر" .

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " بقطع " بمفردة تحتية بدل المثناة التحتية .

(٣) هذه الموعظة منقولة عن معيد النعم ص١٦ .

(٤) القاضي الفاضل هو: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزير من أئمة الكتاب. . كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحدا كان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، قيل: لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد، وهو مجيد في أكثرها. وقد بقي من رسائله مجموعات، منها: ترسل القاضي الفاضل، ورسائل إنشاء القاضي الفاضل توفي سنة ٥٩٦هـ . الأعلام للزركلي ٣٤٦/٣.

(٥) أي توقيع آخر ليميز بين التوقيعين.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " كاتب " .

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " ليخلد الحسنة " .

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " ويذكر على مر الدهور والعصور في سيرته "



الباب الثامن

فيما يجب على السلطان ونائبه للرعية[1]

يجب على من قُلِّد ولاية عامة للرعية أمور من أهمها وأعظمها :

١ -معاملتهم بالعدل والإنصاف، والرفق والإسعاف، ولجلالة العدل أفرد بباب.[2]

٢ -ومنها[3] : أن يزرع في قلوبهم بِذَر الإحسان المأمور به في القرآن .

فكل إنسان يُذكر بما كان[4] يفعله ، ويُنسب إليه ما كان يعمله ؛ إن خيراً، فخير، وإن شراً ، فشر.[5]

---

(١) يتخير المناوي في هذا الباب من كلام الغزالي في التبر من مواضع مختلفة.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : "أفرد له باب " . وفي (ل) و (ع) ذكر بعد ذلك بعد كلمة " باب " جملة هي : " يأتي إن شاء الله " ، ولعله كتب هذه الكلمة في مسودة الكتاب قبل تبييضه ثم لم يحذفها ؛ لأنه سبق ذكر باب العدل ، وتفصيل أحواله وفضائله في الباب السادس.

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " ويندب " وما في (ع) أصح لأن هذا من واجبات الإمام وليست من المندوبات.

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ " كان " من (ل).

(٥) هذه العبارة في التبر ص١٦ .

٣ -ومنها[١]: أن يتواضع لهم في غير منقصة، ويرحم أهل الذل[٢] والمسكنة. والوالي يكون غالباً متكبراً، ومن التكبر ينجرد[٣] الطبع الداعي إلى الانتقام، والغضب غول[٤] العقل وآفته، فينبغي للملك أن يميل إلى العفو، ويتعود الكرم، ويتخلق بالصبر، فإن من أسمائه تعالى "الصبور"، وهو - سبحانه تقدس[٥] وتعالى - يحب من تخلق بشيء من صفاته، وإنما[٦] أَعْلَمَنا بأسمائه للتخلق بها[٧]، فإذا صار ذلك عادة للملك، فقد سلك طريق الأنبياء، وانتهج مناهج الأولياء.

---

(١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " ويندب " وما في (ع) أصح لأن هذا من واجبات الإمام وليست من المندوبات.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " الذمة ".

(٣) في (ل): "يتجرد" وفي (ع) بلفظ: " ينجرد "، فهل هي من الجَرْد لقولهم: " الجَرْدُ مخفف: أَخذُك الشيءَ عن الشيءِ"، أم هي تحريف " ينحدر "، والأول أقرب، ففي التبر ص ٧: "ومن التكبر يحدث عليه السخط الداعية إلى الانتقام، والغضب غول العقل وعدوه وآفته ".

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " عدو " و في التبر ص٧: "والغضب غول العقل وعدوه وآفته ".

(٥) في (ل) و (ع): " وتقدس " بواو قبلها.

(٦) هكذا في (ع) وسقطت "الواو" من (ل).

(٧) قال الشيخ ابن باز عن هذه الجملة: "هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله كالخلاّق والرّزاق والإله ونحو ذلك، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الأسماء، وإنما المقصود الصفات التي يحب الله من عباده أن يتصفوا بمقتضاها، كالعلم والقوة في الحق، والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو، وأشباه ذلك، فهو ـ سبحانه ـ عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء عفو يحب العفو، إلخ.لكن الذي لله ـ سبحانه ـ من هذه الصفات وغيرها أكمل وأعظم من الذي للمخلوق، بل لا مقارنة بينهما؛ لأنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء في صفاته وأفعاله، كما أنه لا مثيل له في ذاته. وإنما حسب المخلوق أن يكون=

٤ -ومنها[١] : أن يجتنب الغضب. ففي الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم : (إذا استشاط[٢] السلطان ؛ تسلط الشيطان)[٣] أي تغلب عليه ، فأغراه بالإيقاع بمن يغضب عليه حتى يوقع به ، فيهلك.

فليحذر السلطان من تسلط عدوه عليه ، وليرد غضبه ما استطاع ، ويتيقظ لكيد الخبيث فإنه له بالمرصاد ، وإذا جعل السلطان إمضاء الغضب عادة له ، فقد صار كالسباع الضارية ، والبهائم الرذلة ، والوحوش المستنفرة.

وقد[٤] روى أحمد[٥] عن جارية بن قدامة[٦] أنه قال للمصطفى صلى الله عليه

=له نصيب من معاني هذه الصفات ، يليق به ويناسبه على الحد الشرعي ، فلو تجاوز في الكرم الحد صار مسرفا ، ولو تجاوز في الرحمة الحد عطل الحدود والتعزيرات الشرعية ، وهكذا لو زاد في العفو على الحد الشرعي وضعه في غير موضعه ، وهذه الأمثلة تدل على سواها. انظر : فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ١/ ١٣٣ . وانظر : عدة الصابرين لابن القيم ص٣١٠

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "يندب " ويقال فيها ما قيل في سابقتيها .

(٢) هكذا في (ع) وعند أحمد في المسند حديث رقم " ١٨٠١٣" . وأما في (ل) فبلفظ " إذا استشاط غضب السلطان " ولم أقف عليه بهذا اللفظ في كتب السنن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم " ١٨٠١٣" ، وضعفه الألباني . انظر : السلسلة الضعيفة حديث رقم "٥٨١" .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : فقد" .

(٥) أحمد هو : أحمد محمد بن حنبل ، أبو عبد الله ، الشيباني الوائلي : إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة.من مصنفاته المسند ، والرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن. توفي سنة ٢٤١هـ . الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٣ .

(٦) في (ل) بلفظ : " عن حادثة بن قدامة " وفي (ع) بلفظ : " عن حارثة عن ابن قدامة " ، وهو تصحيف لاسم الصحابي الجليل " جارية بن قدامة " ، والحديث عنه مروي عند أحمد في المسند من طريق الأحنف بن قيس عن عم يقال له : جارية بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : " يا رسول الله قل لي قولا ينفعني ، وأقلل على لعلي أعيه . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تغضب ، فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول: لا تغضب " . قال شعيب=

وسلم: (يا رسول الله، أوصني، قال: لا تغضب، فرد عليه مراراً ، وهو يقول : لا تغضب) .

قال جارية[١] : ففكرت ، فإذا الغضب يجمع[٢] الشر كله .

فعلى[٣] السلطان وغيره مجاهدة النفس في ترك تنفيذ الغضب والعمل بما يأمر به، فإنه إذا ملك الإنسان صار[٤] في أسره ، وتحت قهره، ومن ثم قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾[٥]، فمن لم يمتثل ما يأمره به غضبه ، وجاهد نفسه اندفع عنه شر غضبه ، وربما سكن حالاً ، أو عن قرب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[٦].

ومَنْ غضب، فإنه في الحقيقة إنما يغضب على ربه، ولهذا قال بعض سلفنا الصوفية: الغضب نسيان العبودية؛ لأن صفة العبد الذلة والانكسار والصغار والاضطرار، وإن كان عالي المقدار، ومن يكن[٧] هذا حاله كيف يليق به الغضب.

وكفى الغضوب عقوبة في الدنيا الاحتراق بنار نفسه، وفي الآخرة إبطال حسناته

=الأرنؤوط إسناده= =صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه جارية بن قدامة . انظر : مسند أحمد حديث رقم"٢٠٣٧٢" .أما رواية البخاري له، فليست من طريق جارية بن قدامة رضي الله عنه، وإنما من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه . انظر: البخاري حديث رقم "٦١١٦" .

(١) جارية بن قدامة هو: الصحابي الجليل جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن التميمي السعدي يقال له: عم الأحنف. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة ٢٦/٧ .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) بلفظ : "مجمع" .

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : "وعلى" وما في "ع" هو الأقرب.

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ "صار" من (ل) .

(٥) سورة الأعراف "١٥٤" .

(٦) سورة الشورى "٣٧" .

(٧) هكذا في (ع) وسقط لفظ "كان" من (ل)

أما سمعت قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (لا تغضب ؛ فإن الغضب مفسدة)[١] أي مفسدة للباطن بتغير اللون ، ورِعْدة الأطراف ، والخروج عن حيز الاعتدال ، وقبح الصورة ، وبشاعة الهيكل ، وللباطن[٢] ديناً ودنيا ؛ من إضمار الحقد وإطلاق اللسان بالسب والشتم والفحش ، واليد[٣] بنحو قتل وضرب ، إلى غير ذلك مما يفسد القلب ، ويغضب الرب.

هذا إن تمكن من الإيقاع بالمغضوب عليه ، وإلا رجع[٤] غضبه على نفسه ؛ فمزق ثوبه ، ولطم خده ، وقد يرمي بنفسه إلى الأرض ، وربما قويت عليه نار الغضب فأطفأت بعض حرارته الغريزية ، وناهيك بقول المصطفى (عليه السلام) : " لا تغضب ، ولك الجنة"[٥].

وبقوله أيضاً : " من كف غضبه ستر الله عورته في الدنيا "[٦] ، فعاجل ثوابه أن يتسر عورته في الدنيا[٧] ومن ستره فيها لا يهتكه في الآخرة ، ولا يعذبه بنارها ، لأن من[٨] وراء الستر الرضا ، والنار إنما تسعرت[٩] لغضبه ، فإذا كف العبد غضبه ، كف

(١) قال السيوطي : " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب عن رجل". انظر : الجامع الصغير حديث رقم "٩٨٣٦" . ضعفه الألباني ، انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم : "١٤٣٩٨" .

(٢) أي ومفسدة للباطن .

(٣) أي وإطلاق اليد بنحو ...

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ : " والأرجح" .

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم "١٧٦٢" ، وقال الألباني : "رواه الطبراني بإسنادين : أحدهما صحيح " . انظر : صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم"٢٧٤٩" .

(٦) أخرجه ابن أبى الدنيا في قضاء الحوائج حديث رقم "٣٦" .وضعفه الألباني ، انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم : "١٢٥٩٦" .

(٧) هكذا في : (ل) وسقطت عبارة : " فعاجل ثوابه أن يتسر عورته في الدنيا " من (ع) .

(٨) هكذا في : (ل) وسقط لفظ : " من " من (ع) .

(٩) هكذا في : (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " سعرت" .

الله عنه غضبه .

وبذلك تبين أنه يترتب على التحرز من الغضب حصول الخير الدنيوي والأخروي.

وبالتحرز عن الغضب تندفع[١] أكثر الشرور عن الإنسان ؛ فإنه في مدة حياته بين لذة وألم، فاللذة سببها ثوران الشهوة لنحو أكل وشرب أو جماع، والألم سببه ثوران الغضب؛ ثم كلٌ من اللذة والغضب قد يباح تناوله ، أو دفعه كنكاح الحليلة، ودفع الصائل، وقد يحرم كالزنا والقتل، فالشر إما عن شهوة كالزنا ، أو عن غضب كالقتل، فهما أصل الشرور ومبدؤها، فَبتجنب الغضب يندفع نصف الشر بهذا الاعتبار وأكثره في الحقيقة، فإن الغضب يتولد عنه القذف والهجو والحقد والحسد والحلف الموجب للحنث أو الندم، بل والقتل، بل والكفر كما كفر جَبلة بن الأيهم[٢] حين غضب من لطمة أُخذت منه قصاصًا.

ويندب للإنسان ـ لاسيما السلطان ـ إذا غضب أن[٣] يسكت كما جاء في الخبر

---

(١) هكذا في: (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " يندفع".

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ " الأيهم" من (ل) ، وجبلة هو : جبلة بن الأيهم بن حبلة بن الحارث، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: "كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية، ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب، فبينما هو في سوق دمشق إذ وطيء رجلاً من مزينة، فوثب المزني فلطمه، فأخذه ، وانطلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم جبلة، قال: فليلطمه، قالوا: وما يقتل؟ قال: لا ، قالوا: فما تقطع يده؟ قال: لا ، إنما أمر الله، تبارك وتعالى، بالقود، قال جبلة: أو ترون أني جاعل وجهي نداً لوجه جدي جاء من عمق! بئس الدين هذا! ثم ارتد نصرانياً ، وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم " . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "أن" من (ل) .

عن سيد البشر[١] صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك لأن الانفعال ما دام موجوداً ، فنار[٢] الغضب تتأجج وتتزايد ، فإذا سكت الغضبان أخذت في الهدوء والخمود.

ويندب أن يضم[٣] إلى ذلك الوضوء ، فليس شيء يطفئ نار الغضب كالوضوء.

ويندب أن يتعوذ بالله من الشيطان ؛ فإن ذلك يسكن الغضب ، هكذا[٤] ورد في الخبر عن سيد البشر[٥] صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الغضب أصله من إغوائه ووسوسته والاستعاذة بالله من أقوى أسلحة[٦] المؤمن على دفع كيد اللعين ومكره ، وإذا تُأُمل معنى الاستعاذة ، وهو الالتجاء إلى الله والاعتصام به ، وضم له التفكر فيما ورد في فضل كظم الغيظ وثوابه ، واستحضر أن الله تعالى أعظم قدراً من قدرته على من غضب عليه سكن غضبه لا محالة.

ويندب له أنه إذا غضب ، وهو قائم ، فليجلس ، وإذا غضب ، وهو جالس ، فليضطجع ، هكذا ورد في الحديث[٧].

---

(١) يشير بذلك إلى حديث : "إذا غَضِبَ أحدُكم ، فليَسْكُتْ " : أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "٢١٣٦". صححه الألباني . انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم " ٦٩٥" .

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " فثار" .

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " ينضم" .

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " هذا " .

(٥) لعله يشير بذلك إلى ما رواه أحمد في المسند " حديث رقم ٢٢١٦٤" عن معاذ قال : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه و سلم ، فغضب أحدهما ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب غضبه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وهذا إسناد منقطع.

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " المصلحة" .

(٧) لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه أحمد في المسند "حديث رقم : ٢١٣٨٦" : " عن أبي ذر قال : كان يسقى على حوض له ، فجاء قوم فقال : أيكم يورد على أبي ذر ، ويحتسب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل : أنا ، فجاء الرجل ، فأورد عليه الحوض ، فدقه ، وكان أبو ذر قائمًا ، فجلس ، ثم اضطجع . فقيل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت؟ قال : فقال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لنا : =

٥ -ومنها[١] أن يسلك بهم سبيل الرفق والتلطف.

فقد قال المصطفى عليه السلام: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزِع من شيء إلا شانه) "[٢].

وذلك لأن به تسهل[٣] الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع[٤] ما تشتت، ويأتلف ما تنافر، ويرجع إلى المأوى ما شذ.

والرفق للجماعات جامع للطاعات، وبذلك كله تنقاد الرعية، وتُحِبُّ الملك وتقبل عليه بالطاعة.

وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف).[٥]

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (كل وال لا يرفق برعيته لا يرفق الله به يوم القيامة)[٦]

وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم؛ فارفق به، ومن شق عليهم؛ فاشقق عليه)[٧].

=إذا غضب أحدكم، وهو قائم، فليجلس فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع " ضعفه الألباني انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم " ٦٦٦٤ ".

(١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " ويندب ".

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم "٥٥١" . وصححه شعيب الأرنؤوط. انظر: صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط ٢/٣١٢.

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ " يسهل".

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " تجمع"..

(٥) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: "إن الله ـ تعالى ـ يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف" وما أثبته هو ما أبو داود في سننه حديث رقم "٤٨٠٩" ففي (ل) و(ع) ذكر لفظ "تعالى" في محل لفظ "رفيق".

(٦) ذكره الغزالي في التبر المسبوك ١/٩ ولم أقف عليه.

(٧) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "٢٦٢٤٢" . صححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٢١٩٢".

وفي الخبر: (أن داود عليه السلام نظر يوماً إلى السماء، فرأى شيئاً ينزل[١] منها كالنخالة[٢]، فقال: يا رب ما هذا ؟ قال : هذه لعنتي أنزلها على بيوت الجائرين)[٣].

وفي الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم: (إن أبعد القلوب[٤] من الله القلب القاسي)[٥].

وفيه أيضاً :(ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)"[٦] .

وفيه أيضاً: (ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم)[٧].

وفيه أيضاً: (من لا يرحم لا يرحم)[٨].

٦ -ومنها: أن يكظم غيظه.

---

(١) هكذا في (ل) وفي التبر ص٢٣ ، وأما في (ع) فبلفظ : "يتنزل" .

(٢) في (ل) و (ع) : " كالنخالة " بالخاء، وفي التبر ص٢٣ : " مثل النخالة "، وفي الدر المنثور للسيوطي ١٧٣/٧ : " مبخلا " ، وفي مختصر تاريخ دمشق ٨٠/٣ : " منجلا " .

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: " الجبارين ، وفي التبر ص ٢٣ " الجائرين " ولم أقف على هذا الحديث.

(٤) في (ل) و (ع) بلفظ: " القلوب " ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ ، وأخرجه الترمذي في سننه حديث رقم "٢٤١١" بلفظ: " ... وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي " وقال عنه (حسن غريب)، وقد ضعفه الألباني، انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم "٢٩٠" .

(٥) ذكر هذا الخبر ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ٨٠/٣ قال: " وعن وهب بن منبه وزيد بن رفيع، قال: رأى داود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم منجلا من نار يهوي من السماء إلى الأرض . فقال: إلهي وسيدي؛ ما هذا؟ قال: هذه لعنتي أدخلها بيت كل ظلام "، وذكره السيوطي في الدر المثور١٧٣/٧ قال: "وأخرج عبد الله بن زيد بن رفيع قال: نظر داود عليه السلام منخلا يهوي بين السماء والأرض فقال: يا رب ما هذا ؟ قال : هذه لعنتي أدخلها بيت كل ظلام" .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم " ٤٢٩٠ " ، صححه الألباني . انظر: صحيح الجامع الصغير حديث رقم :"٥٨٣٥" .

(٧) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "٦٥٤١"، صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٨٩٩".

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٥٥٣٨".

قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من كظم غيظاً، وهو قادر[1] على إنفاذه ملأه الله[2] أمناً وإيماناً)[3].

وقال أيضاً: (من كظم غيظاً، وهو قادر على إنفاذه خيره[4] الله من الحور العين يوم القيامة)، وذلك لأنه لما قهر النفس الأمارة بالسوء انجلت ظلمة قلبه، فامتلأ يقيناً وإيماناً[5].

وقال: (ما من جرعة أعظم أجرا[6] عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله).

وقال: (ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه إيمانا)[7]. انتهى[8]

---

(١) هكذا في (ع) وفي سنن أبي داود حديث رقم "٤٧٧٧"، وأما في (ل) فبلفظ: "يقدر".

(٢) في (ل) و(ع) بلفظ "ملأ الله قلبه"، وأما في سنن أبي داود حديث رقم "٤٧٧٨" بلفظ "ملأه الله أمنا وإيمانا".

(٣) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم "٣٥٤٣". أشار إليه السيوطي في الجامع الصغير بعلامة التضعيف انظر: الجامع الصغير حديث رقم "٨٩٩٧".

(٤) في (ل) و(ع): "زوجه"، وعند الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم "٩٢٥٦" "خيره"، ولعله تصحيف من الناسخ. وأخرجه الترمذي في سننه بلفظ "دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره" وقال: هذا حديث حسن غريب. انظر: سنن الترمذي حديث رقم "٢٠٢١".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يقينا وإيقانا".

(٦) هكذا في (ل) وسقط من (ع) لفظ "أجرا"، ولعلها سقطت من الناسخ، والأصح إثباتها حتى تطابق الرواية أحد روايات الحديث، وهي رواية ابن ماجة في السنن حديث رقم "٤١٨٩". قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم ٣٨٥/٤: "" ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله". أخرجه أحمد "٢ / ١٢٨" بإسنادين عنه، أحدهما صحيح

(٧) أخرجه أحمد حديث رقم "٣٠١٧". قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده ضعيف جدا"، انظر مسند أحمد بتعليقات الأرنؤوط ١ / ٣٢٧.

(٨) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "انتهى" من (ع).

فهي أحب جرعة يتجرعها العبد، وأعظمها ثواباً، وأرفعها درجة؛ لَحبس نفسه عن التشفي، ولا يحصل هذا الحب إلا بكونه قادراً على الانتقام كما صرح به أيضاً في حديث: (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيِّره[١] من أي الحور شاء)[٢].

لذلك أثنى الله تعالى على الكاظمين الغيظ في كتابه، وكان ذلك من آداب الأنبياء والمرسلين؛ ومن ثم خدم أنس بن مالك[٣] المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين (فما قال له في شيء[٤] فَعله، لم فعلتهَ ؟ ، ولا في شيء تركه، لم تركته ؟) [٥] .

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم أيضاً: (ثلاث من كانت فيه، فقد كمل إيمانه: من كظم غيظه، وأنصف من نفسه، وعفا عند المقدرة[٦])[٧].

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ: " يزوجه " والصحيح ما أثبتناه لوروده بهذا اللفظ في مسند أحمد ، حديث رقم "١٥٦٧٥" وكذلك في غيره من كتب السنن.

(٢) رواه ابن ماجة في السنن حديث رقم "٤١٨٦" . قال الترمذي : حديث رقم "٢٠٢١" : "هذا حديث حسن غريب " .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ع) فبلفظ : " ملك"، وأنس بن مالك هو: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة، وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنو٩٣ هـ. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .
الأعلام للزركلي ٢٤/٢

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ع) فبلفظ : " أي شيء"

(٥) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم " ٢٠١٥ " ، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " عند القدرة " .

(٧) في (ل) و(ع) بلفظ: " ثلاث من كن فيه فقد كمل إيمانه: من كظم غيظه ، وأنصف من نفسه، وعفا عند القدرة" وفي التبر ص ٧ بلفظ: (ثلاث من كانت فيه، فقد كمل إيمانه: من كظم غيظه، وأنصف في حال رضاه وغضبه ، وعفا عند المقدرة)، ولم أقف عليه في كتب السنن وما اطلعت عليه من كتب الحديث.

٧ -ومنها : أن يعاملهم بالصفح والعفو، فيحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؛ فيحسن الله إليه ، ويعفو عنه يوم القيامة .

ففي حديث الحاكم وغيره: (إن الله عفوّ يحب العفو)[1].

وحكي[2] أن الخليفة المنصور[3] أمر بقتل رجل بحضرة المبارك بن الفضل، فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني حديثاً قبل قتله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ مَنْ كان له عند الله يد، فلا يقوم إلا من عفى عن الناس)[4]، فعفى عنه[5].

٨ -ومنها: أنه في كل واقعة رُفِعَت إليه يعاملهم بما يعامل به نفسه.

ويُقَدِّر أنه واحد منهم، وأنه مثل سواه ، فكل ما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره، فإن رضي لهم ما لا يرضاه لنفسه، فقد خان رعيته[6] وغشهم .

٩ -ومنها: أن يجتهد في إرضاء جميع رعيته بموافقة الشرع.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "٣٩٧٧": وحسنه الألباني، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم : "٢٦٦٠".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبحذف واو العطف .

(٣) أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي يعد هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، ومن الأعمال الجليلة التي تُذكر له عنايته بنشر العلوم المختلفة، ورعايته للعلماء من المسلمين وغيرهم، وقيامه بإنشاء "بيت الحكمة" في قصر الخلافة ببغداد، توفي سنة ١٥٨ هـ.الإعلام ١١٧/٤

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولعل المبارك بن الفضل رواه بمعناه ، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم "٧٩٧٧" بلفظ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: " يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لا يَقُومُ الْيَوْمَ أَحَدٌ إلا أَحَدٌ لَهُ عِنْدَ اللهِ يَدٌ، فَيَقُولُ الْخَلائِقُ: سُبْحَانَكَ، بَلْ لَكَ الْيَدُ، فَيَقُولُ ذَلِكَ مِرَارًا، فَيَقُولُ: بَلَى مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا بَعْدَ قُدْرَةٍ " تَفَرَّدَ بِهِ عُمَرُ بْنُ رَاشِدٍ.قال الألباني: "منكر". انظر : السلسلة الضعيفة حديث رقم "١٢٧٨" .

(٥) الضمير عائد على المنصور.

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فكر في هذا الموضع لفظ " وغنيهم " ولا دلالة لها في السياق .

ومعاملتهم بالإنصاف؛ ففي الحديث: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)[١].

١٠ -ومنها: أن يَعْتَمِد من يسأل[٢] عن حالِه مِنْ الرعية، ولا يغتر بالثناء عليه من بعضهم ومدحه في وجهه.

١١ -ومنها: أن لا يطلب رضا أحد من الرعية بمخالفة الشرع ، فمن سخط بخلاف الشرع لا عبرة بسخطه.

كان عمر رضي الله عنه[٣] يقول: إني أصبح كل يوم ونصف الخلق علي ساخط ولابد أنّ كلّ من أُخِذ منه الحق يسخط.

وفي الحديث : (ما ترك الحق لعمر من صديق)[٤].

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ: " خيار أمتي الذين يحبونكم ، وتحبونهم ، وشرار أمتي الذين يبغضونكم، وتبغضونهم " ، وفي التبر ص٩: "خير أمتي الذين يحبونكم وتحبونهم، وشر أمتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم " ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ ، وما أثبته أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم "٤٩١٠" .

(٢) هكذا في (ل) وسقط من (ع) قوله :" من يسأل " .

(٢) هكذا في (ل) وسقط من (ع) صيغة الترضي ، وعمر هو : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل توفي سنة ٢٣هـ .الأعلام للزركلي ٤٥/٥ .

(٤) قال العجلوني : "ما ترك الحق لعمر صديقا". قال النجم هذا غير معروف في كتب الحديث في حق عمر لا عنه ولا عن غيره، وإنما روى ابن سعد في طبقاته عن أبي ذر قال: ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك الحق لي صديقا. نعم تقدم في الحاء المهملة عن ابن عبد البر معناه في حق عمر رضي الله عنه." وهو قوله في الحديث رقم ١١٥٥ : " الحق ثقيل". رواه ابن عبد البر ، وزاد : فمن قصر عنه عجز، ومن جاوزه ظلم، ومن انتهى إليه ، فقد اكتفى، قال ابن عبد البر : ويروي هذا المجاشع بن نهشل، قال: وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الحق ثقيل" ، رحم الله عمر بن الخطاب: تركه الحق ليس له صديق ، نقله ابن مفلح في الآداب،وفي معناه ما في كتاب روح القدس في مناصحة النفس=

وفي حديث الترمذي[(١)] وغيره: (من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس لرضى الله كفاه الله مئونة الناس)[(٢)].

وذلك لأنه جعل نفسه من حزب الله، وهو لا يخيب من التجأ إليه، واعتمد عليه ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٣)].

أوحى الله تعالى إلى داود: (ما من عبد يعتصم بي دون خلقي، فتكيد السماوات والأرض إلا جعلت له مخرجا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعتُ أسبابَ[(٤)] السماء من بين يديه، وانخطت الأرض من تحت قدميه)[(٥)].

١٢ -ومنها: أن يستعمل معهم الحلم.

لثناء المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه بقوله: (ما أزين الحلم)[(٦)]، والحليم من اتسع صدره لمساوئ الخلق، ومنائي أخلاقهم.

=للشيخ الأكبر بلفظ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ترك الحق لعمر من صديق" كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١/٣٦٢.

(١) الترمذي هو: أبو عيسى أحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل "ترمذ" على نهر جيحون. تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ.. من تصانيفه الجامع الكبير، المعروف باسم: صحيح الترمذي، والشمائل النبوية. توفي سنة ٢٧٩هـ. الأعلام للزركلي ٦/٣٢٢.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم "٢٧٧".

(٣) سورة المجادلة "٢٢".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: أسماء" وما في (ع) هو الموافق لما في مختصر تاريخ دمشق ٣ / ٧٩.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن كعب بن مالك. انظر: مختصر تاريخ دمشق ٣/٧٩، وقال الألباني: "موضوع". انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٤٩٢٣".

(٦) أخرجه ابن عسكر في تاريخ دمشق ٢/ ١٧٩ بلفظ: " ما أزين الحلم لأهله"، وضعفه الألباني، انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم "٤٤١٩".

قال الحسن البصري[١]: (ما نَحَل الله عباده شيئاً أقـل من الحلم؛ ومن ثم أثنى الله تعالى على خليله وولده به[٢] لما انشرحت صدورهما لما ابتلاهما[٣] به من الذبح؛ قـال﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ[٤] مُّنِيبٌ ﴾[٥]، وقال﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ[٦] ﴾[٧].

وفي الحديث: (ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف، إنما الحلم الصبر على من لابد له[٨] من معاشرته)".

١٣ -ومنها أن يجتهد في الإحسان إلى عباد الله كافة حتى إلى أهل الذمة. ففي الحديث النبوي : (الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله)[٩].

ومن[١٠] رعيته مائة ألف ألف، فأكثر فإذا[١١]أحسن إليهم، وعدل فيهم كان

---

(١) الحسن البصري هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه.

وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. توفي سنة ١١٠هـ. الأعلام للزركلي ٢/٢٢٦.

(٢) هكذا في (ل) ، وأما في (ع) فبلفظ : " أثنى الله به " .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " ابتلاهم "

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فوقف عند قوله تعالى : " أواه" .

(٥) سورة هود "٧٥" .

(٦) سورة الصافات "١٠١" .

(٧) انظر: كتاب الأمثال لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم ١/ ٢٧. وبهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ١٣٢.

(٨) هكذا في (ل) وسقط لفظ "له" من (ع) وفي شعب الإيمان للبيهقي بلفـظ: "من لا يجد من معاشرته بدا حديث رقم"٧٧٥٠". والحديث أشار إليه السيوطي في الجامع الصغير بعلامة التضعيف.انظـر الجامع الصغير ٣٩١/١.

(٩) أخرجه أبو يعلى حديث رقم "٣٣١٥" قال لألباني: " ضعيف جدا " انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم : "٦٦٩١" .

(١٠) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "وفي" .

(١١) هكذا في (ع) و(ل) ، وفي التبر ص١٥ : "ويحسن إلى عباد الله وبريته ، فإن في رعيته ألف ألف من الخلائق إذا عدل فيهم كان الكُل شفعاءه" .

الكل شفعاءه عند الله؛ ومن شفع فيه هؤلاء الخلائق كان من الآمنين يوم القيامة؛ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإن أساء إليهم كان الكل خصماءه؛ وإذا صار الشفيع خصماً اشتد الخطب وعظم الأمر.

١٤ -ومنها: أن يهتم بإقامة ناموس الدين[١] بين الرعية ، وإعزاز الحق ، وإعادة رونق السنة النبوية والسيرة المرضية؛ فتحمد عند الله طريقته، وتعظم في القلوب هيبته ، ويخاف[٢] الأعداء سطوته ، ويعلو قدره وبهاؤه ، ويكبر في عيون أضداده ، ويعظم عند أنداده .

١٥ -ومنها: أن ينظر في أمور رعيته.

ويقف[٣] على قليلها وكثيرها[٤] وجليلها وحقيرها، وجملها وتفصيلها، ولا يشاركهم في الأشياء المذمومة، والأفعال المشؤومة.

١٦ -ومنها: أن يحترم العلماء العاملين، والأولياء والصالحين[٥].

ويثيب على الفعل الجميل، ويمنع من الفعل الرديء الوبيل، ويعاقب على فعل القبيح، ولا يحابي من أصرَّ على معصية؛ ليرغب الناس في الخيرات، ويَحْذروا من السيئات .

ومتى كان السلطان بلا سياسة، وكان لا ينهى المُفْسد عن فساده فسدت أموره، واختل حال بلاده.

١٧ -ومنها: أنه إذا كان لأحد من رعيته عليه دعوى يقوم من مقامه، ويعمل

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ : " الدين " من (ل) .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ : "وتخاف" .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "وتقف" .

(٤) هكذا في (ل) وسقط قوله : " قليلها وكثيرها " من (ل) .

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ل) فمن دون حرف العطف.

بحكم الله تعالى وينصف ذلك الضعيف ، ولا يستحي من الحق والعمل بقوله[١] تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[٢] .

وحقيقة ذلك أنه إن كان لأحد عليه حق أنصفه من نفسه ، أو له على أحد حق سامحه ومَنَّ عليه.

١٨ -ومنها : أن يأمر عماله بالاقتداء بسيرته.

لئلا يسأل يوم القيامة عن رعيته ، فقد ورد في عدة أحاديث بالغة مبلغ التواتر أن السلطان مسئول عن رعيته[٣].

١٩ -ومنها : أن يحسن الظن بهم.

ولا يكشف عن أستارهم ، ولا ينقب عن أسرارهم [٤] لقول المصطفى عليه السلام : (إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)[٥].

وذلك لأن الإنسان قلّما[٦] يسلم من عيب ، فلو[٧] عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوحال ، واتسع المجال ، وفسد الحال ، فعليه[٨] أن يستر عيوبهم ويتغافل عما لم يرفع إليه ، ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " ويعمل" .

(٢) سورة النحل "٩٠".

(٣) منها حديث " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... الحديث " أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٧٨٩ .

(٤) هكذا في (ع) وسقط قوله : " ولا ينقب عن أسرارهم " من (ل) .

(٥) أخرجه أبو داود حديث رقم "٤٨١٩". صححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم : "٢٤٦٥" .

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " قل ما" .

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " فإن" .

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " ومنها" .

التجسس.[١]

٢٠ -ومنها: أنه[٢] إذا قدم عليه كبير قوم أكرمه وعظمه.

لقول المصطفى عليه السلام: (إذا أتاكم كريم[٣] قوم فأكرموه).أي برفع مجلسه وتقريبه، وإجزال عطيته وقضاء حاجته ونحو ذلك، وذلك لأنه تعالى عَوَّده ذلك ابتلاءً له، فمن استعمل معه غيره، فقد استهان به، وحقره، وأفسد عليه دينه، وذلك يورث في قلبه الغل والحقد والبغضاء والعداوة؛ وذلك يجر إلى سفك الدماء، وفي إكرامه اتقاء شره، وإبقاء دينه[٤]، وسد باب الفتنة، ولهذا كان المصطفى عليه السلام يتواضع لأكابر[٥] كفارِ[٦] قريش، ويكرمهم[٧]، ويرفع منزلتهم؛ لأنهم مظاهر العزة الإلهية[٨].

٢١ -ومنها: أنه إذا أمر في رعيته بشيء لا يرجع عنه، ولا ينقضه لأجل مَنْ يرجوه أو يخافه.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا وكونوا إخوانا " حديث رقم "٦٠٦٤"

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ: " أنه " من (ع).

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " كبير قوم "، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم " ٣٧١٢ " بلفظ " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه "، قال العراقي: " ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الشعبي مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف والحاكم نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده " انظر: المغني عن حمل الأسفار ١ / ١٧٧.

(٤) هكذا في (ل) وسقط قوله: " وإبقاء دينه " من (ع).

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ: "للأكابر".

(٦) هكذا في (ع) وسقط لفظ: " كفار " من (ل).

(٧) كإكرامه صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان يوم فتح مكة، وكان لا يزال على جاهليته، فقد قال: "مَنْ دخَل دَار أَبِى سفيان فهو آمن ". صحيح مسلم حديث رقم "٤٧٢٢".

(٨) تعليل موهم، لعل المراد: أن الله هو الذي أعزهم ففيهم يظهر تحقق ما وصف به نفسه من أنه هو المعز جل وعلا، قال تعالى: (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) آل عمران "٢٦".

وقد كتب قيصر[١] ملك الروم إلى كسرى أنوشروان يقول: بماذا يكون دوام الملك ؟ فكتب إليه: إني لا أرسم شيئاً بجهالة، وإذا أمرت بأمر تممته، ولا أتركه لخوف ولا لرجاء، أي إذا أمرت بشيء لا أبطله لأجل من يرجوني أو يخافني.

وحكي أن زياداً[٢] ـ أخا معاوية بن أبي سفيان، وكان من دهاة[٣] العرب وَلَّاه معاوية على العراق، فكثرت اللصوص بالبصرة، فنادى: إنَّ من خرج بعد العشاء قتله[٤] وكَرَّره ثلاثا[٥]، ثم خرج في الليلة الرابعة، فرأى أعرابياً معه غنم، فسأله، فقال: قدمت مساء، ولم أجد مأوى، فأقمت مكاني حتى أصبح، فقال: أنا أعلم صدقك، لكن إن أطلقتك يقال عني: إن زياداً يقول ولا يفعل، فتفسد سياستي، ثم ضرب عنقه، وجماعة كثيرة، فقال له بعض أهله: إن السياسة حزم إلا أنك لا[٦] ترحم المسلمين.

٢٢ -ومنها: أن يتفقد[٧] أحوال رعيته من جهة المعيشة.

---

(١) قد يكون المراد بقيصر الروم هنا: ملك الروم بوسطينوس الأول، أو غطيانوس، وكان ملكه= =تسعاً وعشرين سنة. فهو الذي كان ملكا على بلاد الروم عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر أن رسول الله ولد في زمن كسرى أنو شروان. انظر: الكامل في التاريخ ١/١٤٩، ومروج الذهب للمسعودي ١/١٤٥.

(٢) زياد هو: زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل: عبيد الثقفي وقيل: أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. توفي سنة ٥٣هـ. الأعلام للزركلي ٣/٥٣.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "دهاء"..

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "قتل".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: ثلاث".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لم".

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تنعقد".

حكي أن كسرى أنوشروان كان يصعد كل ليلة إلى أعلى مكان بالبلد، فينظر إلى بيوت الناس، فكل بيت لا يرى دخانه يصعد، نزل وسأل عن حال أهله؛ فإن كانوا في هم أزاله، أو في ضيق وسع عليهم.

٢٣ -ومنها: أن لا يمكّن جنده وغلمانه من تناول شيء من الرعية.

حكي[١] أن المأمون[٢] ولّى ثلاثة[٣] قواد، وأعطى كلاً خَلْعَة[٤] بثلاثة ألاف دينار، ثم قال لموبذ موبذان: يا دهقان هل أعطى أحد من ملوك الفرس ما أعطيت؟ قال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين كان لهم ثلاثة أشياء ليس لكم أحدها، كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس بقدر، ويعطون بقدر[٥]، ويأخذون من موضع يجوز منه الأخذ، ويعطون لمن ينبغي[٦] أن يعطى، و ما كان يخافهم إلا المذنب، فسكت المأمون.

ولذلك كشف تربة كسرى، فنظر إلى صورة[٧] وجهه وهي بمائها[٨]، وثيابه ما خَلُقَتْ[٩]، وخاتمه في أصبعه بفص من ياقوت لم ير المأمون مثله قط؛ وعليه مكتوب ما معناه: ذاك الأجود أكبر ليس الأكبر أجود ، فغطّاه المأمون بثوب نسج من ذهب[١٠]

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "ومنها".

(٢) المأمون هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه. توفي سنة ٢١٨ . الأعلام للزركلي ١٤٢/٤ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "ثلاث ".

(٤) الخلعة العطية "يقال : خلع عليه خلعة أعطاه ". المعجم الوسيط حرف الخاء .

(٥) هكذا في (ع) وسقط قوله : "ويعطون بقدر " من (ل).

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "يبتغي".

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "صورة".

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "بما فيها".

(٩) أي ما بليت "خَلُق الثوب بالضم خُلوقة أي بَلِيَ " . لسان العرب، مادة "خلق" .

(١٠) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "بذهب".

فأخذ خادم المأمون الخاتم ، فقال له المأمون: تفضحني إلى يوم القيامة ، فيقال: كان[١] المأمون كان نبَّاشاً نَبَشَه ، فأخذ الخاتم[٢].

٢٤ -ومنها أنه يأمر رعيته بالاشتغال بالعلوم ، ويحثهم[٣] على ذلك.

ويهددهم على إهمال ذلك ، ويجيز من شُهر منهم بالعلم وجودة الفهم ، ويشكر صنيعه ، فذلك من بديع السياسة.

ولا تحسن[٤] آثار الدول إلا ببقاء العلوم فيها ، فقد كان في زمن اليونان تُعَلَّم العذراءُ في خدرها الواجبات والمحرمات ، ومواضع الكواكب السيارة ، وقيس[٥] الليل والنهار والريح ، وغير ذلك من الفنون كالهندسة والحساب والطب ونحوها [٦].

٢٥ -ومنها: أن يُحسِّن نيته لرعيته ؛ فإن بفسادها يحصل القحط ، وتقل البركة.

حكي أن كسرى سرق رجل من مجلسه جام ذهب وهو يراه ، ففقده الشرابي ، فقال لا يخرج أحد حتى يفتش فيها ، فقال أنوشروان: أخذه من لا يرده ، ورآه من لا ينم عليه[٧].

وحكي عنه أيضا أنه تصيد[٨] يوماً ، فانفرد عن عسكره ، فعطش ؛ فرأى ضيعة بقربه ؛ فأتى باب دارٍ ، وطلب ماءً من صبيته ؛ فدخلت فعصرت قصبة واحدة من قصب السكر ، ومزجته بماء ، وأتته به ؛ فوجد فيه قذىً ، فشرب منه قليلاً قليلاً ،

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "إن".

(٢) راجع التبر ص ٢٧ ، والقصة فيها غرابة ، وربما تكون من اختلاق من يعظمون الحضارة الفارسية وملوكها.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ :"حثهم" .

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "يحسن".

(٥) في (ل) و(ع) بلفظ : " وقسي" .

(٦) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "ونحوها" من (ل).

(٧) هذا الخبر مما زادته (ل) على (ع) .

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ " حكي أن كسرى" .

فقال: نعم الماء لولا ذلك القذى، فقالت: أنا عَمْداً ألقيته فيه لأُكدِّره؛ رأيتك شديد العطش، فخفت أن تشربه نَهْلة واحدة، فيؤذيك؛ فعجب من فطنتها وذكائها، وقال لها: كم قصبة عصرت في الماء؟ قالت: واحدة؛ ثم طلب جريدة الخراج بتلك الناحية؛ فوجد خراجها قليلاً؛ فقال: قرية يكون في قصبة واحدة منها ذلك، ويكون هذا خراجها! وعزم على أن يزيده؛ ثم عاد لتلك الناحية بعد وقتٍ، وعطش فوفد[١] على ذلك الباب[٢]، وطلب ماءً، فخرجت الصبية ثم عادت لتخرج الماء، فأبطأت؛ فسألها عن سبب بطئها؛ فقالت: لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك، فعصرت ثلاثاً، فلم تكفِ، وسببُ ذلك تغير نية السلطان، فذهبت البركة[٣].

وحكي[٤] أن شهر بن حوشب[٥] وكان من القراء سرق من مجلس معاوية خريطة من خرائط فيها مال لبيت المال، فرآه معاوية ثم عدت الخرائط فنقصت واحدة فقال معاوية: هي محسوبة عليا ولا تسألوا عمن أخذها، وفيه قال الشاعر:

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعد يا شهر[٦]

---

(١) في (ل) و(ع) بلفظ: " فوجد "، وفي التبر ص ٢٨: " فاجتاز".

(٢) في (ل) و(ع): بدون لفظ " الباب "، وفي التبر ص٢٨ بإثباتها.

(٣) في التبر المسبوك ص٢٨: "فقال أنو شروان: وما سبب ذلك العجز؟ فقالت: سببه تغير نية السلطان، فقد قيل: إنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم طارت بركتهم، وقلّت خيراتهم، فضحك أنوشروان، وعجب من قول الصبية، وأمن نفسه ما كان أضمره لهم، وتزوج الصبية لحسن ذكائها، وفصاحة كلامها".

(٤) من هذا الموضع وحتى قوله: "فلم يسرق بعد" مما زادته (ل) على (ع).

(٥) شهر بن حوشب الأشعري: فقيه قارئ، من رجال الحديث، شامي الأصل. سكن العراق، وكان يتزيا بزي الجند، ويسمع الغناء بالآلات، وولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث، ومن الأمثال: خريطة شهر. يضرب فيما يختزله القراء والفقهاء من خرائط الودائع وأموال الناس توفي سنة ١٠٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٧٨/٣.

(٦) في الأعلام للزركلي ١٧٨/٣ أن القائل هو: القطامي الكلبي.

وكان للمأمون خادم يسرق الآنية التي يتوضأ فيها الخليفة فقال له يوما[١]: إذا سرقت تأتني بما سرقته فأشتريه منك، قال: فاشترِ مني هذا الذي بين يديّ، قال: بكم؟ قال: بدينارين، قال: اشتريت على أن لا تسرقها؟ قال: نعم، فأعطاه فلم يسرق بعد.

٢٦ -ومنها: أن لا يتغافل عن أناس السوء وأهل الشر والفساد، ومن يساء الظن به من رعيته.

ففي المثل: العبد يُقرَع بالعصا، والحر تكفيه الإشارة[٢]، يُضْرب لمن له أصل ومن لا أصل له.

وقد كان للناس زمان يأمر رجل واحد جميع الأمة، ويسخرهم بدُرَّة كان يحملها على عاتقه هو عمر، والفضل في ذلك الوقت كان للزمان والرعية، فأما اليوم[٣] لو عملوا بذلك لم يُفد.

فينبغي أن يكون السلطان في هذا الزمان أتم سياسة وهيبة؛ ليشتغل كل إنسان بنفسه، ويأمن الناس بعضهم من بعض.

٢٧ -ومنها[٤]: أن يتخذ الأتباع الكثيرة[٥]، والدار الواسعة، ولا يلزمه أن يقتصر على ما اقتصر الخلفاء الأربعة الراشدون، وسُئل علي رضي الله عنه[٦]: لم لا تنفع الموعظة هؤلاء الناس؟ فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوصى عند

---

(١) في (ل) بلفظ: "بعلا".

(٢) انظر: مجمع الأمثال. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ١/٢٠٤، والتبر ص٢٩.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فاليوم".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وله".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الكبيرة".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "عليه الرضى".

وفاته، وأشار بأصابعه الثلاث، وقال: لا تسألوني[١] عن حال أولئك، فقالوا: إن ذلك إشارة إلى ثلاثين سنة مدة الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن، يعني لا[٢] تسألوني عن حال أولئك الرجال، فإذا قال المصطفى عليه السلام: لا تسألوني عنهم، فكيف ينفع الوعظ فيهم؟!..

وسئل عن نحو هذا أيضاً فقال: كان الناس في ذلك الزمان نياماً والعلماء أيقاظًا، واليوم العلماء نيام، والناس موتى، فكيف ينفع كلام النائم عند الميت![٣].

فأهل هذا الزمان إذا لم يكن فيهم سياسة للسلطان ولا هيبة لم يثبتوا على الطاعة.

٢٨ -ومنها: أن يعظم شأن الشريعة.

فقد قال الحسن البصري: كل مَلِك عَظَّم أمر الدين[٤] كان عند رعيته عظيمَ الأمر، ومن عرف الله تعالى عَرَّف به الخلق، فكانوا كلهم[٥] مَعَارِفَه، كما قال القائل:

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ: "تسألوني"، وفي التبر ص ٢٩: "لا تسألوني".

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: "لا تسألوني"، وفي التبر "يعني لا تسألوني"، وما في التبر هو الأنسب.

(٣) ونص الرواية في التبر المسبوك أوضح معنا، فأورده بنصها، قال الغزالي: "سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لأي شيء لا تنفع الموعظة هؤلاء الخلق؟ فقال: الخبر المعروف إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى عند وفاته أشار بأصابعه الثلاث، وقال: لا تسألوني عن حال أولئك. فقال قوم من الصحابة: أشار إلى ثلاثة أشهر، وقال قوم: إلى ثلاث سنين، وقال قوم: إلى ثلاثين سنة، وقال قوم: ثلاثمائة سنة يعني إذا مضت ثلاثمائة سنة، فلا تسألوني عن حال أولئك الرجال، فإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوني عن حال أولئك، فكيف ينفع الوعظ فيهم. وسئل عن هذا السؤال فقال: كان الناس في ذلك الوقت نياماً وكان العلماء أيقاظاً، واليوم العلماء نيام، والخلق موتى فأي نفع لكلام النائم مع الميت!!".

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "عرف" من (ع).

(٥) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "كلهم" من (ع)

من عرفَ اللّهُ تعالى اسمه آثرَ كُلُّ الخلق عرفــانه[(١)]
طُوبي لمن أول[(٢)] ما حازهُ معرفــة الخالق سُبحانه

قال[(٣)] بزرجمهر: لا ينبغي للملك أن يكون في حفظ مملكته ورعيته أقل من البستاني في حفظ بستانه ؛ فإذا زرع الريحان ونبت بمنبته[(٤)] الحشيش ؛ قطعه لئلا يفسد الريحان.

٢٩ -ومنها : أن يمنع خواصه وبطانته من تناول شيء من الرعية.

قال أردشير: إذا كان الملك عاجزاً عن إصلاح خواصه، وكفِّهم الرعية ؛ فكيف يمكنه رد العوام إلى الصلاح ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(٥)].

وقال: ليس شيء أضيع[(٦)] للملك، وأفسد لأحوال الرعية من صعوبة الحِجَاب، وتكاثر الحُجَّاب، وإذا كان سهل الحِجَاب ؛ لا يُمكن[(٧)] العمال من[(٨)] الجورَ على الرعية، وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض.

٣٠ -ومنها: أن يكون للملك[(٩)] على جميع الأمور اطلاعٌ، فلا يهمل[(١٠)]

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " ترى كل الخلق عرفانه" ، وفي التبر ص٣٠ : " آثر كل الخلق عرفاته".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " فأقبل " .

(٣) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "قال " من (ل)

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " بنبته "

(٥) سورة الشعراء "٢١٤" .

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " أصنع " .

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "يكن " .

(٨) في (ل) و(ع) دون لفظ "أن" ، وفي التبر ص ٣١ : "وإذا كان الملك سهل الحجاب لم يكن للعمال أن يجوروا على الرعايا ، وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض " .

(٩) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الملك " .

(١٠) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " تهمل " .

ذلك لتكون الهيبة[١] في ناموس الملك باقية.

يقال: إن أردشير كان من تيقظه لأمور خواصه ورعيته يخبر ندماءه بما صنعوه، فيقول لأحدهم: فعلت البارحة كذا، أو نمت الليلة مع زوجتك فلانة، حتى كانوا يتوهمون أنه يوحى إليه، وكذا كان السلطان الغازي محمود بن سبكتكين[٢].

قال أرسطو: ليس خير الملوك من يكون في حدة نظره كالعُقَاب، بل الذين[٣] حوله كالعقبان لا كالجيف، يعني إذا كان حديد النظر قوي الفطنة والتفكر في العاقبة ويكون خواص دولته بهذه الصفة انتظمت أحوال مملكته واستقامت في مملكته[٤] أمور رعيته.

وقال أبرويز[٥]: ثلاثة لا يجوز للملك العفو عنهم: من قدح في مملكته، أو أفشى[٦] سره، أو أفسد حرمه.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "الهيئة".

(٢) في (ل) و(ع): "محمد بن سيكتكين"، والمقصود هو محمود بن سبكتكين كذا في التبر المسبوك ١/ ١٣ وهو السلطان البطل المجاهد محمود سبكتكين الغزنوي رحمه الله من السلاطين المشهورين، والأبطال المعدودين. قال عنه الإمام الذهبي: "السلطان الملك يمين الدولة فاتح الهند أبو القاسم محمود بن سيد الأمراء ناصر الدولة سبكتكين التركي صاحب خراسان والهند وغير ذلك." أهـ

سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣١٢ - ٣١٥ باختصار.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الذي"..

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "في مملكته" من (ع).

(٥) هو: أبرويز بن كسرى هرمز بن كسرى أنو شروان، ومعنى أبرويز بالعربية المظفر، وقد غلب الروم وانتصر عليهم، وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم وحفيده يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وهو آخر ملوك الفرس، وكان سلب ملكه، وهدم سلطانه على يدي عمر بن الخطاب، ثم قتل هو في أول خلافة عثمان، وجد مستخفيا في رحى، فقتل وطرح في قناة الرحى، وذلك بمرو من أرض فارس راجع الكامل في التاريخ لابن عدي ١/١٦٢ - ١٦٩.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "أفشا".

٣١ -ومنها : أن يسرع بقضاء حوائج الناس ، ولا يُسوِّف بهم[١].

فقد جلس المأمون لفصل الأحكام، فرفعت إليه قصة، فدفعها لوزيره الفضل ابن سهل[٢]، فقال: اقض حاجته فوراً، فإن الفلك في سرعة دورانه أجدر من أن يبيت على حاله، أو يفي لمحب بآماله.

فينبغي للملك التأسي بذلك، ويتيقن أن هذا الفلك لا يثبت على دور واحد، فإنه لا اعتماد على الدولة، وأن القضاء السماوي لا ترده العساكر وكثرة المال والرجال، وإذا انحلت الدولة وتلاشت الأحوال وفنيت[٣] الأموال والرجال[٤] لا ينفع الندم إذا زَلَّ القدم.

يقال: إن مروان[٥] آخر ملوك بني أمية عرض عسكره فكان[٦] ثلاثمائة ألف بالعُدَد الكاملة فقال وزيره : إن هذا لأعظم الجيوش، فقال مروان: اسكت. فإنه إذا انقضت المدة لم تنفع العدة.[٧]

قال الأهوازي[٨]: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تفي لصاحب، فخذ من زاد

---

(١) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "بهم" من (ل).

(٢) هو: الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ وكان مجوسيا، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين "الحرب والسياسة" توفي سنة ٢٠٢ هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٤٩/٥.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "ونقصت".

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "الأموال" من (ع).

(٥) مروان هو: أبو عبد الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، القائم بحق الله، ويعرف بالجعدي وبالحمار، آخر ملوك بني أمية في الشام. توفي سنة ١٣٢ هـ. الأعلام للزركلي ٢٠٨/٧.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "وكان"

(٧) هذا الكلام للغزالي، انظر : التبر ص٣٢.

(٨) الأهوازي هو: أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن موسى الأصفهاني الأهوازي: من رجال الحديث، له الفوائد والقلائد. وعند الزركلي الفوائد والنوادر، توفي ببغداد سنة ٤٢٨هـ. راجع=

يومك لغدك، فلا يبقى يوم عليك ولا غد إليك[١].

٣٢ -ومنها: أنه إذا وقعت رعيته في ضيق أو حصلوا في شدة يغيثهم، لاسيما في وقت القحط وعلو السعر، فيغيثهم بالطعام، ويساعدهم من خزينته بالمال.

٣٣ -ومنها: أنه لا يُمَكِّن أحدا من حشمه وأتباعه من عسف الرعية وإهانتهم لئلا يضعف الناس، وينتقلوا إلى غير ولايته، فيقل حاصل الديوان، فقد كان الملوك يحذرون من هذا غاية الحذر.

٣٤ -ومنها: أنه يتفقد ضعفاء بلاده، ويحرص على مواساة أهل المدن والقرى فإنه حرز للناموس، وتسكين للنفوس.[٢]

٣٥ -ومنها: أنه يكثر دائماً من ادخار الحَبِّ خوف الغلاء، فإن أخرج ما عنده فإن فيه تسكين كل شر وفساد[٣].

٣٦ -ومنها: أنه يدافع عن إراقة الدماء بقدر الإمكان.

فإنها قضية تفرد بها الخالق عزت قدرته العالم بالأسرار، والملك إنما يُقْدم بقدم[٤] على شبهة لا يتحقق باطنها، وفي جميع العقوبات كفاية عن السجن الطويل.

٣٧ -ومنها: أن يكون حسن السياسة.

والسياسة: هي التدبير المؤدي إلى صلاح الدارين، وذلك إنما يكون بلين من غير ضعف، وشدة من غير[٥] عنف، ووضع[٦] كلٍّ في محله اللائق به، فوضع أحدهما

=الأعلام للزركلي ٦/ ٨٣، و كشف الظنون لمصطفى كاتب جلبي ٢/ ١٣٠٣.

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فلا يبقى يومك عليك ولا يومك إليك "وفي التبر المسبوك ١ص٣٢ بلفظ: " فخذ زاداً من يومك لغدك فلا يبقى يوم عليك ولا غد"

(٢) راجع: التبر ص٣٣.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وفقناد".

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "بقدم" من (ع).

(٥) هكذا في (ل) وسقط من (ع) قوله: " ضعف، وشدة من غير".

(٦) زاد في الموضع عبارة " في غير محله " وهذا خطأ ضرب الناسخ عليه.

محل الآخر يفسد التدبير[١].

قال المتنبي[٢]:

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلى

مضر كوضع السيف في موضع الندى[٣]

٣٨ -ومنها: أنه لا يغفل عن تصفح سير الملوك وكتب السياسة، ويحرك داعية شجاعته بمطالعة أخبار الشجعان ورواية أشعارهم.

قال معاوية: لقد هممت يوم صفين بالهرب، فتذكرت قول عمرو بن الإطنابة[٤]

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك؛ تحمدي أو تستريحي[٥]

فثبت مكاني.

ولما حاصر السلطان صلاح الدين[٦] بيت المقدس، واشتد الحصار وقف راكباً

---

(١) هذا التعريف من التعاريف المناسبة للسياسة الشرعية، فهي شاملة للتدابير التي يضعها السلطان بقصد حفظ دين الرعية وأيضا حفظ أمور دنياهم.

(٢) المتنبي هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. تنبأ في بادية السماوة "بين الكوفة والشام" فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الاخشيد فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. توفي سنة ٣٥٤هـ. الأعلام للزركلي ١/١١٥.

(٣) في (ل) و (ع): " الندا ". انظر: شرح ديوان المتنبي لأبى الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدي، النيسابوري ١/٣٦٦.

(٤) في(ل) و (ع): " عمر بن الطبانة " كما في الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد ٤/٥٧.

(٥) في(ل) و (ع): " وقولي لها كلما جشأت "، والأصح " وقولي كلما " انظر: خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ١/٣٠١.

(٦) صلاح الدين هو: أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. ومحرر بيت المقدس من يد الصليبين. توفي سنة ٥٨٩هـ.

انظر الأعلام للزركلي ٨/٢٢٠

بإزاء سوره ومعه ابن أخيه الملك المظفر[١] وسيف الدولة[٢] والناس في غمرة الحرب أنشد سيف الدولة:

وفوارس شهدوا الهياج فما انثنوا   إلا بكل ملثّم ومخطّم[٣]
خاضوا لظاها واصطلوا بلهيبها   وكسوا جيادهم جلالاً من دم
ألفت جسومهم النبال فلن ترى   يوم الوغى[٤] إلا كجلد السُهّم
كرهوا التضمخ بالعبير فضمخوا   بصدى[٥] الحديد وخلّقوا بالمرهم

فتطاول صلاح الدين في سرجه، فقال له المظف: أعد الإنشاد، فأعاده، فجد السلطان في الحرب، فكان الفتح.

٣٩ -ومنها: أنه يحبس من يريد معاقبته حتى تسكن[٦] ثورة غضبه.

ولا يعجل بذلك، فقد يتجاوز الحد اللائق في عقوبته حال حدته، أو يبدو له أن العفو أصلح.

٤٠ -ومنها: أنه يحافظ على العفو مهما أمكن.

قال المأمون: حبب إليَّ العفو حتى خفت أن لا أؤجر عليه[٧].

وقال يحيى بن أكثم[١]: سَمَرْتُ[٢] ليلةً عند المأمون، ولم يكن معه غيري،

---

(١) الملك المظفر هو: غازي بن أبي بكر بن أيوب: صاحب ميافارقين وخلاط والرها وإربل.من ملوك الدولة الأيوبية. كان فارسا مهيبا جوادا. توفي سنة ٦٤٥هـ. الأعلام للزركلي ١١٢/٥.

(٢) سيف الدولة هو: أبو الميمون مجد الدين المبارك بن كامل بن علي، سيف الدولة، من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ومن بيت كبير. توفي سنة ٥٨٩هـ. الأعلام للزركلي ٢٧١/٥.

(٣) انثنوا: يقال: "ثَنَى الشيءَ ثَنْياً ردَّ بعضه على بعض ...ومَثانِيه قُواه وطاقاته". لسان العرب، مادة "ثنى"، والمعنى: إن هؤلاء البواسل ما اجتمعوا إلا وهم ما بين ملثم ومخطم.

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ: "الوغا".

(٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "بصدا".

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "يسكن".

(٧) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ١٩١/١.

وصاحب الشرطة واقف على رأسه بالسيف مسلولاً، فقال المأمون[٣]: يا غلام اسقني ماءً، فلم يجبه أحد، فأعاد ذلك مراراً، فأقبل غلام تركي، وهو يقول: قُطِع الغلام! أما ينبغي للغلام أن ينام أو يأكل أو يشرب؟!

قال يحيى[٤]: فضممت ثيابي وكتبي خوفاً أن يصيبها الدم، فقال المأمون: مالك وضحك؟! وقال: يا يحيى إن الرجُلَ إذا ساء خلقه حسنت أخلاق خدمه؛ وإذا حسن خلقه ساءت أخلاق خدمه، ونحن لا نرضى أن يكون لنا الخلق السيئ ولهم الخلق الحسن[٥].

وعَطِش السلطان صلاح الدين فقال: ائتوني بماء، وكرر ذلك فما جاءوه، فقال: يا جماعة قتلتمونا من العطش، ولم يغضب.

ووجعه ضرسه، فدعى بمُزَيِّن ليقلعه، فقلع غيره غلطاً، فقال له: ما هو هذا؟ بل الذي بجانبه، فكاد المزين يهلك، فقال له: لا روع عليك، فإنك لم تتعمد، وخَلَعَ عليه ووصله[٦].

٤١ -ومنها: أن يتنزه عن مال رعيته، وإن جَلَّ.

---

(١) ابن أكثم هو: أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي، قاضٍ، رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، كان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء، حسن العشرة، حلو الحديث، استولى على قلب المأمون حتى أمر بأن لا يحجب عنه ليلا ولا نهارا. وله غزوات وغارات. توفي سنة ٢٤٢هـ.

انظر الأعلام للزركلي ١٣٨/٨

(٢) أي سهرت قال ابن منظور: "سَمَرَ يَسْمُرُ سَمْراً وسُمُوراً لم يَنَمْ" لسان العرب، مادة "سمر".

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "المأمون" من (ع).

(٤) هكذا في (ع) وسقط قوله: "أو يأكل أو يشرب؟! قال يحيى" من (ل).

(٥) راجع: المستطرف ١٢١/١.

(٦) أي منحه منحةً وعطية.

حكي أن المعتضد[١] ذَكَر له[٢] وزيره تاجراً يملك ثلاثة آلاف ألف دينار، فقال: عليَّ به، وكان المعتضد سيفه يسبق كلامه، فأيقن الوزير بتلف الرجل؛ وندم، ولم يجد بداً من إحضاره، فأحضره، فقال له: اصدقني عن مالك، وأنت آمن، فقال: ثلاثة آلاف ألف، خمسمائة[٣] ألف بفارس، ومثلها بخراسان، ومثلها بمصر، ومثلها بالعراق، والصامت[٤] عندي بقية ذلك، قال: فمن يتولى لك هذه التجارات، قال: نحن أربعة أخوة، فثلاثة بفارس وخراسان ومصر، وأنا بالعراق، فقال: الحمد لله[٥] الذي في رعيتنا من يملك هذا انصرف آمناً[٦].

ومات ابن حيوس[٧] الشاعر عند شرف الدولة مسلم بن قريش؛ وخلف زهاء عشرة آلاف دينار، فحملت إليه[٨]، فردها، وقال: لا يتحدث الناس أني أعطيت شاعراً مالا، ثم أخذته، ولا يدخل خزائني مال جمع من أوساخ الناس[٩].وخرج سلام بن

---

(١) المعتضد هو: المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس: خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات في بغداد. أظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب. وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩ هـ، فحل عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين.توفي سنة ٢٨٩ه. الأعلام للزركلي ١/١٤٠.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ذكره".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وخمسمائة".

(٤) أي الذهب والفضة، قال ابن منظور: "في الحديث: على رقَبَتِه صامِتٌ، يعني: الذهب والفضة" لسان العرب، مادة "صمت

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لله الحمد".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبفظ: "وانصرف".

(٧) ابن حيوس هو: محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي، الأمير أبو الفتيان، مصطفى الدولة: شاعر الشام في عصره.يلقب بالأمارة. توفي سنة ٤٧٣ه. الأعلام للزركلي ٦/١٤٧.

(٨) أي لشرف الدولة.

(٩) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٥/٢٦٨.

أيوب[١] إلى حرب بناحية صنعاء، فأتاه تاجر بخمسة عشر ألف دينار، وقال: خذها قرضاً حتى ترجع، قال: لأي شيء؟ قال: أخاف عليها من الطريق، قال: أكره أن يتحدث الناس أني احتجت إلى قرض في سفري[٢]؛ فاذهب إلى أين شئت وأنت ومالك في ضماني

٤٢ -ومنها: أنه إذا[٣] أراد أن يرشح بعض أولاده أو أقاربه إلى ولاية العهد يحببه إلى رعيته وخواصه ببذل الإحسان إليهم على يده، وكف الظلم عنهم بواسطته.

حكي أن عبد الملك بن مروان[٤] قال لوزيره: أريد تقليد [٥]الوليد بعض الأقاليم الأقاليم قال: لو بعثت الوليد يقسم عطاءً بين الناس ما رضوه فكيف بولايته عليهم لكن استعطفهم بالعطاء على يده.

وكان ليحيى بن خالد البرمكي[٦] ولد فقيَّد به من يعلمه الآداب وغيرها، فقال لهم يوماً: ما علمتموه، فقالوا: بلغ من الآداب كذا، وقرأ كذا، فقال: لست عن ذلك أسأل، لكن هل حببتموه إلى الرعية، وعقدتم له مناً في أعناق الرجال، قالوا: لا، قال: ما صنعتم شيئاً.

٤٣ -ومنها: أن يخص خواصه بمزيد نظر.

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هكذا في "ل" أما في (ع) فبلفظ " "ينوي " .

(٣) هكذا في "ع" وسقط من (ل) لفظ " "ينوي " .

(٤) هو : أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا. وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥ هـتوفي سنة ٨٦ه . الأعلام للزركلي ٤/١٦٥ .

(٥) هكذا في (ع) وزاد في (ع) في هذا الموضع لفظ " الأمور" ولا معنى لها في السياق .

(٦) هو : يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في " الرقة " إلى أن مات سنة ١٩٠هـ. الأعلام للزركلي ٨/١٤٤ .

فإن سياسة الخاصة أشق من سياسة العامة، فيأخذ كلا[١] منهم بالاستقامة في نصرته، ويتفقدهم واحداً واحداً حتى لا يخفى عليهم منهم خافية.

وصلاح الملك وفساده، بصلاح خواصه وفسادهم.

سُئل بعض بني أمية عن سبب زوال ملكهم قال: شُغلنا بلذاتنا عن تفقد خواصنا، فجاروا، فطمع فينا أعداؤنا، وكانت الرعية عوناً على حربنا، فعجزنا[٢] عن مقاومتهم[٣].

٤٤ -ومنها[٤]: أن يستعمل مع رعيته الترغيب والترهيب.

كما هو دأب القرآن العظيم حيث إذا ذكر أحدهما أتبعه الآخر، ولا يتهيأ للسايس جلب مصلحة ودفع مفسدة إلا بهما، والسياسة ميزان هما كفتاه، وبتعديلهما[٥] يستقيم أمره.

فمن الترغيب: أن طائفة من الترك ذكروا للسلطان صلاح الدين أن ملك الأرمن أمنهم لينزلوا بلاده، فنزلوا، فغدرهم، وأسرهم، فسار السلطان إليه، وخيم على النهر الأسود، وفتح قلعة بانياس[٦]، وكانت على قلة[٧] جبل شاهق، فخضع

---

(١) في (ل) و(ع) بلفظ: "كل".

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "فعجزوا".

(٣) انظر: مروج الذهب للمسعودي ١/٤٤٦.

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: "وينبغي".

(٥) هكذا في (ل) وفي هذا الموضع من (ل) فراغ.

(٦) في (ل) و(ع) بلفظ: "المانوس"، والأصح "بانياس"، وتسمى الآن قلعة المرقب تقع على الساحل السوري بين مدينتي طرطوس وبانياس الساحليتين، وعلى بعد ٥ كلم من بانياس، وهي على قمة جبل بركاني صخري يشرف على شاطئ البحر، قال ابن جبير: "بانياس هذه المدينة ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يقضي أحد أبواب المدينة، وله مصب تحت أرجاء. وكانت بيد الإفرنج فاسترجعها نور الدين رحمه الله". رحلة ابن جبير ١/١١٤، وانظر: مضمار الحقائق وسر الخلائق ١/٤٢.

(٧) قُلة كل شئ أعلاه، والقلة قمة الجبل. راجع لسان العرب، مادة "قلل".

له، وأطلق الأسارى.

ومن الترغيب: أن صلاح الدين فتح آمد، فقيل له: إن بها ذخائر[١] تزيد على ألف ألف دينار، وفي برج من أبراجها ثمانون ألف ألف شمعه، وغير ذلك، فوهب الكل لنور الدين قرا أرسلان[٢].

[٣]وينبغي ألا يرفع رتبة الوضيع على الشريف، ولا يولي عاملا ونحوه ولاية[٤] فوق قدره.

وقال ابن المعتز[٥]: إذا انحرفت الدولة وقرب زوالها هبطت بالأخيار ورفعت درج الأشرار.

وقد مدح الحسين بن علي الوزير المغربي[٦] هذا المعنى حيث قال:

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى   سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا المــــاء إن حـــركته يد[٧]   طفـا عكـر راسب في إنائه

---

(١) هكذا قي (ل) أما في (ع) فبلفظ: "دماحير".

(٢) نور الدين هو: نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق، صاحب حصن كيفا انظر المختصر في أخبار البشر لابن كثير ٣٥٥/١. ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية ٣٨٣/١٢

(٣) من هذا الموضع وحتى قوله: "في إنائه" مما زادته (ل) على (ع).

(٤) في (ل) بلفظ: "ولأنه".

(٥) عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنف كتبا، منها: الزهر والرياض، والبديع والآداب، و"الجامع في الغناء، توفي سنة ٢٩٦هـ. انظر الأعلام للزركلي ١١٧/٤.

(٦) هو: الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم المغربي: وزير، من الدهاة، العلماء، الأدباء، استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد، عشرة أشهر وأياما، له كتب منها: السياسة، ومختصر إصلاح المنطق، توفي سنة ٤١٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٤٥/٢

(٧) في (ل) بلفظ: "كذلك الماء إذا حركته". وفي معجم الأدباء ٤١٦/١ كما أثبته وهو الأصح لانكسار ما في (ل).

خاتمة

محل ما تقرر أول الباب من الندب إلى الإغضاء، محله: فيما إذا كان ليس هو السعي في قلب الدولة؛ أما إذا كان ذنبه، فلا يعفو عنه بحال.

وفيما إذا لم يكن[١] العاصي يتجاهر بعصيانه، ويفتخر به، فلا ينبغي العفو عنه.

وفيما إذا كان العفو لا يزيده إلا[٢] جرأة، أخذاً من قول المصطفى عليه السلام: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)[٣].

وفي العفو عمن هذا حاله إغراء بالحرام[٤]، ووقوع في الإثم، واستخفاف بالدولة، وذلك لا تحتمله السياسة، ورب شخص يكون العفو عنه سبباً لجرأته عليك[٥] وإساءته إليك، والناس رجلان: عاقل[٦] يكتفى بالعزل والتأنيب، وجاهل يحتاج إلى الضرب والتأديب.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فإذا تم العاصي ".

(٢) في (ل) و(ع): " لا يزيده جرأة "، ويستقيم المعنى إذا قلنا: " لا يزيده إلا جرأة "، لأن الكلام مسوق عمن لا يسوغ معه العفو.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم "٦١٣٣".

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " بالحرم ".

(٥) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " عفوك عنه لجرأته سببا عليك ".

(٦) هكذا في (ع) وسقط لفظ " العقل" من (ل).

الباب التاسع

فيما ينبغي أن يكون الملك عليه في خاصة نفسه

فأول ذلك:

١ -أن يتلقب بلقب حَسَنٍ.

لكن يحذر[(١)] أن يتلقب بملك الأملاك، ونحوه كسلطان السلاطين أو شاه شاهان أو شاهان شاه، لقول المصطفى (عليه السلام): " أخنع الأسماء[(٢)] - أي أقتلها لصاحبه وأهلكها - عند الله تعالى يوم القيامة، رجل تسمى[(٣)] ملك الأملاك، لا مالك إلا الله "[(٤)]

٢ -وأن يكون متديناً.

---

(١) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " وليحذر " .

(٢) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " الأشياء " .

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ : " يسمى " .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم " ٥٧٤٣ " عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ". زاد ابن أبى شيبة فى روايته " لا مالك إلا الله عز وجل ". قال الأشعثى قال سفيان: مثل شاهان شاه. وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو عن أخنع فقال: أوضع. " . وما بين المعكوفين ليس من لفظ الحديث ولعله تفسير من المصنف .

قال أرسطو: أي ملك أخدم ملكه دينه استحق الرئاسة، ومن جعل دينه خادماً لملكه استخف بناموسه، ومن استخف به قتله الناموس[١].

٣ - وأول واجب على الملك رعاية حدود دينه.

٤ -وينبغي أن يُظْهِرَ للعامة التقشفَ مع اعتقاده ذلك؛ لأنه متى أظهر خلاف ما أضمره ظهر عليه.

٥ -وأن يعظم من يدور أعباء الملة عليه كالعلماء والقضاة والأولياء.

٦ -وأن يكون عظيم الهمة في[٢] غير جبروت، واسع الفكر جيد البحث، ناظراً للعواقب، رؤوفًا رحيماً، لا ينفذ غضبه بغير روية، وإن تحركت شهوته ردها بعقله، وتملك نفسه، وإن وافق الصواب أنفذه غير لجوج[٣]،ولا فظ، ولا غليظ، ولا متهاون.

٧ -وأن يتزين لرعيته بزينة جميلة، وكسوة[٤] تروق العين، وتبهج النفوس إليه[٥]؛ يتميز بها عن غيره.

٨ -وأن يكون جَهِير الصوت؛ لأنه صلاح له وقت الزجر، لكن لا يتكلم بالجَهارة إلا عند الضرورة؛ لئلا يكثر على الأسماع، فتسكن النفوس إليه.

٩ -وأن يقل مجالسة العامة؛ فإن ظهوره لهم يجرئهم عليه، ويقل هيبته[٦]، فلا يظهر لهم إلا على بغتة، وعلى بُعد، وفي خلال[٧] المواكب، وفي العام مرة أو مرتين.

---

(١) انظر: بدائع السلك في طبائع الملك لأبى عبد الله محمد بن على بن الأزرق الأندلسي "المتوفى: ٨٩٦هـ" ص ٢٩.

(٢) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " في ".

(٣) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " حرج ".

(٤) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " لسورة ".

(٥) هكذا في (ع) وسقط لفظ: " إليه " من (ل).

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " وتقل ".

(٧) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " حلال ".

١٠ -ويقيم[١] بين يديه من نصحاء وزرائه أو خاصته من يخطب خطبة يخاطبهم فيها بالرضى عنهم وشكرهم على الطاعة، ويرجيهم فيها ويحذرهم من المخالفة، ثم يعفو عن مقصرهم، ويقضي حوائجهم ، ويجزل عطاياهم، وبذلك يعظم في نفوسهم ويحافظون على طاعته ، وخذلان عدوه.

١١ -وأن ينصف التجار وجالبي البضائع، ويكف عن مالهم ليكثر ترددهم، وتعظم فائدة بلاده وتعمر، فيزيد خراجه.

١٢ -وازهد في قليل تظفر بكثير، ولا تمل إلى قليل تفقده قريباً، واطلب غنى لا يزول وبقاءً لا يضمحل[٢].

١٣ -ولا يميل إلى[٣] أخلاق النساء، والذرية[٤]، والسباع في استلاب ما وجدت وقلة الرحمة على من ظفرت به، ومتابعة الشهوات من أكل وشرب وجماع [٥]

١٤ -وينبغي للملك أن لا يكثر الجماع، فإنه من خواص الخنازير، فما الفخر في شيء الدواب أكثر منه فيه، مع أنه مهلك للجسم ، منقصة للعُمُر، ويُكْسب أخلاق النساء !.

١٥ -وينبغي له - أيضاً - الراحة بالملاهي[٦] مع أهله؛ فإن ذلك يريح الحواس ويبسط النفس لكن لا يفعله إلا غُباً، ولا يعلم به خاصته، بل يريهم أنه في تدبير المملكة.

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ: "ويقوم" وما أثبته هو الأنسب للعبارة.

(٢) هذه حكم وأمثال ساقها على مضربها.

(٣) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ: " ولا تمل".

(٤) المقصود وأخلاق الصغار من الذرية.

(٥) المقصود من هذه الجملة أن يرتفع الملك بعقله وتفكيره، ولا ينحط بهما، فلا يفكر إلا في الشهوات وملذات النفوس.

(٦) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " بالمالص".

١٦ -وأن يكون له عيون في إيصال[١] الأخبار إليه، ولا يخلي خواصه من مؤاكلته والراحة بهم، لكن لا يكثره، ويتحبب إليهم، ويثني عليهم في وجوههم، ويخلع عليهم الكسوة[٢]، وبعد لبسها أتم في الرعاية[٣].

١٧ -وأن يلزم الوقار وقلة الضحك؛ فإنه يميت القلب، ويذهب الهيبة، ويعجل الهرم[٤].

١٨ -ويُلْزِم من حضر مجلسه الوقارَ والحشمة، ومن ظهر منه استخفاف عاقبه بما يليق به من إبعاد أو حبس أو ضرب أو قتل[٥].

قال حكماء الهند[٦] : ليس بين أن يملك الملك رعيته أو يملكوه إلا حزم أو توان وخير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف، وأخسهم من أشبه الجيفة حولها النسور[٧].

ولا تكون[٨] طاعة السلطان إلا بأربعة: الديانة ، والرهبة، والزهد، والمحبة[٩].

وصلاح المُلْك بالسخاء وفساده بالبخل.

---

(١) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " اتصال ".

(٢) هكذا في (ل) : وسقط لفظ : الكسوة " من (ع).

(٣) أي أن خلع ذلك عليهم بعد لبسه لها أتم في الإكرام والرعاية وتطييب النفوس.

(٤) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ " بالهموم ".

(٥) عفا الله عن المؤلف، فالقتل في التعزير قال به بعض أهل العلم، وإنما يكون في الأمور الصعبة والشديدة والتي فيها ضرر كبير على الدين أو على الخلق، أما تأديب المتطفل أو المتنقص في مجالس الملوك، فلا يكون بهذه العقوبة أبدا، وإنما يكون بعقوبات أخرى كالضرب والحبس ونحو ذلك، ولعل المؤلف جرى على ما يذكره بعض المؤرخين من قتل الملوك والأمراء لبعض المخالفين غير المتأدبين في مجالسهم، وهؤلاء لا تقوم بهم حجة في شريعة الله. وربما يكون قصد المؤلف أن العقوبة بالقتل تعزيرًا لهذا المخالف إنما تكون للمخالفات الشديدة كما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٦) هذا القول منسوب إلى عبد الملك بن مروان كما في بدائع السلك ص ١٢٦ .

(٧) انظر: سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي ٤٨/١ .

(٨) هكذا في (ع) أما في (ل) فبلفظ : " يكون ".

(٩) راجع: سراج الملوك ٤٧/١ .

١٩ -واعلم أنه لابد للملك من قوتين : قوة يقوِّى بها نفسه ، وقوة يسوس بها رعيته ، ويغنيهم وهو المال.

والملوك أصناف[١] :

ملك سخي على نفسه سخي على رعيته ، وهو بالدرجة العليا.

وملك سخي على رعيته شحيح على نفسه ، وهو دون الأول ، لكن لا يقدح فيه.

وملك شحيح على نفسه وعلى رعيته ، وذلك عار وشنار وفساد للملك.

وملك شحيح على رعيته سخي على نفسه ، وذلك فساد للملك عظيم[٢].

والسخاء[٣]: بذل ما يحتاج إليه إلى مستحقه، لكن الكيفيات إذا بعدت من الجانبين[٤] فمتى جاوز الحد في العطاء ، فقد أفرط ، وخرج عن حد السخاء إلى التبذير والسفه ، فمن بذل فوق ما تحتاج الحال إليه ، أو في غير وقته ، فقد أفسد نظام الملك.

وبالجملة ، فالبخل لا يليق بالملوك ، ولا يقترن بالمملكة ، بل به تفسد ، فإذا كان[٥] في جِبِّلة مَلِكٍ لزمه تسليم عطايا مملكته إلى ثقة من خواصه يتصرف بالعدل والاعتدال.

قال أرسطو للإسكندر : بقاء الملك ليس بالإمساك ، بل بقاؤه بالإمساك عما في أيدي الناس ، فمن لم يكف عن مالهم ، فقد تعرض لخراب مملكته ، وزوال ملكه ، وهلاك رعيته ، فإن المال علة لبقاء النفس الحيوانية ؛ فهو جزء منها ، ولا بقاء للملك

---

(١) هذا من كلام أرسطو في كتاب سر الأسرار .

(٢) هكذا في (ع) وسقط الصنف الرابع من (ل) ، راجع : بدائع السلك لابن الأزرق ١/١٠٩ ، وأصل هذا التقسيم من كلام أرسطو في سر الأسرار ص ٦٩ ، ويتصرف فيه الناقلون بالصياغة.

(٣) هذا اختصار من كلام أرسطو في سر الأسرار ص ٦٩ وما بعدها بتصرف في صياغة المعاني.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الحاشيتين" .

(٥) أي البخل.

بفساد ذلك الجزء.[١]

قال[٢]: والسخاء شجرة لها فروع: منها: ترك التجني، والبحث عن باطن عيوب الناس، ومنها: عدم ذكر المواهب.

ومنها: ترك التوبيخ، وإكرام الكريم، والبِشْرُ في اللقاء، ورد التحية، والتغافل عن خطأ الجاهل[٣].

ثم قال أرسطو للإسكندر: اذْكر لكَ حكمةً مختصرةً كافيةً لجميع سياسة الدنيا والآخرة: العقل: رأس التدبير، وصلاح النفس، ومرآة العيوب، وهو أس الممدوحات وأصل المفاخرة. والرئاسة تنتج الجود، وعدمه ينتج التصارم، والتصارم ينتج الحقد، والحقد ينتج[٤] المحاربة، والمحاربة تنتج نفي العمارة وتؤول إلى مخالفة الطبيعة، ومخالفتها فساد الأمر كله، وإذا نازع حب الرئاسة العقل نتج منها الصدق والورع. والصدق أصل كل ممدوح، ونتيجته التَّقَوِّى العدل[٥]، ونتيجة العدل الإلف، ونتيجة الألفة الكرم وهو ينتج المؤانسة، وهي تنتج الصداقة، والصداقة تنتج البذل والمحاباة، وذلك عماد الدنيا، فظهر أن طلب الرئاسة مع رعاية العقل محمود.

٢٠ــ ومنها: ترك[٦] مساعدة الشهوات. فإنها مَلَكَة، إذ هي تنتج الميل، وتستر العقل، وحب النفس يورث البخل، وهو يورث حب الغنى، وهو يورث النذالة، وهي تورث الطمع، وهو يورث الخيانة، وهي تهتك المروءة. إلى هنا كلام أرسطو.

---

(١) إلى هنا انتهى من كلام أرسطو، وراجع: بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق ١/ ٤٠.

(٢) هذا الكلام الذي ذكره المناوي وعزاه إلى أرسطو مفقود من النسخة المطبوعة.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٢٩

(٤) هكذا في (ل) وسقط قوله: "الحقد، والحقد ينتج" من (ع).

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "للعدل".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يزل" والأنسب ما أثبته.

وقال الغزالي[١]: الدين والملك توءمان كأخوين في بطن واحدة، فنبغي[٢] أن يهتم الملك بأمور الدين ويتجنب الهوى والبدعة والمكر والشبهة، وكل ما يرجع بنقصان الشرع، وإن علم في ولايته من يُتَّهَم في دينه أحضره، وهدده؛ فإن تاب وإلا وقَّع به ونفاه، ويخلي مملكته من أهل البدع، ويعز الإسلام، ويستديم عمارة الثغور[٣].

قال الحكماء: طباع الرعية نتيجة طباع الملك، والعامة إنما يرتكبون الفساد اقتداءً بالملك.

ألا ترى أن الوليد بن عبد الملك[٤] كان[٥] مصروف الهمة إلى العمارة، وكان سليمان أخوه هَمُّه في كثرة الأكل، وطيب المطعم، وبلوغ الشهوات، وكان عمر بن عبد العزيز هَمُّه في العبادة والزهادة، وأمور الرعية تجري على عادة ملوكهم، فاشتغل الناس في أيام الوليد بالعمارة، وفي زمن سليمان بكثرة الأكل وطيب المطعم؛ كان الرجل يسأل صاحبه أي لون عملت وأي طعام أكلت؟ وفي أيام عمر رضي الله عنه[٦] كم قرأت، وكم صليت؟

فكل زمان يقتدون بملكه في المليح والقبيح، والناس على دين مليكهم.[٧]

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "قال" دون الواو العاطفة. راجع: التبر ص ١٩.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فيجب".

(٣) راجع: التبر ص ١٩.

(٤) هو: الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. وتعد أيام حكم الوليد قمة ازدهار الدولة الأموية، فقد وجه القادة لفتح البلاد في مختلف الاتجاهات، بلغت الدولة الأموية في عهده أوج عزها، توفي سنة ٩٦هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٨/١٢١

(٥) في (ل) و(ع): دون "كان" والأنسب إثباتها كما في التبر ص١٩.

(٦) هكذا في (ل) وسقط الترضي من (ع).

(٧) هذه مقولة تناقلها الناس عبر العصور حتى صارت كالمثل، والإمام الحافظ ابن كثير يري صحة هذه العبارة إلى حد كبير. البداية والنهاية ١/١٨٦.

فينبغي أن يكون الملك في غاية الدين؛ ولهذا قال الحكماء: الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم.

٢١ -وينبغي للملك أن يبعد الأشرار؛ فقد قال وزير أنوشروان له: لا تركن إلى الأشرار، فتخرب ولايتك[١].

٢٢ -وينبغي للملك الإكثار من قراءة الأخبار، وسير الملوك، والفحص عن الأعمال التي اعتمدوها، وعملوا بها؛ فإن هذه الدنيا بقية دولة المتقدمين الذين ملكوها، وانقرضوا.

وسُئل برزجمهر: أي الملوك أفضل؟ قال: من أَمِنَه المستقيمون وخاف منه الخاطئون[٢].

٢٣ -وينبغي أن يكون حسن السياسة، فإن الذي لا سياسة له تسخط عليه الناس.

٢٤ -وأن لا يشتغل بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر[٣]، ولا يديم ضرب الكرة والصيد؛ فإن ذلك يشغله عن المهمات، ولكل عمل وقت؛ فإذا فات الوقت عاد الربح[٤] خسراناً[٥].

وقد قسم القدماء النهار أربعة أقسام:

قسم للعباد، وقسم للنظر في أمر الدولة وتنفيذ الأوامر، وقسم للأكل والنوم وأخذ الحظوظ واللذات، وقسم للصيد ولعب الكرة ونحو ذلك.

---

(١) التبر المسبوك ص١٩.

(٢) معناه في سراج الملوك للطرطوشي ١/٤٨.

(٣) هذه الأفعال من الأمور التي لا تجوز في شريعة الإسلام، فيجب على الولاة أن يكونوا قدوة صالحة لرعاياهم في عدم فعلها بل وتأديب من يفعلها.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الريح".

(٥) هذا الكلام منقول من التبر ص ٢٦.

وكان بهرام جور يقسم نهاره نصفين: نصفًا للنظر، ونصفًا للراحة، ولم يشتغل[١] يوماً واحداً بعمل واحد.

٢٥ -وينبغي للملك أن يكون وقوراً ذا هيبة، حكيماً، فلا يكون طائشاً ولا عجولاً[٢].

قال بعض الحكماء: ثلاثة أشياء قبيحة وهي في ثلاثة أقبح: الحدة[٣] في الملوك، والحرص في العلماء، والبخل في الأغنياء.

٢٦ -وينبغي له تحري الصدق، وإن كان فيه الهلكة[٤]، يقال: إن الصادقين في الناس ثلاثة: الأنبياء، والملوك، والمجانين.[٥]

وقيل: إن السُكر جنون، وإن المجنون يخاف من السكران؛ لأن المجنون سكره باطن، والسكران جنونه ظاهر.

ويقال: ثلاثة على الملوك من الفرائض: عمارة المملكة، وتقريب العقلاء، وحفظ آراء المشايخ وذوي التجربة.[٦]

٢٧ -وينبغي أن لا يباشر الحرب بنفسه، ويحفظ ناموسه؛لأن كثيراً من الأرواح تتعلق[٧] بروحه، وصلاح الرعية في صلاحه وحياته، وأن لا يجور على نفسه؛ لئلا يجور على جميع الخلق، ولا يجازف في الأشغال، ولا يتساهل في الأعمال[٨].

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "يستغل" .

(٢) التبر ص٢٦ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "الحدة" .

(٤) التبر ص٢٧ .

(٥) المقصود بالمجنون ـ هنا ـ هو "المعتوه" الذي لا يظهر كل ما يبطن، فلا يكتم شيئا، ولهذا يقال: "خذوا الحكمة من أفواه المجانين"، أما المجنون باختلال عقله مطلقا فغير مقصود هنا.

(٦) التبر ص٢٨ .

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "يتعلق" .

(٨) التبر ص٢٩ .

٢٨ -وينبغي أن يُقِيمَ كلَّ ليلة على فراشِ غيرَه، ويتحول هو منه إلى غيره؛ حتى إن قصده عدو لا يجده فيه.

٢٩ -وأن يكون مهاباً، فإنه إذا لم يكن له هيبة لا تثبت[١] الرعية على الطاعة.

٣٠ -وأن يكون بيته[٢] مقرباً لذوي الدين والعقل، ورأيه خزانه أرباب العلم والتجربة[٣]، وصحبته مع العقلاء، ومشورته مع أولي الرأي.

٣١ -وأن يكون قوياً في نفسه، لازماً لصمته، مفكراً في رأيه وتدبيره بقلبه.

٣٢ -وأن يكون عاقلاً في ملكه، شريفاً في نفسه، حلواً في قلوب رعيته، مجرباً[٤] لعهد من تقدمه، خبيراً بأعمال من هو أقدم منه، صلباً في دينه[٥].

٣٣ -وإذا كان يرى أن حوْله بالله، وإن كان عدوه قوياً؛ ظفر به ونصر عليه، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[٦].

٣٤ -وأن يبعد عن مملكته متطلبي العيوب؛ لتبعد عنه العيوب، وكل ملك ليس فيه هذه الخصال لا يفرح بمُلْكه، ويَتْلف[٧] أقرباؤه وخواصه وجلساؤه على يده[٨] لأن القيل يظهر من عدم العقل.

٣٥ -وأن يتجنب المزاح والدعابة[٩].

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "لا يثبت".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "نبيه".

(٣) أي وينبغي أن يكون رأيه كذلك.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "محربا" بالحاء.

(٥) يعزوه الغزالي إلى أفلاطون.

(٦) سورة البقرة "٢٤٩".

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تتلف".

(٨) يعزوه الغي إلى سقراط.

(٩) هكذا في (ل) وسقط من (ع) قوله: "لأن القيل يظهر من عدم العقل، وأن يتجنب المذاح والدعابة" والكلمة الأخيرة في (ل) بلفظ: "الداعبة".

٣٦ -وأن يبدل السيئة بالحسنة.

٣٧ -وأن يستحضر أن هذا الفلك لا يثبت على دور واحد، وأنه لا اعتماد على الدولة، وأن القضاء السماوي لا ترده العساكر، ولا الأموال والذخائر، وأن الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب.

وقد سُئل مَلِكٌ زال ملكه ؛ ما سببه؟ فقال : لاغتراري بالدولة والقوة، ورضاي برأيي وعقلي عن المشورة، وتوليتي لأصاغر العمال على أكابر الأعمال، وتضييعي الحيلة، والوقفة[١] في مكان العجلة والفرصة، والاشتغال عن قضاء حوائج الناس[٢].

٣٨ -وينبغي أن يكون الملك سامي الهمة.

فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (اجْهَد أن لا تكون دنيّ الهمة، فإني ما رأيت شيئاً أسقط للمروءة من ذلك).

وقال عمرو بن العاص[٣] : (المرء حيث وضع نفسه).أي : إن أعزها علا أمره، وإن أذلها ذل وهان.

ومعنى الهمة : أن يرفع نفسه، فإن أنفة القلب من همم الأكابر، ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه، وإعزاز المرء نفسه أن لا يختلط بالأراذل ؛ ولا يعمل ما لا يجوز لمثله أن يعمله، ولا[٤] يقول ما يعاب به.

والهمة والأنفة للملوك، فإن الله ركّب فيهم هذه الخصلة، فإن لم يحسن ذلك، فليتعلمه من الوزراء والندماء.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الوقعة " .

(٢) الكلام بمعناه في سراج الملوك للطرطوشي ١ / ٤٤ .

(٣) ابن العاص هو: أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. توفي سنة ٤٣هـ. الأعلام للزركلي ٥ / ٧٩ .

(٤) زاد ناسخ (ل) في هذا الموضع لفظ : "ما" ثم ضرب عليها" .

حُكي[١] أن أبا الدوانيق[٢] أمر لرجل بخمسمائة درهم، فقال له وزيره: ليس للملك أن يهب ما دون الألف.

وركب الرشيد يوماً، فسقط فرسُ رجُلٍ من عسكره، فقال: تُعْطَى خمسمائة درهم، فأشار إليه يحيى البرمكي بعينه، فلما خلا به قال له: لم أشرت إلي؟ قال: ليس للملك أن يجري على لسانه أقل من ألف، قال: فإن اتفق أمر لا يليق به ذلك؟ قال: يقال يعطى فرساً ونحو ذلك، ويعطي اللائق، ولا يجري لسانه على الحقير.

واجتاز المأمون بحجرة ولده العباس، وكان ولي عهده، فسمعه يقول لخادمه: أبغني بقلا بنصف درهم، فناداه المأمون: علمت أن الدرهم له نصف ! اذهب فأنت لا تصلح للولاية وعزله.[٣]

وقالت أم[٤] أردشير له: اجْهَد أن لا يكون عطاؤك أقل من قيمة دخل[٥] ولاية أو قرية أو بلد أو رستاق؛ ليستغني الذي تهبه، وتزول حاجته؛ ويستغني عقبه، فيحصل بذلك في حساب الأحياء لا في حساب الأموات.

٣٩ -ولا يرغب[٦] في التجارة، فإن ذلك يدل على دناءة الهمة.

حُكي أن وزير هرمز بن سابور[٧] كتب إليه: اشتريت لك من تجار قدموا يواقيت وجواهر بألف دينار؛ وقد طلبتَ مني بألوفٍ، فَلْترسم بما تراه[٨]، فكتب إليه

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: (وحكي).

(٢) هو أبو جعفر المنصور.

(٣) راجع: التبر ص٣٩.

(٤) هكذا في (ل) و(ع): ، وفي التبر المسبوك "في وصية نامة أردشير لولده" ١/٣٩.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: (رجل).

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: (ولا ترغب).

(٧) هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك أحد ملوك بني ساسان يقال له: هرمز البطل، سار بسيرة حسنة عادلة وبنى وكان ملكه سنة وعشرة. المعارف لابن قتيبة ١/١٤٩.

(٨) أي اكتب مرسوما بالمبلغ الذي أبيعها به.

مائة ألف ومائة ألف وأمثالها ليس لها عندنا قيمة، وإذا عملنا نحن بالتجارة، فمن يعمل بالسلطنة(١)، فانظر أيها الجاهل لنفسك، ولا تعد لمثل ذلك(٢).

وسئل بعضهم: مَنْ أعلى الناس حالاً؟ قال: أعلاهم همة، وأكثرهم علماً، وأغزرهم فهماً.

قيل له: فمن ينبغي(٣) أن يتوصل به للخلوص من نحوسه أو ضائقة(٤)؟، قال: الملوك، والأكابر، والرؤساء، وذوي الهمم العالية والنفوس الشريفة(٥).

والهمة والنهمة(٦) على شكلٍ واحدٍ، ولكلِ واحدٍ منهما نصيب(٧)، فواحد بالسخاء وإطعام الطعام، وآخر بالعلم، وآخر بالعبادة، وآخر بالقناعة، وآخر بالزهد، وآخر يطلب(٨) الزيادة، وهمة(٩) بمكارم الأخلاق.

وحُكي(١٠) أن كسرى أنو شروان كان له نديم، فحضر مجلسه، وكان بالمجلس جام(١١) من ذهب مرصع بجوهر، فسرقه النديم وخبأه، وأنو شروان ينظره، وهو لا يشعر، وجاء الشرابي، وطلب الجام، فلم يجده، فنادى في المجلس: ضاع لنا جام، فلا يخرجن أحدٌ حتى يُرَدَّ إلينا، فقال أنو شروان: دعهم يخرجون، فإن الذي سرقه لا

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "السلطنة".

(٢) راجع: التبر ص ٣٩.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "ينتقى".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "ومضايقة".

(٥) راجع : التبر ص٤٠.

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "الهمة النهمة" بدون واو.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "لكل واحد منها نصيب".

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "بطلب".

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "والهمة".

(١٠) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "حكي".

(١١) إناء.

يُعبأ به، والذي رآه لا يقر عليه[١].

وركب يوماً للصيد، وانفرد عن عسكره ومعه واحد، وكان في عنق فرسه عقد جوهر، فتغافله الرجل، وحلّه وأخذه، وهو يسارق النظر إليه، فلما عاد قال له: أمير أخور[٢]، فقد العقد الجوهر، فقال له: أخذه من لا يرده، ورآه من لا ينم عليه.

فأين كان السخاء، وعلو الهمة كان الراحة والثناء الحسن[٣].

٤٠ -وينبغي للملك إجلال الأكابر.

قال بعض الحكماء: إجلال الأكابر من الكمال، واحتقار الناس من لؤم الأصل وقبح الخلال، والهمة بغير آلة خفة، وإنما تحسن[٤] الهمة مع الجدة.

ومن شرف الهمة وكمال النفس: ما حُكي عن عبد العزيز بن مروان[٥]: أنه كان أميراً بمصر، فركب ومر بموضع، فسمع رجلاً ينادي ولده يا عبد العزيز، فأمر للولد بعشرة آلاف درهم؛ لأنه سميَّه، فصار أهل مصر إذا ولد لأحدهم ولد سماه باسمه رجاءً لِبِرِه ومحبةً فيه.

وضد ذلك من اللؤم: أنه كان للأمير الكبير بخراسان حاجب اسمه تاش[٦]، فاجتاز[٧] بصيارف بخارى، فسمع رجلاً ينادي غلامه يا تاش، وكان اسمه ذلك،

---

(١) راجع: التبر ص٤٠ .

(٢) الأخور: كلمة فارسية معناها الإسطبل .وأضيفت إلى مرتبة الأمير، فصارت أمير أخور، ومهمة صاحبها إدارة الإسطبلات السلطانية والإشراف على المناخات.

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "الحسن" من (ع).

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يحسن".

(٥) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصبغ القرشي الأموي ولد بالمدينة ، ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين. انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٩٩/٧٠ .

(٦) في (ل) بلفظ : "ناس" وفي (ع) بلفظ : " إياس" ، وفي التبر ص٤٤ : " تاش" . ولم أقف له على ترجمة.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "اجتار" بالراء، وفي التبر ص ٤٤ : ""اجتاز".

فصادر جميع الصيارفة، وقال: أردتم الاستخفاف باسمي.

والهمة وإن تأخرت[١] تُوَصِّلُ الإنسانَ إلى مراده، لكن المحمود منها أن لا يتجاوز بهمته قدره؛ لئلا يعيش طول حياته[٢] مغموماً.

٤١ -وينبغي للملك أن يعاملَ ضعيفَ أعدائهِ معاملةَ من هو في الدرجة العليا من القوة، ولا يحتقر صغيرهم، فربَّ صغيرٍ عاد كبيرًا، قال القائل:

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما[٣] تموت الأفاعي من سموم العقارب

٤٢ -ويحذر الغدر كل الحذر، فإنه من أخلاق الصبية، وعاقبته وخيمة رديئة.

٤٣ -ولا يحلف مطلقاً إلا في شيء لو حُزَّ بسكين لم ينكثه.

٤٤ -ولا يجزع على ما فات فإنه شأن النساء.

٤٥ -ويلزم الأدب، والمروءة، والمداراة، وبذلك تعظم الهيبة، وينمو الحال، وتذل الأعداء.

٤٦ -وينبغي للملك أن لا يستخدم من النساء في خدمة ذاته[٤]، إلا من جرَّب ثقتها في نفسه وماله، وحرصها على بقاء مهجته؛ فإنما هو وديعة في أيديهم.

ويتحفظ من السم إلى الغاية، ويحذر الطبَّاخ إلى ما إليه نهاية.

٤٧ -ولا يثق بطبيب واحد، بل بعشرة فأكثر، ولا يستعمل دواء إلا بحضرتهم واتفاقهم، ولا يصنع له دواء إلا بمباشرتهم، مع مباشرة ثقة مأمون من خواصه يميز الأصناف والتركيب.

وقد وقع في الزمن السالف أن صَبِيَّة غذيت بالسم حتى صارت في طبيعة الأفاعي

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " والهمة عن نأخرت " .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " لهول حياته " .

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ : " كيداً ضعيفاً " ، وفي المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي بلفظ : "ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ..." ١/٣٥٥ ، وما في المستطرف هو الأنسب عروضيا .

(٤) لعل هذا الكلام ينقله عن كتاب سر الأسرار ، وهذا من الجزء المفقود من الكتاب المطبوع.

وأهديت إلى الإسكندر لتعضه فتقتله، فلولا[١] فَطِنَ إليها أرسطو لأهلكته[٢] بمجرد عرقها وريقها.

٤٨ -وينبغي التحفظ لهذه النفس الشريفة العلوية المَلَكُوتية[٣]، فإنها وديعة عند الإنسان.

٤٩ -وينبغي للملك أن لا يغفل في مراعاة علم النجوم، وهو كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الكائنات، ويسمى عالم الأحكام[٤]، ولا يلتفت للجُهَّال[٥]، فما خلق الله شيئاً عبثاً، لكن من جَهِل شيئاً عاداه.

٥٠ -وينبغي للملك إذا أحزنه[٦] أمر أن يكون جميع ما يملكه في عينه أقل من التراب، فإنه إن زال عنه، وثبتت دولته أمكنه تحصيل أضعاف ما ذهب منه، وإن بخل به ذهبت نفسه، وذهب بما يملكه.

٥١ -وينبغي للملك أن يؤدب قوته الشَّهْوية حتى تنقاد إليه، ويصير مالكاً لها فيصير ملكاً حقاً.

حُكي أن المعتضد كان مغرماً بأكل الطفل[٧] لا يصبر عنه، وأضر مزاجه؛ فقال له

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "لولا" .

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "لأهلكته" من (ع) ،

(٣) يقصد بذلك الروح ، ولكن لا تعتبر الروح ملكوتية، فعلمها عند الله - عز وجل -، كما أنه ليس كل روح شريفة، بل هي بحسب صاحبها كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

(٤) كتاب سر الأسرار ص ٧٣.

(٥) الأخذ بعلم النجوم إن كان القصد به التعرف على أوقات الحر والبرد والزرع، وقطف الثمرة، وانتشار الأوبئة ونحو ذلك ، فلا بأس به؛ لأن الله قد جعلها سببًا لذلك، أما إن كان القصد به التعرف على المغيبات والتكهن بالمستقبل ونحو ذلك فإنه لا يجوز لأنه من الشركيات.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "حريه".

(٧) الطفل : طين أصفر يتجمد على هيئة رقائق بتأثير ضغط ما فوقه من صخور، وتصبغ به الثياب . المعجم الوسيط حرف " الطاء" .

الأطباء: تَكلَّف الإمساك، ففعل ذلك حتى صار عادة له، ولم يكتف بذلك حتى كُرِّرَ حُضُوره بين يديه، فلم تطْمح نفسه إليه.

٥٢ -وينبغي أن يكون واسع الصدر، حسن التأني والتثبت، متحرزاً من العجلة، صبوراً على المشاق والمكاره.

حُكي أن صاحب خِلاط[(١)] جلس للناس، فأحضر إليه رجل باكور فَقُّوس[(٢)] عدتها عشرة، فتناول واحدة فواحدة حتى أَكَلَ الكُلَّ، فقال له بعض خواصه في خلوة: ليس من عادة الملك الاستئثار بما قُدم إليه، فقال: قصدت الاقتصار على واحدة جبراً لخاطر صاحبها؛ فوجدتها مُرَّةً فأتْبَعتها بغيرها، فوجدت الكُلَّ مُرًّا؛ فكتمت، وصبرت على مرارتها؛ لئلا يخجل بِذَمِّها[(٣)].

٥٣ -وينبغي للملك أن يحذر من الضجر والملل[(٤)].

حُكي أنه لَمَّا ملك الفرنج إنطاكية خرج إليهم صاحب الموصل في جيش عظيم؛ فحاصرهم، ومنع عنهم القوت حتى أشرفوا على الهلاك، فمل من طول الحصار فتنحى عن البلد ودعاهم أن يخرجوا إلى مناجزة القتال فخرجوا فهزموه، فكان ذلك بسبب[(٥)] قلقه وضجره.

٥٤ -وينبغي أن يتحفظ من عدوه إذا قدم من سفر، وأراد المرور بقصبة[(٦)] البلد.

---

(١) خِلاط بكسر أوله وآخره طاء مهمله: البلد العامرة المشهورة، وهى قصبة أرمينية الوسطى. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/١٧٣.

(٢) الفقوس في الشام: نوع من البطيخ، وفي مصر نوع من القثاء. المعجم الوسيط حرف "الفاء".

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "مهديها".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبتقديم الملل على الضجر.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "سبب".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "قصب".

يُحكى أن الحسن بن مروان[١] صاحب ديار بكر دخل آمد؛ فنثر عليه أهلها[٢] دنانير ودراهم، وتعمدوا بها وجهه فغطاه بكمه؛ فبدره رجل من أهلها فقتله.

٥٥ -وينبغي أن لا يلزم المرور في طريق، وإذا ذهب من طريق رجع في غيره. فقد كان السلطان صلاح الدين ـ وهو بدمشق ـ يكثر المرور تحت شجرة، فكمن له بأعلاها بعض الباطنية؛ فلما حاذاه ألقى نفسه عليه، فلولا أنه سقط على كَفَل[٣] الفرس لقتل صلاح الدين.

٥٦ -وينبغي له أنه إذا دَهَمَه أمْرٌ عظيم أن لا يبادر إلى العمل فيه برأيه، بل يرجع إلى ذوي العقول والتجارب.

حُكي[٤] أن عبد الملك بن مروان خرج من الشام إلى قتال ابن الزبير[٥] بمكة، وصحب معه عمرو بن سعيد بن العاص، فتمارض عمرو في الطريق، واستأذنه في العود إلى دمشق، فعاد، ودعى لنفسه، وبويع بالخلافة، واستولى على الخزائن، وبذل الرغائب، فبلغ عبد الملك، فضاقت عليه المذاهب، فركب منفرداً حتى انتهى إلى شيخ يجمع السماق[٦]، فحادثه، وسأله عن عبد الملك فقال: خرج لقتال ابن الزبير وقطعه

---

(١) هو : الحسن بن مروان أبو علي الكردي الأمير صاحب ميافارقين. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٤٥٤/١.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "فنثر أهلها عليه".

(٣) الكفل : العجز للإنسان والدابة . المعجم الوسيط حرف " الكاف " .

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "حكي" بدون حون حرف العطف.

(٥) ابن الزبير هو : أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق، أرسل إليه عبد الملك أخاه "محمد بن مروان" فعرض عليه الأمان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق وطعنه زائدة بن قيس السعدى فقتله سنة ٧١هـ . الأعلام للزركلي ٢٢٧/٧ .

(٦) السماق: شجر من الفصيلة البطمية تستعمل أوراقه دباغا وبذوره تابلا، وينبت في المرتفعات=

عن مقصده ووثوب ابن عمه عمرو على منبره فإن أصر على قصد ابن الزبير خذل، وإن عاد، فأرجو له السلامة، فقال له: هل عوده لدمشق إلا كمسيره لابن الزبير؟ قال: إن قصد ابن الزبير كان في صورة[١] ظالم، فإنه لم يطعه قط ولم يبايعه، وإن قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم، فإنه نكث بيعته، ووثب[٢] على ملكه، فعمل برأيه فنجح.

٥٧ -ويتعين على الملك أن يتجنب الكبر[٣]؛ فإنه من أخبث سرائر القلب، وأعظم كبائر الذنوب لا يرى صاحبه إلا فظا غليظا، وكفى به شيمة مشؤمة، وخلة مذمومة، أهلكت الأكابر قديما وحديثا، وعاد الكريم من الرجال ذميما ملوما، ويكفي في ذمه قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[٤]، قال ابن عيينة[٥]: حرمهم فهم القرآن، وفي الحديث: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٦]، قال الشافعي:[٧] رضي الله عنه: أظلم الناس

=والجبال. المعجم الوسيط حرف " السين ".

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "صفة".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ووقف".

(٣) من هذا الموضع وحتى قوله: "ما بين جنبيه يحمل العذرة " مما زادته (ل) على (ع)، وهو مما اختصره على من كتاب غرر الخصائص للوطواط ١/ ٣٤.

(٤) سورة الأعراف، آية رقم: "١٤٦".

(٥) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، توفي سنة ١٩٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٨/ ١٠٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم " ٧٢٥ "، والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم: "٧٨٥٠" واللفظ له.

(٧) محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، ولد في غزة، برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيا مفرطا، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب الأم في الفقه، وأحكام القرآن،=

لنفسه اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بالأعراف، وتكبر على ذوي الفضل. وما تاه إلا وضيع[1]، ولا فاخر إلا لقيط، و لا تعصب إلا دخيل، وقال أزدشير: ما الكبر إلا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر، قال الشاعر:

وقل لمعتصم بالتيه من حمق   لو كنت تعرف ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة   للعقل منهكة للعرض فانتبه[2]

وقال آخر:

رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة   إذا كان منسوبا إلى العجب والكبر
ومن ظن أن العجب من كبر همة   فإني رأيت العجب من صغر القدر

وقال بعض الحكماء: الإعجاب يغطي سائر المحَاب، ومن قل لبه كثر عُجْبه.

وقالوا: من أصابه حظًا من جاه ورفعه، فأداه إلى كبر وترفع؛ أَعْلَمَ الناسَ أنه دون تلك المنزلة، ومن أقام على حاله؛ أعلمهم أن تلك المنزلة دونه.

وقال بعضهم[3]: التواضع مع البخل والجهل، أولى بالرجل من البذل والعقل.

قال الشاعر[4]:

=توفي سنة ٢٠٤ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٦/٢٦.

(١) هذا الكلام لابن مسلم صاحب الدولة كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣١٢٧/١ كما في غرر الخصائص في الموضع السابق نفسه. وهو: عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة، توفي سنة ١٣٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٣٧/٣.

(٢) هذان البيتان لأبي نواس كما أفاده ابن كثير في البداية والنهاية ٢٥٢/١٠. وقد رويا بألفاظ متقاربة كما في البداية والنهاية و المستطرف ١/ ٢٨٥.

(٣) القائل هنا هو: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كما في غرر الخصائص. راجع الموضع السابق نفسه.

(٤) هذان البيتان منسوبان لمحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر المعروف بحافي رأسه، كان من أئمة العربية وهو أحد النحاة الثلاثة المحمدين في عصره، واحد هو في الأسكندرية، وابن النحاس في مصر، =

ومعتقد أن الرئاسة في الكبر فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري
يجر ذيول الفخر طالب رقعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وقال آخر[1] :

عجبت من معجب بصروته وكان بالأمس نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته يصير في القبر جيفة قذره
وهو مع تيهه ونخوته ما بين جنبيه يحمل العذره

=وابن مالك في دمشق ، ولقب بحافي رأسه لأنه رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثياباً جدداً لبدنه ، فقال : هذا لبدني ورأسي حافي ، فأمر له بعمامة فلزمه ذلك . انظر الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٤٤٦ .

(١) هذه الأبيات منسوبة إلى عبد الله بن محمد الباقي الخوارزمي كما في يتيمة الدهر للثغالبي ٣٥٣/١، وهو أديب مترسل ، من الشعراء ، على علم غزير بفقه الشافعية. نسبته إلى " باف " من قرى خوارزم ، توفي سنة ٣٩٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ١٢٠ .

الباب العاشر

فيما يحتاجه الملك من الطب الجسماني[1]

اعلم[2] أن السلامة والصحة أنفع مدلول عليه، وأفضل معمول به في أمر الدنيا، ولا طريق إلى شيء من أمور الدارين إلا بالقوة، ولا قوة إلا بالصحة، ولا صحة إلا باعتدال الأمزجة الأربعة.

وقد جعل الله تعالى إلى تعديلها أسباباً؛ أَعْلَم بها خواص عباده، ثم استنبطوا منها، ومرامه قريب إذا صحت القريحة.

وقد أجمع الحكماء على أن الإنسان مُرَكّب من أمزجة متعادية تحتاج إلى أغذية وأشربه إن فَقَدَها هَلَك، أو أكثر، أو نقص مرِض.

---

(١) يعتمد المناوي في هذا الباب على النقل بتصرف من كتاب سر الأسرار، أو السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة لأرسطاليس بداية من ص٧٣ وما بعدها، واختصر العزو إليه بقولي: " وفي سر الأسرار".
وهذا هو الكتاب الذي اشتمل على نصائح أرسطاليس للإسكندر، وقد صححت ما أشكل معناه من كلام المناوي بما استقام معناه من كلام أرسطو حفاظا على المعنى المقصود، وما كان معناه مقبولا من كلام المناوي أثبته بنصه، ثم أشير في الحاشية لما قابله من كلام أرسطو، وللوقوف على كلام أرسطو. انظر: كتاب أرسطو: سر الأسرار، أو السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة. ص ٧٥ تحقيق: سامي سليمان الأعور، الناشر: دار العلوم العربية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٩٥م.

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "اعلم" من (ع).

واتفقوا على أن من جاوز الحد في الامتلاء، أو الخلاء، أو النوم، أو السهر، أو الحركة، أو السكون، أو الإسهال، أو إخراج الدم، أو الإسراف في الجماع، لم يأمن من هيجان العلل، وبغتة الآفات.

وأن من توقّى ذلك، ولزم الاعتدال لزمته الصحة وطول البقاء، فمن أحب طِوَلَهُ هَجَرَ الشهوات، ولم يؤثر أكلةً على أكلات.

وقد كان سقراط يلتزم الحِمْيَة فقيل له: لو زدت في غذائك زدت قوة ونشاطاً، فقال: إنما أطلب الحِمْيَة[1] حرصاً مني على البقاء، ولا أطلب البقاء حرصاً مني على الغذاء. ومن اقتصر من الشهوات على البُلْغة والقوت، واستعمل الرياضة، كان أصح بدناً، وأطول عمراً، وأقوى شهوات، وأخف حركات ممن أكثر منها.

فالطب: هو الاقتصاد. وحفظ الصحة على وجهين:

أحدهما: الاغتذاء بما يوافق السن والزمن، والعادة، والأطعمة المأكولة للإنسان التي ألفها وثبت[2] بدنه عليها.

الثاني: ما تولد من إخراج فضول، وكَيْمُوس[3] رديّ، ومادة مفسدة.

ولما كانت الأبدان، وما يصلها من أغذية وأشربه تنحل أولاً فأولا بالحرارة

---

(١) أي أطلب المنعة. يقال: وحَمَى المَريضَ ما يضرُّه حِمْيَةً مَنَعَه إيَّاه.

لسان العرب، مادة "حمي".

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: "المأكولة للإنسان ونبت بدنه عليها"، وفي سر الأسرار ص٧٨: "والأطعمة والأشربة التي ألفها وثُبُتَ بدنه عليها"، فوضح أن في هذا الموضع كلام ساقط، قال أرسطو في سر الأسرار ص ٧٨: "والأطعمة والأشربة التي ألفها وثُبُتَ بدنه عليها"، وحتى يستقيم المعنى قدرتُ كلام المناوي في ضوء كلام أرسطو.

(٣) الكيموس: هو الطعام المهضوم في الأمعاء في المرحلة التي تسبق تحوله إلى دم، قال ابن منظور: "الكَيْمُوس في عبارة الأَطِبَّاء هو الطعام إذا انْهَضَمَ في المَعِدَة قبل أن ينصرف عنها، ويصير دَماً، ويسمُّونه ـ أَيضاً ـ الكَيْلُوس". لسان العرب، مادة "كمس".

الغريزية المنشفة للرطوبة؛ فإذا[١] كان البدن مُتَخَلْخِلاً حاراً نفعه[٢] الغذاء الغليظ؛ لأن ما يتفشى[٣]، ويتحلل من ذلك البدن يكون كثيراً قوياً لِسَعَةِ منافذه وقوة حرارته.

وإذا كان البدن ملززا[٤] مكتنزا يابساً، نفعه الرطب اللطيف؛ لقلة[٥] ما يتحلل من ذلك البدن لضيق منافذه.

وحفظ الصحة أن يتغذى[٦] الإنسان بما يوافق مزاجه حال صحته؛ فإن كان حاراً[٧] وافقه الحار المعتدل، وكذا الرطب واليابس من الأمزجة. فإن زادت الحرارة؛ والتَهَبَت كثيراً من غذاء حار قوي؛ انتفع بما يضاده من المبرد.

فإن كانت المعدة حارة جيدة، نفع الغذاء الغليظ كالنار العظيمة التي تقوى على إحراق الحطب الجَزْل. وإن كانت باردة ضعيفة؛ فأنفع الغذاء لها ما أخذ[٨] على الاستمراء كالنار الضئيلة[٩] التي توقد بالقصب ودقاق الحطب.

ومن الدلائل على الاستمراء: خفة البدن، وصفو الحشا[١٠]، وحركة الشهوة.

---

(١) هذا الكلام نتيجة مرتبة على ما قرره في العبارة السابقة.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "جاز أنفعه".

(٣) في (ل) بلفظ: "نيقش" وفي(ع) بلفظ: "ينفش"، وفي سر الأسرار ص ٧٨: "يتفشى"، وما في سر الأسرار هو الأنسب.

(٤) "ملززا" أي متقارب الأعضاء. قال ابن منظور: "كل شيء دُونِيَ بين أَجزائه، أَو قُرِنَ فقد لُزَّ". لسان العرب، مادة "لزز"، وفي سر الأسرار: ص ٧٩ "مُتَكَزِزًا"، و "الكَزُّ الذي لا ينبسط". لسان العرب، مادة "كزز"، ولعله من التصرف بالعبارة.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "لحلة".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يغتذي".

(٧) أي: فإن كان حار المزاج، ففي سر الأسرار ص ٧٨: "فمن كان حار المزاج".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ما خف".

(٩) في (ل) و (ع): "الصلبة"، وفي سر الأسرار ص٨٠: "الضئيلة" وهو الأصح لمقابلتها النار العظيمة

(١٠) هكذا في (ل) و(ع)، وفي سر الأسرار ص ٨٠: "خفة الجشأ" ولعله من التصرف في المعنى الجشأ يكون نتيجة امتلاء الحشا.

وعلى سوء الاستمراء: استرخاء[١] البدن، والكسل، وانتفاخ الوجه، وكثرة الريق، وثقل العين، وكون[٢] الحشا ـ حامضاً، أو عفناً، أو مراً، أو مائياً، أو مقيئاً ـ وتَهَيُّج قراقر[٣]، ونفخ بالبطن، وثقل الشهوة.[٤]

وإن زاد الأمر حدث التمطّي؛ وعرقٌ، وتثاؤبٌ، وقشعريرةٌ، وذلك كله يفسد البدن.

وينبغي للقائم من نومه أن يمشي قليلاً، ويمد أعضاءه مداً معتدلاً؛ فإنه يُصلّب البدنُ، ويمتشط[٥] ليخرج البخار المتصعد إلى رأسه حال نومه، ثم يغتسل صيفاً بماء بارد، فإنه يشد بدنه، ويحبس الحرارة الغريزية، فيكون سبباً للشهوة، ويلبس ثياباً نظيفة، ويُحسِّن زيَّه؛ فإن حاسة العين تَميزُ[٦] بالنظر لذلك فَتقوي[٧] القوة النورانية بانبساطها، ثم يستاك بغَضٍّ مُرٍّ حَرِّيف ليس من شجر مجهول؛ فإن نفعه عظيم؛ فإنه يفتح سدد الدماغ، ويغلظ العنق والصدر، ويوسم[٨] الوجه، ويقوي الحواس، ويبطئ بالشيب.

ثم يتطيب بما يوافق الزمن، فإنه لا بقاء[٩] للنفس الروحانية إلا باستنشاق

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "إرخاء".

(٢) هكذا في (ل) و (ع): "وكون الحشا"، وفي سر الأسرار ص٨٠: "وكدر الجشأ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يهيج قراقر"، وفي سر الأسرار ص ٨٠: "تيهيج قراقرٍ"، والقَرَق القاع، ولعل المراد قاع المعدة. راجع لسان العرب، مادة "قرق".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تقل السهوة"، وفي سر الأسرار ص ٨١: "وثقل الشهوة".

(٥) هكذا في (ل) و (ع): "يمتشط"، وفي سر الأسرار ص٨١: "يتمشط"، ومعنى يمتشط: يتمدد، يقال: "رجل مَمْشُوط فيه طول ودِقَّةٌ الخليل المَمْشُوط الطويل" لسان العرب، مادة "مشط".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "يميز".

(٧) هكذا في (ل) وفي سرا لأسرار ص ٨١، وأما في (ع) فبلفظ: "فيقوي".

(٨) هكذا في (ل) وفي سر الأسرار ص ٨١: "يوسم"، وأما في (ع) فبلفظ: "يدسم".

(٩) هكذا في (ل)، وفي سر الأسرار ص٨٢، وأما في (ع) فبلفظ: "غذاء".

الروائح العطرة والرياحين؛ فإن ذلك يفرح القلب "ويجري الدم في العروق"[١] ، ثم يضع في فِيْه حبة من قَرَنْفُل أو عود رطب أو قطعة من جَوْزُبُوْ[٢]؛ فإن ذلك يجلب البلغم إلى الفم، ويذهب وجع الحلق والفم.

ثم يَلْقى الأكابر ، ويستعمل معهم الكلام والمراوضة[٣].ثم يقضي حوائجه.

فإذا تحركت شهوته للطعام إرتاض بمشي[٤]، أو ركوب، أو حَمْلِ ثَقِيل؛ فإن ذلك ينشر[٥] الريح، وينشط البدن، ويقويه، ويجففه، ويوقد نار المعدة، وينبه البدن[٦] والنَّفْس.

ثم يضع أطعمة كثيرة، ويأكل مما يقع اختياره عليه، وتحركت له شهوته؛ فإن أمكن أن لا يتعداه، فذلك البغية[٧]؛ وإلا قلل.

ويُقَدِّم[٨] في الأكل ما ينبغي تقديمه، ويؤخر ما ينبغي تأخيره؛ فيقدم المُلِّين، ثم الحابس؛ لِيُسِّهل انجذاب الطعام بعد هضمه؛ فإن قدَّم الحابس، وأتْبَعَه المُلَيِّن لم يَحْدُره[٩]، وأفسدهما.

وينبغي أن يمسك عن الطعام، وقد بقيت من شهوته بقية؛ فإنَّ كثرة الأكل تضيِّق النفس، وتبقي الطعام في قعر المعدة.

---

(١) هذه الجملة من زيادات المناوي على أرسطو.

(٢) هكذا في (ع)، وفي سر الأسرار ص٨٢ ، وأما في (ل) فبلفظ: "جوز".

(٣) هكذا في (ل) و(ع) ، وفي سر الأسرار ص ٨٢ : " المراوحة " .

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "بمشي" (ع) وفي سر الأسرار ص ٨٢ : " بشيء عنيف " .

(٥) هكذا في (ع)، وفي سر الأسرار ص٨٢، وأما في (ل) فبلفظ: "يكسر".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وتوقد نار المعدة وتنبه البدن " ، وفي سر الأسرار ص٨٣ : " فينشط البدن ، ويقوي البنية ، ويخففها ، ويثير نار المعدة ، وانتباه النفس "

(٧) هكذا في (ع) ، وفي سر الأسرار ص٨٣ ، وأما في (ل) فبلفظ: "ألا ينعدم قدمك ألفه".

(٨) هكذا في (ع) ، وفي سر الأسرار ص٨٣ ، وأما في (ل) فبلفظ: "وقدم".

(٩) هكذا في (ع) ، وفي سر الأسرار ص٨٣ ، وأما في (ل) فبلفظ: "لم يحذره".

ولا يشرب عليه؛ فإنه يبرد المعدة، ويطْفئ نار الشهوة، ويولد عند الإكثار التخمة التي هي أعظم آفة، وتسمى السم المؤجل، فإن لم يكن بدّ من الشرب لِحَرِّ الزمن أو حرارة المعدة قَلَّل[١]، ويكون صادق البرد[٢].

وإذا فرغ من الأكل[٣] مشى بلطف على فراش لين، ثم ينام على جنبه الأيسر، الأيسر، لأنه بارد فيُحتَاج لتسخينه[٤]، فإذا أحس بثقل وضع على بطنه ثوبا ثقيلا مُدَفِّيا، أو يعانق شابة حارة البدن[٥]، فإن أحس بجشأ حامض دلّ على برد المعدة.

والحركة قبل الطعام توقد[٦] نار المعدة، وبعده رديئة؛ لأنها تَحْدِر الطعام غير نَضِيْج، فيورث سَدَدَا أو سقما، والنوم قبل الطعام يهزل البدن، ويخفف رطوبته، وبعده يَغْذُو[٧] ويُقوِّى؛ لأنه إذا نام برد ظاهر البدن، واجتمعت الحرارة الغريزية المنتشرة فيه إلى المعدة، فيقوى على النُضْج؛ ولذلك فضلوا[٨] العَشاء على الغَدَاء؛ لاستقباله حر النهار مع بيع يشغل[٩] الحواس والنَّفْس بما سمعه، ويباشه،

(١) هكذا في (ع)، وأما في (ل) فبلفظ: "قال".

(٢) كذا في سر الأسرار ص ٨٤، ولعل قصده أن يكون الشراب معتدلا، فلا هو بارد بشدة، ولا هو حار.

(٣) في (ل) و (ع): " وإذا فرغ يأكل ".

(٤) هكذا في (ع)، وأما في (ل) فبلفظ: "فإنه بارد فيحتاج لتسخينه".

(٥) هذا إذا كانت جائزة له من أزواجه وإمائه.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تورث".

(٧) في(ل) بلفظ: " يعدرا" وفي (ع): " وبعده يغذؤ ويقوى "، وأما في سر الأسرار ص ٨٧: " والنوم بعد الطعام يغذو ويقوي "

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يعتلو".

(٩) هكذا في (ل) أما في (ع) فبلفظ: " مع شغل الحواس "، وفي سر الأسرار ص ٨٧: " ثقل الحواس " وما وما في سر (ل) هو الأوفق للسياق.

ويتفكر فيه [١] فتنتشر[٢] الحرارة الغريزية بالبدن، فتضعف المعدة عن النضج؛ بخلاف العَشاء، فإنه يستقبل السكون، وهدوء الحواس والنَفْس، وهجوم الليل البارد الذي تهجم[٣] الحرارة الغريزية فيه إلى غور البدن.

ولا يتناول غذاءً ثانياً إلا بعد هضم الأول، ويُعْلَمُ بالشهوة[٤]، وتجلُّب الريق، ولا يأكل بغير شهوة؛ لئلا يوافي[٥] الحرارة الغريزية جَامدة كنار خامدة.

وإذا اشتهى الأكل بادر إليه، وإلا اغتذت المعدة من فُضوله، وتجلَّبت أخلاطاً فاسدة؛ وتَبَخَّرَ الدماغ ببخار فاسد، وإذا أكل بَعْدُ فسَدَ.

ومن اعتاد أكلتين في يوم، فاقتصر على واحدة، أو واحدة فأكل ثنتين؛ عَظُم ضرره، ومن جعل طعامَه في وقتٍ، فنقله لغيره ظهر له غَبُّه، فإن دعت ضرورة للانتقال نقله[٦] تدريجاً.

فصل: في تدبير الفصول، وما يعمل فيها

الأول: فصل الربيع

وهو حار رطب معتدل كالهواء والدم، وينفع فيه كل شيء معتدل القُوى؛ كالْفَرَوُّج والدَّراج[٧] الصغير والبيض النُمرُشت[٨]، والخس والهَنْدَبَاء ولبَن المَعِز،

---

(١) هكذا في (ل) وفي سر الأسرار ص ٨٧ أما في (ع) فبلفظ: "يتفكر فيه" دون "واو" متقدمة.

(٢) في (ل) و (ع): "وتنتشر"، وفي سر الأسرار ص ٨٨: "فتنتشر".

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: "تهجم"، وفي سر الأسرار ص ٨٨: "تهرب". ويقال: هجم بمعنى دخل، لسان العرب مادة "هجم".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الشهرة".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "توافي".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "نقل".

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الذراج". والدَّراج: نوع من الطير، انظر: لسان العرب، مادة "درج"

(٨) في (ل) بلفظ: "النميرشت" وفي (ع) بلفظ: "التمرشت"، وفي سر الأسرار ص٩١: "النِمْرِشْت =

ولا[١] وقت لإخراج الدم بنحو حجامة أفضل منه، ويصلح لكثرة الجماع والحركة والإسهال ودخول الحمام والتَّعرُّق.

الثاني: الصيف

حار يابس، سلطانه المُرة الصفراء، فيُتَوقى فيه كلّ حارٍ من طعام وشراب ودواء وأفاويه[٢]، ويُحْذر الامتلاء؛ لئلا تنطفئ الحرارة[٣]، ويؤكل غذاءٌ باردٌ كلحم العجل وفراريج مُسَمَّنة بدقيق شعير، وحِصْرمية[٤]، وتفاحٍ مِزٍ[٥]، وأَجَاص[٦]، ورمان[٧] حامض، ويُشرب ماءٌ مبرد[٨] بثلج، ويُقل الجماع، ويُجْتنب إخراج الدم لا الحَمَّام، ويستعمل القيء لا الإسهال إلا لضرورة.

الثالث: الخريف

بارد يابس، سلطانه المرة السوداء[٩]، فيتوقى فيه كل طعام وشراب بارد يابس، ويُستعمل غذاء حار لين رطب كفَرُّوج، وخروف، وعنب حلو، وشراب

=والبيض النمرشت: النصف مسلوق.

(١) هكذا في (ل) وفي سر الأسرار ص ٩١، وأما في (ع) فبلفظ: "لا" دون الواو.

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "وأفاويه" من (ع)، والمقصود بها التوابل التي يعالج بها الطعام. انظر المعجم الوسيط حرف "الفاء".

(٣) في سر الأسرار دون جملة "ودواء وأفاويه، ويُحْذر الامتلاء؛ لئلا تنطفئ الحرارة"، فهي مما زاده المناوي.

(٤) الحِصْرِمُ الثَّمر قبل النُّضج والحِصْرِمةُ بالهاء حبة العِنب حين تنبت.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "مر" براء مهملة.

(٦) في سر الأسرار ص٩٣: "الحصرمية من الفواكه كالتفاح المز والأجاص"، والأجاص هو: فاكهة معروفة باسم الكمثرى.

(٧) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "ورمان" من (ع).

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فلفظ: "بارد".

(٩) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "السوداء" من (ع) لفظ: "السوداء".

عتيق، ويُتجنب كلُ مُولِّد للسَّوْداء[١]، وتكون الحركة فيه والجماع أكثر منها صيفاً وأقل شتاءً، ويُتَعهد الحمَّام، وإن احتاج إلى قيء كان وسط النهار وآخره.

ويُستعمل كل مُسَّهِل يخرج السَّوْداء، ويُرقق الأخلاط كالغاريقون[٢].

الرابع: الشتاء

بارد رطب سلطانه البلغم، فيُأكل الحار كفراخ الحَمَامِ، وحَوْليِّ الضأن؛ ونحو كباب وتمر وجوز وثوم، وشرابٍ صِرْف[٣] غليظٍ أحمرٍ، وجوارشَ حارٍ، والحَقْن[٤]، ويُتوقى الإسهال، وإخراج الدم إلا لضرورة، ويُمرِّخُ[٥] بدُهنٍ حار بدنَه، ويَدخل أبْزنا[٦] معتدلاً، ولا يضر جماع كثير، وحركة مفرطة.

---

(١) لعله مرض الكبد، فالعرب تصف الأكباد بالسواد ومن ذلك يقال للأعداءِ: سُودُ الأَكباد، قال:

فما أَجْشَمْتُ من إِتْيان قوم هم الأَعداءُ فالأَكبادُ سُودُ"

لسان العرب، مادة "سود".

(٢) في (ل)بلفظ: "الغاريقون "وفي(ع) بلفظ: "القاريتون"، و في سر الأسرار ص ٩٥ "الأغاريقون"، وهو: فطر ينمو على جذوع بعض الأشجار، وهو على شكل كتل إسفنجية ليفية غير منتظمة الشكل تتكون من خيوط فطرية متداخلة، ولونه بني من الخارج أبيض مصفر من الداخل، طعمه في أوله حلاوة وفي آخره مرارة يُستعمل كمسهل شديد، ويسمى غاريقون أبيض أو غاريقون أنثى.

(٣) لعل المراد شراب خالص نقي فعند العرب: "الصِّرْفُ هو بالكسر ...
ويسمى الدم والشرابُ إذا لم يُمْزَجا صِرْفاً، والصِّرْفُ الخالِصُ من كل شيء".
لسان العرب، مادة "صرف".

(٤) كذا في (ل) و(ع).

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ويمرج".

(٦) "الأَبْزَنُ شيءٌ يُتَّخَذ من الصُّفْر للماء وله جَوْف ,...وقال ابن بري: الأَبْزَنُ شيء يَعْمَله النّجار مثل التابوت" لسان العرب، مادة "بزن".

فصل: البَدن أربعة أجزاء

الأول: الرأس

وعلامة اجتماع الفضول[(١)] فيه: ثقل العين والحاجب، وضربان الصُدغ، ودوي الأذن، وانسداد المنخرين[(٢)]، فمن أحس بذلك يُطبخ له إفسنتيناً[(٣)] بشراب حلو مع أصول صعتر[(٤)] حتى يَذْهبَ نِصفُه، فَيتغَرْغَرَ[(٥)] به كل غداة لِيَخِف، ويستعمل أريج فيقرا[(٦)] عقارًا[(٧)] عند النوم، فإن أغفل ذلك هاجت به علل مخوفة كفساد بصر، وخنازير[(٨)]، وذبحة، ووجع دماغ وصدر.

الثاني: الصدر

وعلامة اجتماع الفضول فيه ثقل اللسان، وملوحة الفم، وحموضة الطعام على رأس المعدة، والسعال[(٩)]، ووجع العضد، فيُخفف من طعامه، ويستعمل مُربَّى وَرْد

---

(١) أي المرض وعدم السلامة.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل)ف بلفظ: "المنخر"

(٣) الأفسنتين: حشيشة تشبه ورق السعتر وفيه مرارة وقبض وحرافة، وهو من أصناف الشيح ولذلك يسمّيه بعض الحكماء الشيخ الرومي. من خواصه أنه يمنع الثياب عن التسوس وفساد الهوام ويمنع المداد عن التغيّر والكاغد عن القرض. راجع القانون لابن سينا ١/٤٥١.

(٤) "الصَّعْتَرُ من البُقول بالصاد... وترجمة الجوهري عليه "سعتر" بالسين قال: وبعضهم يكتبه بالصاد في كُتُب الطِّبِّ؛ لئلا يَلْتَبس بالشَّعير". لسان العرب، مادة "صعتر"، ولعله الزعتر المشهور.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل)ف بلفظ: "ويتغرغر".

(٦) أريج فيقرا: هو أحد أنواع الأيارج، وهو أريج الصبر. قال ابن سينا عنه: "واعلم أن أياريج فيقرا جليل النفع". القانون ٣/٨٩، وفي سر الأسرار ص٩٨: "وغبار الأيارج ذي الاثنى عشر".

(٧) هكذا في (ع) وسقط لفظ "عقارا" من (ل).

(٨) "الخنازير علة معروفة، وهي قروح صُلْبَة تحدث في الرقبة". لسان العرب، مادة "خنزر".

(٩) هكذا في (ل) وسقط لفظ "والسعال" من (ع).

بالعود المصطكي[١]، ويأخذ على طعامه قدر الجوزة من معجون الأنسيون[٢] الكبير بعودٍ، وخولنجان[٣]، ومن أغفل ذلك أورثه ذات الجنب[٤]، والكلى، والحمى.

الثالث: البطن

وعلامة اجتماع الفضول فيه نفخ، ووجع ركبة، وقشعريرة، وريح جائل.

[فينبغي لمن أحس بذلك أن يستعمل إسهال البطن ببعض الأدوية الملينة اللطيفة ويستعمل التدبير الذي قدمناه في الصدر، فمن أغفل ذلك أورثه وجع الركبتين والوركين والظهر والمفاصل واستطلاق البطن، وفساد الهضم وسدد الكبد.

والمثانة إذا اجتمع فيها فضول كان آية ذلك فتور الشهوة وظهور البثر على الإليتين والعانة][٥]

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بعود ومصطكي". "المَصْطَكا: العِلْكُ الرومي، فليس بعربي، والميم أَصلية، والحرف رباعي"لسان العرب، مادة "مصطك"، ولعل المراد هنا: "مربى الورد بالعود المصطكى" كما في كلام أرسطو. سر الأسرار ص ٩٩

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الأنيسون"، والأنسيون: هو نبات دقيق أطول من ذراع، دقيق الورق، عطري بلا ثقل، يتولد بزره بعد زهرة إلى البياض في غلاف لطيف، وأجوده الحديث الرزين الضارب إلى الصفرة، ولا ينمو إلا بكثرة الماء، وهو حار يابس. قال ابن سينا: "قرص الأنيسون: مفتّح للسدد مصلح للكبد ملين للطبيعة مزيل للحميات العتيقة"
انظر: القانون ٦/١٦١.

(٣) الخولنجان الصغير: عبارة عن نبات عشبي معمر.

(٤) قال ابن سينا: "ذات الجنب: ورم حار في نواحي الصدر إما في العضلات الباطنة وفي الحجاب المستبطن للصدر، وإما في الحجاب الحاجر، وهو الخالص، أو في العضل الظاهرة الخارجة، أو الحجاب الخارج بمشاركة الجلد أو بغير مشاركة". انظر القانون ٣/ ٢٦٠.

(٥) ما بين المعكوفين غير موجود في (ل) و (ع) وهو منقول بتصرف كتصرف المناوي من كتاب سر الأسرار ص ١٠٠، وإنما أثبته حتى لا يكون من وصف من علاج المثانة وهي القسم الرابع مصروف إلى البطن وهو الجزء الثالث.

فمن أحس بذلك ينقع كرفساً[١] ورزيانج[٢] مع أصولهما في شراب البيض، ويتناول منه كل غداة على الريق بماء عسل، ويُقلُّ الأكلَ، ومن أغفل ذلك أورثه وجع المثانة[٣] والكبد وحصر البول. و هو الربع الرابع[٤].

فصل

قال أرسطو[٥]: من أمسى، وليس ببطنه ثِقَلُ طعام لم يخف الفالج، ولا وجع المفاصل. ومن أكل كل غداة سبعة مثاقيل من زبيب لم يخف أدواء البلغم، وجاد حفظه، وفاق ذهنه. ومن أكل في الشتاء شيئاً من حلتيت[٦] أَمِنَ مِنْ حُمَّى الربع، ورَيَّحَ الشراسيف[٧]. ومن أكل جوزتين في[٨] ثلاث تينات مع قليل ورق سذاب[٩] أمن من السم يومه.

---

(١) الكرفس: نبات وهو أصناف كثيرة فمنه الجبلي.ومنه الصخري، انظر: القانون ٢/١١٢.

(٢) الرزيانج: هو نبات يشبه بذر الكرفس " هو الشمر " المعروف يفتح السدد، ويحد البصر، وينفع للمرضعة لزيادة لبنها، ويدر البول، ويفتت الحصى.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " المتانة " بالتاء، وفي سر الأسرار ص١٠٠: " المثانة ".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وحصر البول والربع " ففي الكلام سقط، والمقصود: أن المثانة والكبد تمثل الربع الرابع من أجزاء الجسم انظر: سر الأسرار ص ١٠٠.

(٥) راجع: سر الأسرار ص ١٠١.

(٦) هكذا في (ل) و (ع): " شيئا من حلتيت "، وفي سر الأسرار ص ١٠٢: "شيئاً من الحلو غير المنتن " وما في (ل) و(ع) هو الأنسب، وانظر في فوائده: القانون ٢/٦٨.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " السراسيف "، وفي سر الأسرار ص١٠٢: " الشراسيف "، و"الشُّرْسُوفُ غُضْرُوفٌ مُعَلَّق بكل ضِلَعٍ مثل غُضْروفِ الكَتِف". لسان العرب "شرسف".

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " جوزة بوافي ". وفي سر الأسرار ص ١٠٢: " ومن أكل جوزتين في ثلاث تينات ".

(٩) في (ل) و (ع) بلفظ: " سداب، وفي سر الأسرار ص١٠٢: " سذاب "، والسذاب هو: نبات عشبي معمر بري وزراعي"..

فصل

الغذاء: لطيف ، وغليظ ، ومتوسط:

فاللطيف: يُولِّد دماً صافياً جيداً ،كالحنطة والفَرُّوج والبيض.

والغليظ: ينفع المحرور وكثير التعب.

والمتوسط: لا يُولِّد فُضولاً رديئة(١) ولا سدادًا، وذلك كحنطة، وجدي حولي، وضأن، ومعزة.

وكل اللحمان(٢) حار رطب، وإنما تختلف في الصنعة ، فالمشوي يستفيد قوة من النار ويبسا، إلا أن(٣) يعاجل(٤) بأكله، وكذلك تفعل التوابل فيه ، ومنه ما يستحيل سددًا، ومنه ما يستحيل سوداً كالبقر، والإبل، والوعل، والقطا لغلظه(٥)، ويُجتنب من السمك ما كبر جسمه، وعظم شحمه؛ فإن السم متوقع فيه.

فصل

الماء حياة(٦) لكل ذي روح ونبت، والماء كله الحلو والمر من البحر، وأفضله وأخفُّه ما قرب من البلدان؛ وما كانت أرضه قاعاً جرداء قليلة العفونة، فإن كان من الأرض

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ "رديئة" من (ع).

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: " اللحم " ، وفي سر الأسرار ص ١٠٣ : " وعامة اللحمان " ،وما في سر الأسرار هو الأنسب.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " ألا" .

(٤) هكذا في (ل) و (ع) وأما في سر الأسرار ص١٠٣ فبلفظ : "يعالج"

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فالفقرة غير واضحة لسقوط بعض الألفاظ منها، وهي كالآتي: "وأيما يختلف من الطبيعة ، فالمشوي يستفيد قوة من النار ويبساً ، ألا يعاجل بأكله وكذا التوابل ، ومنها ما يستحيل سوداً كبقر ، وإبل ، ووعل ، وقطا لغلظه"

(٦) في (ل) بلفظ: "جسد" وفي (ع) بلفظ : "حسد" بالحاء ، وفي سر الأسرار ص ١٠٥ : " المياه حياة لكل ذي روح " ، وما في سر الأسرار هو الأنسب.

وبها شجر كثير العفونة فثقيل رديء ، ويُتوقى الماء الذي فيه طحلب ودود وحيات.

والأفضل[١] الماء الأبيض الخفيف الصافي الطيب الريح الذي[٢] يسخن سريعا[٣] ويبرد سريعاً، والماء الملح ييبس[٤] البطن، وماء الثلج رديء ثقيل، وماء البِطَاح والسِبَاخ[٥] حار غليظ لركوده، يولد الصفراء ويعظم الطحال والكبد، وماء العيون النابعة حار رديء ؛ لأن فيه أجزاء من تلك الأرض.

وشرب الماء البارد قبل الطعام يهزل، ويطفئ حرارة[٦] المعدة، وبعده يسخن البدن، فإن أَكْثَر منه فسَّدَ الطعامَ في المعدة، والأولى شرب البارد صيفاً، والمُفَتَّر شتاءً، وشرب المُسَخَّن صيفاً مُرْخٍ للمعدة، مُهْلك للبدن، والمبرد شتاءً مُطْفئ للحرارة ؛ مُفْسد للآلات الصدر ؛ مهلك للكبد .

فصل

لا تَمَلَّ شراب السكنجبين[٧] على الريق وعلى غيره، عند اشتعال الرطوبة، وإحساس البلغم الطافئ ؛ فإنه فاضل .

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "أفضل الماء " .

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ : " الذي" من (ل) .

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ : " سريعا" من (ع) .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "يجفف" .

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ : " والبطايح والسياخ " ، وفي سر الأسرار ص ١٠٥ : " البطاح والسباخ "، وما في سر الأسرار هو الأنسب.

(٦) هكذا في (ع) وسقط لفظ : " حرارة" من (ل) .

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "السكنجبيل". السكنجبين :مشروب يصنع من العسل والخل، ويضاف إليه من الحبوب الأخري بحسب المرض . قال ابن سينا: " اعلم أن السكنجبين وجميع السيّالات من ماء العسل وماء التين وغير ذلك من ماء الزعفران ونحوه كلما قربت منه ازدادت صفاء " . انظر القانون١ /٢٦٨.

فصل

مما يُقوِّي البدنَ: الأغذية الخفيفة الموافقة إذا تناولها وقت الحاجة. ومما يسمنه ويرطبه: الراحة، وأكل الطعام الحلو والرطب، وشرب العسل الرطب المُرَبَّي بالجوز جندم[١].

والاقتصار في ذلك مهم، والنوم بعد الطعام على فراش وطئ، والاستحمام بالماء الدافئ العذب وقلة اللبث في الحمام[٢]؛ لئلا يأخذ من رطوبته، وشم الرياحين المعتدلة في كل زمن؛ كياسمين شتاءً، وورد وبنفسج صيفًا، واستعمال القيء ثلاث مرات في الشهر؛ سيما صيفًا؛ فإنه يغسل المعدة، وينقيها من المواد الرديئة والرطوبة العفنة، والفرح[٣]، والغِنَى[٤]، والعزة، والغلبة على الأعداء، وسماع الملاهي والغِنَاء[٥]، والنظر إلى الوجه الحسن[٦]، وقراءة الكتب المؤنسة المُضَاحكةِ الأحبةِ، ولبس المصبغ الموشى، وتعهد السواك والدهن.

ومما يخففه ويهزله: ضد ذلك من قلة الأكل والشرب، وكثرة التعب والحركات في

---

(١) جوز جندم: الجيم مضمومة والراء مهملة، وهي كلمة فارسية، ويقال: جور كندم أيضاً، قال ابن سينا: "كوركندم، الماهية: هو شيء خفيف كالأشنة طيني، وبالرقة يسمونه خرء الحمام، وببغداد يسمى جوز جندم" انظر: القانون ٢/١١٠.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بالحمام".

(٣) في (ل) و (ع) فبلفظ: "الفرج" بالجيم المعجمة، وفي سر الأسرار ص ١١٤: "الفرح" بالحاء المهملة، وما في سر الأسرار هو الأنسب.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الغناء" بألف ممدودة، وفي سر الأسرار ص١١٤: "الغنى" بألف مقصورة، وما في سر الأسرار هو الأصح لذكر الغناء فيما بعد.

(٥) سماع الأغاني من المحرمات الشرعية التي تضر ولا تنفع ولا تأتي بالسرور بل بضده، وقد نبهنا مرارا إلى هذا الخطأ الذي وقع فيه المؤلف رحمه الله ولعله ناقل عن غيره كما هو الشأن العام على الكتاب.

(٦) لو قيده بالمباح لتوجه الكلام، ولعل هذا ما يقصده المؤلف رحمه الله، أما مجرد النظر إلى الوجه الحسن حتى وإن كان لا يجوز للمرء النظر إليه فإنه يورث الضيق والقلق والكآبة، نسأل الله السلامة.

الشمس، والسهر الطويل، والنوم قبل الطعام على فرش خشن لانعكاس الحرارة على ما بالبدن من رطوبة، فينشفها ويجففها[١]، والاستحمام بماء كبريتي أو مَلِحٍ، أو أكل الطعام المالح والبارد والحَرِّيف والقلايا، وكثرة الإسهال، وإخراج الدم، وكثرة الجماع، وشغل البال، والفكر، والخوف، والأفكار الرديئة، والهموم المترادفة.

فصل

الحمَّام من عجائب العالم؛ فإنه مبني على فصول السنة: فالبارد للشتاء، وما يليه للخريف، وما يليه للربيع، وما يليه للصيف.

وصواب التدبير فيه أن يَلْبث بالبيت الأول قليلاً؛ ثم في الثاني قليلاً؛ ثم يدخل الثالث، وكذا إذا خرج يلبث بكل بيت هنيهة؛ لئلا يهجم من حر شديد إلى برد شديد، وعكسه.

ويكون بناؤه مرتفعاً، وهواؤه كثيراً، وماؤه عذباً، وتوضع المَجَامِر فيه بالبخور الموافق للزمن؛ ففي الربيع والصيف النِّد[٢] المثلث، وفي الخريف المربع، والشتاء المثني ثم يقعد على كرسي محشو لين حتى يترشح بدنه، ثم يمسح الحين بعد الحين بمنديل كتان، فإذا قضى منه وطره انتقل منزله، ثم دخل أبْزناً فاترا، فإن غلبه الحر امتشط، واستعمل أحد الصوابن المجلية المنقية بقدر الزمن؛ فصيفاً وربيعاً صابوناً معمولاً بأملج[٣] وصندل، وخريفا وشتاءً صابوناً عمل بصبر وماء سِلْق[٤]، ويصب على رأسه

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "ويجففها" من (ع).

(٢) الند؛ هو: نوع من البخور طيب الرائحة. قال ابن منظور: " النِّدُّ و النَّدُّ: ضَرْب من الطيب يُدَخَّن به " لسان العرب، مادة " ندد".

(٣) "والأَمْلَجُ: ضرب من العَقاقِير سمِّي بذلك للَوْنِه ..وقيل الأملوج: هو ضرب من النبات وهو نبات يشبه حبة نبات جوزه الطيب، ويباع في مراكز الأعشاب ولدى العطارين ورقه كالعيدان لسان العرب، مادة ملج

(٤) السلق: من الخضراوات، انظر في فوائده: القانون ٢/١٨٥.

ماءً معتدلاً، ثم يغمر بدنه كله حتى يذهب وسخه، ثم يتضمخ بدهن مناسب للزمن، ثم يتنظف منها بالنقاوات، ثم يعود إلى أبزن أحر من الأول، ثم يتدرج في خروجه كدخول، ثم يتمسح حتى يجف.

فإن عطش شرب[١] شراب ورد أو تفاح بماء بارد نحو نصف رطل، ثم يتمطى قليلاً ناظراً إلى صور حسنة ورياحين غضة، ثم يتناول طعامه، ثم يشرب شراباً بمثله ماء[٢] بغير إكثار، ثم يتطيب بما يوافق الزمن، ثم يصير إلى فراش وطئ، ويجلب النوم ثم يستعمل الراحة بقية يومه.

فهذا تدبير يُنَشِّئُ إنشاء جيدا[٣].

والشيخ والمُبْرَود[٤] والمَرْطوب يلْبث فيه قليلاً، قدر ما يبتل بدنه، ويأخذ من رطوبة الحمام، ويكثر صَبَّ الماء المعتدل على بدنه.

وصاحب البلغم لا يغتسل[٥] إلا على، ويتمرَّخ[٦] بدهن حار وحار المزاج بضده.

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " سرب " بالسين.

(٢) أي ممزوج بمثله ماء من غير إكثار.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " حديدا ".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " المبرد "

(٥) هكذا في (ل) وفي متن (ع): "يستحم"، وأشار الناسخ في الهامش الأيمن بعلامة التصحيح إلى "يغتسل"

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " يتمرج "، والتمرخ: التدهن ومسح الجسم بالدهن. قال ابن منظور: "مرَّخه تمريخاً دهنه وتمرَّخ به ادّهن". لسان العرب " مرخ ".



الباب الحادي عشر

فيما يحتاجه من الطب الروحاني

اعلم[1] أن الآلام الروحانية يجب التداوي لها، وذلك إنما يكون بآلة الموسيقى[2] التي هي أحد العلوم الأربعة[3] التي هي أحد أركان العالم، والموسيقى الموصلة لحاسة السمع: الأنغام التأليفية التي هي سبب احتكاك الأفلاك ودورانه.

ولما راموا تلك الحكاية، وشبهوا تلك النسب الوهمية، وحملوها على الطبائع الإنسانية، وجدوا كل إنسان يميل إلى الطبائع المركبة فيه، فإذا وقع التشاكل، وتطابقت الطبائع قامت النفس فَعَلَت، وامتدت روحانيتها، وانبسطت، وجرى فيها

---

(١) قبل بداية هذا الباب أورد ناسخ (ل) قوله : " التي هي أحد العلوم الأربعة ، التي هي أركان العالم والموسيقى" وهو سبق عين منه للسطر الذي يليه فذكرها في بداية ولم يذكرها في موضعها خلافا لـ (ع).

(٢) عفا الله عن المؤلف كيف ينقل هذا الفصل عن أرسطو الذي لا دين له، ومن المعلوم شرعًا أن آلات الموسيقى لا يجوز استخدامها ، فهي على الصحيح من تفسير أهل العلم داخلة في قوله عز وجل: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) "لقمان ٦ " ، والله عز وجل لم يجعل الشفاء فيما حرم، والذي تدل عليه الملاحظة أن استماع الموسيقى لا يزيد المريض إلا هما وحزنا، والبديل عن ذلك هو استماع آيات الله عز وجل والأصوات الحسنة من نشيد وقصيد ونحوها، فهي من أعظم الوسائل التي يعالج بها في الطب الروحاني.

(٣) العلوم الأربعة: " علم الحيل، الهندسة ، الفلك ، والموسيقى" .

من المادة ما يبعث على الأُنس، ولهذا كانت النفوس إذا أرادت تدبير أمر أمرت بالنغم والغناء، فينطاع لهم الأمر[١]، ويُوافَق الصواب، وهذا من تجاربهم الصحيح.

ومما لا غنى عنه[٢] معرفة ما تدركه النفس من العلامة الظاهرة إذا ضفت[٣] عن الشهوات، فإذا شفت[٤] النفس على الجسم، وزادت عليه، ثابت المعارف النورية الكامنة[٥] في القلب لا تحول[٦] بينها وبين المادة النفسانية الكائنة في الدماغ، وصفا الذهن عن الكدر[٧].

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " فتنطاع لهم الأمور " .

(٢) في (ل) بلفظ : "مما لا غنى بتر معرفة" وفي (ع) بلفظ : " مما لا غنى عن معرفة " .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " ضنت " .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " فإذا أشفت " .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الكاملة " .

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " يحول " .

(٧) لعل هذا من شطحات المدارس الصوفية التي ينتمي إليها المؤلف.

الباب الثاني عشر

فيما يتعين معرفته من الفِرَاسَة

وهي[1] علم كبير عظيم صحيح تفاخرت به الأوائل، يستدل بتركيب الإنسان على أخلاقه.

وفيه حكاية غريبة هي: أن تلامذة بقراط[2] صوروا صورته في جلد، وقالوا لأفليمون: احكم على أخلاقها، فنظر إلى تركيبه، ثم قال: هذا رجل خداع فاسق، يحب الزنا، فأرادوا قتله، وقالوا: أيها الجاهل هذه صورة بقراط أفضل من في الدنيا وأورعهم فقال: سألتم عن علمي، فأخبرتكم، فأخبروا بقراط فقال: صدق، وما أخطأ، لكن لما رأيت هذه الأشياء قبائح ملكت نفسي عنها[3]، وقويت على ضبط شهوتي.[4]

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "وهو".

(٢) هو: بقراط بن إبراقلس مشهور ببعض علوم الفلسفة، وهو سيد الطبيعيين في عصره، وكَانَ قبل الإسكندر بنحو مائة سنة، وله في الطب كتب موجزة الألفاظ مشهورة. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء ١/٤٣.

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "عنها" من هذا الموضع في (ع) وأثبتها بعد لفظ "شهوتي".

(٤) راجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة ١/٢٠.

وهذه رسوم من علم الفراسة مختصرة كافية إن شاء الله.

اعلم[١] أن الرحم للجنين كالقدر للطَّبيخ[٢]، والبياض والشقرة البالغة علامة قلة النضج ؛ فإن انضم إلى قِلْةٍ نقصٌ في الخلق نقص الطبع، فاحذر من كل أزرق أشقر، فهي خلقة الفجور والخيانة والفسق.

وإذا رأيت إنساناً يكثر النظر إليك ؛ فنظرت له فاحْمَّر وجهه، وخجل وتبسم أو دمعت عيناه، فهو محب لك خائف منك، وإن كان بالضد، فحاسد لك مستخِفٌ بك.

واحذر من كل ناقص الخلقة ذا عاهة حذرك من عدوك[٣].

وأعدل الخلقة توسط القامة ؛ وسواد الشعر والعين وغورها[٤]، وتدوير الوجه الْمُشْرَب حمرة أو سمرة معتدلة [٥]مع كمال الخلقة، واعتدال القامة، وتوسط الرأس كبراً وصغراً، وقلة الكلام إلا لحاجة، وتوسط جَهَارة الصوت ورقته[٦]، والنحافة بغير إفراط، وميل طبعه للسوداء أو الصفراء ؛ فهذه اعدل خلقه تصحبها.

وأما أفضلها: فلين الشعر علامة الجبن، وبرد الدماغ علامة قلة الفطنة، وحسن الشعر علامة الشجاعة وصحة الدماغ، وكثرته على كتفيه وعنقه علامة على

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبزيادة واو قبل " اعلم ".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " للطبخ ".

(٣) من قوله : "واحذر من كل ناقص الخلقة ذا عاهة حذرك من عدوك " ، وحتى قوله : "غير محكم للأمور سيء الخلق والنية " . قبيل نهاية هذا الفصل منقول بتصرف قليل من كلام أرسطاطاليس في كتاب سر الأسرار أو السياسة والفراسة في تدبير السياسة من ص ١٣٤ : ١٤٢ ، طبعة دار العلوم العربية بلبنان ، تحقيق سامي سليمان الأعور.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " والعينين وغورها ".

(٥) هكذا في (ل) وسقط لفظ "معتدلة " من (ع).

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " ورقبه ".

الحمق والجراءة، وكثرته على الصدر والبطن علامة وحشية الطبع وقلة الفهم وحب الظلم، والشقرة علامة الحمق وكثرة الغضب والسلاطة[١]، والأسود علامة الأناة وحب العدل.

ومن عظمت عيناه، وجحظتا فهو حسود وقح كسلان غير مأمون، سيما إن كانت العين زرقاء، ومن عيناه متوسطتان يميلان إلى غَوَر كحلاوان، فهو يقظان محب ثقة[٢]، ومن عيناه ذاهبتان في طول البدن فهو خبيث ، ومن عيناه كعيون البهائم في الجمود، فهو جاهل غليظ الطبع، ومن تحركت عيناه طبعاً بسرعة وحدة نظر ، فهو محتال لص[٣]، ومن عينه حمراء، فهو شجاع مقدام ، وأردئ[٤] العيون الزرق، وأردى الزرق الفَيْرُوزْجِيَّة[٥]؛ فإن كان حولهما نُقَط حمر[٦] أو سود أو بيض، فهو أشر الناس وأردؤهم.

والحاجب الكثير الشعر علامة العي[٧] وغث الكلام؛ فإن كان الحاجب إلى الصُّدغ فهو تَيَّاه صَلْفٌ ومن رق حاجبه ، واعتدل طولاً وقِصَراً واسْوَدَّ فهو يقظان.

وإذا رق الأنف، فصاحبه نزق، وطول الأنف علامة الشجاعة، والأَفْطَس علامة الشبق، وإذا كان أنفه غليظ الوسط يميل إلى فَطَسٍ، فهو غَدَّار[٨] كَذُوب، وأعدله ما طال باعتدال، وكان غلظه متوسطاً.

---

(١) السَّلاطةُ : القَهْرُ. لسان العرب، مادة "سلط ".

(٢) هكذا في (ل) و (ع) : " محب ثقة " ، وفي سر الأسرار ص١٣٦ : " محب نفسه ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبتقديم " لص " على " محتال" .

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " أرزل ".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الغبر وزجبه ".

(٦) قول المناوي : " حمر " من زياداته ، وليست في كتاب أرسطو.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " الغي ".

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ : " مهدار "، وفي سر الأسرار ص١٣٧ : " غدار " .

والجبهة المنبسطة التي لا غضون فيها آية المخاصمة والشَّغَب[١] والرقاعة والصلف، ومن جبهته متوسطة السعة والنتوء وفيها غضون، فهو وفيٌّ المحبة، عالم، فهم، يقظان، حاذق مدبر.

ومن فمه واسع فهو شجاع، ومن غلظت شفتاه فهو أحمق.

ومن وجهه لَحِيم، فهو جاهل وقح كذاب، ومن نحف وجهه، فهو مهتم بالأمور فَهِمٌ، ومن مال وجهه إلى صفرة رديء خبيث خداع شَكِسيٌّ[٢]، وطويل الوجه وقح، ومن أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة غضوب.

ومن عظمت أذناه جاهل؛ لكنه حافظ، وصغير الأذنين أحمق سارق جبان زان[٣]، وجَهِير الصوت شجاع.

ومن في كلامه غلظ أو رقة مع التأني، فهو عاقل بر صدوق، وسريع الكلام سيما مع رقة صوت وقح جاهل كذوب، ومن[٤] غلظ صوته فهو غضوب سيء الخلق، وأَغنُّ الصوت سخي، وحُسْن الصوت آية الحمق، وقلة الفطنة، وكِبَر النَّفْس.

ومن تحرك كثيراً أو عبث بيديه، فهو صلف مهذار[٥] خداع، ومن كان وقوراً، فهو تام العقل مدبر صحيح العقيدة.

ومن كان طويل العنق رقيقه، فهو صياح أحمق جبان، ومن قصر عنقه جداً فهو مكّار خبيث، وغليظ العنق جاهل أكول، وكبير البطن جاهل أحمق معجب يحب النكاح.

ولطافة البطن وجودة الصدر آية كمال العقل وحسن الرأي.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " السعب ".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " شكس خداع ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " زان جبان ".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فإن ".

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: " مهدار " ، وفي سر الأسرار ص٣٩ : " مهذار ".

وعرض الكتفين آية الشجاعة مع قلة عقل، وانحناء الظهر آية[1] شكاسة الخلق وشرافة[2] الصدر واستواء الظهر محمود، وبروز الكتفين آية خبث النية وقبح المذهب.

وطول الذراعين آية الشجاعة والكرم، وقصرها آية حب الشر والجبن، وطول الكف والأصابع آية النفوذ[3] في الصنائع وإحكام الأعمال والرئاسة.

وغلظ الأصابع وقصرها آية الجهل والحمق، وغلظ القدم وعظمها آية الجهل وحب الجَوْر، وصغرها ولينها آية الفجور، ورقة العقب آية الجبن.

وغلظ الساقين مع العرقوبين آية الباه[4] والقُحَّة[5] وقوة الجسم، وكثرة لحم الورك آية ضعف القوة والاسترخاء[6].

ومن خطوته واسعة بطيئة، فهو منْجِحٌ[7] في جميع أموره وأعماله، مفكر[8] في عواقبه، وقصير الخطوة سريعها لحوح شَكِسٌ[9] غير محكم للأمور، سيء الخلق والنية.

---

(١) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "آية" من (ل).

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "شرافة" من (ل).، وفي سر الأسرار ص١٤٠: "ترافة الصدر"، وما في (ل) و(ع) هو الأنسب؛ لأن الترافة التنعم، أما شرافة، فهي ارتفاعه واكتساؤه باللحم.
راجع لسان العرب، مادة "شرف".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "النفود"، وفي سر الأسرار ص١٤١: "نفوذ" بالذال، و"رجل نافِذٌ في أَمره ونَفُوذٌ ونَفَّاذٌ ماضٍ في جميع أَمره وأَمره نافذ أَي مُطاع". لسان العرب، مادة "نفذ".

(٤) "الباه" زادها المناوي على كلام أرسطو.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الفجة".

(٦) هذه الأمور نقلها المؤلف عن أرسطو، وهي في جلها غير مسلمة، بل فيها تعارض وتناقض مع بعضها، فلا تعتبر في مجملها دليلاً على ما ذكر، بل ولا أمارة عليه، وكان الأجدر بالمؤلف عدم نقل هذه الترهات التي لا تستقيم والاكتفاء بما هو مسلم من علم الفراسة.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "مثنجح".

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبتكرار لفظ: "مفكر".

(٩) هكذا في (ل) وفي سر الأسرارص١٤٢: "شكس"، وأما في (ع) فبلفظ: "سلس".

واعلم أن ما خلق الله تعالى[١] أشد من الآدمي، ولا جمع في حيوان ما جمع فيه[٢]، وما في شيء من الحيوان خصلة إلا وفي الآدمي مثلها، فهو شجاع كأسد، جبان كأرنب، سخي كديك، بخيل ككلب، فجور كغراب، وحشي كنمرة، أنيس كحمام، خبيث كثعلب، سليم كغنم[٣]، سريع كغزال، بطيء كدب[٤]، عزيز كفيل، ذليل كحمار، لص كعقعق، تياه كطاووس، هادئ كقطا، ضال كنعام، شاف[٥] كنحل، شرود كتيس، كدود كثور، شَمُوص[٦] كبغل، أحرس [٧] كحوت، خمول كخنزير، مشؤم كبوم نفاع [٨]كفرس، مضر كفأر، وما من حيوان، ولا نبات، ولا معدن، ولا فلك، ولا كوكب، ولا برج، ولا مولود، ولا موجود له خاصية إلا وهي في الإنسان؛ ولذلك سموه: "العالم الصغير".

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "تعالى" من (ع).

(٢) إلى هنا انتهي كلام أرسطو في سر الأسرار ص ١٤٢.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "كغم".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبزيادة واو عاطفة في هذا التشبيه والذي قبله.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "شياق".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "شموس". ويقال: دابَّةٌ شَمُوصٌ أي نَفُور. لسان العرب، مادة "شمص".

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "شموس". ويقال: أحرس: أي أحذر وأحوط، لسان العرب، مادة" حرس"

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "نقاع".



الباب الثالث عشر

فيما يحتاج إليه من الوقوف على حِكَم الحكماء

اعلم[1] أن الحكمة منحة من الله يؤتيها من يشاء من عباده[2].

وقال[3] سقراط: مثل من أتاه الله الحكمة ـ وهو يعرف قدرها، ويحرص على المال ـ كمن هو في صحة وسلامة، فيتبعها بالتعب والنصب والبلاء[4].

قال ابن المقفع[5]: كان لملوك الهند كتب كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة؛ فاختصرها حكماؤهم في أربع كلمات:

---

(١) يختصر المناوي في هذا الفصل كلام الغزالي في التبر ص١٠٧ وما بعدها.

(٢) قال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ سورة البقرة (٢٦٩).

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبدون حرف العطف.

(٤) أي: من رزق الحكمة، فتركها، وذهب إلى جمع المال وتحصيله، فقد أشقى نفسه.

(٥) ابن المقفع هو: عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا مزدكيا وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، من أشهر أعماله ترجمة كتاب كليلة ودمنة. توفي سنة ١٤٢هـ.
الأعلام للزركلي ٤/١٤٠.

أحدها: للملوك، وهي العدل.

والثانية: للرعية، وهي الطاعة.

والثالثة: للنفس، وهي الإمساك على الجوع إلى وقت الحاجة.

والرابعة: للإنسان[١]، وهي أن لا ينظر إلى غير نفسه[٢].

"حكمة"

قال بعض الحكماء: الناس أربعة:

رجل يدري، ويدري أنه يدري: فذاك عالم، فاتبعوه.

ورجل يدري، ولا يدري أنه يدري: وذلك ناس، فذكروه.

ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري: فذاك مسترشد، فأرشدوه.

ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري: فذلك جاهل، فاحذروه.[٣]

وسئل بعض الحكماء عن[٤] أي شيء أقرب؟ قال: الأجل، فقيل[٥] له: أي[٦] شيء أبعد؟، قال: الأمل.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "لللسان".

(٢) التبر المسبوك ص١٠٧.

(٣) في (ل) بلفظ: "رجل يدري ويدري أنه لا يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك ناس فذكروه، ورجل يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فاحذروه"، وأما في (ع) فبلفظ: "الناس أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فاتبعوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذاك ناس فاذكروه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فاحذروه" وقد ضرب على بعض الكلمات، وفي التبر ص ١٠٧ كما أثبتها.

(٤) هكذا في (ع) وسقط: "عن" من (ل).

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "قيل".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فأي".

وقال الأحنف[١] : شيئان لا تتم معهما حيلة ، إذا أقبل الأمر ، فليس للإدبار فيه حيلة ؛ وإذا أدبر ، فليس للإقبال فيه حيلة.

وقال لقمان الحكيم[٢]: شيئان إذا حفظتهما لا تبالي ما صنعت بعدهما: درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك.

"حكمة"

قال بزرجمهر: صحة الجسم خير من شرب الأدوية، وترك الذنب خير من الاستغفار، وكظم الشهوة خير من كظم الحزن، ومخالفة الهوى في الاستكثار[٣] خير من دخول النار.

"حكمة"

من ليس له علم ليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة، ومن ليس له صبر فما له سلامة في دينه، ومن لا تقوى له، فما له عند الله كرامة، ومن لا سخاء له فما له من ماله نصيب، ومن لا نصيحة له فما له عند الله حجة.

"حكمة"

سئل بزرجمهر: أي عز يكون بالذل متصلاً ؟ قال: العز في خدمة السلطان، والعز مع الحرص، والعز مع السفه.

---

(١) هو : الأحنف بن قيس التميمي أبو بحر البصري. قال الحسن : ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف ومناقبه كثيرة وحلمه يضرب به المثل" . انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ١ / ١٦٧

(٢) هو: لقمان بن عنقاء بن سدون.. وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده، انظر: تفسير ابن كثير ٦/٣٣٦

(٣) هكذا في (ل) و (ع) ، وفي التبر ص١٠٨ : " الاستكثار " وما في التبر هو الأنسب .

"حكمة"

سئل بزرجمهر:[١] بماذا يؤدب البُلَّه؟ قال: بإهانتهم واحتقارهم ليعرفوا وضاعة أقدارهم، فقيل: بماذا يؤدب الأخيار؟ قال: بالتوقف في قضاء حوائجهم.

وسئل من الكريم؟ قال: من وَهب[٢]، ولا يذكر أنه وَهب.

وقيل له: لأي شيء يتلف[٣] الناس نفوسهم لأجل المال؟ قال: لأنهم يظنون أن المال خير الأشياء، ولو علموا أن الذي يراد المال لأجله خير[٤] من المال ما فعلوه.

وقال[٥]: زينة العلم الصدق، وزينة الكرم البشر، وزينة الشجاعة العفو عند القدرة.

وقال: العدل ميزان الله ؛ لأنه مبرأ من الزيغ والميل.

وقال يونان[٦] الوزير: أربعة من عظم البلاء: كثرة العيال مع قلة المال، والجار السوء، والمرأة التي لا عفة[٧] لها ولا وقار.

واتفق أهل الدنيا على أن جميع أعمال الناس خمسة وعشرون[٨]:

خمسة بالقضاء والقدر وهي: الزوجة، والمال، والولد، والملك، والجاه.

وخمسة بالكسب والاجتهاد وهي: العلم، والكتابة، والفروسية، ودخول الجنة، والنجاة من النار.

---

(١) في (ل) و (ع): بدون "سئل بزر جمهر"، وفي التبر ص ١٠٨ بإثباتها، وأثبتها لاقتضاء المعنى.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ابن وهب".

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تتلف".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "عير".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) دون حرف العطف.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يوناس".

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فقه"، وفي التبر المسبوك ص١٠٨ بلفظ: "لا تقية".

(٨) هكذا في (ل) ولم يذكر منها ير عشرين، وأما في (ع) فبلفظ: "خمسة عشر".

وخمسة بالطبع: الوقار، والمداراة، والتواضع، والسخاء، والصدق.

وخمسة بالإرث وهي: الجمال، وطيب الخلق، وعلو الهمة، والتكبر، والدناءة.

وخمسة بالعادة وهي: المشي في الطريق، والأكل، والنوم، والجماع، والبول والتغوط [١].

ويقال: ثلاثة من الشدائد التي لا يجوز للعقلاء[٢] نسيانها: فناء الدنيا وانقضاؤها وتقلب[٣] أحوال الزمان، ومحن الدهور.

وقالوا: ستة تساوي الدنيا: الطعام السائغ[٤]، والولد السليم الأعضاء، والصاحب الموافق، والأمير المشفق، والكلام الصحيح النظام، والعقل التام.

"حكمة"

قال بزرجمهير: خمسة أشياء ضائعة: السراج في الشمس، والمطر في السباخ، والمرأة الحسناء عند أعمى، والطعام الطيب يقدم للشبعان، وكلام الله في صدر الظالم.

وسئل الإسكندر: لِمَ تكرم معلمك فوق كرامتك لأبيك؟، فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية.

وقال: إذا كانت بقسمة[٥] الله تجري الأمورُ؛ فالاجتهاد محظورٌ، وتاركه

---

(١) هذا مجموعها وتقسيمها كما في التبر المسبوك ، وزادت (ل) في الخمس التي هي بالاجتهاد : "السباحة والرماية" وسقطت الخمس التي هي بالعادة من (ل) و (ع) .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " للعاقل" .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " وتغلب" .

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الشابع" .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " بهيمة" .

مشكور"[١].

وقال: إذا كان الزمان عدو الإنسان؛ فكل[٢] نَفَس يتنفسه الإنسان، فبقدره يبعد عن الحياة، ويقرب من الممات.

"حكمة"

قال بعض الحكماء لبزرجمهر: عَرِّفنا من الحكمة ما ننفع به[٣] أرواحنا وأشباحنا؛ لنجتهد فيه، وما يضرها لنبعد عنه.

وقال: تيقنوا أن أربعة تزيد في نور العين وتحد البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والشراب الصافي، والنظر إلى وجوه الأحبة.

وأربعة تنقصه: أكل الطعام المالح، وصب الماء الحار على الرأس، ودوام النظر إلى عين الشمس ورؤية العدو.

وأربعة تسمن البدن وتخصبه: الثوب الناعم، وخلو البال من الحزن، والرائحة الزكية، والنوم في المكان الوثير[٤].

وأربعة تضعفه وتهزله: أكل اللحم القديد، وكثرة الجماع، وطول المكث في الحمام، ونوم العشايا.

وأربعة يصح بها الجسم: أكل الطعام في وقته، وحفظ مقادير الأشياء، وترك الأعمال المشقة[٥]، وترك الحزن على غير موجب.

---

(١) هذه ليست حكمة حتى تنقل من الإسكندر، ومعناها لا يستقيم مع المنهج الاعتقادي السليم عند أهل السنة والجماعة والذي يقرر أن على الإنسان السعي والعمل؛ فكل مسخر لما خلق له.

(٢) في(ل) و (ع) بلفظ: " وكل "وما أثبته هو ما في التبر المسبوك ص٤٥.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " ينشفع به أرواحنا ".

(٤) هكذا في (ل) و (ع) في التبر ص١١٠: " المكان الساخن ".

(٥) هكذا في (ل) و (ع): وفي التبر ص١١٠: " الشاقة "، وما في التبر هو الأنسب.

وأربعة تكسر البدن: سلوك الطريق الصعب، وركوب الفرس الحرون[١]، والمشي على التعب، وجماع العجوز.

وأربعة تحيي القلب: العقل النافع، والأستاذ العالم، والشريك الأمين، والزوجة الموافقة، والصديق المساعد.

وأربعة تميته[٢]: برد الزمهرير، وحر السموم، والدخان الكريه، ومخافة العدو.

"حكمة"

خمسة يُهلك الإنسان فيها نفسه: خديعة الأصدقاء، وعدم الالتفات إلى العلماء، واحتقار الرجل نفسه، واحتمال تكبر من هو دونه، واتباع الهوى.

"حكمة"

قال بقراط[٣]: خمسة لا تشبع من خمسة: عين من نظر، وأذن من خبر، وأنثى من ذكر، ونار من حطب، وعالم من علم[٤].

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ "الحرون" من (ع).

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يميته".

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "بقراط" من (ع): وفي التبر ص١١٠: "سقراط". وبقراط هو: بقراط ابن إبراقلس إمام فهم معروف مشهور، معني ببعض علوم الفلسفة، وهو سيد الطبعيين فِي عصره وكَانَ قبل الإسكندر بنحو مائة سنة، وله فِي الطب تآليف شريفة موجزة الألفاظ مشهورة فِي جميع العالم بَيْنَ المعنيين بعلم الطب، ويقال: إنه من أهل إسقلبياذس.
انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ١/٤٣.

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم "٨٢٦٦" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم) ثم قال: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا عبد السلام بن عبد القدوس تفرد به=

"حكمة"

قال حكيم: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل.

وقال حكيم: الغنى: هو القناعة والرضى، والعشق: مرض الروح وموت في حَسْرة.

"حكمة"

سئل أرسطو: أي صديق أوثق وأي صاحب أشفق؟ فقال: الصديق الأصيل أوثق، والصاحب القديم أشفق، وتدبير العقلاء أفضل.

وقال جالنيوس[١]: سبعة تجلب النسيان: استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب، والحجامة في خرزة العنق[٢]، والبول في الماء الراكد، وأكل الحامض، والنظر إلى وجه الميت، والنوم الكثير، والنظر إلى الأماكن الخراب.

وقال: النسيان يحدث من سبعة أشياء: البلغم، وضحك القهقهة، وأكل المالح، واللحم السمين، وكثرة الجماع، والسفر[٣] مع التعب، وجميع البرودات والرطوبات.

=أبو تقي. وطعن علماء الحديث في هذا الحديث بالوضع لركاكة عباراته ووحشية ألفاظه واستبعاد صدورها عن أفصح الفصحاء صلى الله عليه وسلم. كما في الوَسيط في عُلوم ومُصْطلح الحَديث للشيخ محمد محمد أبو شهبة.

(١) جالينوس حكيم فليسوف طبيعي يوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين، إمام الأطباء فِي عصره، ورئيس الطبعيين فِي وقته، ومؤلف الكتب الجليلة فِي صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان، كَانَ جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة، فِي دولة نيون قيصر. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء لجمال الدين للقفطي ١/٥٥.

(٢) في (ل) بلفظ: "جورة العين" وأما في (ع) فبلفظ: "جوزة العنق"، وفي التبر ص١١١: "خرزة العنق".

(٣) هكذا في (ل) و (ع) وفي التبر ص١١١: "والسهر مع التعب".

وقال حكيم: فِتَن الدنيا تنشأ من ثلاثة: من قائل أخبار[١]، وطالب استماع الأخبار، ومتلقي[٢] الأخبار، وهؤلاء الثلاثة لا يخْلصون من ملامة[٣].

وقال حكيم: ثلاثة لا تجتمع مع ثلاثة: أكل الحلال مع اتباع الشهوات، والشفقة مع ارتكاب الغضب، وصدق المقال مع كثرة الكلام.

"حكمة"

قال بزرجمهر: إن شئت أن تصير من الأبدال، فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال، فقيل له: كيف؟، قال: في الأطفال خمس خصال لو كانت[٤] في الكبار كانوا أبدالاً: لا يغتمون للرزق[٥] ، وإذا مرضوا لم يشكو من خالقهم[٦]، ويأكلون الطعام مجتمعين ، وإذا تخاصموا لم يتحاقدوا، ويتسارعون إلى الصلح، ويُخوَّفون فيخافون بأدنى تخويف وتدمع عينهم.

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ : " ناقل الأخبار".
وفي التبر ص١١١ : " من قائل الأخبار" ، وما في التبر هو الأنسب.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ : " وملقي " .
وفي التبر ص١١١ : " وقائل الأخبار" ، وما في التبر هو الأنسب

(٣) هكذا في (ل) وسقط من (ع) حرف : "لا ".
وفي التبر ص ١١١ : "وهؤلاء الثلاثة لا يخْلصون من ندامة".

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ : " كانوا في الكبار" .
وفي التبر ص١١١ :" كانت في الكبار " .

(٥) في (ع) و (ل) بلفظ :" لا يعتنون بالرزق " .
وفي التبر ص١١١ :" لا يغتمون للرزق " وما في التبر أنسب.

(٦) هكذا في (ل) وفي التبر ص١١١ ، وأما في (ع) فبلفظ : " وإذا رضوا لم يشكو من خالقهم ".

"حكمة"

قال وهب[١] : في التوراة[٢] أربع كلمات[٣] : كل عالم لم يكن متورعاً ، فهو كاللص ، وكل[٤] رجل خلا من العقل هو والبهيمة سواء .

"حكمة"

أصل الرعاية العطف ، وأصل الذنب العجلة ، وأصل الذل البخل.

"حكمة"

اسمع الحكمة من غير حكيم ، فإنه قد يصيب الغرض من لم يكن رامياً .

"حكمة"

قال الأحنف : لا وفاء لملوك[٥] ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لدنيء ، ولا رعاية لسيئ الخلق.

---

(١) هو التابعي الجليل : وهب بن منبه اليماني الصنعاني كان من أبناء فارس ، وكان على قضاء صنعاء ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ، وقال ابن سعد وجماعة : مات سنة عشر ومائة ، وقيل : مات سنة ثلاث عشرة " .

انظر : تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٤٧/١١.

(٢) هكذا في (ل) وفي التبر ص١١٣ ، وأما في (ع) فبلفظ : " في التورية " .

(٣) هكذا في (ل) وسقط قوله : " أربع كلمات ". من (ع) .

(٤) هكذا في (ع) ، وأما في (ل) فبلفظ : " ولكل " .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " لا صديق للملوك " .

وفي التبر ص ١١٢ : " لا وفاء لملول " ، وما أثبتة هو الموافق لما في رواية البيهقي عن الأحنف بن قيس حديث رقم : "٦٢١٠" .

"حكمة"

شكى رجل من خصم له إلى الإسكندر فقال: تحب أن نسمع[١] كلامك فيه بشرط أن أسمع كلامه فيك، فأمسك الرجل.

وقال الإسكندر: كفوا أنفسكم عن الناس؛ لتأمنوا أناس السوء.

وقال بزرجمهر: عاقبة[٢] الدين أن لا تتبع الهوى، وتعمل بأمر الشرع، ولا تحسد أحداً[٣].

وعافية[٤] المال: إنعام النظر[٥]، وأداء الأمانة، وإخراج الحق من المال.

وعافية البدن: قلة الأكل، والكلام، والنوم.

وعافية الأهل: القناعة، وحسن العشرة، وحفظ الطاعة[٦].

وسئل حاتم[٧]: ما سبب أننا لم نجد ما وجده الأولون؟ قال: فاتكم خمسة: المعلم الناصح، والصاحب الموافق، والجهد الدائم، والكسب الحلال، والزمان المساعد.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تسمع".

(٢) هكذا في (ع) وكذا في التبر ص١١٢، وأما في (ل) فبلفظ: "عاقبة الدين"

(٣) هكذا في (ل) وفي التبر ص ٤٦ بالبناء للمعلوم، خلافا لـ (ع) ففيها بالبناء للمجهول.

(٤) هكذا في (ع) وكذا في التبر ص١١٢، وأما في (ل) فبلفظ: "عاقبة المال".

(٥) هكذا في (ع) وكذا في التبر ص١١٢، وأما في (ل) فبلفظ: "إطعام البدن"، وإنعام النظر تدقيقه ومعاودته.

(٦) هكذا في (ل) و (ع) أما في التبر المسبوك فبلفظ: "وحفظ طاعة الله" ص١١٢.

(٧) في التبر المسبوك "حاتم الأصم" ص١١٢، وهو: "حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم، زاهد، له كلام مدون في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد وكان يقال: "حاتم الأصم لقمان هذه الأمة"، مات سنة ٢٣٧ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ١٥٢.

"حكمة"

قال بعضهم لحكيم: أوصني، قال[١]: انتظر قضاه، واطلب رضاه، وتجنب جفاه.

"حكمة"

سئل حكيم: أي شيء أكثر يسيء الخلق ؟ قال: كثرة التدبير.

"حكمة"

هلاك العبد في شيئين[٢]: المعصية، والانفراد بالرأي.

"حكمة"

بلاء الخلق في ثلاثة: العلماء المضلون[٣]، والقراء البُلْه، والعوام الحسدة.

وقال حكيم: لا تطلب صحبة من طامع، ولا وفاء من دنيء الأصل.

وقال حكيم: إن حفظت أربعة أحوال تكن من الرجال:

الأول: سرك بحيث يكون إذا علمه الناس رضيت.

الثاني: علانيتك بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك.

الثالث: أن تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته.

الرابع: أن تكون حالتك[٤] بحيث لو كانت عليك رضيت لها.

وقال حكيم: العدل ترك المراد وحسن السيرة والاعتقاد.

---

(١) هكذا في (ل) و سقط لفظ: "قال" من (ع).

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "سنين".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "الضالون".

(٤) هكذا في (ل) و (ع)، وفي التبر المسبوك ص١١٣: أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت لك رضيت بها

"وقال[١]": ثمانية تجلب الذل: قعود الرجل على مائدة لم يدع إليها، والتآمر على رب الدار، والطمع في الإحسان من الأعداء، والإصغاء إلى كلام اثنين لم يدخلاه بينهما، واحتقار السلطان، وجلوس الإنسان فوق مرتبته، وكلامه عند من لا يستمع، ومصادقة من ليس له بأهل.

وقيل لبزرجمهر: ما الذي يقبح، وإن كان حقاً؟ قال: مدح الرجل نفسه، وإن كان محقاً.

وقال: لا يوجد بخيل[٢] ممدوح، ولا ذو غضب مسرور، ولا عاقل حريص، ولا كريم حسود، ولا تجد للملوك صديقاً.

"حكمة"

قالوا: خمسة يفرحون بخمسة، ثم يندمون بعدها[٣]: الكسلان إذا فاته الأمر، والمنقطع عن إخوانه إذا نالته شدة، ومن أمكنته فرصة على عدوه فلم ينتهزها، ومن ابتلى بامرأة سوء[٤] وتذكر الصالحة، والعبد الصالح على فعل الذنب.

وسئل بزرجمهر: هل يقلب المال قلوب العلماء؟ قال: من قلب المال قلبه ليس بعالم.

وقال: العتاب الظاهر[٥] خير من الحقد الباطن[٦].

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "حكمه".

(٢) في (ل) و (ع): دون كلمة "بخيل"، وفي التبر ص١١٤ بإثباتها.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "خمسة يفرحون بخمسة ولا يندمون".

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ "سوء" من (ع).

(٥) في (ل)" الغيار الظاهر" وأما في (ع) فبلفظ: "الغيار الطاهر"، وفي التبر المسبوك ص١١٥: "العتاب الظاهر" وما في التبر أصح.

(٦) إلى هنا انتهى نقله عن التبر المسبوك للغزالي.

وقال: أهل الغم والحزن في الدنيا ثلاثة : محب مفارق، وغني عاد فقيراً، وأب شفوق ضل عنه[١] ولده.

"حكمة"

خمسة المال عندهم خير من أنفسهم: المقاتل بالأجرة، وحافر البئر، وراكب البحر للتجارة، ومن يصيد الحيات، وآكل السم بالرهان.

"حكمة"

قال ابن معدي كرب[٢] : الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الحجر، والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي ألين من الحرير.

وقال حكيم: الحزن مرض الروح؛ كما أن المرض وجع الجسد، والفرح غذاء الروح؛ كما أن الطعام غذاء الجسد.

وقال: من ليس له لب ولا خطر، فهو شجرة بلا ثمر، ومن سلّ سيف الجور قُتل به، ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حزنه[٣].

وقال: من أطلق يده بالعطاء أشرق وجهه بالضياء.

وقال: الشباب رضيع الجنون، والشيب قرين التوفيق والسكون.

---

(١) في (ل) و (ع) : "عن"، وفي التبر المسبوك ص١١٥ : "عنه".

(٢) هو : عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة٩ هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام. شاعر له "ديوان عمرو بن معد يكرب" توفي سنة ٢١هـ. الأعلام للزركلي ٨٦/٥ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "من جربه".

وقال: تزود طاهر[١] الزاد، ولا تَخَفْ من الأضداد.

وقال: ثلاثة تذهب الغم: صحبة العالم، وقضاء الدين، ومشاهدة الحبيب.

وقال: شيئان يجلبان الحزن: الطمع في جود[٢] البخلاء، والمزاح مع الوضعاء.

وقال: تجنب أربعة تخلص من أربعة: تجنب الحسد تخلص من الحزن، ولا تجالس جليس السوء تخلص من الملامة، ولا تعصِ الله[٣] تخلص من النار، ولا تجمع المال تخلص من العداوة.

وقال: أربعة مذمومة يعملها الناس، فيجازون عليها في الدنيا والآخرة: الغيبة، فقد قيل: الغيبة فارس يلحق سريعاً، واحتقار العلماء، فمن حقرهم عاد حقيراً، وكفران النعم، وقتل النفس ظلماً، وكل قاتل مقتول، ولو بعد حين.

وقال حكيم: من استعمل العدل حصَّن الله ملكه، أو الظلم عجَّل الله هلكه، ومن عدل زاد قدره، ومن جار نقص عمره.

وقيل لأردشير: من الذي لا يخاف أحدًا؟، قال: من لا يخافه أحد، فمن عدل في حكمه، وكف عن ظلمه، نصره الحق، وأطاعه الخلق، وتهنا له العيش، واستغني عن[٤] الجيش، وأمن الحروب، وملك القلوب.

وقال حكيم: أقرب الناس صُرْعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم.

وقال آخر: من تغدى بسوء السيرة تعشى بزوال القدرة، وباء بالحسرة، ومن ساءته سيرته لم يأمن أبدا، ومن حسنت سيرته لم يخف أحدا.

وقال[٥]: أَعْقل الناس محسن خائف، وأحمقهم مسيء آمن.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تردد ظاهر الزاد".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وجود".

(٣) هكذا في (ل) ولم يذكر لفظ الجلالة في (ع).

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "عز الجيش".

(٥) كل ما يذكره من قوله: "وقال: فتقديره قال الحكيم" وجُلّ نُقُوله في هذه الحكم من كتاب لباب=

وقال آخر: احذر إذ ملكت أن تذب عن ملكك بدينك؛ بل ذب عن دينك بملكك، واجعل دنياك وقاية لآخرتك، ولا تجعل آخرتك وقاية لدنياك، ومن ذب عن ملكه بدينه حق نصره، ومن وقِيَ[1] آخرته بدنياه جَلَّ قدره، ومن نصر الحق قهر الخلق.

وقال آخر[2]: لا تحارب من اعتصم بالدين، ولا تغالب من استظهر بالحق المبين فمن حارب الدين حُرِب، ومن غالب الحق غلب.

وقال آخر: صيِّر الدين حِصنَ دولتك، والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل نعمة يحرزها الشكر لا تسلب.

وقال: لا يجري الأمين مجرى الخائن، فيسلك سبيل الخونة، ويستبدل العادة الحسنة. وقال: أفض على جندك سيِّب عطائك[3]، واصرف إليهم حسن عنايتك ورعايتك[4]؛ فإنهم أهل الأنفة والحمية، وحفظة الشدة والرعية، وسيوف الملك، وحصِّن الممالك، بهم تدفع العوادي، وتقهر الأعادي، وتزال الخلل، ويضبط العمل، قَوِّ ضعيفهم يقو أمرك، وأغن فقيرهم يشتد أزرك، واختبرهم قبل الفرض[5] وامنحهم عند العرض، ولا تثيب[6] منهم إلا الوَفِيّ الكَمِيّ؛ فإن المراد منهم قوة العُدَّة لا كثرة

=الآداب لأسامة بن منقذ ١/١٢٠

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وفي".

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "آخر من (ل).

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "عطاياك".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وأوعائك".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "العرض". وفي لباب الآداب لأسامة بن منقذ ١/١٢٠: "وامنحهم قبل الفرض، واختبرهم عند العرض".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ولا تثبت".

العِدَّة، وإن[١] أصاب أحدهم في وقعة ما عطله عن اللقاء، فلا تمح[٢] اسمه، ولا تمنعه[٣] رسمه، فإن قتل، فاكفل بنيه، وذب عن أهله وذويه فإن ذلك يزيدهم رغبة في خدمتك، ويسهل عليهم بذل المهج في نصر دولتك.

وقال: من حفظ ماله ضيع رجاله، ومن بان عجزه زال عزه، ومن نام عن عدوه أنبهته المكائد، ومن قعد عن حيلته[٤] أقامته الشدائد، ومن استرشد غوياً ضل، ومن استنصر ضعيفاً ذل.

وقال: العجول مخطئ وإن ملك، والمتأني مصيب وإن هلك.

وقال: من فعل ما شاء لقي ما ساء، ومن اصفر لونه من النصيحة اسود وجهه من الفضيحة، ومن كثر اعتباره[٥] قلّ عثاره، ومن عمل برأي العقلاء غنم، ومن نظر في العواقب سلم، ومن نصحك فلا تستبدل به، ومن وعظك أشفق عليك، ومن صار لرعيته أباً كان لجنده رباً.

وقال: السلطان في نفسه إمام متبوع، وفي سيرته دين مشروع، فإن ظلم لم يعدل أحد في حكم، وإن عدل لم يجسر أحد على ظلم.

وقال: اعتمد[٦] في أعمالك على أهل الدين والمروءة، وفي قتالك على أهل[٧] المحبة والحمية تُكفَى الكر، وتمنع الهزيمة والفر.

وقال: إياك ومباشرة الحرب بنفسك؛ فإنك لا تخلو فيه من مُلْك تخاطر به، أو هُلْك تبادر إليه.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فإن".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يمح".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يمنعه".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "حيله".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "اغتياره".

(٦) في(ل) و(ع): "اعمد"، وفي لباب الآداب ١/ ٢٠: "اعتمد".

(٧) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "أهل" من (ع).

وقال: كل[١] ملك أحسن إلى أعوانه استظهر لملكه[٢]وسلطانه.

وقال بعضهم: رأيت منقوشاً على درهم الهنود: بالعدل تدوم الدول.

وقال آخر[٣]: الظلم مسلبة للنعم والبغي مجلبة للنقم.

وقال: إذا وليَّت أحداً ولاية، فتفقد أحواله، وتصفح أعماله، وأحِلَّه حيث استوجب، ويقتضيه رأيه ومذهبه[٤].

وقال أنوشروان لبزرجمهر: صف لي أخيار الناس؟ قال: الخَيِّر من أكرمه الناس لخَيْرَتِه، وخَيْرٌ منه[٥] من يعامَل بالقبيحِ، فلا يعامله بمثله، وخير منه من يعامَل بقبيح[٦]، فيقابله بجميل، وخير منه من هذه أوصافه، وهو متواضع مستصغراً لما يفعله، وأرذل الناس من هو بعكس ذلك.

وقال سابور ملك الفرس[٧]: لما رأيت المال يأتي لذوي الجهل مع جهلهم وقلة تحصيلهم، وانصرافه[٨] عن ذوي العقول مع اجتهادهم وصحة آرائهم؛ علمت أن المدبر غيرهم.

وقال بعض الرهبان: إذا رضي الله عن العبد أوصل إليه سعادات لم يتمناها، وإن سخط عليه عذَّبه بالمُنى؛ فهو يتمنى أمورًا كثيرة لا يصل إليها، فتنقضي أيامه بالحسرات.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " لكل ".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " الملكة ".

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وقال حر ".

(٤) أي ضعه في مكان يتوافق مع رأيه ومذهبه.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " منهم ".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "من يعامل القبيح ".

(٧) هو: سابور بن أردشير بن بابك .أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة .
البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٨٨.

(٨) في (ل) و(ع): " وانصرافها ".

وقال: من أضاف إلى حسن نيته حسن أخلاقه؛ أضاف الله إلى حسن توفيقه محبة الناس له.

وقال: يجب على من اصطنع المعروف أن ينساه ويستره، وعلى من صُنع له أن يذكره وينشره.

وقال: لا تزهد في بذل المعروف؛ لكفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تسده إليه.

وقال: محبة النساء تجعل[١] الحر عبداً.

وقال: لا تكثر من النساء؛ فإنهن أصل العيوب؛ ومادة الذنوب، والصبر عنهن خير من الصبر عليهن.

وقال: اعص الهوى والنساء، واصنع ما شئت.

وقال: منازعة اللئيم تطمعه[٢] فيك.

وقال: عجب الإنسان بنفسه أحد حساد عقله.

وقال: من أُعجب بنفسه خل، ومن أعجب بعقله ضل، ومن أعجب برأيه عجز.

ودفع أردشير[٣] إلى بعض خواصه كتاباً، وقال: إذا رأيتني غضِبت ادفعه إليّ، وفيه: امسك، فلست بإله، وإنما أنت جسد، بعد قليل يأكل بعضه[٤] بعضا، وتصير قوتاً[٥] للدود والتراب.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يجعل".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تطعمه".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "نردشيرال"، وفي محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ١٠٢: "ودفع أردشير"، ولعله تصحيف من الناسخ.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بعضك".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "قريبا".

وقال: التمس العفو من الله بالعفو عن الناس[١].

وقال: من كان ظاهره مع الناس قبيحاً مذموماً، وادعى حسن باطنه، فقد كَذَب، أو فَسَد تَخيُّله.

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " المتلمس العفو من الله العفو عن الناس ".



الباب الرابع عشر

في تواريخ بعض الملوك وذِكْر بعض سيرهم

ذكر أهل التاريخ أن المجوس ملكوا أربعة آلاف سنة، فكان الملك فيهم[1]، ودامت دولتهم هذه المدة لعدلهم في الرعية وحفظهم للأمور[2]، عمَّروا البلاد، وأنصفوا العباد.

وعِمارة الدنيا وخرابها من الملوك، وإذا كان السلطان عادلاً عَمُرت البلاد، وأمنت الرعية، كما كان في زمن أردشير، وأفريدون، وبهرام جور[3]، وكسرى أنوشروان.

وإذا جار الملك خربت البلاد، كما كان في زمن يزدجرد، والضحاك، وغيرهما[4]

(١) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "منهم" من (ل).

(٢) هذا التحديد نقله عن الغزالي. وقد حدد الطبري مدة دولة الفرس بأقل من ذلك فقال: " وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه و سلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة " . تاريخ الأمم والملوك للطبري ١/١٩، وصدق الطبري رحمه الله فهذا زعم يحتاج إلى دليل، ورحم الله المؤلف إذ نقل هذه الأمور عن الغزالي، ولم يستوثق منها.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "حور" .

(٤) هذا الكلام ينقله المناوي من التبر ١/١٦، وهؤلاء المذكورون من ملوك الفرس، وستأتي ترجمتهم والتعريف بهم تفصيلا .

وقد ذكروا في التواريخ[١]، أن آدم لما كثر ولده اختار منهم رجلين شيث وكيومرث[٢] ، وأعطاهما أربعين صحيفة للعمل بما فيها.

ثم ولَّى شيث أمور الدين، وكيومرث أمور الدنيا، فكان هذا أول ملوك الأرض، وكان ملكه ثلاثين سنة.

ثم ملك بعده هوشنك[٣] أربعين سنة.

ثم بعده طهمورث[٤] وكان يحارب الجن ومدته عشرون سنة.

ثم بعده جمشيد[٥] وهو الذي أظهر السروج والسلاح وعدد الحرب، وكان له الأعمال العظيمة ومدته سبعمائة عام.

ثم بعده بيوراسب[٦] المعروف بالضحاك صاحب المكر والدواهي والسحر،

---

(١) يظهر من ترتيب ملوك الفرس الذي ذكره المناوي أنه يعتمد على كتاب غرر أخبار ملوك الفرس لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، وأعزو إليه بقولي : " وعند الثعالبي في الغرر ".

(٢) في (ل) و(ع) بلفظ: "هوشك"، وقال الثعالبي في الغرر١/٥ : " هوشنك: هكذا يكتب في الفارسية، وفي كتب العربية أوشهنج، وفي أكثر الروايات أنه ابن سيامك بن كيومرث... وضع الحدود، وآثر العدل وكان ملقبا به يُدعى فيشداذ، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل "، وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري "أوشهنج "١/١٠٥، وكذلك في مروج الذهب للمسعودي ١/٩٦ .

(٣) في (ل) و(ع) بلفظ: "هوشك"، وقال الثعالبي في الغرر١/٥ : " هوشنك: هكذا يكتب في الفارسية، وفي كتب العربية أوشهنج، وفي أكثر الروايات أنه ابن سيامك بن كيومرث... وضع الحدود، وآثر العدل، وكان ملقبا به يُدعى فيشداذ، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل "، وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري "أوشهنج "١/١٠٥، وكذلك في مروج الذهب للمسعودي ١/٩٦ .

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ: " طهمور " ، وعند الثعالبي في الغرر ١/٧ " طهمورث ".

(٥) في (ل) بلفظ: " خميسد" وفي (ع) بلفظ : "خمشيد "، وعند الثعالبي في الغرر ١/١٠ : " جمشيد من ولد هوشنك ".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "بنوراسب "، وفي مروج الذهب للمسعودي: " بيوراسب بن أروادسب بن رستوان ...، وهو كذلك، وقد عربت أسماؤه جميعاً، فسماه قوم من العرب الضحاك، وسماه قوم بهراسب، وليس هو كذلك، وإنما اسمه على ما وصفنا بيوراسب". ١/٩٦، =

وكان جباراً جائراً ومدته ألف سنة.

ثم أفريدون[١]، وكان جيد[٢] الاسم، حسن السيرة والرسم، له الصيت الحسن، وإفاضة العدل، ومدته خمسمائة سنة.

ثم نوزر[٣]، ومدته بضعة عشر سنة.

ثم أفراسياب[٤]، والترك تسميّه كيكالب، له الشجاعة، وتسيير العساكر[٥] بالليل، وتشويش البلاد بالرجل والخيل، ومدته اثني عشرة سنة.

ثم ذو بن طهماسف[٦] له الشجاعة وحسن الخلق، ومدته خمسون عاما.

ثم زو كيقباذ[٧] له الشفقة على الرعية والسياسة المرضية، وملكه مائة وعشرون سنة.

=وسماه الثعالبي: " بيوراسف ... سمي بيراسف؛ لأن بيور بالفهلوية ما جاوز مائة ألف من العدد، وكان له مائة ألف فرس بسسروجها ". انظر: غرر ملوك الفرس ١/٧١.

(١) هكذا في (ل) و (ع)، وسماه المسعودي: فريدون، و أفريدون، و أفريحون، قال المسعودي: " فريدون المهرجان...إفريحون بن أثقابان بن جمشيد ملك الأقاليم السبع، فأخذ بيوارسب، فقيده في جبل دباوند...وقد ذكر كثير من الفرس... أن أفريدون جعل هذا اليوم الذي قيد فيه الضحاك عيداً له، وسماه المهرجان". انظر: مروج الذهب ١/ ٩٦، وسماه الثعالبي أفريدون، وأفريذون.
انظر: غرر ملوك الفرس ١/٣٥.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " حيد ".

(٣) في (ل) بلفظ: "بوردو" وأما في (ع) فبلفظ: "يورد"، ولعله تصحيف "نوذر بن منوجهر بن أيرج بن أفريذون"، وقد أغفل المناوي ذكر ملك "منوجهر بن أيرج بن أفريذون"، انظر: مروج الذهب ١/٩٧، وانظر: الثعالبي في الغرر ١/١٠٠.

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ: "أفرسيات"، ولعله تصحيف " أفرسياب" كما عند الثعالبي في الغرر ١/١٠٧.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " الكواكب ".

(٦) في (ل) بلفظ "ودين طهلب" وأما في (ع) فبلفظ: "دوين طهلب"، ولعله تصحيف "زو بن طهماسف" كما عند الثعالبي في الغرر١/١٣١، أو "زو ابن طهماسب" كما في تاريخ الأمم والملوك للطبري ١/١٦٨.

(٧) في (ل) بلفظ: " كفياد" وأما في (ع) فبلفظ: " كبقياد "، وعند الثعالبي في الغرر١/١٣٧ " كيقباذ " حيث قال: " لما انقضت أيام زو اجتمعت آراء الناس والقواد والأعيان على تمليك كيقباذ لما رأوا فيه من شرف عنصر الملك".

ثم كيكاوس(١) صاحب الهمة العلية ، وملكه مائة وعشرون سنة.

ثم كيخسرة(٢)، وكان له حسن القيام بالرعية ، وتمشية كبار الأمور، والزهد في الأشياء بعد نيل المراد، ومدته ستون عامًا.

ثم لهراسف(٣) صاحب التاج، والكِبر والتيه والفخر، وملكه مائة وعشرون عامًا(٤).

ثم بشتاسف(٥) وكان حليما ومدته مائة وعشرون.

ثم اسفندياذ(٦) ، ومدته ثلاث وتسعون سنة، ثم ابنه(٧) ، ومدته مائة واثنتا عشرة سنة.

ثم أم ابنه خماني(٨) صاحبة العقل والتدبير والعدل، ومدتها سبع عشرة سنة.

---

(١) قال الثعالبي في الغرر ١/ ١٥٤ : "ملك كيكاوس ، ويقال له: في العربية قابوس: لما فرغ القواد من تجهيز كيقباذ بايعوا كيكاوس " وهو "كيكاووس بن كينية بن كيقباذ" . انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨١/١.

(٢) في (ل) بلفظ :"كتحر" وأما في (ع) فبلفظ : "كنجير" ، ولعله تحريف " كيخسرة " . قال الثعالبي في الغرر٢٣٥/١ : " لما هلك كيكاوس ملك كيسخرة ، فأشرقت الأرض " . و قال ابن الأثير : " لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس " . انظر : الكامل في التاريخ ٨١/١.

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ : "بهراسب" ، وعند الثعالبي في الغرر٢٤٣/١ : " لهراسف" حيث قال: " لما فرغ كيسخرة من أحكام أمر الملك ، عهد إلى لهراسف عهده " .

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ : "عاما " من (ل) .

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: "وسناسف " ، وعند الثعالبي في الغرر : "بشتاسف" ، وهو ابن لهراسف ، وهو الذي ملك بعد لهراسف . انظر : غرر أخبار ملوك الفرس ٢٥٥/١ .

(٦) في (ل) بلفظ: " اسفقديار" وأما في (ع) فبلفظ: " إسفنديار "،وعند الثعالبي في الغرر ١/ ٢٧٧ "إسفندياذ" ، والظاهر أن ملكه كان ووالده ما حيا ، فقد ذكر الثعالبي في قصة موته أنه حمل في تابوت إلى حضرة بشتاسف . انظر : الغرر٣٧٥/١ .

(٧) اسمه " بهمن بن اسفندياذ " . انظر : غرر أخبار ملوك الفرس ١/ ٣٧٧ .

(٨) في (ل) بلفظ: " ثم ابنه هماني صاحب العقل والتدبير" وأما في (ع) فبلفظ: "عم ابنه هماني"، ولعله تحريف أصله: " أم ابنه خماني صاحبة العقل والتدبير " . هكذا في تاريخ الأمم والملوك ٣٣٣/١ ، وفي غرر أخبار ملوك الفرس: "خماي" . ويقال لها: جهرزاد ٣٩٢/١ ، وخماي هذه هي بنت بهمنت حملت من أبيها، قال مطهر ابن طاهر المقدسي: "قصة هماي ودارا زعموا أن هماي كانت حاملا من=

ثمّ دارا[١] صاحب الهزيمة والجزع والجبن والفزع، وملكه إحدى وأربعون سنة.

ثم دارا بن دار[٢] له قود العساكر، وتزيين الحشم[٣] وإقطاع الولايات، وملكه خمسون سنة.

ثم إسكندر الرومي، وهو ذو القرنين، وله الطواف في العالم، والأسفار البعيدة، ومشاهدة العجائب، وفتوح البلاد، وقهر الملوك، وملكه ست وثلاثون سنة.

ثم أردشير[٤] بن بابك[٥]، وكان عادلاً، جواداً، ذا فطنة وذكاء، حسن السيرة،

=أبيها بهمن عند هلاكه، وأنها لما وضعت حملته في مهد، واسترضعته في قوم، وأعطتهم مالا جليلا " انظر: البدء والتاريخ ١/ ١٧٠، وفي الكامل: أنه أخوها، وليس ابنها، قال ابن الأثير: " ثم ملك خمانى جهرازاد ثلاثين سنة. ثم ملك أخوها دارا ابن بهمن اثنتي عشرة سنة "انظر: الكامل في التاريخ ١/ ١٢٨

(١) قال الثعالبي: " دارا بن بهمن وهو دار الأكبر". انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/ ٣٩٧.

(٢) هو: دارا بن دارا بن بهمن، وهو دارا الأصغر. انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢/١.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " الحشم ".

(٤) في (ل) بلفظ: "أزدشير" في (ع) بلفظ: "أردشير"، وفي كتب التاريخ كما أثبته بالراء.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تابك"، وبهذا يكون المناوي قد تجاوز فترة ملوك الطوائف، فقد "اختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر في عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملكوا إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان ...قال بعضهم ملك العراق وما بين الشأم ومصر بعد الإسكندر تسعون ملكا على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن، وهم الأشكانيون، قال فملك من الأشكانيين أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أرش الجبار ابن سياوش بن كيقاوس الملك اثنتين وستين سنة، ثم سابور بن أفقور وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام ثلاثا وخمسين سنة، ثم جوذرز بن سابور ابن أفقور الذي غزا بني إسرائيل طالبا بثأر يحيى بن زكرياء ملك تسعا وخمسين سنة، ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور سبعا وأربعين سنة ثم جوذرز بن أبزان بن بلاش إحدى وثلاثين سنة، ثم أخوه نرسي بن أيزان أربعا وثلاثين سنة، ثم عمه الهرمزان بن بلاش ثمانيا وأربعين سنة، ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش تسعا وثلاثين سنة، ثم ابنه كسرى بن الفيروزان سبعا وأربعين سنة، ثم ابنه اردوان ابن بلاش وهو آخرهم قتله أدرشير بن بابك خمسا وخمسين سنة قال وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف في النواحي خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة " انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ١/ ٣٤١: ٣٤٣.

جميل الأحدوثة، وملكه ثماني وسبعون سنة.

ثم سابور[١]، وملكه ثلاث وثلاثون سنة[٢].

ثم هرمز[٣]، وملكه ثلاثون سنة[٤] وثلاثة أشهر.

ثم بهرام بن بهرام[٥]، وملكه أربعة أشهر.

ثم نرسي[٦]، وملكه تسع سنين.

ثم ابنه [٧]، ومدته سبعون سنة.

ثم سابور بن ذي الأكتاف[٨]، كان ذا ملك عظيم وشدة، وملكه سبعون عامًا.

ثم أخوه أردشير، وملكه عشر سنين.

ثم سابور بن سابور، ومدته خمسون سنة

---

(١) في (ع) بلفظ: "سايور"، وفي غرر أخبار ملوك الفرس١/٤٨٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٢/١ . "سابور بن أردشير".

(٢) هكذا في (ع) وسقط ذكر سابور من (ل).

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: " أورمد " ، ولعله تحريف لاسم "هرمز بن سابور" كما عند الثعالبي في الغرر ٤٨٠/١ ، قال الطبري: " ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز، وعهد إليه عهدا: أمره بالعمل به ، واختلف في سني ملكه، فقال بعضهم : كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما، وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما ". انظر: تاريخ الأمم والملوك ٣٩٦/١ .

(٤) هكذا في (ع) وسقط لفظ : " سنة" من (ل).

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: " بهرام بهرمان " ، والمقصود هنا هو: بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز، فهو الذي كان ملكه أربعة أشهر ، وليس بهرام بن هرمز. انظر : غرر أخبار ملوك الفرس ١/ ٥٠٧ ، وبهذا يكون المناوي قد أغفل ذكر ، بهرام بن هرمز ، و بهران بن بهرام بن هرمز.

(٦) في (ل) و (ع) بلفظ: "برسي" ، وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري : "نرسي بن بهرام وهو أخو بهرام الثالث "٣٩٦/١. انظر كذلك : غرر أخبار ملوك الفرس ٥٠٨/١

(٧) اسمه هرمز بن نرسي . انظر : غرر أخبار ملوك الفرس ٥١٠/١.

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ: " سباب بن ذي الأكتاف " ، وعند الثعالبي في الغرر١/٥١٣: " سابور بن هرمز ذي الأكتاف".

ثم بهرام بن سابور، ومدته ثنتا عشرة سنة.

ثم يزدجرد الأثيم[١] ذو الظلم والفساد، ومدته ثلاثون سنة.

ثم بهرام جور[٢] له النظر التام في أحوال الرعية، والرمي عن القوس، والصيد، واللعب، والعشرة، والشرب، وملكه ثلاثون سنة.

ثم يزدجرد بن بهرام[٣]، وملكه ثماني عشرة سنة.

ثم فيروز[٤]، وملكه إحدى عشرة سنة.

ثم بلاش[٥]، وملكه خمس سنين[٦]

ثم قباذ[٧]، وملكه أربعون سنة.

ثم جاماسف[٨] الحكيم صاحب علم النجوم له فيه الأحكام الصحيحة، ومدته سنة واحدة[٩] ونصف.

---

(١) هو: يزدجرد بن بهرام بن سابور، وكان نهاية في الشكاسة والشراسة والتجر والتكبر. انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/٥٣٧.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: "بهرام كور"، وعند الثعالبي في الغرر/٥٥٤: "بهرام جور وهو ابن يزدجرد الأثيم.

(٣) انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/ ٥٦٩.

(٤) في (ل) و (ع) بلفظ: "هرمز"، وعند الثعالبي في الغرر ١/٥٧٣: "فيروز بن يزدجرد بن بهرام". ذكر الثعالبي أنه بعد موت يزدجرد تنازع ابناه فيروز وهرمز الملك، وبعد احتراب واقتراع وسيلان الدم آل الأمر في النهاية لهرمز.

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: "كشك"، وعند الثعالبي في الغرر ١ /١٨٣: "بلاش بن فيروز"، ومدة حكمه أربع سنين و أشهر.

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "سنة".

(٧) في (ل) بلفظ: "كيفيا" وفي (ع) بلفظ: "كيقا"، وعند الثعالبي في الغرر١/٥٨٦: "قباذ بن فيروز".

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ: "حاما سب الحكيم"، وعند الثعالبي في الغرر١/٥٩٠: "جاماسف بن فيروز"، وبعده عاد الملك إلى قباذ مرة أخرى. انظر: المصدر السابق ١/ ٥٩٣.

(٩) هكذا في (ع) و سقط لفظ: "واحدة" من (ل).

ثم كسرى أنوشروان[١] فخر الملوك الأعيان، صاحب العدل والإحسان، وبعدله تضرب[٢] الأمثال، وملكه ثماني وأربعون سنة.

ثم هرمز[٣]، وملكه ثنتا عشرة سنة.

ثم كسرى برويز[٤]، وما وصل أحد من الملوك إلى درجته في جمع الخزائن والآلات، وكَنْزِ الكنوز واستعمال اللذات، ولو وصف بعض[٥] ذلك طال الكتاب، وملكه ثماني وثلاثون سنة.

ثم ابنه[٦] ومدته ستة أشهر.

ثم أردشير[٧] ومدته سنة واحدة ونصف.

ثم شهر براز[٨]، ومدته نحو شهرين.

ثم بوران دخت[٩]، ومدتها ستة أشهر.

ثم فرح دار[١٠]، وملكه شهر واحد.

ثم يزدجررد بن شهريار[١١] آخر ملوك العجم، ومدته عشرون.

---

(١) انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/٦٠٣.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يضرب".

(٣) هو: هرمز بن انوشروان. انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/٦٣٧.

(٤) في (ل) و (ع) بلفظ: "خسرو برويز"، وعند الثعالبي في الغرر ١/٦٦١: "كسرى برويز".

(٥) هكذا في (ع) و سقط لفظ: "واحدة" من (ل).

(٦) اسمه شيرويه بن كسرى برويز. انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/٧٢٨.

(٧) هو اردشير بن شيرويه. انظر: غرر أخبار ملوك الفرس ١/٧٣١.

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ: "كراز"، وعند الثعالبي في الغرر ١/٧٣٣: "شهر براز".

(٩) في (ل) "يوران دحن": وفي (ع) "بوران دحت"، وهي" بوران بنت كسري أبرويز، وبعدها ملكت اختها آزرمي دخت بنت أبرويز". انظر: المرجع السابق ١/ ٧٣٥، ٧٣٦.

(١٠) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فرح راد".

(١١) في (ل) و (ع) بلفظ: "يزدجرد بن سهرمان"، وعند الثعالبي في الغرر ١/ ٧٣٧: يزدجرد بن شهريار

ثم غلب المسلمون على العجم، وأزالوهم عن الملك في خلافة عمر رضى الله عنه[١]، فهؤلاء ملوك الشرق.

وأما[٢] ملوك مصر وهم القبط[٣]

فأول من ملك مصر بقراويس[٤] بن مصرايم، فعمّر بها أمسوس، وهي مصر القديمة، سميت باسمه، واستخرج المعادن، ووضع الطلاسم، وبنى[٥] المدائن وكل علم جليل بأيدي المصرين فهو من فضله، فإنه رَمَزَه[٦] على الحجارة، ففسره[٧] فليمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه الصلاة والسلام[٨] في السفينة[٩].

---

(١) هكذا في (ل) وسقطت صيغة الترضي من (ع).

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وأول".

(٣) يعتمد المناوي فيما يسوقه من ذكر ملوك مصر على كتاب أخبار الزمان للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ١٣٥/١. وأعزو إليه بقولي: " وعند المسعودي ".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " مقراوش " ، وعند ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ١٨/١: " نقراوش "، وعند المسعودي ١٣٦/١: "بقراويس الجبار بن مصرايم بن مواكيل بن داويل بن عرباق بن آدم عليه السلام ... بنى بقراويس مصر، وسماها باسم أبيه مصرايم تبركا به ، وكان بقراويس جبارا له قوة زائدة وبطش.. ، فملك بني أبيه ، ... وهم الملوك الذين بنو الأعلام ، وأقاموا الأساطين العظام ".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وبناء".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " رمزه " ، وقال المسعودي ١/ ١٣٦: "وكل علم جليل هو في أيدي المصريين، إنما كان من علوم أولئك [بني عرباق بن آدم]، كانت مزبورة على الحجارة".

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ع) فبلفظ: "فسر".

(٨) هكذا في (ل) وسقطت الصلاة والسلام عليه من (ع).

(٩) قصة فليمون وترجمة النقوش ذكرها المسعودي في أخبار الزمان ١/ ١٨٠، والحقيقة أن فيها أمور لا تصدق بل هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

ومن المعلوم في ديننا أن الكهانة ضرب من ضروب الشرك " والكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع" انظر في ذلك كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٢٨٢/١.

وعمل بها عجائب، منها طائر يصفر كل يوم مرتين؛ يستدل به على ما يكون

وعمل بها عجائب، منها طائر يصفر كل يوم مرتين؛ يستدل به على ما يكون من الحوادث، وصنم من حجر أسود تجاهه مثله، إذا دخل المدينة سارق لا[١] يمكنه الانتقال حتى يسلك بينهما، فإذا دخل بينهما انطبقا عليه، فَيُؤْخذ.

وصورة من نحاس على منار عليه سحاب[٢]؛ فكل من استمطره أمطره، وعمل فوق الجبل مناراً[٣] يفور بالماء، ويسقي ما حوله من المزارع، ولم يزل كذلك حتى أزاله الطوفان[٤]، ومدة ملكه مائة[٥] وثمانون سنة.

ثم ملك بعده ابنه براوس[٦]، وكان كأبيه في علم الحكمة والطلاسم، وهو أول من عمل بمصر هيكلاً فيه صور الكواكب السبعة، وكتب على كل كوكب منافعه ومضاره، وعمّر مُدينة، وأقام بها أساطين رقَّم عليها جميع العلوم والعقاقير ومنافعها ومضارها، ومدة ملكه مائة وتسعون سنة.

ثم ملك بعده أخوه مصرام[٧]، وكان حكيماً، فعمل هيكلاً للشمس مموه بذهب في وسطه كالفرس[٨] من جوهر أزرق، عليه صورة الشمس من ذهب، وعلى

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فلبفظ: " ولا ".

(٢) قال المسعودي: "وعمل بربيا صورة من نحاس مذهب على منار عال، لا يزال عليها السحاب يطلع، فمن استمطرها أمطرت عليه ما يشاء، فهلكت هذه الصورة في الطوفان" أخبار الزمان ١٣٨/١ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "مغارا"، وعند المسعودي١/ ١٣٨ :"منارا" .

(٤) ما ذكره المؤلف رحمه الله ناقلا إياه من كتب التاريخ من الأمور الخرافية التي لا يصدقها العقل ولا يقبلها الواقع، وكان الأولى عدم ذكرها أو ذكرها والتعليق عليها.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " ومدة ملكه مائة مائة " بالتكرار.

(٦) هكذا في (ل) و (ع)، وعند المسعودي١/ ١٣٩ :"براوس" .

(٧) في (ل) بلفظ: "مصرايم " وفي (ع) بلفظ : "مصراييم " ، وعند المسعودي ١/ ١٤١ : " مصرام " .

(٨) في (ل) و(ع): "قوس" ، وعند المسعودي ١/ ١٤١ : "وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق"

رأسه[١] قنديل من زجاج فيه حجر مدبر يضيء ليلاً ونهاراً كالسراج، ثم ذلل[٢] الأسد وركبه، وسار إلى البحر المحيط، وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنمان من نحاس وزَبَر عليها[٣]: أنا مصرام الجبار، كاشف الأسرار، الغالب القهار، وضعت الطلمسات الصادقة، وأقمت الصور الناطقة، ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة؛ ثم عاد إلى مصر، واحتجب عن الناس ثلاثين سنة، فأحب أهل مصر أن يروه فظهر لهم في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعباً، ولم يروه بعدها.[وملك بعده عيقام، فعدل فيهم][٤]، وعمل في وسط قصره بركة من ماء جامد الظاهر، وترى حركته من وراء ما جمد منه[٥].

ثم ملك بعده عرباق، وقيل: عنقام[٦]، ويقال له: الأثيم[٧]، فعمل أعمالاً عجيبة: منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف، إذا قرَّب الظالم منها

---

(١) المقصود أنه جعل فوق رأس الفرس داخل الهيكل قنديلا، قال المسعودي: "وجعل في الهيكل قنديلا من الزجاج الصافي، وجعل فيه حجرا مدبرا يضئ أكثر مما يضئ السراج".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "دلك".

(٣) في (ل) و (ع): "زبر عليها" أي القلعة، وعند المسعودي ١/١٣٥ أنه زبر اسمه على أحد الصنمين وعلى الآخر كتب العبارة المذكورة: "أنا مصرام الجبار ..... الخ".

(٤) في هذا الموضع كلام ساقط من (ل) و (ع)، وهو الحديث عن ملك عقيام الكاهن الذي حكم بعد مصرام، وعقيام هذا هو الذي صنعت له بركة الماء الجامد المذكورة. قال المسعودي: "وملك بعده عيقام الكاهن، فعدل فيهم، وعمل مدينة عجيبة قرب العريش، وجعلها لهم حرَما".
انظر: أخبار الزمان ١/١٤٣.

(٥) يذكر المسعودي أن هذه البركة صنعتها الشياطين في القصر الذي بنته لعقيام خلف خط الاستواء على جبل القمر، حتى يحتمى به من الطوفان، وهذه القصة ذكرها المسعودي في موضع متقدم عن سرد ذكر الملوك، راجع: أخبار الزمان ١/ ١٢٩.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "غرياق"، وعند المسعودي ١/ ١٣٥: "عرباق بن عيقام".

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الأسيم".

أخذته تلك الخطاطيف، فلا تفارقه حتى[1] يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه، وعمل[2] صنم من كدان أسود سماه: عبد زحل، يتحاكمون إليه، فمن زاغ ثبت في مكانه، ولم يقدر على الانتقال حتى ينصف خصمه، ومن له حاجة قام ليلاً ونظر إلى الكواكب، وتضرع وذكر اسم عرباق[3]، فإذا أصبح وجد حاجته ببابه، وعمل شجرة من حديد ولطخها بدواء مدبر؛ فكانت تجلب السباع والوحوش إليها حتى تلتزف بصدرها[4]، وكان إذا غضب على بلد سلط على أهله الوحش[5]، وكان يحب النساء الحسان، فاغتصب منهن جماعة كثيرة، فسمَّته واحدة منهن، فهلك[6].

وملك بعده ابنه لوحيم[7]، وكان عالماً بالكهانة والطلاسم، فعمل أعمالاً عجيبة منها: أن الغراب لما كثر في زمنه، وأتلف الزرع عمل[8] أربع منارات على جوانب مصر الأربعة، على كل منارة صورة غراب في فمه حية قد إلْتَوت عليه؛ فنفرت عنه الطيور المضرة، وكان عادلاً منصفاً للرعية مقرباً للحكماء.

وملك[9] بعده حصليم[1]، وكان حكيماً فاضلاً عمل أعمالاً عجيبة، وهو أول أول من عمل مقياساً بمصر لزيادة النيل.

---

(١) هكذا في (ع) وسقط عبارة: "فلا تفارقه" من (ل).

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ: " ومنها ".

(٣) في(ل) و(ع) بلفظ: "غرياق"، وعند المسعودي ١/ ١٣٠: "عرباق".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " صدورها". وللتوسع في خبر الشجرة وعجائبها. انظر: أخبار الزمان ١/ ١٣٥.

(٥) انظر: أخبار الزمان ١/ ١٣٠.

(٦) انظر: أخبار الزمان ١/ ١٣٥.

(٧) في (ل) و (ع): "لوجين"، وعند المسعودي١/ ١٣٦: " لوحيم ".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وعمل".

(٩) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " فملك".

ثم ملك بعده ابنه هو صال، ومعناه: خادم الزهرة، وكان فاضلاً كاهناً عالماً بالطلاسم، عمل عجائب منها: أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنم للشمس يدور بدورانها، وعمل سَرْباً تحت النيل[٢] يشق الأرض، وخرج منه متمكناً حتى دخل مدينة بابل، و كشف أعمال الملوك، ثم عاد، ولزم الهياكل حتى مات، وكانت مدته مائة وسبع عشرة سنة.

ثم ملك بعده ابنه سنا[٣] .

ثم بعده أخوه نمرود الجبار[٤]، فأحسن السيرة، وأحسن الرعية ، وبسط العدل.

ثم ملك بعده توسدون[٥]، وكان عالماً فاضلاً، عمل قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك، وتعرف منها أسرار الطبائع وعلوم العالم، ومدته مائة سنة.

ثم ملك بعده ابنه سرباق[٦]، وكان كأبيه في الكهانة والطلمسات، فعمل بمصر أعمالاً عجيبة منها[٧] : بطة من نحاس قائمة على أسطوانة إذا دخل غريب من جهة من من الجهات صفقت بجناحيها، وصرخت، فيُؤخذ ويُكشف حاله، ومدة ملكه مائة وثلاث سنين.

---

(١) في (ل) و (ع): "خصليم"، وعند المسعودي١/ ١٤٤ :"حصليم" بالحاء المهملة .

(٢) في (ل) و (ع): "تحت النور"، وعند المسعودي١/ ١٤٦ : " تحت النيل" .

(٣) في (ل) و (ع): "ترسان"، وعند المسعودي :"سنا وهو فدرشان" ، وقيل :"تدرسان" . انظر : المصدر السابق ١٤٧/١.

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ: " الجبار "من (لع) . انظر خبره في : أخبار الزمان ١/ ١٤٨.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "توسدوون" بواوين" وهو: توسدون بن فدرشان، انظر خبره في: أخبار الزمان ١٤٨/١.

(٦) في (ل) و (ع): "شرياق" ، وعند المسعودي١/ ١٤٩ : ١٥١ :" سرباق" .

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وعمل".

٩٨ في (ل) بلفظ: "شلهوق" وفي (ع) بلفظ: " شهلوق" ،وعند المسعودي ١٥١/١ :" سهلون" .

وملك بعده سهلون وكان عالماً بالطلاسم والكهانة، فرتب الدولة، وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار، وعمل بمصر عجائب منها: سحرة على أعالي الجبال يقسمون الريح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد(١)، ثم مات.

وملك بعده ابنه سوريد، وكان حكيماً فاضلاً، وهو أول من جبا الخراج بمصر، وأول من أنفق على المرضى والزمنى من خزائنه، وعمل أعمالاً عجيبة منها: مرآة من أخلاط كان ينظر فيها إلى الأقاليم، فيعرف ما حدث فيها من الحوادث، وعمل(٢) صورة امرأة جالسة، وفي حجرها صبي ترضعه؛ فكانت المرأة من نساء مصر إذا أصابتها علة في موضع من بدنها أتت هذه الصورة، ومسحت الموضع بمثله من بدنها فتبرأ، وإن عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حالاً، وإن أرادت التحبب لزوجها مسحتها وقالت: افعلي كذا وكذا فيحصل وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تتوب، واستمر ملكه مائة وتسعين سنة(٣).

ولما مات ملك بعده ولده هرجيت(٤)، وكان كأبيه حكيماً فاضلاً، فعمل أعمالاً عجيبة، واستخرج معدنا(٥) كثيراً، وأظهر علم الكيمياء، فمات.

---

(١) في (ل) و (ع): : "وعمل بمصر عجائب منها شجرة على أعالي الجبال تقسم بها الريح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد". وردت هذه العبارة عند المسعودي هكذا: " وأقام على أعالي الجبال سحرة يقسمون الريح، ويمنعون من أراد بلدهم بأذى". انظر: خبر سهلون وعجائب عهده في: أخبار الزمان ١٥١/١ : ١٥٧، وما أورده المؤرخون فيه كثير من المبالغة، بل ولا يستقيم بعضه مع المعتقد الصحيح، فالشياطين لا تستطيع عمل شيء إلا بأمر الله عز وجل.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "فعمل".

(٣) انظر: خبر سوريد بن سهلون وعجائب عهده عند المسعودي في : أخبار الزمان ١/ ١٥٧ : ١٧١.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "هرجت"، واختلف في اسمه، فذكر عند المسعودي باسم "هوجيف، هرجيت"، وقيل : "هرجيب"، وملكهم تسعا وتسعين سنة ومات. انظر: أخبار الزمان ١٧١/١.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "معدنها".

وملك بعده ابنه مناوس[١]، وكان كأبيه في الحكمة، لكنه جبار فاسقٌ سفاكٌ للدم، ينتزع النساء الحسان من أزواجهن لخواصه، وعمل[٢] أعمالاً عجيبة، واستخرج كنوزاً، وبنى قصوراً من ذهب، وأجرى فيها الأنهار، وجعل حصباءها من أصناف الجواهر النفيسة، فمات.

وملك بعده ولده أقروش[٣]، وكان كأبيه في العلم والحكمة، وأظهر العدل، وأحسن السيرة، ورد النساء اللاتي غصبهن أبوه إلى أزواجهن، وعمل قبة ارتفاعها خمسون ذراعاً في عرض مائة، وركّب بجوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة، وعمل في وسط مدينة مصر مناراً عليه رأس إنسان من صفر؛ كلما مضى من الليل أو النهار ساعة صاح، وعمل قبة مذهبة، ولطخها بلطوخ مدبر، فإذا غربت الشمس كل ليلة اشتعلت القبة نوراً، فتضيء كل الليل حتى يطلع النهار، ونكح ثلاثمائة امرأة، فلم يولد له.

ثم ملك بعده أرمالنيوس[٤] عمل أعمالاً عجيبة، وجدد الطلاسم، وقهر ملوكاً وقتل أمماً، ثم سمته امرأته، فمات.

ثم ملك بعده فرعان[٥] بن مسرور، وكان شجاعاً، وفي أيامه كان الطوفان، فغرقت مصر كلها، وزالت تلك العوالم والرسوم، وأقام عليها الماء ستة شهور، فكان أول مدينة عمرت بأقاليم مصر منف.

---

(١) في (ل) و (ع): " شاوس "، وعند المسعودي ١/١٧١: "مناوس"، وأقام مناوس ملكا ثلاثا وسبعين سنة

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وعمل".

(٣) في (ل) و (ع) " أفروش "، وعند المسعودي ١/١٧١: ١٧٥: " أفراوس "، وقيل: " أقروش "

(٤) في (ل) و (ع): " ألفانيوس "، وعند المسعودي ١/١٧٥: ١٧٧: "أرمافيوس أو أرمالنيوس".

(٥) في (ل) و (ع): " فرغان "، وعند المسعودي ١/ ١٧٧: " فرعان ".

وأول من سكن أرض[١] مصر بعد الغرق بنصر بن حـــام بن نوح عليه السلام [٢]، نزلها في ثلاثين نفساً من أولاده وأقاربه، وعمَّروا مدينة منف، ثم مات بنصر.

فملك بعده مصرايم، فبنى المدن، وشق الأنهار، وغرس الأشجار، ثم مات.

فملك بعده قبطيم[٣]، وهو أول من عمل العجائب بعد الطوفان والطلاسم، ومات.

وملك بعده قفطويم[٤] أصغر أولاده، فعمر البلاد، وجعل لنفسه سرباً تحت الأرض، وصفّحه بمرمر، وجعل فيه منافذ للريح، فصارت تتخرق فيه[٥] بِدَوِيٍّ عظيم، وأقام فيه رؤوساً من نحاس مطلية تضيء كالسراج ليلاً ونهاراً، ولما مات جعل

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "أرض" من (ع).

(٢) هكذا في (ل) وسقطت جملة " عليه السلام "من(ع) والاسم فيها بلفظ : "بنصر بن حسام بن نوح". وقال السيوطي: "هو بيصر بن حام بن نوح أول من سكن مصر بعد الطوفان ، وعمر مدينة منف ، ثم خلفه ابنه مصر، ومصر هو الذي ساق أباه وإخوته إلى مصر وبه سميت مصر مصرَ". انظر :حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ١١ ، وقال المسعودي: " أجمع أهل مصر - وقيل : أهل الأثر - أن أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرايم بن بيصر - وقيل : مصريم بن تنصر - بن حام بن نوح عليه السلام". انظر : أخبار الزمان ١/ ١٨٠.

وفي هذا الموضع من (ل) وردت كلمة "فعمر" وهي غريبة في السياق.

(٣) في (ل) بلفظ : " قطيم " وأما في (ع) فبلفظ : " قنطيم " ، وعند المسعودي ١٨٣/١ : " قبطيم "، وقال المقريزي : "وملك بعده: ابنه قبطيم ، ويقال له: قفط بن مصرايم " . انظر: المواعظ والاعتبار ١٦٩/١.

(٤) في (ل) و(ع) بلفظ: "قفط " ، وعند المسعودي١ /١٨٣ : " قفطويم " ، وكذلك عند المقريزي: "قفطريم " . انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٠ .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : (تتخرق فيه بماء بدوي) وفي أخبار الزمان ١/ ١٨٢ بلفظ : (هي تتخرق فيه بدوي عظيم هائل)

جسده عليها، وأقيم عند رأسه عمود من ذهب عليه جوهرة تضيء، وحوله مصاحف الحكمة، ومدة ملكه أربعمائة وثمانون سنة.

ثم ملك بعده أخوه أشمون، وكان جباراً عظيم الخلق، وأقام ملكاً أربعمائة عام.

ثم ملك بعده صا(١).

ثم بعده ابنه(٢) بودشير(٣)، وكان جباراً، عمل أعمالاً عظيمة منها: أنه عمل مناراً فوقه قبة على أربعة أركان في كل ركن كوة يخرج منها في يوم معين من السنة دخان على ألوان شتى، فإذا خرج أخضر دل على الخصب في تلك السنة، أو أبيض على الجدب والغلاء، أو أحمر دل على الحرب وقصد العدو، أو أصفر دل على آفات تحدث من الملك، أو أسود دل على أمطار وسيل يفسد الأرض، أو مختلطاً دل على كثرة الظلم والجور وبغي الناس بعضهم على بعض.

وعمل(٤) شجرة من نحاس تجذب الوحوش إليها، فيؤخذ باليد، وقلع غراب عين ولد حكيمة، فعمل شجرة عليها غراب منشور الجناحين في فمه حية، كل غراب

---

(١) لم يلتزم المناوي بترتيب المسعودي لملوك مصر في أخبار الزمان، فالمسعودي لم يذكر في أخبار الزمان كلا من أشمون وصا في ترتيب ملوك مصر، وإنما ذكر بودشير بعد قفطيم، أما ذكر أشمون وصار بعد قفطيم فقد أورده المسعودي نفسه في مروج الذهب ١/ ١٥٨، وكذلك ذكرهما المقريزي في المواعظ والاعتبار من رواية ابن عبد الحكيم فقال: "بعد مصر بن بيصر قفط بن مصر، وأنّ الذي ملك بعد فقط أخوه أشمن، ثم أتريب بن مصر، ثم صا ابن مصر". انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٠، فهل ملك البوسير أو البودشير بعد قفطيم أولا ؟ روايات عده، والظاهر أن المناوي اختار ما ترجح عنده أو جمع بين الروايتين.

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "ابنه" من (ع).

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "أودشير".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فعمل".

مر سقط عليه، فلا يبرح حتى يموت(١)؛ ثم إنه احتجب عن الناس سنين، فصار لا يظهر لهم إلا في يوم واحد من السنة، وهو عند حلول الشمس أول برج الحمل، فيأمرهم وينهاهم، قال المسعودي: وهو أول من عبد الكواكب؛ ثم غاب عنهم مدة، وصاروا بغير ملك، ثم ظهر لهم جالساً في السحاب، وأخبرهم أنه لا يعود إليهم، وأمرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قبطيم(٢)، ففعلوا، ثم مات.

فملك بعده ابنه أرقميلون(٣)، وكان جبارا عظيما عمل أعمالا منها: أربع مدائن أودعها كنوزا كثيرة(٤)، ثم مات، ومدة ملكه مائة وأربعون سنة.

ثم ملك بعده ابنه شداد(٥)، وكان حكيماً عالماً، فعمل أعمالاً عظيمة وطلاسم

---

(١) انظر: خبر البودشير، وما كان له من العجائب في أخبار الزمان للمسعودي ١/ ١٨٧: ١٨٩.

(٢) في (ل) بلفظ: "عديم بن قيطيم" وفي (ع) بلفظ: "عديم بن فطيم"، وعند المسعودي١/ ١٣١: "أمرهم أن يملكوا عديم الملك"، وعند المقريزي: "أمرهم أن يملكوا عديم بن قبطيم".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧١.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أرقميلون"، والمسعودي لم يذكر أرقليمون هذا، وعنده أن عديم الملك ابن البودشير ملكهم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن تسعمائة سنة وثلاثين سنة، وخلفه ابنه شدات أو شداد، ولم يشر المسعودي إلى أرقليمون هذا. انظر: خبر عديم الملك وعجائب مدته ١/ ١٨٩: ١٩٤، أما المقريزي فقد ذكر ملك أرقليمون بعد البودسير أو البودشير،.
انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧١.

(٤) هكذا في (ل) وسقطت جملة: "وكان جبارا عظيما عمل أعمالا منها: أربع مدائن أودعها كنوزا كثيرة" من (ع).

(٥) اختلف المؤرخون في شخص شداد هذا، فقال بعضهم: إنه شداد بن عاد، وأنه من بني عاد غزى مصر قادما من جهة الشرق، ومنهم من قال: إن المؤرخين يخلطون بينه وبين شداد بن عاد لتقارب الأسمين في الأحرف، قال المسعودي: "وقال الذين ينكرون أن العادية دخلت مصر: إنما غلط الناس في اسم شدات، فقالوا: شداد بن عاد؛ لكثرة ما يجري على ألسنتهم شداد، وقلة ما يجري شدات. وما قدرأحد قط من الملوك أن يدخل مصر إلا عبد لبخت نصر بما قدمه من الحيل في إفساد طلسماتها". =

عجيبة، وهو أول من صاد بالجوارح والكلاب، ثم كبا به فرسه، فوقع، فمات، ومدة ملكه تسعون سنة(١).

فملك بعده ابنه منقاوش(٢) وكان حكيماً فاضلاً، فعمل أشياء عجيبة، وتصدى لعمل الكيمياء، فحصَّل منها مالاً عظيماً وجواهر كثيرة، وقسم(٣) خراج مصر أرباعا: الربع للملك، والربع للجند، والربع ينفق في مصالح الأرض، والربع يدخر لحادث يحدث، ثم مات ومدة ملكه تسعون سنة(٤)، فملك بعده ابنه عديم بن منقاوش(٥) ، وكان جباراً لا يطاق ، فمات(٦).

ثم ملك بعده أخوه مناوش بن منقاوش(٧)، وكان فاضلاً كأبيه عمل شجرة

=انظر : أخبار الزمان ١/ ١٩٤ .

(١) انظر خبره وما كان في زمنه من الغرائب عند المسعودي المصدر السابق ١/ ١٩٤ : ١٩٧ .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " منقاوس " ، وعند المسعودي يذكر مرة باسم "منقاوش" كما في ١٩٥/١ قال: "وكانت الحبشة والسودان عاثوا في بعض بلده ، فأخرج ابنه منقاوس في جيش " . وإن كان محقق الكتاب قد أشار إلى اضطراب النسخ في ضبط اسمه، فبعض النسخ تذكره في هذا الموضع باسم " منقاوس " ، ثم يرد بعد صفحات باسم " منقاوس " . قال المسعودي ١٩٧/١ : " وولي الأمر من بعده ابنه منقاوس الملك فقام مقام أبيه " ، أما المقريزي فيسميه: " منقاوش " .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧١ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " وضم " .

(٤) قال المسعودي: " إحدى وسبعين سنة ". انظر : أخبار الزمان ٢/ ٢٠١ .

(٥) لم يذكره المسعودي، فقد جعل الملك بعد منقاوش لابنه منقاوس. بينما جعل المقريزي الملك بعد مناوش لعديم بن منقاوش. انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧١ .

(٦) هكذا في (ع) وسقط ذكر هذا الملك من (ل) .

(٧) في (ل) بلفظ : " منقارش بن منقاوش" وفي(ع) بلفظ: "مناوس " وسقط منها اسم أبيه ، وكذلك عند المسعودي ٢٠١/١ ، أما عند المقريزي فهو : " مناوش بن منقاوش " .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧١ .

تطلع على كل لون من الفاكهة[1]، وهو أول من عبد البقر بمصر، وكان يطلب الحكمة، ويستخرج كتبها، ويجتهد في أن يعمل كل غريبة لم تكن[2] لمن قبله، ثم مات.

فملك بعده ابنه مريدس[3]، وكان قليل الحكمة ، فلم يعمل شيئاً ؛ ثم مات، ومدة ملكه إحدى عشرة سنة.

فملك بعده أشمون[4]، وهو أول ملك لعب بالكرة والصولجان[5]، وبنى مدينة فيها قبة تتلون كل يوم بلون مدة أسبوع، ثم تعود إلى اللون الأول، وهو أول من عمل النوروز بمصر، ثم[6] مات.

فملك بعده منقايوش[7]، وكان شجاعا فاضلا ، فعمل العجائب الهائلة، وبنى

---

(١) ذكر المسعودي أمر هذه الشجرة ، ولكنه جعلها من أعمال أشمون، وليست من أعمال مناوس . انظر المصدر السابق ١/ ٢٠٤ .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " كل غريب لم يكن "

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ : " هرميس "، وعند المسعودي١/٢٠٣ : " مريدس " .

(٤) قال المسعودي: "أشمون أخو قبطيم الملك ، وكان وحده من أشمون إلى منف، وفي الشرق إلى البحر المالح إلى ما حاذي برقة الحمراء، وهي آخر حد مصر، وفي الصعيد إلى حدود أخميم." انظر :أخبار الزمان ١/ ٢٠٣.

(٥) الصولجان: عَصًا معقوفة الطرفين يضرب بها الفارس الكرة، ولعلها هي المعروفة الآن بـ " الجولف

(٦) بذكر خبر أشمون يتوقف المناوي عن النقل عن المسعودي ويبدأ في النقل عن المواعظ والاعتبار لأحمد بن على ابن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي ابتدأ بذكر " منقايوش " وحتى آخر ملوك مصر قبل الفتح الإسلامي مرجحا روايته على رواية المسعودي.

(٧) في(ل) بلفظ : " مناقيوس" وفي (ع) بلفظ : " منقاوش " ، والظاهر أن هناك خلافًا فيمن ملك بعد أشمون فالمقريزي قال: "ملك بعده ابنه صا ، ثم بعد صا ابنه تدراس . وقيل: ملك مناقيوش" .
انظر : المواعظ والاعتبار للمقريزي ١/ ١٧٢، أما المسعودي فيذكر أن الذي ملك بعد أشمون هو ولده " الشاد الملك ". والظاهر هنا أن المناوي اعتمد كلام المقريزي ، فهو ينقله بنصه.

مدائن منها أخميم[١]، وأقام ملكاً نيِّفا وأربعين سنة ثم مات.

وملك بعده ابنه، واختُلف في اسمه، وكان حازماً فاضلاً معظَّماً عند أهل مصر، وهو من أول من عمل المارستان، وأول من عمل الميدان للرياضة، وتغاير عليه نساؤه، فقتلته إحداهن بسكين، فملك بعده ابنه مرقوره[٢]، وكان حكيماً كاهناً، وهو أول من ذلل السباع، وركبها، وبنى مدائن[٣]، وعمل هياكل، ثم مات.

فملك بعده ابنه بلاطس[٤]، وكان طفلاً، فدبرت أمه الملك، وكانت حازمة، فأظهرت العدل، ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها[٥]، ولما كبر بلاطس أحب الصيد، فعملت له أمه أعمالاً عجيبة، وأقام ملكاً بضع عشرة سنة، ومات.

فانتقل الملك إلى أعمامه، فملك منهم بعده أتريب[٦]، وعاش خمسمائة سنة مدة ملكه منها ثلاثمائة وستون سنة، ووقف النيل في زمانه، فأُكلت البهائم حتى لم يبق بمصر دابة، ومات عامة أهل مصر جوعاً، ثم أخصبوا، وكثر الرخاء، ثم سمَّه أخوه صا، فحاربه أهل مصر تسع سنين وقتلوه، فملكت[٧] بعده بنته تدرورة[٨]،

---

(١) نسب بناء أخميم إلى منقاوش المؤرخ تقي الدين المقريزي في المواعظ والاعتبار ١/٣٠٠، أما المسعودي فلم يذكر أنه بنى أخميم، وإنما أشار إلى أن ملكه في الصعيد كان إلى حدود أخميم.
انظر: أخبار الزمان ١/ ٢٠٣، وأخميم إحدى المدن الكبرى التي تتبع الآن محافظة سوهاج.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: "مذقوره"، وعند المقريزي "موقوره" انظر: المواعظ والاعتبار١/ ١٧٢.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "المدائن".

(٤) في (ل) بلفظ: طسلطايين" وأما في (ع) فبلفظ: "سلاطسن"، وعند المقريزي "بلاطس".
انظر: المواعظ والاعتبار١/ ١٧٢.

(٥) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "فأحبوها" من (ع).

(٦) هو: أتريب بن قبطيم بن مصرايم، وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان. انظر خبره عند المقريزي في: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

(٧) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فملك".

(٨) في (ل) بلفظ: "بدوره" وفي (ع): "بدور"، وقال المقريزي: "فملكت بعده ابنته تدرورة".
انظر خبرها عند المقريزي في: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

وكانت كاهنة، فساست الملك أحسن سياسة، وعملت[١] طلاسم عجيبة منها: طلسم منع الوحش والطير عن الشرب من النيل، فمات أكثرها، ثم وقعت عليها صاعقة، فأهلكتها[٢].

فملك قليمون بن أتريب[٣] وكان حكيماً فاضلاً، فعمل الطلاسم[٤]، وفي[٥] أيامه بنيت دمياط، وأقام ملكاً تسعين سنة، ثم مات.

فملك بعده فرسون[٦]، وكان فاضلاً كاهناً، فبنى مدائن، وجدد هياكل، وعمل منارة على بحر القلزم عليها مرآة تجذب المراكب إلى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو موظف عليها، ثم مات[٧].

فملكت[٨] بعده نونيه[٩]، وكانت ساحرة كاهنة، فكانت تجلس على سرير حوله نار، فإذا تحاكم إليها اثنان شق الصادق منهما تلك النار، فلا تضره، وإن كان كاذباً أحرقته، وكانت تصور كل يوم في صور[١٠] وأشكال كثيرة، وماتت.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وعمل".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فأهلكه" فمن ساق الكلام مذكرا أنثها والعكس.

(٣) في (ل) و (ع): "فليمون بن أتريب"، وقال المقريزي: "قليمون بن أتريب".
انظر: خبره عند المقريزي في: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣

(٤) هكذا في (ع) وسقطت عبارة: "فعمل الطلاسم" من (ل).

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وكان في أيامه بنيت دمياط".

(٦) في (ل) بلفظ: "فوتون" وفي (ع) بلفظ: "قرشون"، وعند المقريزي: "فرسون".
انظر خبره عند المقريزي في: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

(٧) ذكر المقريزي بين "فرسون" و "نونيه" أنه تولى الملك أربعة آخرهم صا بن قبطيم قال المقريزي ١٧٢/١: "وملك بعده نحوه أربعة وصار الملك إلى صا بن قبطيم، وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، ولما مات ملك بعده نونية الكاهنة". وقد أغفل المناوي الإشارة إليهم. ولعله رجح أن صا هو الذي سيأتي ذكره بعد أيساد.

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فملك".

(٩) في (ل) و (ع): "بونيه"، وعند المقريزي: "نونيه". انظر خبره عند المقريزي في: المواعظ والاعتبار ١٧٣/١.

(١٠) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وكانت تصور كل يوم صورا".

فملك بعدها مرقونس[١] وكان حكيماً، وكانت أمه بنت ملك النوبة، فعملت عجائب، ثم مات.

فملك بعده ابنه أيساد[٢]، وكان جباراً طماح العين، فأحب[٣] امرأة أبيه، وانكشف أمره معها، ورفض العلوم، وأهمل الهياكل، وأقبل على النزهة مع زوجة أبيه، فكرهه الناس، فسموه.

وملك بعده ابنه صا[٤]، وكان فاضلاً، فعمل العجائب والطلاسم، ورد الحكماء إلى مراتبهم، وجمع الحكماء، ونظر في النجوم، ثم مات.

فملك بعده تدارس[٥]، فصفا له الوقت، وكان مجرباً ذا أيد وقوة، فأظهر العدل، وأقام الهياكل، وغزا السودان من الزنج والحبشة فلقيهم و كانوا زهاء ألف ألف، فهزمهم ، وأسر أكثرهم، ثم مات.

وملك بعده ابنه ماليق، وكان عاقلاً كريماً مجرباً مخالفا لأبيه في عبادة الكواكب، فذمه القبط لذلك، ومات.

---

(١) في(ل) بلفظ : "مرقلوش" وفي (ع) بلفظ : " مرحلوش "، وعند المقريزي : "مرقونس "
انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

(٢) في (ل) بلفظ : " بعده ابنه إيشارو " وفي)ع) بلفظ : " أبشار " وعند المقريزي " ابنه ايساد " انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " أحب "، وعند المقريزي : " أنتزى " .
انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٣.

(٤) صا هذا غير صا بن بن قبطيم بن مصرايم أخو أتريب سابق الذكر، فقد ذكر المقريزي أن المصرين اتهموه في قتل أخيه أتريب ،فقاتلوه تسع سنين ،وقتلوه، أما صا هذا ،فهو ابن مرقونس ،أو أخو أيساد كما بين المقريزي نسب صا هذا فقا : "وملك بعده ابنه صا . ويقال: إنّ صا هو ابن مرقونس، وهو أخود أيساد ". انظر : المواعظ والاعتبار١/ ١٧٤ .

(٥) في (ل) بلفظ : "بدارس"وفي(ع) بلفظ :"بدراس "، وعند المقريزي : " ابنه تدراس " .
انظر: المواعظ والاعتبار١/ ١٧٤.

وملك بعده ابنه حزابا[١]، وكان لين سهل الخلق ، فرجع عن دين أبيه إلى دين قومه، وبنى عدة هياكل، وأقام بها صور الكواكب، ورفع أقدار الكهنة، ثم مات.

وملك ابنه كلكي[٢]، وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب، واخترع أموراً تخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك، وعمر طويلاً، ثم غاب، فلم يُعرف خبره، فملك بعده أخوه ماليا، وكان شرهاً كثير الأكل والرفاهية غير ناظر إلى شيء من الحكمة، وجعل أموره إلى وزيره ، واشتغل بالنساء فقتلوه[٣].

وملك بعده طوطيس[٤] ،وهو أحد فراعنة مصر، وكان جباراً جريئاً شديد البأس، وهو فرعون إبراهيم عليه السلام، والفراعنة سبعة هذا أولهم، وسمته بنته جورباق[٥] وملكت[٦] بعده بنته المذكورة، فساست الناس، وقدمت أهل الحكمة، وجددت الهياكل، وحاربت الملوك، وانهزمت في بعض حروبها، فلما تيقنت أنها تؤخذ سمت نفسها.[٧]

---

(١) في (ل) بلفظ: "خربتا" وفي(ع) بلفظ :" خرتبا" وعند المقريزي :" حزابا" .
انظر :المواعظ والاعتبار ١/١٧٥.

(٢) في (ل) و (ع) : " كلكن" وعند المقريزي :" كلكي " . انظر : المواعظ والاعتبار ١/١٧٥.

(٣) انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٥ .

(٤) في (ل) بلفظ : "طويس" وفي (ع) بلفظ : " طونيس " ، وقال المقريزي :"وملك بعده ابنه طوطيس ويقال: إنه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال: الوليد بن الريان، وأنه أحد فراعنة مصر، من ولد دان بن قهلوج بن أمراز بن أشود بن سام بن نوح.وقيل: فراعنة مصر من ولد عملاق الأوّل بن لاود بن سام بن نوح " .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/١٧٥.

(٥) في (ل) بلفظ : "فروتا" وفي (ع) بلفظ : " خرفتا " ، وعند المقريزي :" جورياق ". انظر : المواعظ والاعتبار ١/١٧٦.

(٦) هكذا في (ع) وأما وفي (ل) فبلفظ: " وملك بعده بنته ".

(٧) عند المقريزي أن التي هزمت فسمت نفسها فماتت هى زلفى وليست جورياق .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/١٧٦ .

فملكت[١] بعدها بنت عمها زلفى[٢]، فملكت[٣] دهراً طويلاً، ثم ماتت. فاستولى على أهل مصر العمالقة، وملك مصر الوليد بن دومع، وهلك.

وملك بعده الريان بن الوليد أحد العمالقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمنه؛ فوعد الناس بجميل، وأسقط عنهم الخراج، وهو فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام[٤]

ثم ملك بعده ابنه دارم[٥]، وكان يوسف عليه السلام خليفته، وكان يقبل منه تارة، ويخالفه أخرى، ومات يوسف في زمانه، فاستوزر بعده رجلاً ظالمًا غشومًا، فغصب كل امرأة جميلة من زوجها فقُتل.

وملك بعده ابنه معاديوس[٦] وكان طفلاً.

وملك بعده معدان[٧]، ثم ابنه أكسامس[٨].

ثم ملك بعده ظلما بن قومس[٩]، وكان حكيماً كاهناً، ومات.

---

(١) هكذا في (ع) وفي (ل) بلفظ : " وملكت ".

(٢) في (ل) بلفظ : "زالفا" وفي (ع) بلفظ : " فا " ، وعند المقريزي : " زلفى " .
انظر : المواعظ والاعتبار ١٧٦/١.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "فمكثت".

(٤) هكذا في (ل) وسقطت صيغة التسليم من (ع) . ـ أما العزيز الذي ذُكر في القرآن ، فهو أطفين من أهل بيت الملك ، وكان قائما بأعماله حيث خلا هو للذاته. انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٦.

(٥) ويقال له أيضا : "دريموش" . انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٦.

(٦) في (ل) و (ع) بلفظ : "مغاريوش"، وعند المقريزي : "معاديوس " انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٧.

(٧) عند المقريزي : معاديوس يقال له : معدان ، وعليه فالاسمان لشخص واحد .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧.

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ : "كاسم " ، وقال المقريزي : " فقام ابنه أكسامس في الملك، ويقال: كلسم ابن معدان ، كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي ، وهو سادس الفراعنة" .
انظر : المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٧.

(٩) ظلما بن قومس هو وزير اكسامس استوزره عندما ملت وزير أبيه، وليس حاكما كما قال المناوي، انظر : المواعظ والاعتبار ١٧٧/١ .

فملك بعده لاطيس[١] وكان جريئاً معجباً صلفًا ظالماً قتل خلقاً كثيراً.

ثم ملك بعده فرعون موسى واسمه: الوليد بن مصعب[٢]، وهو من العمالقة، وكان قصيراً أعرج فلما كان من أمره ما كان، وغرق مع أشراف مصر.

فبقيت مصر ليس بها إلا العبيد والأجراء والنساء، فولت النساء امرأة تسمى دلوكة[٣]، وكانت ذات عقل وتجارب؛ فبنت جداراً حصنت به مصر من الأعداء، وهو حائط العجوز، فملكت عشرين سنة حتى بلغ صبي من أكابرهم يسمى دركون[٤]، فملكوه، ثم مات.

فملك ابنه تودست[٥]، ثم مات فملك أخوه أدقاش[٦]، فمات فملك أخوه مرينا[٧]، ثم مات فملك ابنه استادس[٨]، فطغى، وتجبر، وسفك الدماء، فقتلوه فملكوا رجلاً اسمه بلوطس، فملك أربعين سنة، ثم مات.

فملك ابنه مالوس[٩] ومات.

---

(١) هو: لاطيس بن أكسامس، انظر: كلام المقريزي عنه، انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٧.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "مصعد". انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٣) دلوكة ابنة زبا: ويقال: دلوكةّ بنت فاران، انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "دريون". وعند المقريزي: "دركون بن بلاطس".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: "بودس". وعند المقريزي: "تودست". انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٦) في (ل) و (ع) بلفظ: "دقاس" وعند المقريزي: "أدقاش". انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٧) في (ل) و (ع) بلفظ: "موميا"، وعند المقريزي: "مرينا بن مرينوس".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ: "اسمارس"، وعند المقريزي: "أستادس بن مرينا".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

(٩) في (ل) بلفظ: "بالوس" وفي (ع) بلفظ: "يالوس"، وعند المقريزي: "مالوس".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ١٧٨.

فملك أخوه ميناكيل[١]، فملك مائة وعشرين سنة، وهو الأعرج[٢]، وطغى، وتجبر، وبلغ ما لم يبلغه أحد بعد فرعون، وصرعته دابته، فمات.

فملك بعده مرينوس[٣] فملك زمناً طويلاً، ثم مات. وملك قرقورة[٤]، ثم نقاس[٥].

ثم قومس[٦]، فملك دهراً وحاربه بخت نصر فقتله، وخرب مصر وسبى أهلها.

ثم ملك نوشردس[٧]، فكان يقتل الغرباء[٨] والأضياف، ويذبحهم لأصنامه، ويجعل دماءهم قرباناً لها.

ثم ملك بعده بروبه[٩]، وكان عظيم المملكة قوي السلطان، وهو أول من حارب الروم، فكتب لهم يدعوهم إلى طاعته، ويتوعدهم بالحرب، فكتبوا إليه ليس من الرأي المحمود للملك[١٠] الغني محاربة قوماً فقراء، وإنَّا لا نجيبك، بل نسرع

---

(١) في (ل) بلفظ: "مياكيل" وفي (ع) بلفظ: "هناكيل"، وعند المقريزي: "ميناكيل بن بلطوس بن ميناكيل" انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٢) عند المقريزي أن ميناكل توفي واستخلف ابنه نوله بن ميناكيل، فملكهم مائة وعشرين سنة، وهو الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس، وقدم به إلى مصر، انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٣) في (ل) بلفظ: "مرتبوس" وفي (ع) بلفظ: "مرتيوس"، وعند المقريزي: "مرينوس بن نولة" انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٤) في (ل) بلفظ: "وملك مرقوره" وفي (ع) بلفظ: "فملك موقورة"، وعند المقريزي: "قرقورة". انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٥) في (ل) و(ع): "لقاس" وعند المقريزي "نقاس بن مرنيوس" انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٦) وهو: قوميس بن نقاس.

(٧) في (ل) و(ع): "بوشروس"، وعند المقريزي: "نوشردس". انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "العربا".

(٩) في (ل) بلفظ: "برونه" وفي (ع) بلفظ: "برويه"، وعند المقريزي: "بروبة".
انظر: المواعظ والاعتبار ١/١٧٨.

(١٠) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "الملك" من (ع). -

للقائك، فخرج إليهم، فهزموه، ونهبوه، ونهبوا مصر، ثم انصرفوا إلى الشام، فأذلوا أهلها.

ثم ملك مصر ملوك مدين، وهم كثيرون، ثم[١] استولى الروم على الإسكندرية، واستخلفوا على مصر المقوقس حتى جاء الإسلام، فافتتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه[٢].

فاعلم[٣] أن هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا أصحاب الدنيا وملوك الأرض وبلغوا من الدنيا مرادهم، وصرفوا في اللذات أوقاتهم، ثم أبادهم الموت عن آخرهم فمضوا، وبقيت أسماؤهم وسماتهم، كما عددناه[٤] من أفعالهم، وأوردناه[٥] من خصالهم وأعمالهم؛ ليعلم الناس أنهم إنما هم الحديث الذي يبقى بعدهم، فكل إنسان يذكر بما كان يفعله، وينسب إلى ما كان يعمله من حسن أو قبيح، فيجب على الإنسان أن يزرع بذر[٦] الإحسان لاسيما[٧] الملوك ليبقى بعدهم حسن[٨] الاسم وصالح الرسم؛ ولئلا يذكر بالقبيح، وقد حل في الضريح كما قال القائل:

اهرب من الذنب وتب يا فتى وإن بدا منك فعد وانـــدم
وانف عن نفسك مـــا شانه ومن مساوي الدهرُ خِف تسَلـم[٩]

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ولما استولى الروم".

(٢) هكذا في (ل) وسقطت جملة الترضي من (ع). وإلي هنا انتهي نقل المناوي عن المواعظ والاعتبار للمقريزي.

(٣) من هنا إلى آخر الفصل من كلام الغزالي في التبر المسبوك ١٦/١: ١٧.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "عددنا".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أوردنا".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بقدر".

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "سيما".

(٨) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "حسن" من (ع).

(٩) في (ل) و (ع) بلفظ: "ومن المساوئ حقاً تسلما"، وفي التبر ١ / ١٦: "ومن مساوِي الدهر خِف تسَلم"

و بَعْدك يَبْقَى الذكرُ لا غيره فكن حديثاً حسناً تغنم

يقال: إن ذكر الرجال بعد موتهم هو حياتهم الثانية في الدنيا، فيجب على كل عاقل مطالعة أخبار هؤلاء[١] الملوك والنظر في أحوال هذه الدنيا القليل وفاؤها الكثير بلاؤها، وأن لا يعلق قلبه[٢] بأمانيها فإنه لا يبقى عليها صالح، ولا يسلم فيها طالح.

وليجتهد[٣] كل عاقل في أن لا تكثر[٤] خصومه؛ فإن أمر الخصوم صعب هائل والله تعالى[٥] حاكم عادل لابد أن ينصف بين الخصوم ويأخذ من الظالم للمظلوم.

حُكي أن الأمير[٦] أبا علي بن إلياس[٧] جلس يوماً عند الشيخ أبي علي الدقاق[٨] وكان زاهد أهل زمانه وعالم أوانه، وقال له: عظني فقال: أيها الأمير أسألك مسألة، وأريد الجواب عنها بغير نفاق، فقال: نعم، فقال: أيما[٩] أحب إليك المال أو العدو؟، فقال: المال، فقال: كيف تترك ما تحبه بعدك وتستصحب العدو الذي لا تحبه معك؟! فبكى وقال: نعم الموعظة.

وجميع الوصايا والحكم دخلت تحتها.

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "هؤلاء" من (ع).

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "القلب".

(٣) في (ل) و (ع): "يجتهد"، وفي التبر ١٦/١: "وليجتهد".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يكثر".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "والباري تعالى".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أمير".

(٧) أبو علي بن إلياس هو: أبو علي محمد بن إلياس الصُغدي، كان قد ملك كرمان بدعوة بني ساسان توفي سنة ٣٥٦. انظر: تاريخ ابن خلدون ٤/ ٣٥١.

(٨) أبو علي الدقاق هو: "الحسن بن على بن محمد بن إسحاق أبو على الدقاق، تعلم العربية، وحصّل علم الأصول، وخرج إلى مرو، وبرع في الفقه، توفي سنة خمس وأربعمائة".
انظر: طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ٤/ ٣٣٠

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أيها".

والخالق جلَّت قدرته أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى عادت ببركته دار الكفر دار إيمان؛ وظهر[١] في أسعد وقت وزمان، وعمر الدنيا بشريعته، وختم الأنبياء بنبوته[٢].

وكان الملك في ذلك الزمان[٣] أَسْرُ[٤] العادل أنوشروان الذي فاق جميع ملوك زمنه بعدله ونصفته[٥] وتدبيره وسياسته وإسعافه، وذلك كله ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ولد في زمنه، وعاش أنوشروان بعد مولد [٦]، وافتخر المصطفى صلى الله عليه وسلم بأيامه، وقال: (ولدت في زمن الملك العادل)[٧]، وإنما سماه ملكاً لعدله، وليعلم أن الصيت الحسن، والاسم الجيد خير الأشياء[٨].

والملوك الذين قبله كانت هممهم في عمارة الدنيا والعدل وحفظ الجسم

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فظهر ".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " برسالته ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " وكان الملك حينئذ ".

(٤) أي في قبضة العادل أنو شروان.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " إنصافه ".

(٦) في (ل) و (ع): " وكان مروان بعد مولده "، وفي التبر ١٧/١: " وعاش أنو شروانبعد مولده ".

(٧) قال الألباني: " باطل لا أصل له ". انظر: السلسلة الضعيفة حديث رقم "٩٩٧"، وقال البيهقي: " وكان شيخنا أبو عبد الله الحافظ قد تكلم أيضا في بطلان هذا الحديث، ثم رأى بعض الصالحين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام فحكى له ما قال أبو عبد الله فصدقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله، وقال: ما قلته قط ". قال الحليمي رحمه الله: " ولو كان قاله لكان إطلاقه بذلك لتعريفه بالاسم الذي كان يدعى به لا بوصفه بالعدل والشهادة له به، لأن الفرس كانوا يسمون أنوشروان: الملك العادل، وبهذا يسمى ويعرف فيهم، والعدل في الخليفة إنما هو في الحكم، ولا حكم إلا لله عز وجل ".
انظر: شعب الإيمان ١٦٧/٧.

(٨) في(ل) بلفظ: "خير الأسماء شيئا"، وفي (ع) بلفظ: "خير الأسماء" وفي التبر ١٧/١بلفظ: "الاسم الجيد خير الأشياء".

بالسياسة[١]، وآثار عمارتهم إلى الآن[٢] باق بعضها، وكل بلد[٣] يعرف بمَلِكه وبآثاره، وجميع ما ذكرناه كان أنوشروان يعمره بعدله وإنصافه، مع تجنبه الإسراف في عفوه[٤].

حكي أنه أظهر يوما أنه مريض[٥]، وأمر ثقاته وأمناءه أن يطوفوا أقطار مملكته، وأن يطلبوا له لبنة عتيقة من جدار قرية خربة؛ ليجعلها في دواء وصفه الطبيب؛ فطافوا جميع ولايته، فلم يجدوا مكاناً خراباً ولا لبنة عتيقة، ففرح بذلك، وقال: أردت أن اختبر ولايتي؛ لأعلم هل في المملكة موضع خراب.

وكان مكتوباً على تاجه: الظلم لا يدوم، وإن دام دمر، والعدل لا يدوم؛ وإن دام عمَّر، والفقر هو الموت الأحمر، ومن لم يخلِّف ولداً ذكراً لم يذكر[٦].

وأولئك الملوك كانت هممهم واجتهادهم في عمارة ممالكهم وولاياتهم؛ لأن الولاية كلما كانت أعمر كانت الرعية أوفر وأشكر، وكانوا يعلمونا بما قالته الحكماء، ونطقت به العلماء[٧]: إن الدين بالمَلك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بعمارة البلاد، وعمارتها بالعدل في العباد؛ فما كانوا يوافقون [٨][أحداً على الجور والظلم، ولا يرضون لحشمهم بالخرق والغشم، علماً منهم أن الرعية لا تثبت على الجور][٩]،

(١) في (ل) بلفظ: "وحفظ الحشم بالسياسة"، وفي (ع) بلفظ: "وحفظ السياسة"، وفي التبر ١/١٧ كما أثبته.

(٢) هكذا في (ع) وسقط قوله: (وآثار عمارتهم إلى الآن) من (ل).

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "موضع".

(٤) في (ل) بلفظ: "، وجميع ما ذكرناه كان أنوشروان يعمره بعدله وإنصافه، مع تجنبه الإسراف في عفاه" وفي (ع) بلفظ: "وجميع ما ذكر من أن أنو شروان يعمر بعدله وإنصافه مع تجنبه الإسراف في عفاء". وما أثبته كما في التبر المسبوك ١/ ١٧ غير الكلمة الأخيرة فهي فيه بلفظ "عفافه" والأنسب للسياق هو ما أثبته.

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تمارض يوما".

(٦) ذكر ما كان مكتوبا على تاج أنو شروان لم يذكره الغزالي في التبر المسبوك.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وتناقلته العلماء ونطقت به".

(٨) في (ل) و (ع) بلفظ: "يرضون"، وفي التبر ١/١٧: "يوافقون".

(٩) الذي بدو لي أن في هذا الموضع سقطاً، وقد قدرته بما جاء في كلام الغي في التبر المسبوك ١/ ١٧ قال: =

وأن الأماكن تخرب إذا استولى عليها الظالمون، وأن الرعية إلى ولاية غيرهم ينتقلون[١]، ويقع النقص في محصول بيت المال، وتخلو خزائن الملك من الأموال[٢]، ويتكدر عيش الرعايا؛ لأنهم لا يحبون جائراً، ولا يزال دعاؤهم[٣] عليه متواترًا، فلا[٤] يتمتع بمملكته، وتسرع إليه دواعي هلكته.

قال حجة الإسلام الغزالي[٥]: الظلم نوعان:

ظلم السلطان لرعيته، وجور القوي على الضعيف[٦] والغني على الفقير.

والثاني ظلم العبد لنفسه، وذلك من شؤم معاصيه، فلا تظلم ليُدْفع عنك الظلم.

وفي الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم(كما تكونوا يول عليكم)[٧].

وفيه أيضاً: (كما تدين تدان، وبالكيل الذي تكيل تكتال)[٨].

=" فما كانوا يوافقون أحداً على الجور والظلم، ولا يرضون لحشمهم بالخرق والغشم، علماً منهم أن الرعية لا تثبت على الجور وأن الأماكن تخرب إذا استولى عليها الظالمون".

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وأن الرعية ينتقلون إلى ولاية غيرهم".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وتخلو الخزائن من الأموال".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "دعاهم".

(٤) هكذا في (ل) و (ع)، وفي التبر ١/١٧ بلفظ: "فلا".

(٥) راجع: التبر المسبوك للغزالي ١/ ١٧.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وجور القوي والضعيف".

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ "إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِيكُمْ خَيْرًا يُوَلِّ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ" حديث رقم "٤٦٩٨".

وقال الدكتور/ عبد القادر عطا: حذفه الذهبي من التلخيص لضعفه. انظر تحقيق للمستدرك ١٥٦/٣.

(٨) قال السيوطي: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن فضالة بن عبيد.

انظر الجامع الصغير حديث رقم "٨١٩٨". قال الشيخ الألباني: "ضعيف" انظر حديث رقم: ٥٢٧٠ في ضعيف الجامع.

المطلب الثاني

في وزراء الملك ونوابه وخواصه وحواشيه وأمرائه وعماله وأركان دولته ومتعلقات ذلك

وفيه أبواب:

الباب الأول: في الوزير.

الباب الثاني في نائب السلطان.

الباب الثالث: في الحاجب.

الباب الرابع: في تراجمه.

الباب الخامس: في أصحاب الأخبار.

الباب السادس: في كاتب السر.

الباب السابع: في الموقعين.

الباب الثامن: في سفرائه ورسله.

الباب التاسع: في سياسة الملك لخواصه وندمائه.

الباب العاشر: في سياسة الملك لعامته.

الباب الحادي عشر: في الإمارة على البلاد.

الباب الثاني عشر: في عماله والناظرين على رعيته.

الباب الثالث عشر: في ولاة الحرب وسياسته والمدبرين للجيش.

الباب الرابع عشر: في الجند.

الباب الخامس عشر: في عمال الخراج.

الباب السادس عشر: في استخراج الخراج.

الباب السابع عشر: في البريد.

الباب الثامن عشر: في ناظر الجيش.

الباب التاسع عشر: في الطواشية.

الباب العشرون: في سياسة صاحب الشرطة.

الباب الأول

في الوزير

اعلم أن الوزارة وظيفة قديمة، كانت للملوك قبل الإسلام من قبل الطوفان، وكانت للأنبياء عليهم السلام، فما من إمام إلا له وزير، وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴾[1]، وكان للمصطفى صلى الله عليه وسلم أربعة وزراء؛ اثنان من أهل السماء جبريل وميكائيل، واثنان من أهل الأرض أبو بكر وعمر كما في حديث البزار وغيره[2].

والوزارة أمر لازم للملك، وأنه لا يمكن أن يصرف زمنه، ويكبِّر سلطانه بغير وزير؛ فعليه أن يجتهد في وزير صالح ناصح.

فلا يستوزر رجلاً حتى يتحقق نصحه ومحبته وأمانته، وكمال عقله، وقوة فطنته، وحسن سياسته، وغير ذلك مما يأتي من شروطه، ويتعرف أخلاقه إما بالفراسة وإما بالتجربة المتقنة.

---

(١) سورة طه، آيتان رقما "٢٩، ٣٠".

(٢) أخرجه البزار في مسنده حديث رقم "٤٩١٩"، والترمذي في سننه حديث رقم: "٣٦٨٢"، وقال: هذا حديث حسن غريب

حُكي أن عضد الدولة[١] قال: وزرائي أربعة: منهم من يخاف الله، ولا يخافني ومنهم من يخاف الله ويخافني، ومنهم من لا يخاف الله، ويخافني، ومنهم من لا يخاف الله، ولا يخافني.

وفي حديث أبي داود[٢] وغيره عن عائشة[٣] مرفوعاً: (إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه)[٤].

وفي حديث الطبراني وغيره عن علي مرفوعاً: (إن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهـل السمـاء جبريل وميكائيل[٥] ، واثنين من أهـل الأرض أبي بكر[٦] وعمر)[٧].

---

(١) عضد الدولة هو: فناخسرو، الملقب عضد الدولة، ابن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه الديلمي أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. كان شديد الهيبة، جبارا عسوفا، أديبا، عالما بالعربية، ينظم الشعر. توفي سنة ٣٧٢هـ. الأعلام للزركلي ١٥٦/٥ .

(٢) أبو داود هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له: السنن، والمراسيل، وغيرهما، توفي سنة ٢٧٥هـ. الأعلام للزركلي ٣/ ١٢٢ .

(٣) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرا. توفيت رضي الله عنها سنة ٥٨هـ. الأعلام للزركلي ٢٤٠/٣ .

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم "٢٩١٦"٩٢/٢، وصححه الألباني . انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم "٣٠٢"

(٥) في (ل) ذيل ذكرهما بقوله: "عليهما السلام" كما ذيل ذكر وزيري الأرض بقوله: " رضي الله عنهما"، وخلا من ذلك نص الحديث عند أبي داود و(ع) .

(٦) أبو بكر هو: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب. توفي رضي الله عنه سنة ١٣هـ. الأعلام للزركلي ١٠٢/٤ .

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم "١١٢٥٩"، والحاكم في المستدرك على الصحيحين=

والضرورة ماسة إلى الوزير؛ ليسترشد برأيه، فإن من انفرد برأي نفسه ضل.

وقد أمر الله المصطفى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره، ووفور عقله[١] بمشاورة العقلاء، فقال تعالى[٢]: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٣]، وقال تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام[٤]: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾[٥]، ثم قال تعالى بعده بياناً لتمام التشريع: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾[٦] وإذا لم يستغن الأنبياء عن الوزراء، فغيرهم أحوج[٧].

سُئل أردشير أي الأصحاب أصلح للملك؟ قال: الوزير الصالح الناصح؛ ليدبر دولته، ويشير إليه بما في نفسه.

وعلى الملك أن يعامل وزيره بثلاثة أشياء:

الأول: إذا عثر في هفوة أو زلة لا يعالجه بالعقوبة.

والثاني: إذا اتسع ماله في دولته لا يطمع[٨] فيه.

الثالث: إذا سأله في حاجة قضاها.

ولا يمنعه من ثلاثة أشياء:

لا يمتنع من رؤيته، ولا يسمع فيه كلام غيره، ولا يكتم عنه شيئا من سره[٩]؛

=حديث رقم "٣٠٤٧"، قال الشيخ الألباني: "موضوع" انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته "٣٤٩٨"

(١) هكذا في (ع) وسقطت عبارة: "ووفور عقله" من(ل).

(٢) هكذا في (ع) وفي(ل) دون قوله: "تعالى".

(٣) سورة آل عمران آية: " ١٥٩ ".

(٤) هكذا في (ع) وسقطت عبارة: "عليه الصلاة والسلام" من(ل).

(٥) سورة طه آية: " ٢٩ ".

(٦) سورة طه الآيات: " ٣٠ : ٣٢ ".

(٧) راجع: التبر ١/ ٣٥.

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فلا يسمع فيه".

(٩) في(ل) و (ع): " ولا يفشي سره لأحد "، وفي التبر: "ولا يكتم عنه شيئاً من سره؛ لأن الوزير=

فإن الوزير الصالح سر الملك ومدبر أمره ، وبه عمارة الولايات والخزائن ، وبه زينة[1] المملكة وشدة الهيبة.

وله الكلام على الأعمال والعمال، فحقٌّ على الملك إكرامه.

قال أنوشروان لولده: أكرم وزيرك فإنه إذا رآك على أمر مذموم لا يوافقك .

وعلى الوزير إذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقاً على العباد أن يعينه، وإن كان بالضد أن يرشده بألطف وجه سيما إذا كان شاباً، فإنه يحتاج في إرشاده إلى شفقة ومزيد تلطف[2]؛ فقد قيل: أشقى الناس وزراء الأحداث وعشاق الفتيات من الشيوخ.[3]

وسُئل بعضهم: بم تتم سلطنة الملك وتطول مدته؟ قال: بسبعة أشياء:

الوزير الصالح؛ ليفشي إليه سره ، ويسوس أمره.

والفرس الجواد؛ لينجيه يوم الحاجة.

والسيف القاطع.

والسلاح الحصين.

والمال الكثير الذي يخف حمله ويكثر ثمنه.

والزوجة الحسناء؛ لتكون مؤنسة لقلبه، مزيلة لكربه.

=الصالح حافظ سر السلطان، ومدبر أحوال المملكة، وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة" ٣٥/١ ، وفي سراج الملوك للطرطوشي " ، ولا يكتم عنه شيئاً من سره؛ لأن الوزير الصالح حافظ سر السلطان، ومدبر أحوال المملكة ، وعمارة الولايات ، والخزائن وزينة المملكة "١/ ٢٩٣، فلعل الناسخ قد اختلط عليه ما في الأصل الذي نقل منه، فتصرف في العبارة، والأنسب أن نسير على منهج المناوي في نقل عبارة الغزالي أو الاستئناس بها فنقول: "ولا يكتم عنه شيئا من سره " وذلك لأنه أوفق لما جعله عنوانا لهذه المقالة فقال: " ولا يمنعه من ثلاثة أشياء" وإفشاء السر لا منع فيه .

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "به " من (ع).

(٢) انظر: التبر ص٣٥ .

(٣) انظر: ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ١/ ٦٤ .

والطباخ الخبير الذي يدبر له ما يليق بمزاجه[١].

وقال أردشير: حق على الملك أن يطلب أربعة أشياء:

وزيراً أمينًا، وكاتبًا عالماً، وحاجبًا مشفقًا، ونديمًا صالحاً ناصحاً.

لأنه إذا كان الوزير أميناً دل على سلامة الملك، والكاتب عالماً دل على عقل الملك، والحاجب مشفقاً لم يغضب أهل الدولة على الملك، والنديم الصالح الناصح دل على انتظام الأمور.

وقال موبذان في عهد أنوشروان[٢]: لا يُمْلك حفظ المملكة إلا بأصحاب أخيار ناصحين، ولا ينفع خير الأصحاب إلا إذا كان الملك تقياً، فإنه الأصل والوزير فرع.

حُكي أن سليمان[٣] عليه الصلاة والسلام[٤] جلس على سريره وحملته الريح إلى جو السماء، فنظر إلى مملكته بالعجب، فاضطرب السرير، وكاد ينقلب، فقال له سليمان عليه السلام: استقم، فنطق السرير وقال له: استقم أنت نستقم نحن؛ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.[٥]

ويشترط في الوزير: كونه شيخاً عاقلاً عالماً[٦] لأن غير الشيخ - وإن كان عاقلاً - لا يقوم مقامه لمزيد تجاربه.

والوزير زينة السلطنة يجب أن يكون[٧] صالحاً نقياً من الشين.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بمزاحه" بحاء مهملة.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ: "قال أنوشروان" وذكر الغزالي هذه الموعظة في التبر المسبوك ونسبها إلى "موبذان" في عهد أنو شروان. وليس لأنو شروان. نفسه، راجع: التبر ص ٣٥، فقمت بتصحيحها لتوافق ما في المصدر الذي اعتمد عليه المناوي؛ لأن ذلك مما لا يقبل الاختصار.

(٣) هو: نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "عليه السلام" فقط.

(٥) راجع: التبر ص ٣٥.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبتأخير كونه شيخا على الأوصاف المذكورة.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "كونه".

قال بعضهم: وشرط الوزير:

- أن يكون حازماً، متيقظاً، لينظرَ في كل أمر يدخل فيه وجهَ المخرج.
- عالما[١] ليجري على قوانين الشرع وتتضح له الأشياء على حقائقها.
- شجاعاً: لئلا يخاف في غير موضع الخوف.
- صدوقاً كتوماً للسر.

وقال[٢] أردشير: يجب أن يكون الوزير ساكناً، متمهلاً، شجاعاً، واسع الصدر، حسن الخلق والمقال، جميل الفعال، مليح الوجه، وقوراً حليماً، صامتاً إذا حسن الصمت، متكلماً إذاحسن الكلام، ديناً تقياً نقياً، حسن الاعتقاد، عالي الهمة شريف النفس، كثير التجارب، متيقظاً؛ لينظر عواقب الأمور، ويخاف من غير الدهور[٣].

قال إمام الحرمين[٤]: " لا يستوزر الإمام إلا شهماً كافياً، ذا نجده وكفاية ودراية، ونفاذ رأي، واتقاد[٥] قريحة، وذكاء فطنة، ولابد أن يكون متلفعاً من جلابيب جلابيب الديانة بأسبغها وأضفاها[٦]، راقياً من أطواد المعالي إلى ذراها، فإنه متصد لأمر عظيم، وخطب جسيم، والاستعداد للمراتب على أقدار[٧] أخطار المناصب.

وقد قيل: يشترط في المُسْتَوزَر اجتماع شرائط الإمامة غير النسب.

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "عالم" من (ع).

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فمن دون الواو العاطفة.

(٣) راجع: التبر ص ٣٥.

(٤) انظر: الغياثي ص١١٠.

(٥) في (ل) بلفظ: "ونفاذ رأي وإيقاد قريحة"، وأما في (ع) فبلفظ: " ونفاد رأي، ونفاد قريحة "، وفي الغياثي: ص ١١٠: " ونفاذ رأي، واتقاد قريحة ".

(٦) في (ل) بلفظ: "وأسبغها وأصفاها"، وأما في (ع) فبلفظ: " بأسيفها وأضفاها "، وفي الغياثي: ص١١٠ " بأسبغها وأضفاها "

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " أقدر "، وفي الغياثي: ص ٣٦ " قدر ".

وأنا أقول: أما النجدة والكفاية فلابد منهما، وكذا[١] الورع؛ فإنه رأس الخيرات، وأساس المناقب، ومن لم يتصف به[٢] فكل ما فيه من المآثر تصير وسائل ووصائل إلى الشر وطرائق إلى اجتلاب الضر.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن الفطن الماجن[٣] غير المرضي أضرُّ على خليفة الله من الأحمق[٤] الغبي.

ولاشك أن العقل أصل الفضائل، فإن لم يقترن به الورع والتقوى انقلب ذريعة إلى الفساد.

وأما استجماع شرائط المجتهدين في الوزير[٥]، فظاهر مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه[٦] أنه لا يشترط[٧].

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "كذا".

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "به" من (ع).

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الماكن".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الأخرق"، وفي الغياثي: ص ٣٦ "الحمق".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فقد صححها في الهامش الأيسر، بقوله: "أما أقوال المجتهدين في استجماع شرائط الوزير"، والأصح عبارة المتن؛ لأن عبارة الهامش غير وافية بالمعنى المراد، حيث إن المفهوم منها لا يتفق مع المنقول بعده من أقوال أئمة المذاهب. واستأنسًا لذلك بنقل عبارة الجويني في الغياثي ص١١١، وهي التي اختصرها المناوي، قال الجويني: "فوجب اشتراط استجماع الوزير شرائط المجتهدين، ومراتب الأئمة في علوم الدين، وظاهر مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ أن ذلك مشروط في التصدي لهذا المنصب العلي، وليس ذلك بدعا من أصل هذا الحبر، وسنقرر من طريقته اشتراط استجماع القضاة رتب المجتهدين

(٦) أبو حنيفة هو: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. كان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، له "مسند في الحديث، والمخارج في الفقه، صغير، وتنسب إليه رسالة "الفقه الأكبر. توفي سنة ١٥٠هـ. الأعلام للزركلي ٣٦/٨. وفي (ع) بدون الترضي عليه.

(٧) قوله: "فظاهر مذهب أبي حنيفة أنه لا يشترط"، هي من زيادات المناوي على كلام الجويني حيث لم ترد في كلام الغياثي.

وظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه[١] الاشتراط في التصدي لهذا المنصب العلي، وليس ذلك بدعاً؛ لأنه شرط في القاضي، فإذا كان يشترط فيه، فمن إليه نصب القضاة وعزلهم، وتسريح القضاة لمهمات الأمور[٢] في خطة الإسلام أولى.

ثم قال: أما الإمام[٣] فلابد أن يكون مجتهداً قطعاً؛ لأنه عماد الدين والدنيا، ومرجع الخلق في مهماتهم، فلو لم يكن كذلك كان مقلداً تابعاً غير متبوع.

وأما من سوى الإمام، فأحرى[٤] المنازل باجتماع الفضائل منصب الوزير القائم مقام الإمام في تنفيذ الأحكام؛ فإن نظره يعم عموم نظر الإمام في خطة الإسلام؛ لكن من حي

إنه ليس[٥] له رتبة الاجتهاد، فإنه يجب أن يراجع الإمام في مجامع الخطوب، لا يبلغ اشتراط بلوغه مبلغ المجتهدين رتبة القطع[٦]، فإنه لو قيل: إنه ينفذ الأمور، فإذا اعتاض[٧] عليه أمرٌ راجع الإمام أو من يصلح للمراجعة من أئمة الدين وحملة الشريعة لم يكن ذلك هجوماً على مخالفة مقطوع به، إذ رتبة الوزير - وإن علت - ليست رتبة المستقل.

---

(١) الشافعي هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها سنة ٢٠٤هـ. الأعلام للزركلي ٢٦/٦. وفي (ع) بدون الترضي عليه.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "لمهمات الأنام".

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: "ثم قال الإمام: فلابد أن يكون ..."، وفي الغياثي: "قال الجويني: أما الإمام فلابد من أن يكون بالغًا مبلغ المجتهدين قطعًا، فإنه وزر الدين والدنيا". انظر: الغياثي ص ١٣١، فيكون الأصوب أن ذلك استئناف عزو من المناوي.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فأجرا".

(٥) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "ليس" من (ل).

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لا تبلغ اشتراط المجتهدين رتبة القطع"، وفي الغياثي ص١٣٢: "لا يبلغ اشتراط بلوغه مبلغ المجتهدين رتبة القطع".

(٧) هكذا في (ل) وسقط قوله: "فإذا اعتاض" من (ع).

على أن الأظهر اشتراط كون الوزير الذي إليه تنفيذ الأمور إماماً في الدين ؛ فإن ما يتعاطاه عظيم الخطر والغرر، ويعسر[١] عليه مراجعة الإمام في تفاصيل الوقائع، وإنما[٢] يطالعه في الأصول والمجامع.

فإذا لم يكن عالماً لم يؤمن[٣] زلله في أمور يبعد تلافيها كالدماء والفروج وما في معناهما، وهذا كله في الوزير الذي إليه تنفيذ الأمور لا في وزير التقليد؛ لأنه بمنزلة السفير؛ فهو مبلغ مستشار[٤] كما يأتي[٥].

واعلم[٦] أنه لا أمر أصعب من وزارة السلطان، فإن النافسين[٧] فيه كثيرون، وحُسَّاده وأولياء السلطان مشاركون له في المداخل، ومساهمون في المنازل، والطامعون في منصبه ينصبون له حبائلا وشباكا، منتهزين له فرصة ومترصدين للظفر عليه .

---

(١) في (ل) و (ع) بلفظ: "يعسر" من دون الواو .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: (وأن) .

(٣) في(ل) و (ع) : "فإذا لم يكن عالما لم يمكن زلل -ه في أمور يبعد تلافيها "وفي الغياثي : ١٣٢ "فإذا لم يكن إماما في الدين لم يؤمن لله في أمور المسلمين يتعذر تلافيها" بزيادة لفظ (المسلمين) في بعض النسخ كما أشار محقق الغياثي انظر : الغياثي ص١٣ ، وبالجمع بين نص الجويني بما فيه من تصحيف لكلمة " زلل -ه " إلى " لله " ، وبين نص المناوي بما فيه تحريف لكلمة (يؤمن) إلى يمكن ، يتضح وجه الصواب في هذه العبارة وأنها هكذا: " فإذا لم يكن عالما لم يؤمن زلله في أمور يبعد تلافيها كالدماء والفروج وما في معناهما"، وهذا الذي ضبطت به العبارة هو ما أثبتته الموسوعة الكويتية ١٢٥/٤٣ : " فَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِمَامًا فِي الدِّينِ لَمْ يُؤْمَنْ زَلَلُهُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يَتَعَذَّرُ تَلاَفِيهَا كَالدِّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَمَا فِي مَعَانِيهَا" .

(٤) راجع : الغياثي ص ١٣٢ .

(٥) ص ١٨٣

(٦) من هذا الموضع وحتى قوله : " واعرضه عليه وإلا فلا " مما زادته (ل) علي(ع) ، وهو يلخصه من الأدب الكبير والصغير لابن المقفع .

(٧) في (ل) بلفظ: " الناقشين "وفي الأدب الكبير والصغير لابن المقفع ١ / ١٦ : (اعلم أن أكثر الناس عدوا جاهدا حاضرا جريئا واشيا وزير السلطان ذو المكانة عنده. لأنه منفوس عليه مكانه بما ينفس على صاحب السلطان) .

ولا سلاح له أجود من الصحة والاستقامة في السر والعلانية، وإذا علم كيد حاسد، أو سعاية معاند، يتحيل في الظاهر أنه لا يبالي بذلك، ولا يظهر في حضرة المخدوم غضبا وانفعالا البتة.

وإذا وقع في مقام السؤال والجواب والمناظرة، يجيب بالوقار والسكون والحلم والحجة؛ فإن الغلبة دائما إنما تكون للحليم.

وذكر ابن المقفع[١] أن من شرائطه رياضة النفس على المكاره، وموافقة مخدومه في مخالفة رأي نفسه، وكتمان أسراره، وترك البحث عن أمور لا يعرضها[٢] عليه، والمجاهدة في تحري رضاه، وتصديق أقواله وتزيين آرائه، ونشر محاسنه وستر قبائحه، وتقريب من يقربه وتبعيد من يبعده، وتخفيف مؤنته عليه، واحتمال مؤنته، وبذل المجهود في طاعته، ولا يعد شتمه شتما، ولا غلظه غلظا[٣] فإن الملوك يطلقون ألسنتهم في أعراض الناس من غير سابقة، وإذا حدثه صغى إليه بالقلب والجوارح ولا يشتغل بفكر وعمل ونظر في شيء البتة، ولا يشاور أحدا في مجلس الملك فإنه يورث غضبه.

وإذا سأل جماعة أنت أحدهم لا تبادر بالجواب، فإنهم يصيرون أعداءك ويفتشون عيوب كلامك، ولا يقيلون عثرتك، فاصبر حتى يذكروا ما عندهم، ويعلم مبلغ فضلهم في ذلك، ثم انظر إن كان ما عندك أجود، واعرضه عليه وإلا فلا.

فيجب على الوزير[٤] أن يكون محباً للمَلِك؛ مشفقاً عليه حريصاً على دوام

(١) هذا الكلام معناه عند ابن المقفع في الأدب الكبير والصغير ١/١٩ .

(٢) في (ل) بلفظ : " لا يعرضه " .

(٣) في (ل) بلفظ "ولا غلطه غلطا" ، وفي الأدب الكبير والصغير لابن المقفع١/١٦ : " ولا تعدن شتم الوالي شتما، ولا إغلاظه إغلاظا، فإن ريح العزة قد تبسط اللسان بالغلظة في غير سخط ولا بأس".

(٤) هكذا في (ل) وأما في(ع) فبلفظ : "ثم إنه لابد"، وهذا من كلام أرسطو، و من هذا الموضع إلى قوله : "جميل الذكر في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى" اختصره المناوي من التبر المسبوك للغزالي من ص ٩٠ :٩٢.

دولته، وكل وزير كان محباً للملك شفوقاً عليه كان[١] كثير الأعداء، وكان[٢] أعداؤه أكثر من أصدقائه.

وعلى السلطان أن لا يسمع فيه كلام المحرضين عليه؛ لكثرة حاسديه حتى من أصدقائه وآله، وعلى الوزير إذا رأى من الملك أمراً مذموماً أن يرده برفق ولطف، ولا يغلظ عليه، ولا يعنفه، ولا يقرعه؛ فقد يوقع به، أو يكرهه، أو يفعل أعظم مما هو فيه عناداً.

وقد قال البارئ جلت عظمته لما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون قال[٣]: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٤]، فإذا كان الحق تقدس وتعالى[٥] أمَرَ نبيه أن يقول لعدوه قولاً ليناً، فغيره أجدر أن يلين قوله، ويأخذ الأمر بالرفق.

وليس للوزير ـ وإن كان محباً للملك، شفوقاً عليه ـ أن يعدد حسناته عليه ولا يمتن، ولا يتبجح بشيء فعله له، وإن كان عظيماً، قال أهل الفطنة: إذا أحسنت إلى أحد، وعددت إحسانك عليه كان شراً من الامتنان، وأشر من ذلك توبيخك له، وإن كان مخطئاً، بل مهما فعله من المحاسن يقول له ولغيره: إن ذلك من سعد الملك، وبركة ظله.

وأعظم فساد ينشأ في الدولة من الوزير الخائن، ومن نية الملك.

قال أنوشروان: شر الوزراء من حرض السلطان على الحروب من غير ضرورة متأكدة؛ لأن الحرب تفني[٦] ذخائر الأموال، وكرائم النفوس، ومصونات الأرواح.

---

(١) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يكن".

(٢) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ويكون".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لما أرسل موسى إلى فرعون: فقولا ... الآية".

(٤) سورة طه "٤٤".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فمن دون لفظ "تعالى".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يفني"، وفي التبر ص٣٦: "لأن الحرب في سائر الأحوال تفني ذخائر الأموال".

وكل ملك وزيره جاهل، فحاله كالغيم الذي يبدو ويظهر، ولا يندى، ولا يمطر.

وقال أرسطو: كل أمر يقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة خير مما يقضي بحرب وغضب.

ومن ذلك ضربوا المثل بقولهم : "أمسك الحية بيد غيرك لا بيدك"[١].

فمهما أمكن الوزير أن يحارب بالكتب فعل، وإلا عدل إلى الحيلة والخديعة والتدبير، ويجتهد في ذلك بإعطاء المال وبذل النوال.

ومتى انهزم عسكره عفا عن الجند، ولا يعجل بقتلهم؛ لأنه يُمْكن قتل الأحياء، ولا يمكن إحياء الموتى، وإن أُسرَ أحد من الجند بعض آل الملك افتدى منه بالمال؛ ليسمع الجند ذلك فتقوى قلوبهم على القتال.

وعلى الوزير أن يحفظ أرزاق الجند كل منهم على قدره، وأن يؤثر الشجعان بآلات الحروب، ويخاطبهم بأجمل خطاب، ويلين لهم في الجواب، ويتلطف بهم؛ فإن الجند قد[٢] قتلوا كثيراً من الوزراء في سالف الأعوام.[٣]

ومن سعادة الملك وطالعه أن يسخر الله له وزيراً صالحاً كما في الحديث[٤].

قال الغزالي رحمه الله[٥]: إن الله جلّت قدرته يصطفي في كل عصر جماعة كالسلاطين والوزراء والأمراء والعلماء؛ ليعمر بهم الدنيا، ومن عجائب الدنيا حديث

---

(١) بحثت عن هذا المثل في كتب الأمثال فلم أعثر عليه.

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "قد" من (ع).

(٣) في (ل) و(ع): " ويتألف العوام "، وفي التبر ص٩١ : " فإن الجند قد قتلوا كثيراً من الوزراء في قديم الأيام، وسالف الأعوام " . وما في التبر هو الأنسب.

(٤) روى أبو داود وابن حبان في صحيحه مرفوعا : (إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)، وصححه شعيب الأرنؤوط ، انظر تحقيقه لصحيح ابن حبان ١٠/ ٣٤٦ .

(٥) في (ع) دون الترحم عليه . راجع: التبر ص٩١ .

البرامكة[١] الذين لا نظير لهم في الدنيا كرما وسخاءً ومعروفاً، وبعدهم فسدت أحوال الوزراء، ولم يبق لخدمة الملوك رونق، حتى أوجد الله بسعدٍ آل سلجوق[٢] نظام الملك[٣]، فارتفع حتى لم يبق على البسيطة من ذوي الفضل والأدب إلا وهو مشمول بإحسانه.

قال بزرجمهر: لا تقاس[٤] الأشياء بعضها ببعض؛ لأن جوهر الناس أجلُّ من كل جوهر، وإنما زُيِّنَتْ[٥] الدنيا بالناس، والبارئ تقدس هو واهب الصلاح لمن شاء، ويؤتي كل أحد ما يصلح له ويليق به.

وعلى[٦] الوزير أن يحفظ رسوم المتقدمين وطرائقهم، ولا يأخذ المال إلا في وقته، ولا يكلف الرعية فوق طاقتها، وأن يكون في تصيده كصائد الكركي لا كصائد العصفور، وأن يستميل قلوب الرعية والحشم والخواص بالهبات؛ ليعلموا كفاءته، وينال جميل الذكر في الدنيا، وجزيل الثواب في العقبى.

---

(١) البرامكة هم: أبناء خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف: أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس.كان أبوه (برمك) من مجوس بلخ والبرمك هو الذي يعمر بيت النور، وهو بيت النار. الأعلام للزركلي ٢٩٥/٢ ، إعلام الناس بما وقع للبرامكة لمحمد ، المعروف بدياب الإتليدي ٧٢/١ .

(٢) سلجوق هو : سلجوق بن دقاق من أعيان ترك خرز ، كان يشغل وظيفة عسكرية " مقدم الجيش " ولما خشي على نفسه من زيوع صيته عند الناس أخذ أتباعه ومن أطاعه وتوجه إلى دار الإسلام وأقام بنواحي جند قريباً من نهر سيحون، وفيها أعلن سلجوق إسلامه وأخذ يشن غاراته على الكفار الترك وكان لسلجوق أربعة أولاد: ميكائيل، وموسى، وأرسلان بيبغو أكلان، وآخرون توفي في زمن شبابه. راجع دولة السلاجقة الدكتور علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ ص٢٦، وبغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢٤٥/٢ .

(٣) أي الوزير نظام الملك السلجوقي وزير السلطان "ملك شاه" والذي كان له أثر لا يُغفل ويد لا تُنسى في ازدياد قوة الدولة السلجوقية.

(٤) هكذا في (ل) وفي التبر ص٩٢ القائل هو بزرجمهر، وأما في (ع) فبلفظ: " لا يقاس " بدون عزو الكلام إلى بزرجمهر.

(٥) هكذا في(ع) وأما في(ل) فبلفظ : "زينة ".

(٦) هكذا في(ل) وأما في(ع) فبلفظ : " وعلى".

وينبغي[١] للعاقل أن يحذر ولاية الوزارة لما فيها من الخطر، فقد قال القائل:

تنح عن الوزارة لا تردها فكل الخير فيما لا تريد

ألست ترى وزيرا كل يوم يباع متاعه فيمن يزيد[٢]

وقال آخر:

لا تغبطن[٣] وزيرا للملوك وإن أجله الدهر منهم فوق رتبته

واعلم بأن له يوما تمور به الأ رض اطرابا كما مارت لهيبته

هارون وهو أخو موسى وناصره لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

وقال آخر:

كن بخمول النفس[٤] قانع لا تطلب الذكر في المجامع

فلن يزال الفتى بخير ما لم تشر نحوه الأصابع

فصل

قال أرسطو: اعلم أنه تعالى خلق الإنسان، وجعله أكرم الحيوان[٥]؛ وأمره ونهاه، وعاقبه، وجازاه، وجعل جسمه مدينة، وعقله ملكاً، وأسكنه أشرف موضع فيه وأعلاه، وهو الرأس[٦]، وجعل له وزراء خمسة ظاهرة، وخمسة باطنه وهي الحواس.

وكل شيء كماله بخمسة أشياء:

---

(١) من هذا الموضع وحتى قوله: ما لم تشر نحوه الأصابع، مما زادته (ل) على (ع).

(٢) في (ل) بلفظ "يريد"، وفي غرر الخصائص ١/٤٢ كما أثبته.

(٣) في (ل) بلفظ "لا غبطن"، وفي غرر الخصائص ١/٤٢ كما أثبته.

(٤) في (ل) بلفظ "النفس"، وفي غرر الخصائص ١/٤٢ كما أثبته.

(٥) هذه من عبارات الفلاسفة الشهيرة، وقول الله خير: "ولقد كرمنا بني آدم ...".

(٦) في (ل) و(ع): "أشرف موضع فيه وأعلاه الرأس بدون " وهو".

فالكواكب التي عليها مدار الأفلاك خمسة، وأجناس الحيوان خمسة: الإنسان، والطير، والنعام وذوات الأربع، والماشي على بطنه.

والإنسان لا يتم إلا باجتماع خمسة فيه، والنبات كذلك.

فعلى الملك الاقتداء بفعله تعالى في كل أمر، ويجعل وزراءه خمسة، ويشاورهم في أمره، ولا يبدي[١] لهم ما في نفسه، ولا يظهر لهم افتقاره لما عندهم؛ فيستخفون به، ويخزن عنده آراءهم، ثم يستخير الله فيما يقصده، ويتدبر العواقب، ويميل من آرائهم إلى ما يخالف هواه، ولهذا قال هرمس[٢]: ما قيل له: ما كان رأي المستشار متعديًا من الهوى[٣]! هذا كلام صحيح[٤].

وإذا اجتمعوا على رأي ليدبروه، فلا يدخل معهم غيرهم، ويسمع ما اتفقوا عليه، فإن أعجلوا بالجواب ناقضهم فيه، وأراهم الخلاف؛ ليطول فكرهم، فلا خير في الرأي الغِطْيَر[٥]؛ فإذا ظهر له صحة رأيهم، أو رَأْي أحدهم يمسك عنهم، ولا يظهر لهم ما في اختياره حتى ينفذه.

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يبتدي".

(٢) هرمس: قيل إنه هو: إدريس عليه السلام، وكان الملك في ذلك الوقت " محويل بن أخنوخ بن قابيل"، نبأ وهو ابن أربعين سنة، وأراده الملك بسوء، فعصمه الله، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، ودفع إليه أبوه وصية جده والعلوم التي عنده، وولد بمصر وخرج منها، وطاف الأرض كلها، ورجع، فدعا الخلق إلى الله، فأجابوه حتى عمت ملته الأرض". انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٨٠/٣.

(٣) أي ليس رأي المستشار الذي يستشيره الملك في الأمور السياسية بسالم من ميول النفس والهوى، وهو الظن الغالب على حسن شيء أو سوئه؛ ولذا أيدهم بأن هذا القول صحيح، فمرجع رأي الإنسان المجرد إنما هو عن هواه وثقافته، وهذا بخلاف الرأي الفقهي الذي لا يجوز أن ينتج عن هوى، وإنما عن تأمل ونظر في معنى النص الشرعي.

(٤) أي قال هرمس: هذا كلام صحيح.

(٥) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "التطير"، ومعنى الغِطْيَرّ: القصير، انظر: " لسان العرب ٢٥/٥، ولعل المراد بذلك الرأي الناتج عن الفكر المتسرع الذي لم يتعمق فيه صاحبه.

وبقدر محبة الوزير للملك يكون نصحه له، ولكن لا يظهر ترجيح أحدهم، بل يسوي بينهم وبين عطاياهم ومجالسهم وغير ذلك، وإن كان إلى بعضهم أميل، وبه أوثق، فلم يكن سبب فساد الممالك في العصور المتقدمة إلا ذلك.

ولا يراعي السن إذا كان رأي الشاب أرجح، لكن الغالب كما قال أرسطو: إن الرأي تابع للجسم، وإذا هرم الجسم هرم الرأي؛ مع أن الرأي مع المواليد[١] فمولود يولد بطالع سماء[٢]، فلا يكون في صناعته وعمله إلا على طبائع الكوكب[٣] الذي في تدبير مولده، فإن عرج به أبوه إلى غير تلك الصناعة صرفه الطبع.

ولا يقدم أمراً ولا يؤخره إلا بعد مشورة؛ فقد قال الحكماء: "المشورة عين الهداية".

لكن لا يستشير إلا مَن يَدِين بناموسه، ويعتقد شرعه، ويدين بدينه، ويذهب إلى مذهبه.

ووقع لبعض ملوك الفرس أنه استشار وزراءه في مهم عليه أعمدة ملكه، فقال بعضهم: لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدًا إلا خالياً، فإنه أموت للسر، وأحزم للرأي[٤].

وهذا في الأمر الدقيق المهم، أما في غيره، فيجمعهم كما مر.

قال بعض الحكماء: يزداد الملك الحازم برأي وزرائه كما يزداد البحر بمواد[٥] من الأنهار، وينال بالحزم[٦] والرأي ما لا ينال بالقوة والجند.

وقال بعضهم: عليك بالمشورة، فإنك واحد في الرجال، وشاور من يفصح

---

(١) أي الإنسان يتأثر في طبائعه بالأشياء المصاحبة لنشأته، فالرأي يتبع ما تربى عليه الإنسان، ونشأ عليه خاصة في بداية حياته.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بطالع ما".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ: "طابع الكواكب".

(٤) راجع: عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ١/١١.

(٥) هكذا في(ل) و(ع): "بمواد"، وفي عيون الأخبار ١/١١ "بمواده".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ل) فبلفظ: "بالحرم".

عن المُسْتَكَن. ولا ينبغي للملك أو الوزير أن يقع له من عدوه فرصة إلا انتهزها، ولا يمنعه سداد رأيه في ظنه، ولا علو مكانه في نفسه من أن يجمع إلى رأيه رأي العقلاء، فإن وافق رأيه زاده[١] شدة؛ وإلا عرضه على نظره، وتدبره، ونظر في العواقب.

قال أرسطو للإسكندر: وأعظم ما أوصيك به أن لا تستوزر واحداً [٢]، فإنه أمر يفسد ملكك وجندك ورعيتك، ويرفع فوائدك، فاللائق خمسة، فإن لم يكن فثلاثة لا أقل؛ فإن الأثافي ثلاثة، وأوسطها خمسة، وأكملها سبعة، والأرضون سبع، والسماوات سبع، والسيارة[٣] سبع، والأيام سبعة، ودوران القمر سبع، وأيام الحزن سبعة إلى غير ذلك.

ومما يُجَرَّب به الوزير أنْ يُريه الملك الحاجة إلى المال؛ فإن حمله على إخراج ما في خزائنه، فلا رأس مال له في الملك[٤]، أو على أخذ مال الناس، فهو مسيء السياسة يُبَغِّضَه إلى الكافة، وإن بذل له ما عنده، قال: هذا من نعمتك وجب الوثوق به.

وكل وزير يذهب[٥] إلى الكسب واقتناء المال لا يرجى، فإنما خدمته للمال لا للملك، وحب المال يذهب بعقول الرجال، وهو من الجبلات التي لا دواء لها، وكلما كثر المال زادت الرغبة فيه والحرص عليه، وهذا من الوزير سبب إفساد المملكة، وقد يحمله حب المال على إتلاف الملك؛ فينبغي للملك التحرز من ذلك ونحوه.

حُكي أن نصير الدولة أحمد بن مروان[٦] صاحب ديار بكر أراد السفر لحرب،

---

(١) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "زاد".

(٢) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أحدا".

(٣) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: : " والسارة ".

(٤) أي لا يجيد تصريف أمور الملك.

(٥) هكذا في(ل) وسقط لفظ: "وزير" من (ع).

(٦) نصير الدولة هو: أحمد بن مروان بن دوستك: صاحب ديار بكر وميافارقين. كردي الأصل. تملك بعد مقتل أخيه منصور سنة ٤٠١ هـ، واستمر في الملك ٥١ سنة. وكان مسعودا عالي الهمة حازما=

فطلب من وزيره مائة ألف دينار يصرفها في سفره، فأحضره[١] توزيعاً على أغنياء آمد بما طلبه فزجره، وقال: لو أردت من مال الناس عولت على صاحب الشرطة دونك.

ولا يمكِّن الملكُ وزيرَه من أن يخاطب[٢] ملكا آخر، ولا يقرأ له كتاباً، ولا يكاتبه[٣].

وأفضل الوزراء من يلزم طاعة ملكه، ويغضب الناس في رضاه، وينفق ماله ورجاله في إرادته[٤] ويتصف مع ذلك بأن يكون تام الأعضاء، جيد الفهم والحفظ، سريع التصور، قوي الإدراك، فطناً إذا قام على الأمر أقل دليل فطن له، حسن العبارة يواتيه[٥] لسانه على ما في ضميره بأوجز لفظ، نافذاً[٦] في كل علم - سيما الحساب - فإنه العلم الحقيقي البرهاني الذي يحذق الطبع، صادق القول، حسن المعاملة والخُلق، لين الجانب، سهل اللقاء، غير شره الأكل والشرب والنكاح، متجنباً اللعب[٧] واللذات، عالي الهمة، الدراهم والدنانير عنده هيِّنة، محباً للعدل وأهله، مبغضاً للجور، منصفاً ، صبوراً، قوي العزيمة، خبيراً بخدمة[٨] الملوك، قليل الضحك

=عادلا ، محافظا على الطاعات، مع إقباله على اللهو. وكانت له ٣٦٠ سرية. استوزر أبا القاسم ابن المغربي، الأديب، مرتين، وفخر الدولة ابن جهير. ومات بميافارقين. توفي سنة ٤٥٣هـ. الأعلام للزركلي ١/ ٢٥٦ .

(١) لعل المقصود أنه عرض عليه خطته في جمع المال المطلوب من الأغنياء، فأطلعه على الضرائب المفروضة.

(٢) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ولا يمكن الملك وزيره يخاطب " .

(٣) أي لا يمكّنه من قراءة كتاب لملك آخر، أو أن يكاتب ملكا آخر.

(٤) هذه من المبالغات في الطاعة، وهي من الأمور التي لا تنبغي، بل مسلك التوسط، أسلم ومنهج الاعتدال أتم وأكمل.

(٥) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "بوابته" .

(٦) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: " ناقدا " .

(٧) في(ل)و (ع) : " للعب ".

(٨) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: " بحدمة ".

والمزاح، معرضاً عن الناس مستخفاً بهم[١]، مصغياً إلى أخبار الناس والملوك وتواريخهم، لا يشرب خمراً، مؤثرا الصلحاء والعلماء[٢]، مُحطاً لرحالهم، مَلجأ للصادر والوارد، مُؤنساً لوحشة الناس صابراً على محاملهم[٣]، متحملاً لأذاهم قد وسعهم[٤] حلمه وكرمه.

فصل

قال الماوردي[٥] في الأحكام السلطانية[٦]:

(الوزراء[٧] قسمان: تفويض وتنفيذ:

---

(١) هذه من الصفات التي لا تنبغي لا للملوك ولا لمن دونهم، فالاستخفاف بالآخرين من التكبر= =المنهي عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإسراء "٣٧ : ٣٨"، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ من سورة النحل "٢٣"، وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر). رواه مسلم برقم ٢٧٥، وقال صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي) رواه أبو داود برقم "٤٠٩"، وابن ماجة برقم "٤١٧٤"، وأحمد برقم "٨٨٨١" و "٩٣٤٨" وصححه شعيب الأرنؤوط محقق المسند. وأسلوب الإعراض عن الرعية والاستخفاف بهم تثبت السير أنه سبب لغضب الرعية على ولاتها، بل والخروج عليهم والانتقام منهم.

(٢) هكذا في(ل) وأما في (ل) فبتقديم العلماء على الصلحاء.

(٣) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تحاملهم".

(٤) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وسعه".

(٥) الماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل "أقضى القضاة" في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، من كتبه: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، والحاوي في فقه الشافعية. توفي سنة ٤٥٠هـ. الأعلام للزركلي ٤/٣٢٧.

(٦) ص ٦١.

(٧) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الوزارة "وما في(ع) أولى لقوله في النسختين عند التفصيل:=

فالأول: أن يستوزر الإمام من يفوض[١] تدبير الأمور إلى رأيه، وإمضاءها إلى اجتهاده.

ولهذه الوزارة شروط الإمامة[٢]: من كونه بالغاً، عاقلاً، مسلماً، عدلاً، حراً، ذكراً، عالماً، مجتهداً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية، سميعاً، بصيراً، ناطقاً، سليم الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض، ولا يقدح فقد الذكر والأنثيين، ولا يشترط كونه قرشياً.

قال[٣]: ويزيد شرط آخر، وهو الكفاية فيما جعل إليه من أمر الحرب والخراج ـ و أظن[٤] أنه داخل في شرط الشجاعة والكفاية والرأي ـ.

ويشترط في التفويض لفظ مشتمل على شرطين: عموم النظر والنيابة، وذلك بأن يقول: قلدتك ما إلي[٥] نيابة عني، واستنبتك فيما إليّ، أو استوزرتك تعويلاً على نيابتك، ولو قال: فوضت إليك وزارتي، أو فوضنا إليك الوزارة كفى[٦]، ولو قال: انظر فيما إليّ، أو قلدتك وزارتي؛ وقلدناك الوزارة، لم يكف، أو قال: نُبْ عني فيما إلي، احتمالان.

وإذا صحت الوزارة، فعلى الوزير أن يطالع الإمام بما أمضى من تدبير، وأنفذ

="فالأول" ولم يقل: "فالأولى".

(١) في (ل) و (ع): "مفوض"، وفي الأحكام السلطانية ٦١ "من يفوض".

(٢) هكذا في(ل) وسقط لفظ: "الإمامة" من (ع).

(٣) أي الماوردي، راجع: المصدر السابق المكان نفسه.

(٤) الكلام للمناوي.

(٥) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: " قلدتك ما آت ".

(٦) قال الماوردي: " ولو قال: قد فوضت إليك وزارتي احتمل أن تنعقد به هذه الوزارة، لأن ذكر التفويض فيها يخرجها عن وزارة التنفيذ إلى وزارة التفويض، ويحتمل أن لا تنعقد لأن التفويض من أحكام هذه الوزارة فافتقر إلى عقد يتقدمه، والأول من الاحتمالين أشبه بالصواب ". الأحكام السلطانية ص ٦٤.

من ولاية وتقليد[١]، وعلى الإمام أن يتصفح أحواله وتدبيره؛ ليقر ما وافق الصواب ويستدرك ما خالف.

وكل ما[٢] صح من هذا الإمام صح من هذا الوزير إلا ثلاثة أشياء: عهد الإمامة إلى الغير، واستعفاء الأمة من الإمامة، وعزل من ولاه الإمام [٣].

فليس للوزير عهد[٤] الوزارة، ولا الاستعفاء، ولا عزل من ولاه الإمام [٥].

مطلب

الثاني: وزارة التنفيذ

وهي أن يكون النظر فيها مقصورًا على رأي الإمام وتدبيره، والوزير بينه[٦] وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ ما ذكر، ويمضي ما حَكم، ويخبر بتقليد الولاة، وتجهيز الجيوش والحماة.

ولا يشترط فيه الحرية والعلم، وكذا الإسلام على ما ذكره الماوردي[٧]، لكن أنكره إمام الحرمين، وغضب من الماوردي بسببه وقال[٨]: هذه عثرة ليس لها

---

(١) في (ل) و (ع): "فعلى الوزير أن يطالع الإمام وأمضي ما دبر وأنفذ ما ولى وقلد"، وعند الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٦٤: "مطالعة الإمام لما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية وتقليد لئلا يصير بالاستبداد كالإمام".

(٢) هكذا في(ع) وأما في (ل) فبلفظ: "كلما".

(٣) في (ل) و(ع): "الوزير"، وهذا خطأ، فالمقصود الإمام، وليس الوزير كما يفيد السياق.

(٤) في (ل) و(ع): "جهد".

(٥) لعل هذا الكلام تعقيب من المناوي على ما ذكره الجويني.

(٦) الضمير عائد على الإمام.

(٧) راجع: الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٦٦ :٦٨.

(٨) راجع: الغياثي ص ١٣٣، لعل الجويني استشنع هذه السقطة من هذا العالم النجيب، وكما قالوا: إن عثرات الكبار كبار

مُقيل[1]، فإن الثقة لابد منها ، والذمي[2] لا يوثق به في أفعاله وأقواله، فكيف يقبل قوله فيما يسنده ويعزيه إلى الإمام؟!

فمن[3] لا تقبل شهادته في بَاقَةِ بَقْلٍ، ولا يوثق به في قول ولا فعل، كيف يُنَصَّب وزيراً ؟!، وكيف يَنْهض مبلغاً عن الإمام سفيراً؟! على أنا لا نأمن في أمر الدين شره، بل نترقب ضره، وقد تطابقت نصوص الكتاب والسنة على النهي عن الركون إلى الكفار، وعدم ائتمانهم[4] على الأسرار، وقد نص الشافعي على أن شرط المترجم أن يكون مسلماً عدلاً، فكيف بالوزير!! أ.هـ

ويشترط فيه: الأمانة والذكورة والصدق، وقلة الطمع؛ لئلا يرتشي، والذكاء والفطنة، وأن يصلح ما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، وأن لا يكون من أهل الأهواء.

والفرق بين الوزيرين من أوجه هي: أنه يجوز لولي التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم[5]، وأن يستبد بتقليد الولاة، وأن ينفرد بتيسير الجيوش، وتدبير الحروب، وأن يتصرف في محصول بيت المال بالقبض والدفع، وليس ذلك لوزير التنفيذ.

ويجوز للإمام أن يقلد وزيرَيّ[6] تنفيذ فأكثر، وأما التفويض فإنْ فوض إلى كل منهما عموم النظر لم يجز، وإن أشركهما في النظر، ولم يفرد واحد منهما صَحَّ، وتكون الوزارة فيهما لا في واحد منهما، ولهما تنفيذ ما اتفق عليه رأيهما لا ما اختلفا فيه، ويكون موقوفاً على رأي الإمام، وإن لم يشتركا في النظر، وأفرد كلاً بما ليس فيه

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " وقال: غيره ليس لها مقبل ".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " والذي ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فيمن ".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أئتم ".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " المعالم ".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " أن يقلد وزيره تنفيذ فأكثر ".

للآخر[١] نظر، كأن يرد إلى أحدهما وزارة بلاد المشرق وإلى الآخر[٢] وزارة بلاد المغرب، أو استوزر[٣] أحدهما على الحرب، والآخر على الخراج صح.

فصل [٤]

يجب على من يعاشر الملوك والرؤساء من عموم الناس أن لا يقصروا في النصيحة، وإرادة الخير بالقلب واللسان ، وأن يبذلوا غاية مجهودهم في إفشاء محامدهم وستر معايبهم، ويستعملوا انشراح الصدر وطيب القلب عند أداء حقوقهم المتوجهة عليهم من خراج وغيره، من غير انقباض، ويمتثلوا أوامرهم، ويجتنبوا نواهيهم، ويبالغوا في حفظ احتشامهم وهيبتهم، ويبذلوا أرواحهم وأموالهم بين يديهم عند حصول المكاره والنوائب محافظة على الدين، والملة، والأهل، والأولاد .

وعلى من ابتلي بخدمة الملوك أن يلازم أمرا هو بصدده، ويواظب ما كلفه من الوظائف، ولا يلازمه ملازمة تؤدي إلى الملال .

وينبغي أن يمدح المخدوم بكل ما صدر عنه بالصدق والصواب ؛ فإن كل أمر في الدنيا لا بد له من وجهين: جميل وقبيح، فيطلب الجميل في كل شيء وينسبه إلى مخدومه، ويتوفر على ذكر محامده دائما حضورا وغيبة، وإن كان تدبير الأمور وتصريف صلاح الأمور وفسادها مفوضا إليه بأن يكون وزيره مثلا أو مشيره أو معلمه

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " الآخر" .

(٢) هكذا في (ع) وسقط قوله : " وزارة بلاد المشرق وإلى الآخر" من (ل) .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " واستوزر " .

(٤) هذا الفصل بأثره مما زادته (ل) على (ع) وهو مختصر بتصرف كبير من رسالة في السياسة الشرعية لأبي نصر الفارابي وهي مطبوعة مع رسائل أخرى بعنوان السياسة الشرعية مجموعة رسائل، تحقيق: محمد حسن الشافعي. ط : دار الكتب العلمية .

وعليه أن يعلم أن مثال الملوك كالسيل النازل من أعلا الجبل، فمن أرد ردَّه دَفْعه[١] من سمت[٢] إلى سمت يهلك قطعا، فإن تلطف وسد أحد طرفيه، أمكنه ذلك، وهكذا ينبغي أن يعتمد في صرف أمر المخدوم من الفساد التلطفَ والتدبيرَ والمداراة.

ولا يحرضه على شيء بصيغة أمر أو نهي بل يقرر بين يديه وجه المصلحة الذي يتضمنه خلاف رأيه وينبهه على وخامة عاقبة ما عزم على إمضائه؛ تدريجا في خلوته، وضمن الأمثال والحكايات عن المتقدمين.

ويبالغ في كتمان أسراره، وطريق الاحتياط في ذلك أن يخفي أحواله الظاهرة مهما استطاع؛ فإنه إذا علم الملك منه ذلك[٣] لا يتهمه في إفشاء أسراره.

واعلم أن للملوك هممًا، قد تفردوا بها ويطالبون بها الاستخدام والتعبد من الناس، ويعدون أنفسهم فيها مصيبين، وسبب ذلك كثرة مدح الناس لهم وتكمن إطراء[٤] الخواص والعوام في مسامعهم، فلا يحيل جرما إلى المخدوم بوجه من الوجوه، وإذا رأى منه ما يستقبح لا يذكره، وإن نادرا وذكره لا يعترف به أصلا وإن علم المخدوم ذلك، فإن التفاوت بين الإقرار والإخبار كثير جدا.

---

(١) في (ل) بلفظ: "فمن أرد ردَّه دفعه دفعة من سمت إلى سمت" وفي رسالة الفارابي: "فليعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة إن أراد المرء أن يصرفه إلى ناحية من النواحي وواجهه أهلك نفسه وأتى عليه السيل فأغرقه وإن سعي معه وعلى جانبيه وتلطف ليصرفه إلى الناحية التي يريدها بأن يطرح في بعض جوانبه مقدارا من السدد ويطرق له من الجانب الآخر لا ينشب أن يصرفه إلى حيث شاء" انظر: السياسة الشرعية مجموعة رسائل ص ٦٧

(٢) لعل المراد بالسمت هنا الطريق، قال ابن منظور: "السَّمْتُ: الطريقُ يقال الْزَمْ هذا السَّمْتَ". لسان العرب مادة: "سمت".

(٣) أي إذا علم منه كتمانه للأمور الظاهرة لن يتهمه في إفشاء أسراره.

(٤) في (ل) بلفظ: "آذاء" وفي رسالة في السياسة الشرعية لأبي نصر الفارابي بلفظ: "إنما تحدث هذه الهمة فيهم لكثرة مدح الناس لهم وإطرائهم أعمالهم وتصويبهم آرائهم" انظر: السياسة الشرعية مجموعة رسائل ص٦٨

وعليه أن ينظر إلى محبوب المخدوم ومكروهه، بالنسبة إليه ويقرر مع نفسه أنه لا شيء في العبودية أنفع من ترك حظ النفس، وإن كان بينه وبين مخدومه معاملة أو مجازاة له فيه حظ يترك ذلك ويتجنبه ويستخلص حظ المخدوم فإن ثمرة ذلك الحظ يعود عليه في الجملة.

وعليه أن يتلطف في جلب المنافع من الرؤساء ولا يقدم على السؤال والإلحاح البتة، ولا يظهر الطمع والشره، بل يتعود القناعة وقصر اليد، فإن الدنيا من عادتها أن تقبل على من أعرض عنها؛ وتعرض عمن أقبل عليها.

وينبغي أن يكون مطلوبه من المخدوم أسباب المنافع لا نفسها، فإن من يطلب النفع من المخدوم يمل، ومن انتفع بهم أعزوه.

وينبغي أن يظهر لمخدومه أنه بأدنى إشارة يبذل جميع ما يملكه من مال أو ذخيرة[1] ليأمن من طمعه في ماله، وإن ناقش قليلا ازداد حرص المخدوم في سلب ذلك عنه.

---

(١) في (ل) بلفظ: "دخيرة".

الباب الثاني

في نائب السلطان [1]

وعليه مثل ما على السلطان، ويزاد أن من حقه[2] مراجعته[3] إذا أمره بما يخالف المصلحة، وازدياده من تفقد أحوال الرعية جليلهم وحقيرهم، والنظر في الخراج والقرى والغلات، ونحو ذلك، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وتولية المناصب لأهليها.

فإن اعتذر نائب السلطان بأن الزمان[4] غير قابل؛ لذلك قلنا له ولغيره: أنتم مطالبون بما تصل إليه قدرتكم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ فعليكم الجد والاجتهاد والله تعالى هو المعين.

وأن يلقي[5] مقاليد الأحكام في الشرع؛ لأنه لا حاكم إلا الله، ولم تعقل العقول شيئاً.

---

(١) يختصر المناوي في هذا الباب كلام تاج الدين السبكي ص٢١ مع تصرف يسير في صياغة المعاني.

(٢) هكذا في (ل) وسقط حرف: " أن " من (ع). يعود الضمير ـ هنا ـ على نائب السلطان، والمقصود بالحق ـ هنا ـ الواجب أي أن من واجباته ومسؤولياته التي يجب عليه الاضطلاع بها هي مراجعة السلطان فيما يأمره مما هو مخالف للشرع عملا بحدث. إنما الطاعة بالمعروف.

(٣) يعود الضمير ـ هنا ـ على السلطان.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "الزمن".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وإليه يلقي".

فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطان انقياده إلى الشرع[1] ونسبه إلى اللين والرخاوة؛ فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن طبع على قلبه، وأن عاقبته وخيمة، والحق على كل مسلم الرضا بحكم الله، والانقياد لأمر الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، الفاسقون[2].

ومن حقه دفع أهل البدع والأهواء وكفؤ شرهم .

ويطالع عقيدة الطحاوي[3] التي تلقاها العلماء بالقبول.

ويدين الله برأي الشيخ أبي الحسن الأشعري[4].

---

(١) هكذا في (ع) وسقط قوله: " فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطان انقياده إلى الشرع" من (ع).

(٢) هكذا في (ع) وسقط قوله: " الفاسقون" من (ع).

(٣) الطحاوي هو: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ولد بطحا قرية من صعيد مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين، وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. انظر: لسان الميزان لابن حجر ١/٦٢٠، وكتابه في العقيدة معروف مطبوع.

(٤) أبو الحسن الأشعري هو: على بن إسماعيل بن أبي بشر، ولد سنة ٢٦٠هـ، بالبصرة، كان في أول أمره معتزلياً ومنهجه هو منهج المعتزلة، وهو تقديم العقل على النقل؛ ثم بعد ذلك أخذ يعيد النظر في معتقدات المعتزلة، ويخطط لنفسه منهجاً مستقلاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص، ومنهجه الفكري كان قريباً من منهج أهل السنة لكن يعيبه أنه يفضل التأويل في أغلب آرائه، وبعدما ترك الاعتزال أخذ يرد عليهم ويهتك عوارهم. وفي أواخر حياته تبين له ـ رحمه الله ـ خطأ ما كان عليه، فرجع إلى مذهب السلف المتمثل في منهج الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وهو تقديم النقل على العقل، فكتب كتاب "الإبانة"، وصرح فيه باتباعه لمذهب السلف حيث قال بعد أن أكد تمسكه بالكتاب والسنة، وبما روي عن الصحابة والتابعين ـ قال: "ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله ـ يقصد الإمام أحمد ـ قائلون ولمن خالف قوله مخالفون..." ، وبهذا يتبين أن الأشعري كان في أول أمره معتزلياً ، ثم تحول من الاعتزال إلى المذهب الجديد الذي خطه لنفسه والذي عرف فيما بعد بمذهب الأشاعرة، ثم انتهى في آخر حياته، واستقر على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد بقي في الاعتزال أربعين سنة مما جعله - وبعد رجوعه إلى مذهب السلف ـ لا يسلم من الوقوع في بعض الأخطاء مثل قوله بالكسب والتكليف بما لا يطاق، توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ ـ في بغداد. ومتقدمو الأشاعرة كالأشعري والباقلاني على مذهب أهل=

ومن حقه النظر في أمر[١] المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن وغيرهم والغلظة والتشديد عليهم ، وإن رأى تقليد بعض المذاهب[٢] بالمبالغة في عقوبتهم وطول حبسهم فله ذلك ، بشرط أن يكون الحامل عليه المصلحة لا التشهي ، وحظ النفس ، ومحبة شياع[٣] الاسم بالانتقام.

ومن حقه الفحص عن أحوال خواصه وحاشيته ، وعدم الإصغاء إليهم في كل

=السنة في إثبات الصفات. أما متأخروهم كالرازي والغزالي ومن بعدهم ، فقد اقتصروا على إثبات سبع صفات وأولوا الباقي وسموها صفات الذات وهي : "العلم ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام ، والحياة" ، وأما الصفات الأخرى كالاستواء والعلو والنزول وغيرها فكلها أولوها ، ووافقوا المعتزلة فيها.بل حتى هذه الصفات السبع التي أثبتوها لم يثبتوها على طريقة السلف من خلال نصوص الكتاب والسنة ، ولكن أثبتوها عن طريق العقل. راجع : منهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر الحوالي.

وبعد هذا البيان يتبين لنا أن المنهج الصحيح هو في اتباع ما عليه أهل السنة والجماعة وعلماء الأمة المتقدمين أمثال الأئمة الأربعة ومن اتبع طريقتهم.

(١) هكذا في (ل) وسقط قوله : " أمر" من (ع) .

(٢) أي المذاهب الفقهية التي تشدد في معاقبتهم. وقد أحسن المؤلف حينما وضع قيدين لأخذه هؤلاء بأسلوب الشدة إتباعا للآراء الفقهية وهما :

أن يكون قصده من ذلك المصلحة التي تهدف إلى حفظ الأمن داخل الدولة ، وليس بهدف الانتقام الشخصي ونحوه. وهو مرتبط بالقيد الثاني ولكن إفراده له أهمية وهو : أن لا يقصد بذلك رغبته في ظهور اسمه بأنه منتقم وشديد ونحو ذلك من الصفات التي يكون الغرض منها شخصي وليس مصلحي.

ولعل من المناسب إضافة ثلاثة قيود أخرى هي :

أن يكون القول الذي أخذ به له مستند من الدليل الشرعي ، أما الآراء الشاذة فلا يجوز الأخذ بها.

إن كان غير مجتهد ـ وهو الغالب في حكام هذا الزمان ـ فلا بد أن يصدر عن استشارة أهل العلم الشرعي.

أن يكون قد صدر بشأنهم حكم قضائي يدينهم في فعلتهم ويثبتها عليهم حسب طرق الإثبات الشرعية.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " سياع " بالسين المهملة ، وشياع الاسم انتشاره ، قال ابن منظور : "شاعَ الشيْبُ شَيْعاً وشِياعاً... استطار " انظر : لسان العرب ، مادة " شيع ".

ما يقولونه؛ بل يستوضح الحال، ويستكشفه من بطانة الخير عنده، ففي الخبر: (ما من ملك أو أمير إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالخير، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر، وتحضه عليه)[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم " ٦٦١١ " بلفظ " ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله.

الباب الثالث

في الحاجب[1]

ومن حقه الاستئذان لذوي الحاجة، وإنهاء ظلامته، وأن لا يتركه على الأبواب لا[2] يجد ملجأ إلى الدخول، ويعلم أن لصاحب الحاجة حقاً عند أستاذه[3]؛ لأن من وظيفة أستاذه سماع كلامه وقضاء حاجته إذا وافقت الشرع، وليس لأستاذه عنده حق، والمنة لله رب العالمين على أستاذه أن جعل حاجة الخلق إليه، وعليه[4] أن جعله في بابه مرصداً لهذا الأمر، فإن قصر فيما ذكر كان هو الظالم لأستاذه[5].

وينبغي لمن ولاه الله على الخلق: البحث عن الرعية، والعدل بينهم في القضية والحكم فيهم بالسوية، وتجنب الهوى والميل، وعدم سماع كلام بعضهم في بعض إلا بحجة، وعدم الركون إلى الأسبق؛ فإن وجد نفسه تميل إلى الأسبق وتصغي إليه فيعلمَ

---

(١) الحاجب هو: حارس بوابة الملك الذي ينظم العلاقات بين الملك والشعب، وسمي الحاجب لمنعه الشعب من الدخول.

(٢) في (ل) و(ع) بلفظ: " ولا يجد ملجأ " بإثبات واو قبل "لا "، وفي معيد النعم دونها.

(٣) المراد به ـ هنا ـ الملك.

(٤) الضمير عائد على الحاجب.

(٥) هذه الفقرة كاملة يختصر فيها المناوي كلام السبكي عن " الدوادار " في معيد النعم ص ٢٥ .

أنَّ[١] قلْبَه إلى الآن متقلب مع الأغراض[٢] يميله الهوى كيف شاء، وإن[٣] وجد الأسبق والآخر سواء إلا من جاء بحق، فهو على الحق، وكثير من أولي الأمر يميل مع أول شاك[٤]؛ وما ذاك إلا للغفلة المستولية على القلب التي صيرت القلوب كالأرض الترابِيَّة التي لم ترو[٥] بالماء، فإذا أتاها ماء رويت ـ سواء كان الماء صافياً أو كدراً ـ ثم إذا رويت وأتاها ماء صافٍ لم تشربه، فهذه قلوب غافلة عن الحق مائلة مع الهوى والعرض.

فعلى[٦] المتولي أن يشكر نعمة الولاية، وأن يعلم أنه والرعية سواء لم يتميز عنهم بنفسه بل بفعله[٧] تعالى الذي لو شاء لفضلهم عليه، وملكهم أمرهم[٨]، فإذا أعطاه الولاية دونهم، فلا ينبغي أن يتجبر[٩]، ويستعين بنعمة على معصية، فلا أقل من أن يتجنب أذاهم، ويكف عنهم شره، ونعمة الله بالولاية لا تطلب منه غير ذلك، ولو أنه أهمل الناس يأكل[١٠] بعضهم بعضاً، وقعد في داره يصوم ويصلي ويبكي على ذنوبه كان عاصياً لربه، وربه لم يطلب ذلك، إنما طلب منه ما ذُكر، فإن ضم إليه

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "أن" من (ع).

(٢) ف (ل) بلفظ: "منقلب" وفي (ع) بلفظ: "منقلب عن الأعراض"، وفي معيد النعم ص ١٣ "متقلب مع الأغراض".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "ومن".

(٤) هذا الكلام ساقه السبكي في حق الحكام الأتراك، انظر: معيد النعم ص ١٣ قال: "وقد اعتبرت كثيرا من الأتراك فوجدتهم يميلون إلى أول شاك".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ع) فبلفظ "لم يرو".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "وعلى".

(٧) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: "بفعله".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "وملكه أمرهم".

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "يتخير".

(١٠) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "لأكل".

عملاً صالحاً، فنورٌ على نور[١].

وعلى[٢] نائب السلطان أن يوقر أهل العلم، ويعرف لهم حقهم، ولا ينكر عليهم ما هو متصف به من الطمع في الدنيا، وإذا نظره يرتكب[٣] معصية، وهو مرتكب مثلها لا يبغضه ولا يعيبه؛ فقد قال المصطفى عليه السلام: (يبصر أحدكم القذاة[٤] في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه)[٥].

فعليه[٦] أن ينهى نفسه أولا؛ ثم يعود عليه فيوبخه، ويزجره، فقد قال القائل:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما تقول ويُقتدي بالقول منك وينفع التعليم[٧]

وينبغي أن لا يستكثر على العلماء أرزاقهم - وإن كثرت - فإنه إذا فتش وجد رزق أكبر فقيه دون عَلُوفة أقل مملوك عنده.

وعليه[٨] أن يخشى ربه، ولا يتولى قطع رزق أحد، وهو اليوم متول، وغداً معزول[٩].

---

(١) هذه الفقرة يختصر فيها المناوي كلام السبكي في معيد النعم ص ١٣، وقد ساق المناوي هذا الكلام في معرض الحديث عن "المثال الثالث"، وهو الذي يشمل السلطان، ومن دونه من النواب والقضاة.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ " فعلى ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " مرتكب ".

(٤) في (ل) بلفظ "القذى" وأما في (ع) فبلفظ: " القذا "، وعند ابن حبان " القذاة ".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) ففي موضع " فعليه" بياض.

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) ففي موضع " فعليه" بياض.

(٧) هكذا في (ل) وسقط البيت الثاني من (ع). هذه الأبيات من المتنازع في نسبتها؛ فهي تارة تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص١٣٠، وتارة إلى المتوكل الليثي في ديوانه ص ٢٨٣.

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " فينبغي ".

(٩) هذا الكلام ساقه السبكي عند الكلام عن الأمراء. معيد النعم ص ٤٧ — ٤٩.

الباب الرابع

في تراجمه[1]

ينبغي للملك أن يختار للترجمة عنه[2] من كان عاقلاً، ذكياً، جيد الفهم، نصوحاً، أميناً، عارفاً جميع اللغات، فإذا تظلم إليه متظلم مخالفٌ للغته عبّر عنه الترجمان.

ويستكثر منهم، ولا يقتصر على واحد، فقد يحمله هواه وغرضه على تحريف القول أو الزيادة فيه أو النقص عنه.

حُكي أن عثمان بن الحويرث[3] خرج إلى قيصر ملك الروم؛ فتكلم الترجمان عنه بخلاف ما قاله؛ فأمر الملك بإخراجه؛ فعلم أنه أتى من جهة الترجمان، فدخل على الملك ثانياً، وقال: إن الغادر وسكت فأدى الترجمان ذلك عنه، فتأمل الملك، ثم أتى بترجمان غيره، فأدى عنه كلامه كما هو، فأعجب به قيصر، وعزل الترجمان الأول.

---

(١) الترجمان: هي إحدى الوظائف التي يهتم بها الملوك والسلاطين في كل عصر لما تمثله من حلقة الوصل بين الملك وأصحاب الألسن المخالفة قال ابن منظور: " الترجمان بالضم والفتح: هو الذي يُتَرْجِم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى والجمع التَّراجِم" انظر: لسان العرب، مادة "ترجم".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " عنده ".

(٣) هو : عثمان بن الحويرث بن أسد القرشي هجاء جاهلي. خرج مع ورقة بن نوفل في طلب الحنفية دين إبراهيم عليه السلام وقد بلغ قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ومات بالشام. انظر: معجم الشعراء للمرزباني ص٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٠٣، ٢/٢١٦.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الخامس

في أصحاب الأخبار

وهم أربعة أصناف:

الأول: عيون الملك على[1] أعماله وعماله ورعيته في جميع المملكة.

والثاني: عيونه في الممالك البعيدة والقريبة على أولياء الملك وعلى أعدائه.

الثالث: قوم يتبرعون بنصيحته في دولته وفي أعدائه[2].

الرابع: جماعة يسعون بالناس إلى السلطان في معرض النصيحة ونظام السياسة.

ففي الأول[3]: أن يختار من كان صادقاً مأمون الغضب والمكر والخديعة، ويجعل على العيون عيوناً.

وفي الثاني: أن يستميل قلوبهم بالعطاء، ويصغي إليهم، ولا يكذب أخبارهم، فإن الحزم سوء الظن، ولا يريهم أنه يعمل بقولهم، ولا أنه يرد، ومن تبرع منهم بالقول قَبِل منه وقوبل بالإحسان من غير تمييز بين صدقه وكذبه؛ فإن ذلك يؤدي إلى تكثير النصحاء والمخبرين.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "إلى".

(٢) هكذا في (ل) وسقط النوع الثالث من (ع).

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "وفي الأول".

والأحوط أن يبعث كل واحد من العيون بمفرده من غير أن يعلم واحد منهم بصاحبه، وأن لا يكون بينهم معرفة سابقة فيتواطئوا على الكذب، ولا عداوة فيورط بعضهم بعضاً عند أعدائه أو عنده، وإذا وجه بعضهم برسالة، فلا يطلعه على كل ما فيها، بل يكتم بعضه؛ لتكون الخيرة إليه.

وأما القسم الثالث: وهم نصحاؤه في دولته، فينبغي للملك أن يكرمهم، ويجزل صلتهم، ويخفي ما أمروا به جهده.

وإذا اطلع الملك من أحد نصحائه على أنه يريد على نصحه إِجازةً أبعده عنه من غير إيقاع به.

حُكي أن الرشيد كان خرج عليه يحيى بن عبيد الله الحسني[1]، فطلبه، فاختفى ولم يظفر به، فأتاه رجل فقال: نصيحة يا أمير المؤمنين، فقال لبعض خدامه: اسمع ما يقول، قال: من أسرار الخليفة، فخلى به، فقال: إن يحيى بن عبيد الله رأيته يجول بين البلدان خائفاً يطلب موضعاً يلجأ إليه، فعلم الفضل بن يحيى البرمكي[2] مكانه، فأمره[3] بالانتقال عنه وقصد الديلم، وكتب له منشورًا لا يُتعرض له؛ فقال له الرشيد: صف لي يحيى، فوصفه وصفاً مطابقاً، فدفع له الرشيد ألف دينار، فضمها إلى ثوب فقال لخدامه: اصفعوا ابن اللخناء[4] إنما أراد بنصحه المال، فصفعوه مائة

---

(١) هو: يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد العباسيين. رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. توفي سنة ١٨٠ الأعلام للزركلي ١٥٤/٨ .

(٢) هو: الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع: كان من أجود الناس. استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ - فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة (سنة ١٨٧ هـ. توفي سنة ١٩٣هـ. الأعلام للزركلي ١٥١/٥ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فأمر".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الخناء". قال ابن منظور: "اللَّخَنُ: قُبْح ريح الفرج وامرأَة لَخْناء، ويقال: اللَّخْناء التي لم تُخْتَنْ" لسان العرب، مادة "لخن"

صفعة، وأخرجوه، فخرج، فخفي أمره ولم يعلم له خبر، وأخفاها الرشيد في نفسه حتى فعل بالبرامكة ما فعل.

وأما القسم الرابع: وهم السعاة بالناس في صورة التَّنَصح، والفرق بين النصيحة، والسِّعاية أن الناصح لا يجلب[١] بنصحه نفعاً لنفسه، ولا ضرراً لغيره بخلاف الساعي.

حُكي أن رجلاً قام إلى المهدي وقال: نصيحةً، فقال: لنا أم للمسلمين أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين، قال: ليس الساعي بأعظم عورة، ولا أفحش لؤماً ممن يقبل السعاية، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة؛ فلا نشفي غيظك، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك[٢]؛ ثم أقبل على الناس، وقال: لا يتنصح لنا متنصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين فيه صلاح.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لا يحل".

(٢) في (ل) بلفظ: "فلا نشفي غيظك، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك"، وفي (ع) "إن يكن حاسد نعمة، فلا يشفي غيظك، أو عدواً، فلا يعاقب لك عدوك". وفي زهر الآداب وثمر الألباب للحصري ١٢٢/١: "ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة، فلا نشفي غيظك، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك".

الباب السادس

في كاتب السر[1]

ووظيفته التوقيع عن الملك في مهماته، والاطلاع على أسراره التي يكاتب بها العمال والملوك، وعنه يُصدر التقاليد بالولاية، والعزل، والبذل، والقتل.

وحق على الملك أن يحتاط غاية الاحتياط، ولا يولي هذه الوظيفة إلاّ من وثق بدينه، وعلمه، وبلاغته، وفصاحته، وعقله، وحسن تدبيره وسياسته، وقدرته على النظم والنثر، وتناهيه[2] في كتمان الأسرار، فإنه لسان الملك إذ القلم أحد اللسانين بل هو أحد البيانين.

قال السلطان صلاح الدين لخواصه: لا تظنوا أني بالسيف فتحتها. إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل[3].

ومن وظيفته إنهاء القصص إلى ولي الأمر، وتفهيمه إياها، فإن أكثرهم[4] يعسر

---

(١) هذا الفصل ينقله المناوي بتصرف عن "معيد النعم "ص٣٠ مع زيادة يسيرة في موضع " كاتب السر "

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ونباهته".

(٣) يقصد به: عبد الرحيم بن على بن المفرج اللخمّى كان كاتبا بارعا ووزيرا. وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٤٦/٣.

(٤) الضمير عائد على ولاة الأمر.

عليه فهم ما ليس بلغته، ويؤتون[١] من قبل ذلك، سيما إذا اشتبكت الأمور وازدحمت الأشغال.

فعلى كاتب السر التلطف بحيث يصل إلى ذهن ولي الأمر، وإلا فمتى ظلم واحدًا في واقعة لعدم فهمه وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها كان شريكه. ومن حقه أن يكتم ما ينبغي كتمانه؛ كما قيل:

ويكاتم الأسرار حتى إنه ... ليصونها عن أن تمر بخاطره[٢]

وأن يحذر من الكتابة في قطع الأرزاق، فقلما أفلح كاتبه. نقش بعض كتاب السر على دواته:

حَـلَّفت من يكتب بي ... بالواحد الفرد الصـمد

أن لا يمـد مـدة ... في قطع رزق لأحـد[٣]

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يذمون".

(٢) هذا البيت منسوب لأبي الفتح الرملي المعروف بكشاجم، انظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري١/٢٠١.

(٣) ذكر المقري أن هذه الأبيات كانت مكتوبة على دواة خاصة بالسلطان المرحوم أبي عنان فارس، ابن سلطان أبي الحسن المريني، راجع: كتاب المقري أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١/١٠.

الباب السابع

في الموقعين

وينبغي أن يختار الملك لهذه الوظيفة من كان وافر العقل، فطناً، زكياً، كيساً، ناصحاً، حوى طَرَفاً صالحاً من علوم الأدب كالنحو، والصرف، واللغة، والمعاني، والبيان، والعروض، وعليه[1] الرفق بالرعية فيما يكتبه، والتخفيف من التشديد الذي يؤمر به.

فقد وقع أن بعض الملوك قال للموقع: اكتب إلى فلان بالحضور، فأبرق في الكتابة، وأرعد، وقعقع في العبارة وشدد، فلما قرأه ألقى مصارينه متقطعة ومات؛ فمثل هذا يخلد في صحائف الكاتب؛ ولذلك قال بعض الشعراء فيهم:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ... ثم استمدوا[2] بها ماء المنيات

نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ... ما لا يُنَال بحد المشرفيات

ومن حقه أن لا يستعمل وحشي اللغة، وما لا يفهمه أكثر الناس سيما إذا كتب للآحاد[3].

---

(١) من هنا وحتى قوله: "سيما إذا كتب للآحاد" يختصره المناوي من كلام السبكي ص ٣١.

(٢) في (ل) بلفظ: "قد استمدوا"، وأما في (ع) فبلفظ: "فليستمدوا"، وفي كتاب غرر الخصائص الواضحة للوطواط ١/٧٨: "ثم استمدوا".

(٣) المراد قليلو الفهم من العوام.

وما أبدع قول البحتري[(١)] يمدح بعض أرباب الأقلام[(٢)] :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبهِ
باللفظ يقرب فهمه في بعده منا ويبعد نيله[(٣)] في قربهِ
حكمٌ فسائحها خلال بنانه متدفق وقليبها في قلبهِ
فكأنها والسمع معقودٌ بها شخص الحبيب بدا لعين محبهِ

وقد طال النزاع بين متقدمي الأدباء ومتأخريهم أياً أشرف السيف أم القلم ؟ فذهب إلى كلٍ جماعة وقد وقفت على مفاضلة بينهما لجمال الأدباء ابن نباتة[(٤)] فأوردتها هنا ؛ وهي هذه[(٥)] :

أقبل الأرض المقر لمن[(٦)] لا زالت أقلام النعم ساجدة بأمره، وسيوف النعم راكعة في محاريب الأفئدة بنصره، وآمال العفاة[(٧)] راكعة على باب كرمه الذي يستمد

---

(١) في (ل) بلفظ: "البحيري" وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٩/٢ وغيره: " البحتري " وهو: الوليد ابن عبيد ابن يحيى الطائي، شاعر كبير، يقال لشعره: " سلاسل الذهب " وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: هم: المتنبي، وأبو تمام، البحتري، له ديوان شعر مطبوع، وله كتاب "الحماسة". توفي سنة ٢٨٤هـ، . انظر الأعلام للزركلي ١٢١/٨.

(٢) من هذا الموضع وحتى قوله :" وأيد الشرع حتى شد جانبه وشاد من ركنه مَن ثَلَّ وانثلما" مما زادته (ل) على (ع).

(٣) في (ل) بلفظ: "نبله" وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٩/٢ بلفظ: " نيله " .

(٤) هو: أبو بكر جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الفارقي المصري، شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، له ديوان شعر، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، توفي سنة ٧٦٨هـ . انظر الأعلام للزركلي ٣٨/٧ .

(٥) اسم الرسالة: "المفاخرة بين السيف والقلم" .

(٦) في (ل) دون لفظ : "يقبل الأرض لا زالت"

(٧) في (ل) بلفظ: " الغفاة " . والعفاة: بالعين جمع عافٍ وهو كلُّ من جاءَك يطلُب فضلاً أو رزقاً فهو عافٍ ومُعْتَفٍ وقد عَفَاك يَعْفُوكَ . لسان العرب مادة " عفا " .

الغمام من قطره، والمقاصد المستقبلة نحو جنابه غنية عن زيد الزمان وعمره، والأيدي والأسنة متجانسة البر منه، فهذه متمسكة بأذيال كرمه ؛ وهذه متمسكة بنوافج[١] ذكره.

وينهى بعد ولاء غير مختلق، ودعاء كأن طائره المختلق، إلى السماء محلق[٢] بالشفق، وتنامى الروض وإن زهى وجهه إلا نضرة، وجادة خيوط الودق حتى نسج فيها برده الخضر[٣]، وتبسمت عجبا في أرجائه ثغور الأزهار، وتنفست فرحا بطلال مروجه معاصم الأنهار، فلا أبهج منه رونقا، ولا أعطر منه عبقا، ولا أشجع بين أفنان الغصون مطرقا.

طوقني نعماء فها أنا ساجع   مدحا ولا عجب لسجع مطوق

ومن عادات الذين فصحت النعماء[٤] ألسنتهم، وصوبت إلى اقتناص أوابد المعاني أسنتهم، ورفعت لهم أضواء البشر فأنسوا عليها هدى، وعاهدت بالندى[٥] رياض كلمهم وأحسن ما يكون الروض إذا وقع الندى[٦].

وكان مما خطر للمملوك بارحة أمسه، وهجس في نفسه، وعرضت عليه جياد معانيه بالعشي إلا أنه ما عصرها عند غروب شمسه، ذكر السيف والقلم اللذين هما طراز حلة الدول، وركنا الملك المشيد عليهما مراتب القول والعمل، ومقلتاه إذا نظر في مهمة، وعضداه إذا حاول دفاع ملمة، وقمراه إذا أقبلت وجوه الرعايا، فلا يكن أمركم عليه غمة، ويداه الحقيقتان بهذا الاسم لأن اليد من أسماء القوة واليد من

---

(١) أي مثيرات ذكره . لسان العرب مادة "نفج" .

(٢) في (ل) بلفظ : " مخلق " .

(٣) الكلام من أول هذه الفقرة غير مستقيم ولم أستطع ضبط معناه، ولم أقف على المصدر الذي اعتمد عليه المناوي .

(٤) في (ل) بلفظ : "النغما ".

(٥) الجود .

(٦) في هذا الموضع سقط، حيث لم يرد ما أشار إليه أنه من عادات الأدباء .

أسماء النعمة، طالما أوجداه من العدم، وسعيا في سياسته على الرأس لا على القدم، وطهرا جوانبه غما بنصح نفس أو بنضح دم، فهذا للإنعام وهذا للإرغام، وهذا للإكراه وهذا للإكرام، وهذا لنصر الإعلام، وهذا لنصر الأعلام، وهذا يوم الجود للمير[١]، وهذا يوم البأس للهيل[٢]، وهذا المبيض لقوام الدهر كالنهار، وهذا المسود كالليل.

ثم إني فكرت في أيهما أتم نفعا، وأرجح صنعا، وأخصب لسوام الآمال مرعى، وأجلب لمهمات الممالك نجحا وأعذب نفعا، وأخفض لروض الملك إذا هم الدهر بنعي منه ينعا[٣]، فمثلتها في الذهن، واستخبرت خيال تخيله فكأنهما حبال الجفن، وأطلقتهما في سوار المحاضرة، وأدرت بينها بالفكرة القادحة المحاورة، واستنطقت لسان حالهما المفصح الصامت، وطلبت الجواب المسكت من الجواب الساكت، وربما كان لسان الحال أبلغ، ونطق المحاور أحلى وأسوغ :

انظر إليه ولا تسأل محدثنا صدق الحديث بألسن الأوتار

فبرز القلم بإفصاحه، ونشط لارتياحه، ورقي من الأنامل على أعواده، وقام خطيبا في حلة مداده، وبادر المقال، والتفت إلى السيف، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٤]، أحمد لله الذي علم بالقلم، وشرفه بالقسم، وخط به ما قدر وقسم، وصلى الله على سيدنا محمد القائل: (جف القلم بما هو كائن)[٥]، وعلى آله وأصحابه ذوي المجد المبين[٦]، وكل

---

(١) المير : جلب الميرة وهي الطعام . لسان العرب مادة : "مير" .

(٢) من هال الرمل إذا حركه بيده من غير رفع . لسان العرب مادة : "هيل" .

(٣) في (ل) بلفظ : "بنعا" ، وتقدير الكلام أيهما أخفض لروض الملك ينعا .

(٤) سورة القلم، الآيتان (١ ، ٢) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم "٦٨٤٥" وقال شعيب الأرنؤوط : " صحيح" .

(٦) في (ل) بلفظ : " البين " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ كما أثبته .

مجد بائن، صلاة واضحة السطور، فائحة من أدراج الصدور، ما نقلت[١] عن صحف البحار غواديها ، وكتبت أقلام النور على مهارق[٢] الرياض حكمة باريها .

أما بعد ؛ فإن القلم منار الدين والدنيا، ونظام الشرف والعلياء ومجاديح[٣] سحب الخير، إذا احتاجت الأمم[٤] إلى السقيا، ومفتاح باب اليمن المجرب إذا أعيا، وسفير[٥] الملك المحجب، وعذيق[٦] الملك المرجب[٧]، وزمام أموره السائرة، وقادمة[٨] أجنحته الطائرة، ومطلق أرزاق عقاته[٩] المتواترة، وأنملة الهدي المشير إلى ذخائر[١٠] الدنيا والآخرة، رقم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي تهذب الخواطر الخواطل[١١]، فبينه وبين من فاخره

---

(١) في (ل) بلفظ : " فقلت " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ كما أثبته.

(٢) المهارق بمعنى الصحائف قال ابن منظور: " المهارق الصحاري واحدها مهرق وهو معرب، قال الأزهري : وإنما قيل للصحراء: مهرق تشبيها بالصحيفة ، قال الأعشى:

ربي كريم لا يكدر نعمة　　فإذا تنوشد في المهارق أنشدا

أراد بالمهارق الصحائف ". لسان العرب مادة "هرق" .

(٣) في (ل) بلفظ : " ونحادج " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ كما أثبتها، والمجادح: أنواء السماء، قال ابن منظور: " مجاديح السماء أنواؤها، يقال: أرسلت السماء مجاديحها" . لسان العرب مادة : "جدح " .

(٤) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ بلفظ : "الهمم" .

(٥) في (ل) بلفظ : " وسير " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٠ كما أثبته.

(٦) العذيق، تصغير عذق، وهو النخلة بحملها، قال ابن منظور: " العذق: بالفتح النخلة بحملها، ومنه حديث السقيفة: أنا عذيقها المرجب، تصغيرا لعذق النخلة وهو تصغير تعظيم" . لسان العرب مادة "عذق"

(٧) "الملك المرجب" هو : المعظم ، من الترجيب بمعنى التعظيم. لسان العرب مادة " رجب " .

(٨) في (ل) بلفظ : " وقائمة " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣١ كما أثبته .

(٩) في (ل) بلفظ : " عقابه " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣١ بلفظ "عفاته" ولعل عقاته من العقاة ، وهي: الساحة وما حول الدار والمحلة. لسان العرب مادة : "عقا " .

(١٠) في (ل) بلفظ : " دخائر " .

(١١) الخاطل: الأحمق، والخاطل: الطائش، والخطل: المنطق الفاسد، والخير أقرب . لسان العرب مادة "خطل".

الكتاب والسنة ، وحسبه ما جرى على يده من منة .

إن نظمت فرائد العلوم فإنما هو سلكها ، وإن علت أسِّرة الكتب[١] فإنما هو فلكها[٢] ، وإن رقمت برود الألفاظ[٣] فإنما هو جلالها[٤] ، وإن تشعبت فنون الحكم فإنما إليه مآبها[٥] ومآلها ، وإن تقسمت أمور الممالك فإنما هو عصمتها[٦] وثمالها[٧] ، وإن شيئمت[٨] أفلاك الأقاليم فإنما عليه مدارها ، وإن أنسيت خراج الأموال السائل دم دم تبرها فإنما هو مسبارها[٩] ، وإن اجتمعت رعايا الصنائع فإنما هو إمامها المتلفع بسواده ، وإن زخرت بحار الأفلاك فإنما هو المستخرج درها من ظلمات مداده ، وإن وعد أتى بجلب النفع ، وإن أوعد أخاف كأنما يكتب من النقع.

---

(١) في (ل) دون لفظ : "الكتب" وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ كما أثبته .

(٢) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ بلفظ : "ملكها" وعلى لفظ (ل) يكون المعنى أن فرائد العلوم إذا جلست وارتفعت على أسرة الكتب فهو يعلو عليها علو الأفلاك على ما دونها ، وفي هذا إثباتا لفضله ، ولا يبعد معنى الخزانة ويكون المراد أنها ملكها الذي بوئها هذه المنزلة العلية .

(٣) "رود الألفاظ" : رائدها ، لسان العرب مادة "رود" .

(٤) في (ل) بلفظ : "خلالها" وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ كما أثبته .

(٥) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ بلفظ : "أمانها".

(٦) في (ل) بلفظ : "عصيها" ، وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ كما أثبته.

(٧) في (ل) بلفظ : "ومالها" ، وفي خزانة الأدب ١ /٢٣١ كما أثبته. وثمال الممالك ملازها ، قال ابن منظور : " ثملت القوم وأنا أثملهم قال أبو منصور معناه : أن يكون ثمالا لهم أي غياثا وقواما يفزعون إليه " لسان العرب مادة : "ثمل" .

(٨)من " شيم " فالهمز لغة فيها ، قال ابن منظور : " الشيمة الخلق والشيمة الطبيعة و... الهمز فيها لغية وهي وهي نادرة" لسان العرب مادة "شيم" . ولعل المراد : أن الأقاليم إذا صارت لها عادات وتقاليد معينه فإنما هي آثار لما يرقمه القلم من رؤى وأفكار تؤثر في البناء الثقافي للمجتمع .

(٩) في (ل) بلفظ : "مسيارها " ولعله تصحيف : " مسبارها " قال ابن منظور : " سبر الشيء سبرا حزره وخبره وخبره وأسبر لي ما عنده أي أعلمه والسبر استخراج كنه الأمر" لسان العرب مادة "سبر" . وعليه يكون المعني أنه الخبير بخراجها والضابط له .

هذا وهو لسان الملوك المخاطب، ورسيلها لأبكار الفتوح والخاطب، والمنفق في تعمير دولها محصول أنفاسه، والمتحمل أمورها الشاقة على عينه وراسه، والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف في جفنه نائم، والمجهز لبأسها وكرمها جيشي الحروب والمكارم، [١] طالما ذب[٢] عن حرمها فشد الله أزره، ورفع ذكره، وقام في المحامات عن دينه أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وأعان القصاد، وقعد لإدراك المعاني بالمرصاد[٣]، وقاتل على البعد والصوارم في القرب، وأوتي من المعجزات النبوية نوعا من النصر بالرعب، وبعث جحافل السطور فالقسي دالات، والرماح ألفات، واللامات[٤] لامات، والهمزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل، والأتربة[٥] عجاجها المحمر من دم الكلى[٦] والمفاصل، فهو صاحب فضيلتي العمل والعلم، وساحب ذيل الفخار في الحرب والسلم، لا يعاديه إلا من سفه نفسه، ولبس لبسه، وطبع على قلبه، وقل[٧] الجدال من غربه وخرج في وزن المعارضة عن ضربه.[٨]

وكيف يعادى من إذا كرع[٩] في نفسه قيل :

---

(١) لم يذكر المناوي قوله : " والجاري بما أمر الله من العد والإحسان والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر إنسان " في هذا الموضع كما في خزانة الأدب ١ / ٢٣١ .

(٢) في (ل) بلفظ : " دب "

(٣) قوله : " وأعان القصاد ، وقعد لإدراك المعاني بالمرصاد " مما زادته (ل) على ما في خزانة الأدب.

(٤) في (ل) بلفظ : " واللام " وفي خزانة الأدب ١ / ٢٣١ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ : " والأتراب " وفي خزانة الأدب ١ / ٢٣١ كما أثبته .

(٦) في (ل) بلفظ : " الكلا " وفي خزانة الأدب ١ / ٢٣١ كما أثبته .

(٧) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١ / ٢٣١ بلفظ : " فل " .

(٨) في (ل) دون لفظ : " من ضربه " وفي خزانة الأدب ١ / ٢٣١ بإثباته.

(٩) الكرع : دقة الساق ، وقيل : دقة مقدمها . انظر لسان العرب مادة "كرع" ، ولعل المراد هنا : إذا قدح في منزلته بدقة ساقه في مقابل السيف الصقيل ، قيل له : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ والانتصار بقول=

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[١] وإذا ذكر شانئه ـ السيف ـ قيل[٢] : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾

أقول قولي هذا وأستغفر الله من الشرف وخيلائه ، والفخار وكبريائه ، وأتوكل على الله فيما حكم ، وأسأله التدبير فيما جرى به من القلم.

ثم أكتفي بما ذكره من أدواته ، وجلس على كرسي دواته ، متمثلا بقول القائل :

قلم يفل[٣] الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلت من الأغماد

وهبت له الآجام حين نشا[٤] بها كرم السيول[٥] وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلمظ[٦] لسانه للقول مرتجلا ، وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٧].

الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف ، وشرع حدها في ذوي العصيان

=الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ إشارة لما ورد في الحديث من وصف حوض النبي صلى الله عليه وسلم بالكرع ، كما هو فيما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم "٤٠٢" عن عتبة بن عبد السلمي قال : جاء أعرابي إلى رسول الله عليه السلام فقال : ما حوضك الذي تحدث عنه ؟ قال : كما بين البيضاء إلى بصرى يمدني الله فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق أين طرفاه) .

(١) سورة الكوثر ، آية رقم "١" .

(٢) في (ل) بلفظ : " فإذا ذكر شانئه ـ السيف ـ فقل" .

(٣) في (ل) بلفظ : " فلم يقل " وفي خزانة الأدب ١/٢٣٢ كما أثبته .

(٤) مخفف نشأ .

(٥) في (ل) بلفظ : " كرم السؤول " وفي خزانة الأدب ١/٢٣٢ كما أثبته .

(٦) في (ل) بلفظ : " تلمض " وفي خزانة الأدب ١/٢٣٢ كما أثبته ، (والتلمظ الأخذ باللسان ما يبقى في الفم بعد الأكل وقيل : هو تتبع الطعم والتذوق وقيل : هو تحريك اللسان في الفم بعد الأكل كأنه يتتبع بقية من الطعام بين أسنانه) لسان العرب مادة "لمظ" .

(٧) الحديد سورة رقم "٢٥" .

فأغصتهم[١] بماء الحتوف، وشيد بها مراتب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف، وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف، وعلى آله وصحبه الذين طال ما محوا ببريق الصوارم سطور الصفوف، صلاة عاطرة في[٢] الأنوف حالية بها الأسماع كالشنوف، أما بعد :

فإن السيف زند الحق القوي، وحده الفارق بين الرشيد والغوي، والنجم الهادي إلى العز وسبيله، والثغر الباسم بتباشير فلوله، به أظهر الله الإسلام وقد جنح خفاء، وجلا شخص الدين الحنيف وقد جمح[٣] جفاء، وأجرى سيوله[٤] بالأباطح فأما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء، وحملته اليد الشريفة النبوية وخصته على الأقلام بهذه المزية، وأوضحت به للحق[٥] منهاجا، وأطلعته[٦] في ليالي النقع والشك سراجا وهاجا، وفتحت باب الدين بمفتاحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو صاحب المجد القديم والحديث، والفعل الجد إذا فخر؛ وفخر[٧] غيره حديث، والممهد رتبا لا يبلغها إلا باعه، ولا يقوم بها إلا أضلاعه، ولا تدعى إلا إليه قهرا، ولا يسعها إلا صدرا، وناهيك بصدر السيف صدرا، طال ما حمدت الهمم سراها عند صباحه، وطارت إلى إدراك المآرب بجناحه، وتشعبت لقوائم نصره[٨] المنتظر، وحازت أبكار

(١) في (ل) بلفظ "فأغضهم" . والمعنى فأزالت غصتهم بماء الموت .

(٢) في (ل) بدون لفظ "في" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٢ بإثباتها.

(٣) في (ل) بلفظ "طمح" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٢ كما أثبته .

(٤) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٢ بلفظ " أجرى سيوفه " وعلي ما في (ل) يكون المراد بالسيول الجيوش.

(٥) في (ل) بلفظ "الحق" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٢ كما أثبته .

(٦) في (ل) بلفظ "وأطلعت" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٢ كما أثبته .

(٧) في (ل) بلفظ "وفجر" ومن قوله : " فهو صاحب المجد القديم والحديث"، وحتى قوله : "فهو ذو الرأي الصائب" غير مذكور في خزانة الأدب.

(٨) في (ل) بلفظ : " صوله" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته .

الفتوح بحده الذكر[١]، ورتبت به الأيام إلى أن غدت بلمعانه ذات حجول معلومة، وغرر موسومة، فهو ذو الرأي الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التي زينت من آثاره بزينة الكواكب، والحد الذي كأنه ماء دافق يخرج[٢] عند قطع الأجساد من بين الصلب والترائب، لا يذل[٣] جاره، ولا تُجحد آثاره، ولا ينكر قراره[٤]، إذا اشتبت في الدجى والنقع ناره.

يجمع بين الحالتين[٥] البأس والكرم، ويصاغ في طوق الحليتين فهو إما طوق في نحور الأعداء وإما خلخال في عراقيب أهل النقم[٦]، ويحسم به أهواء الفتن المضلة، ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة، وإذا انحنى في سماء القتام[٧] بالضرب فقل: يسألونك عن الأهلة، فهو الجلي الطاعة، القوي الاستطاعة، الطويل العمر إذا قصف في ساعة، فما أولاه بطول الإحسان، وما أجمل ذكره في مقاتل الفرسان، كأن الغيث في غمده للطالب المنتجع، وكأنه زناد يستضاء به إلا أن[٨] دفع الدماء شرره الملتمع، كم مد يده فأدرك الطلاب، ودعا بالنصر من لسانه المحمر فأجاب، وشدت به الظهور، وحمدت علائقه في الأمور، واتخذته الملوك حرزا لسلطانها، وحصنا على أوطانها، وجردته عن صروف الأقدار في شانها، وأشادت به المنايا فكان كتبانها وسجدت له الرؤوس التي طالما سجدت لتيجانها، وندب فما أعيت[٩] عليه المصالح،

(١) في (ل) بلفظ: " وخطبت أبكار الفتوح بحده المذكر " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ: " إذا خرج " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٣) في (ل) بلفظ: " لا يدل ".

(٤) في (ل) بلفظ: " إقراره" ، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ: " الحليتين" ، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٦) في (ل) بلفظ: " في عراقيب النعم" ، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٧) في (ل) بلفظ: " ويحيي في سماء القتام" ، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٨) في (ل) بلفظ: " إلى أن" ، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

(٩) في (ل) بلفظ: " أعنت"، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٣ كما أثبته.

وصحب فكان[١] في المخاوف نعم الأنيس الصالح، وباشر اللمم فهو على الحقيقة بين فرق الهدى والضلال واضح، وأغاث في كل فصل فهو إما لغمده سعد الأخبية وإما لحامله سعد السعود وإما لضده سعد الذابح، يجلس على رؤوس الأعداء قهرا، ويقلب أمور الأجساد بطنا وظهرا، ويطفي بنطقه أشعته من أحقاد[٢] النفوس جمرا، ويشرح أنباء الشجاعة قائلا للقلم: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٣].

فكل فخر غير فخره ممنوع، وكل حديث غير حديث شرفه بمن حمله موضوع[٤]، وكل متشبه بلباسه مفتضح[٥]، وكيف لا وقد فضح التطبع سيمة المطبوع وهل يفارق من وقف الموت ببابه، وعُضت الحرب الضروس بنابه[٦]، وقُذفت شياطين القراع بشهبه ومنح آيات جليلة منها طلوع الشمس من غربه، ومنها أن الله أنشأ برقه فكان للزائد مربع ا[٧] وللمارد مصرعا[٨] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٩].

فيا بشرى لمن ترك عناده، وكفي جلاله وجلاده، فكم اتخذ من جسد طرسا[١٠] وكتب عليه حرفا لا ينسى، فيه للألباب عبرة، وللأذهان[١١] السابحة غمرة بعد غمرة،

---

(١) في (ل) بلفظ : " فما كان"، وهذه الفقرة غير موجودة في خزانة الأدب .

(٢) في (ل) بلفظ : " أحفاد".

(٣) سورة الكهف آية رقم "٨٢" .

(٤) في (ل) بلفظ : " بمن حمله الموضوع "

(٥) في(ل) بلفظ : "بباسه " .

(٦) في (ل) بلفظ : " وعض الحرب الدروس بنابه"، وفي خزانة الأدب ١ /٢٣٣ كما أثبته .

(٧) المربع والمرتبع والمتربع : الموضع الذي ينزل فيه أيام الربيع. انظر لسان العبر مادة " ربع ".

(٨) هكذا في (ل) وفي خزانة الأدب ١ /٢٣٣ بلفظ : "فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا" .

(٩) سورة الروم آية رقم "٢٤" .

(١٠) الطرس : الصحيفة ويقال : هي التي محيت ثم كتبت. انظر لسان العرب مادة "طرس" .

(١١) في (ل) بلفظ : " الأذهان " ، وفي خزانة الأدب ١ /٢٣٣ كما أثبته .

وللأقلام مخبر أنها لا تنال من إفرنده[١] المشبهة بأجنحة الطير مثقال ذره .

أقول هذا وأستغفر الله العظيم من لفظ يجمح ، ورأي إلى الخصام يجنح ، ولسان يحوجه اللدد إلى أن يخرج فيجرح ، وأتوكل عليه في ضرب الباطل ، وأسأله الإعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه[٢] .

ثم اختبأ ببعض الخمائل ، وتمثل بقول القائل :

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه ... فإني رأيت السيف أفصح مقولا

فلما سمع القلم خطبته الطويلة الطائلة ، وبسطته[٣] الجليلة الجائلة ، وفهم كتابته كتابته وتلويحه ، وتعريضه بالذم وتصريحه ، وتعديله الحديث وتجريحه ، استغاث باللفظ النصير ، واحتد وما أدراك ما حدة القصير ، وقام في دواته وقعد ، واضطرب على وجه القرطاس وارتعد ، وعدل إلى السب الصراح ، ورأى أنه إن سكت تكلم ولكن بأفواه الجراح ، فانحرف إلى السيف وقال : أيها المضر بطبعه ، المغتر[٤] بلمعه ، الناقض حبل الإنس بقطعه ، الناسخ بهجيره من العيش فيئا ، السراب الذي ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[٥] ، الحبيس الذي طالما عادت عليه عوائد شرِّه الكمين الإبليس الذي لو أمر لي بالسجود لقال : ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٦] ، أَتُعرِّض

---

(١) الإفرند : وشي السيف .

(٢) الظلف : ظفر كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها والجمع أظلاف . انظر لسان العرب مادة ظلف.

(٣) هكذا في (ل)، وفي خزانة الأدب ١/٢٣٤ بلفظ : "ونشطته". والبسطة الزيادة و السعة. لسان العرب مادة"بسط" .

(٤) في (ل) بلفظ : "المغر" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٤ كما أثبته .

(٥) سورة النور آية رقم "٣٩".

(٦) سورة الأعراف آية رقم "١٢" .

بسبي[١]، وتتعرض لمكايد حربي، ألستُ ذا الخدع البالغة والحرب خدعة، والمنن النافعة ؛ ولا خير فيمن لا تبغي الأنام نفعه[٢]؟ ألستُ ذا الجود والإجادة؟ ألست المسود في أهل السيادة ؟ أما سمعت قول القائل :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والإقداما

والساعي في تدبير حال القوم، والمفني لنفعهم[٣] العمر إذا كان نفعك يوما أو بعض يوم، فاقطع عنك أسباب المفاخرة، واستر من نابك في هذه المكاشرة، فما يحسن للصامت محاورة المفصح، والله يعلم المفسد من المصلح، على أنه لا ينكر لمثلك التصدي، ولا يستغرب منه على مثلي التعدي، وما أنا أول من أطاع الباري فتجرأت عليه، ومددت يد العدوان إليه، أولست الذي قيل فيه :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

قد سلبت الرحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وجلبت القوة فكم هيجت سبَّة حمراء وأثرت دهماء[٤]، وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا[٥] !!، وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا !!، أين بطشك من حلمي وجهلك من علمي وجسمك من جسمي !!

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذاك جسمي وجسم صيغ من بهق

أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة، ورؤيتك الشنعاء من رؤيتي الجميلة، أين لون المشيب من لون الشباب، وأين نذير الأعداء من رسول الأحباب، وهل أنت

(١) في (ل) بلفظ : "لسبي" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٤ كما أثبته .

(٢) في (ل) بلفظ : " ولا خير فيمن ينفي الآثار نفعه" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٤ كما أثبته .

(٣) في (ل) بلفظ : " لنفعها "، وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٥ كما أثبته .

(٤) في (ل) بلفظ : " وجليت للقسوة فلم تنتخب سنة حمراء واترت دهماء " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٥ كما أثبته .

(٥) في (ل) بلفظ : "كالظفر لونا" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٥ كما أثبته .

مجود إلا عند فتنة ثائرة، وهل ينتظر فقار ظهرك إلا أن[١] يفعل بها فاقرة، وهل أنت إلا شطأة[٢] بعد اليمين، وهل قطعت إلا بحد صاحبك بين فرث ودم ولولاه لما قطعت في اللين، هذا وكم أُكلت الأكباد غيظا، وحميت الأضغان[٣] قيظا، وشكوت[٤] الصدأ فسقيت ولكن شواظا من نار، وأخنت عليك الأيام حتى انتعل بأبعاضك الحمار[٥] وأنت الآن تموه وشأنك التمويه الظاهر، وتمخرق في الوصف والمخاريق[٦] من أوصاف البواتر، لقد طمحت[٧] قول القائل:

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي اللاعبينا

ولولا تعرضك إلي[٨] لما وقعت في المقت، ولولا إساءتك لما كنت تصقل في كل وقت، فدع عنك هذا الفخر المديد، واغضض من عنان هذا البذخ للحديد، وتأمل وصفي إذا كشف عنه الغطاء فبصرك اليوم حديد، واسمع قول ابن الرومي[٩]:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمـــم[١٠]

---

(١) في (ل) بدون حرف " أن" .

(٢) يقال: أشطأ الشجر بغصونه أخرجها وأشطأت الشجرة بغصونها إذا أخرجت.انظر لسان العرب مادة "شطأ" .

(٣) في (ل) بلفظ: "الأظفار" وفي خزانة الأدب ٢٣٥/١ كما أثبته .

(٤) في (ل) بلفظ: "وسكوت" وفي خزانة الأدب ٢٣٥/١ كما أثبته .

(٥) في (ل) بلفظ: "وأحنت عليك حتى ابتلع بأضلاعك الخمار" وفي خزانة الأدب ٢٣٥/١ كما أثبته .

(٦) المخاريق: واحدها مخراق، ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة . انظر لسان العرب مادة "خرق"

(٧) طمح بصره إلى الشيء ارتفع . انظر لسان العرب مادة "طمح" .

(٨) في (ل) بدون حرف الجر " إلى" ، وفي خزانة الأدب ٢٣٥/١ بإثباته .

(٩) هو: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، له ديوان شعر، اختصره كامل الكيلاني وسمى المختصر: " ديوان ابن الرومي"، توفي سنة ٢٨٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢٩٧/٤ .

(١٠) هذا البيت غير موجود في (ل) وأثبته لمقتضى الفائدة .

فالموت والموت لا شيء يعادله ما زال[١] يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام مذ بريت إن السيوف لها مذ أرهفت[٢] خدم

فلما سمع السيف قوله، ورأى جراءته وصوله، وثب على قده، وكاد الغضب يخرجه عن حده، وقال: أيها العبد الزنيم، والفرع اللئيم، والظالم فإذا جاء الجد أجفل إجفال الظليم، والمتطاول على قصوره، والماشي على طريقة غروره، والمتعرض مني إلى الدمار، والمتحرش بي[٣] على الحقيقة كما تقول العامة: ذنبه قش ويتحرش بالنار.

أعلى مثلي تجتري، وبين يدي تفتري، لقد تعديت طورك، وأبعدت في المين[٤] غورك، وتكثرت على صغر حجمك، وتنفخت على ضئالتك وسقمك، وتشدقت ملأ فيك، وظهر حمقك ورأيي فيك[٥]، وشمرت عن ساقك فاعترتك الغمرات، وأتعبت[٦] نفسك فيما لا تدرك إلى أن أذهبها البري حسرات.

أو لست الذي طالما أرعش السيف[٧] بالهيبة عطفك، ونكس للخدمة رأسك وطرف، وأمر بعض رعيته وهي السكاكين فقُطع قفاك وشُق أنفك، ورفعك في مهمات خاملة[٨] وحطك، وجذبك للاستعمال وقطك.

---

(١) في (ل) بلفظ: "ما نال" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ كما أثبته .

(٢) في (ل) بلفظ: "أرهفت" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ كما أثبته .

(٣) في (ل) بلفظ: "في" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ كما أثبته.

(٤) المين : الكذب . انظر لسان العرب مادة "مين" .

(٥) في (ل) بلفظ: " وراقيك " .

(٦) في (ل) بلفظ: "وأبعت" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ كما أثبته .

(٧) في (ل) بدون كلمة: "السيف " وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ بإثباتها، وأثبتها هنا لاقتضاء الكلام الآتي وجودها .

(٨) في (ل) بلفظ: "حالمة" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٦ كما أثبته .

فليت شعري كيف جسرت وحشرت، وعبست على مثلي وبسرت[١]، وعارضتني وأنا القوي وأنت الأضعف، وأنا الجلي وأنت الأعصف وأنت السوقة وأنا الملك، وأنا الصادق وأنت المؤتفك، وأنت للهزل وأنا للجد، وأنا للوشل[٢] وأنت للعد، وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك، وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك، وأنت للفلاحة وأنا للفلاح، وأنت حاطب الليل من نفسه وأنا ساري الصباح، وأنا الباصر وأنت الأرمد[٣]، وأنا المخدوم الأبيض وأنت[٤] الخادم الأسود. أقسم بمن صير في قبضتي أنواع اليمن المسخرة، وجعل شخصك وشخصي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[٥] إنك عن بلوغ شأني لأذل رتبة[٦] وعن بري كفي[٧] لأخيب طلبة، فإني لأستظرف قول أصحابك أرباب الكتبة حيث قالوا:

يرتشف الرزق به   من شق تلك القصبه[٨]

---

(١) بسر يبسر بسرا وبسورا: عبس، ووجه بسر: باسر، وصف بالمصدر، وفي التنزيل العزيز: ووجوه يومئذ باسرة. لسان العرب مادة "بسر".

(٢) لعل المراد: أنا لجلب النفع الكثير، قال ابن منظور: "ناقة وشول كثيرة اللبن يشل لبنها من كثرته أي يسيل ويقطر من الوشلان وناقة وشول دائمة على محلبها. لسان العرب مادة "وشل".

(٣) الرمد وجع العين وانتفاخها رمد بالكسر يرمد رمدا وهو أرمد ورمد والأنثى رمداء هاجت عينه. لسان العرب مادة "رمد".

(٤) في (ل) بلفظ: "وأنا الخادم" وفي خزانة الأدب ٢٣٦/١ كما أثبته.

(٥) سورة الإسراء، الآية رقم "١٢".

(٦) في (ل) بلفظ: "لأدل رتبة" وفي خزانة الأدب ٢٣٦/١ كما أثبته.

(٧) في (ل) بلفظ: "توا كفي" وفي خزانة الأدب ٢٣٦/١ كما أثبته.

(٨) الأبيات بجملتها في خزانة الأدب هكذا:

أف لرزق الكتبـــــه   أف له مـا أصعبـه=

إن عاينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب، أو البلاغة سحرت إذا أفلحت فأنت ساحر كذاب، أو فخرت بتقييد العلوم فما لك منها سوى لمحة الطرف، أو برقم المصاحف فإنك تعبد الله فيه على حرف، أو جمعت عملا فإنما جمعك للتكسير، أو رفعت إليّ طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير، وهل أنت في الدول إلا خيال تكتفي الهمم بطيفه[1]، وريح لا تقنع لوردها استجابة ضيفه[2]، وأصبع يلعق به الرزق إذا أكل الضارب بقائم سيفه، وساع على رأسه قل ما أجدى، وسارٍ ربما أعطى قليلا وأكدى، ثم وقف وكدا[3]، أين أنت من[4] حظي الأسنى، وكفي الأغنى، قال أبو حاتم الطائي يمدح بعضهم:

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله[5]
ولو أن ما في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وما خصصت به من الجوهر الفرد، إذا عجزت أنت عن العرض الأدنى، كم برزت فما أغنيت في مهمة، وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة إلى ظلمة.

=يرتشف الرزق بـه من شق تلك القصبه
يا قلما يرفـع في الطرس لوجهي ذنبه
ما أعرف المسكين إلا كاتبا ذا متربـه

(١) في (ل) بلفظ: "خيال لا تلتقي الهمم بطيفه"، وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ: " وريح لا يقنع لوردها استجابة ضيفه". ولعل المقصود: لا تشجع الضيوف على إجابة العدوة.

(٣) في (ل) بلفظ: "وكدى" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ بلفظ: "وأكدى" ولعل ذلك تصحيف " وكدا " مصدر وكد بمعنى قصد، فيكون المعنى: ثم وقف وقصده. انظر لسان العرب مادة "وكد".

(٤) في (ل) بلفظ: "عن حظي" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ: " تعود بسط الكف حتى لو أنه .. ثناها لقبض لم تطعه أنامله " وفي صبح الأعشى للقلقشندي ٩/٤٣٤ كما أثبته.

وهب أنك كما قلت: مفتوق[١] اللسان، شقي الجنان، مداخل بمخلبك بين ذوي الاقتناص[٢]، معدود من شياطين الدول في الطرس[٣] والنقس[٤] بين بناء وغواص، فلو[٥] جريت خلفي إلى أن تحفى وصحت بصَرِيرَك إلى أن تخفت وتخفى، فما كنت مني إلا بمنزلة المدرة[٦] من السماك الرامح[٧]، والبعرة على تيار الخضم الطافح، أضعك وأرفعك، وأضرك وأنفعك، أحملك على الجماح[٨]، وأعمل إذا ذهب قولك في الرياح. وأشتم بالأفعال لا بالتكلم، فقل الآن ما شئت أن تتقوله، واحمل قشك مني على ما أردت أن تحمله.

فلا تعد نفسك بمعجزي[٩] فإنك ممن يمين، ولا تحلف أن ستنصر علي فليس لمخضوب البنان يمين، ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلي[١٠] الأكبر، وقدري الأخطر، وتؤمن بمعجزتي[١١] التي بُعثت منك إلى الأسود والأحمر، لتستوجب حقا

---

(١) في (ل) بلفظ: "مفتون اللسان" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ: "مداخل بتخليد ذوي الاقتناص" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٣) الطرس: الصحيفة.

(٤) النقس: ما يكتب به من مداد ونحوه. لسان العرب مادة "نقس".

(٥) في (ل) بلفظ: "فكم" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٦) المدر: قطع الطين اليابس، وقيل: الطين العلك الذي لا رمل فيه، واحدته مدرة. لسان العرب مادة "مدر".

(٧) السماك: نجم معروف وهما سماكان، رامح وأعزل، والرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال، والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب، وهما في برج الميزان، وطلوع السماك الأعزل مع الفجر يكون في تشرين الأول. لسان العرب مادة "سمك".

(٨) المراد: أحملك على الفرار والهرب، يقال: "جمحت المرأة تجمح جماحا من زوجها خرجت من بيته إلى أهلها". لسان العرب مادة "جمح".

(٩) في (ل) بلفظ: "بعجزي" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(١٠) في (ل) بلفظ: "لفضلي" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(١١) في (ل) بلفظ: "بمعجزي" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

وتسلم من نار حر تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى.

وإن لم يتضح لك إلا رأي الإصرار، وأبت حصائد لسانك إلا أن[1] تكبك في النار، فسود الله وجهك أكثر ما سوده، وأجراه من العكس على ما عوده، ولا حيا عزائمك القاصرة، ولا جمع بعقارب نفسك التي إن عادت فإن نعال السيوف حاضرة ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبي تمام[2]:

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد[3] بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق القلم حرجه[4]، وفهم مقدار الغيظ الذي أخرجه، وسمع هذه المقالة التي تَقطَّر من جوانبها الدم، ورأى أنه البادي بهذه المنافسة والبادي أظلم، رجع إلى خداعه، وتنحى عن طريق نزاعه، وعلم أن الدهر دهره، والقدر على الوقت قدره، وأنه أحق بقول القائل:

لحنها[5] معرب وأعجب من ذا   أن إعراب غيرها ملحون

فالتفت إليه وقال أيها المتلهب في قدحه والخارج عما نسب إليه من صفحه[6] ما ما هذه الزيادة في السباب، والتطفيف في كيل الجواب، وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب، أما كان الأحسن بك أن تترك هذا الرفث، وتلم أخاك على الشعث، وتحكم

---

(١) في (ل) بلفظ: "إلى أن" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٢) جبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان، استقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة ٢٣١هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٦٥.

(٣) في (ل) بلفظ: "في جده الجد" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٤) في (ل) بلفظ: "جرجه" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٧ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ: "لحننا" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٨ كما أثبته.

(٦) في (ل) بلفظ: "في صفحه" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٨ كما أثبته.

كما زعمت أنك السيد، وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الذهب الجيد، أما تعلم أني معينك في تشييد الممالك، ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك، ونديمك في الاجتهاد، وقسيمك في تحصين البلاد والعباد، أما تدري أنني أتكلم بلسان مبعض عن قلب واد، أما تحقيق أني أهيم من القول في كل واد، فلذلك أقول من الاستطالة عليك ما لم أفعل، وأتحدث بالتقدم ولا أجعل، وأوهم الترفع عليك وهيهات الرفعة على من يرى أنه بالنجوم محلى وبالهلال منتعل.

أما أنَّا للمليك كاليدين، أما نحن في تشييده كالركنين، أما نحن في انعدال دهره كالشمس والقمر، أما نحن بشخصه القائم بمنزلة السمع والبصر، فاستغفر الله مما فرط من مقالك، وانتفض عن عوائد احتمالك، ولا تشمت بنا الأضداد، ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الأرض إن الله لا يحب الفساد، واغضض الآن من خيلائك بعض الغض، ولا تشك أني قسيمك وإن قيل لك: يا صنعة داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، وإن أبيت إلا أن تهدد[1]، وتجرد لدي وتحدد، فإني أذكرك بمحلنا من اليد الشريفة، العالية المولوية السيدية المالكية المخدومية المنيفة، أيد الله نعمها، وجازى[2] بالإحسان همها، وأمضى في الآمال والآجال سيفها وقلمها، ولا عطل مشاهد المدح في أنسها، ولا أخلى فرائد الجود والكرم من لزوم خمسها.

فأقسم مِنْ بأسه[3] بالليل وما وسق، ومن بشر وجهه بالقمر إذا اتسق، وبسيوفه فإنها العاديات على العدا، وبأقلامه فإنها الموريات بأشعة مدادها على طول المدى، لو تجاور[4] الأسد والظباء بتلك اليد لوردا في منهل، وربعا بالأمن في روض لا

---

(١) في (ل) بلفظ: "إلا تهدد" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٨ كما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ: "جارى".

(٣) الضمير عائد على صاحب اليد السلطانية.

(٤) في (ل) بلفظ: "ولو تحاور" وفي خزانة الأدب ١/٢٣٨ كما أثبته.

يجهل [١] ، ولو جاء إليها النهار لما راعه الدجى بزجر، أو الليل لما غلب على خيطه الأسود الخيط الأبيض من الفجر.

وعلى ذلك فما ينبغي لنا بتلك الأنامل إلا سلوك الدب، والمعاضدة في ذلك الأفق على الأزمان والنوب، والاستعانة على الحق ولا حرج، هذه نصيحتي إليك والدين النصيحة، والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصحيحة، ويجعل بينك وبين الغي حجابا مستورا، وحسبك ما تقدم من اللفظ وكان ذلك في الكتاب مسطورا .

فعند ذلك نكس السيف طرفه، وقبل خديعة القلم ولأمر ما جدع قصير أنفه[٢]، ورقت معاطفه ولا تخلو الرقة من مثله، ولان وما يزيد لين السيف إلا في فضله، وأمسك خيفة الزلل، واستعاذ من الخلل، فإن السيوف معروفة الفلل، وقال: أيها الضعيفُ الجبار، والطرير[٣] الطرار[٤]، والبازغ في ليل المداد نجما وكم في النجوم غرار، لقد تظلمت من أمر أنت البادي بظلمه، وتضررت من فتح أمر أنت السابق على فك ختمه، وتورطت في مهالك ما كان ينجيك منها إلا الرجوع، وتشهرت في مواقف ما كان ينقذك من بأسها إلا زخرف العذر وسجدة الخضوع، وقد فهمت ما

---

(١) في (ل) بلفظ : "لا في مخمل" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٨ كما أثبته .

(٢) يقال في من استعمل حيلة لنيل مرامه، قالته الزباء حين رأت قصيراً مجدوعاً وكان أبوها الريان الغساني ملكاً على الحَضر فقتله جذيمة الأبرش وطرد الزباء إلى الشام، فلحقت بالروم وبلغت من همتها أنها جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى دار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وقتلته، وكان لجذيمة وزير اسمه القصير فاحتال في قتل الزباء، فجدع أنفه وضرب جسده ورحل إليها زاعماً أن عمرو ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وأنه لجأ إليها هارباً منه مستجيراً بها، ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها، ثم وضع رجلاً من قوم عمرو في غرائر أي جواليق وعليهم سلاح وحملهم على الإبل على أنها قافلة متجر إلى أن دخل بهم مدينتها فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلوه فعلمت حيلته وقالت: المثل . راجع الأمثال للمفضل الضبي ١/ ٣٤ .

(٣) الطرير: الجميل . لسان العرب مادة "طرر" .

(٤) الطرار : القاطع . لسان العرب مادة "طرر" .

ذكرت من أمر اليد المخدومية الناصرية ونعم ما ذكرت، وأحسنت بما أشرت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، وصفحت عن قولك الأخشن، ورددتك إلى أمك الدواة كي تقر عينها ولا تحزن[1]، وسألت الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد تماما على الذي هو أحسن ، فإنها اليد التي قيل فيها :

لو أثر التقبيل في يد منعم   لمحا براجم كفها التقبيل

والراحة التي :

تسعى القلوب لغوثها ولغيثها   فيجيبه التأمين والتأميل[2]

والأنامل التي علمها الله بالسيف والقلم، ومكنها من زينتي العلم والعَلَم، ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن ولا ولم[3]، ولولا أن هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق إلى غاية الفضل، ومدحه الذي إذا جر ذيله ودَّ الفضل، لو تمسك منه بالفضل لأطلت[4] الآن في ذكر مجدها الأوضح، وأفصحت في مدحها ولا ينكر لمثلها إن أنطقت الصامت فأفصح :

الله اكبر ما أبر أنامل   تملي بدائع فضلها فتقول

ثم إنك بعدما مضى من القول المديد، والمجادلة التي عز أمرها[5] على الحديد، أقررتَ أننا للملك كاليدين، ولم تقر أينا اليمين، وفي آفاقه كالقمرين ولم تذكر أينا الشمس الواضحة الجبين، وأسريت حشوا في أربعا، وزهدا في أينعا، وجرئت على

---

(١) في (ل) بلفظ : "ورددتك من الدواة إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن"وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٩ كما أثبته.

(٢) في (ل) بلفظ : "لسعى الطلوب لغوثها ولغيثها ... فتجيبه التأييد والتأميل" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٣٩ كما أثبته.

(٣) في (ل) بلفظ : "بعد أن لولاه لم" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

(٤) في (ل) بلفظ : "لأظلت" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ : "أميرها" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

سحب وهرك[١] والميل، وطوارق نفسك ونعود بالله من طوارق الليل، وما يشفي ضناي ولا يروي صداي، ولا يفرج كربي، ولا يفرغ عن قلبي ؛ إلا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمه، ولا يتهم فهمه، فيظهر لنا المفضول من الفاضل، ويقصر عن القول المناظر، ويستريح المناضل ، وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام[٢] الأشرف، الذي أشرت إلى يده الشريفة، وتوسلت بمحاسنها اللطيفة، فإنه مالك زمامنا، ومنشئ غمامنا، ومصرف كلامنا[٣]، وحامل أعبائنا[٤]، الذي ما هوى الهوى، وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ، ليفصل الأمر بحكمه ، ويقدمنا إلى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه، وتخمد هذه الفتن المضطرمة ، ويكون قريبا قربا من لقطه لشهده، إذ يناقر الأول لعلقمه .

فقدم خيرة الله على هذا الاشتراط، وقل بعد تقبيلنا الأرض له في ذلك البساط[٥] خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط .

فنشط القلم فرحا، ومشى في أرض الطرس مرحا، وطرب لهذا الجواب، وخر راكعا وأناب ،وقال: سمعا وطاعة، وشكر الله مسعي هذه الساعة، يا برد ذاك الذي يرضى على كبدي، الآن ظهر ما تبغيان، وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان، وحكم بيننا الرأي المنير، ونبأنا بحقيقة الأمر ولا ينبيك مثل خبير، ثم تفاصلا على ذلك، وتراضيا على ما يحكم به المالك، وكانوا أحق بها وأهلها .

---

(١) في (ل) بلفظ : "وهراك" ولعله تصحيف "وهرك" بمعنى : تهورك. لسان العرب مادة "وهر" .

(٢) في (ل) بلفظ : "المقر" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

(٣) كرر الناسخ في هذا الموضع لفظ " وكلامنا " .

(٤) في (ل) بلفظ : "وحامل عيبتنا" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

(٥) في (ل) بلفظ : "وقل بعد تقبيلنا الأرض له إذاك البساط" وفي خزانة الأدب ١/ ٢٤٠ كما أثبته.

وانتبه المملوك من سنة فكره، وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة في سره، والله تعالى يديم أيام مولانا التي هي نظام المفاخر، ومقام المآثر، وغوث الشاكي وغيث الشاكر، ويمتع ذوي الاستحقاق بهممه الزكية التي لا تعقد على عدة الخناصر، وأبوابه العلية التي تقوي بها وانتصر من لا قوة له ولا ناصر.

وصلى الله على سيدنا محمد ذي المفاخر وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم إني اطلعت على رسالة في القلم للهمام الفاصل، الجهبذ الفاضل، شيخ الإسلام عبد الله الشهير بابن طرسون فأحببت إيرادها بتمامها هنا كمالا للفائدة :

قال رحمه الله : سبحان من أعداد منحته بأنامل الأقلام ما نقدت، لو أن ما في الأرض من شجر قلم لكتبتها لما نفذت، حمدا لمن كلّ ألسن الأقلام في أفواه المحابر والدوي دون تحبير صفات كماله، وأثقل[1] أقلام ألسن الأنام في محابر أفهام الورى عند تحرير نعوت جلاله، ضاق عن إحاطة كتائب مدحاته ساح الألواح، ولم تن[2] بشمول أرقام مخلوقاته ألواح الساح، وصلاة على نبي حبر أنامله الكريمة قد جاد، مع أنه لم تصل[3] إليه بالتصاعد أبخرة المداد، نبع من بين أصابعه ماء ظِماء[4] كأنهن أقلام نبتت في منبع ماء، وعلى آله الكرام البررة، وأصحابه الفخام الخيرة، حماة مرابع الرواية، ورعاة مراتع الدراية، ما سرح على مسارح المهارق[5] مواشي المزابر[6]،

---

(١) في (ل) بلفظ : "وأنتل".

(٢) في (ل) بلفظ : "ولم ين".

(٣) في (ل) بلفظ : "لم يصل".

(٤) أي ماء عطاشا، والماء إذا لعطشان كانت نعمته أكبر وأعظم.

(٥) المهارق : جمع مهرق وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها، فارسي معرب.
انظر لسان العرب مادة "هرق".

(٦) المزبر : بالكسر "القلم".
انظر لسان العرب مادة "زبر".

وزمر[1] في مبرعة[2] البراعة عراة المحابر[3]. وبعد :

فإن ثلة من شجعان حروب الفصاحة، وجلة من فرسان سحوب الفقاحة[4]، قد أرخوا عنان العناية، لجياد أوصاف اليراعة، وأجروا خيول الخيال، في ميدان البلاغة والبراعة، طعنوا برماح الأقلام درية النون، وتراموا على بيضة الطرس بجريد السطر الموزون[5]، ثم تسابقوا وسبقوا، فتوافقوا وتفوقوا، فقطعوا جميع المدارك والمسالك، بحيث لا سبق غبار أحدهم بعد ذلك، ليس لفارس فطنة إن يباريهم، ولا لجواد فكرة أن يجاريهم ، لكن خطر بالبال أنه وإن سبق الكل، يكيفينا نبكي أن نجري خلفهم كالثكل، فسقينا كميت القلم على أثر سنابك[6] السابقين، وأجرينا جواد الهمم على جواد[7] هؤلاء الفائقين، فنقول وبالله التوفيق، وبيده قلم الهداية إلى أقرب طريق :

يا سائلا عن وصفه اسمع لما يتلى عليك
قد أصبحت أبناؤه مما سنويحه[8] إليك

إنه محبوب القلوب، مرغوب الأسلوب، ذو قدر شيق، ولسان طلق زليق، خطاطٌ، لطّف حواشي رقاعة، محقق في العقول، ومناشير أعماله موقعة بتوقيع القبول

(١) الزمر : التغني قال ابن منظور : " يقال للذي يغني الزامر والزمار ويقال للقصبة التي يزمر بها : زمارة " لسان العرب مادة "زمر" .

(٢) في (ل) بلفظ : "هبرعة " .

(٣) عراة المحابر : أي الذين يغشون المحابر ويطلبونها . راجع لسان العرب مادة " عرا " .

(٤) الفقاحة : التفتح في الكلام . لسان العرب مادة "فقح " .

(٥) أي قوموا سطر الطرس .

(٦) السنابك : جمع سنبك وهو طرف الحافر وجانباه من القدم . لسان العرب مادة "سنبك" .

(٧) الجواد هنا من الجودة بمعنى الروعة .

(٨) في (ل) بلفظ : "سنوحيها " .

نسخ أساطير السلف، وطوى طوامير الخلف، غلب ابن مقلة في كتابة العين والصاد، ورسم جواهر الحروف كالياقوت وأجاد، شاعر وكاتب ماهر في المنظوم والمنثور، ساحر ينفث العقد والحل في جميع الأمور، بارع في العلوم قد فاق أقرانه مهرا، حتى صار أعلم من ابن كيسان الحمرا، مفسر مشتغل في الآفاق، بالانشغال بسورة الانشقاق، وقد يفسر أول سورة العلق، وهو ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾[1]، ويكب على وجهه بتحقيقات موفورة، كأنه لقي آية السجدة في آخر السورة، محدث له السند العالي، من خمس طرق على التوالي، يروي عن الصحيحين فقط، حيث لم يشتغل بغيرهما قط، أصولي مذهب نسخ الكتاب بالحديث والحديث بالكتاب، ويجوز كون الناسخ أشق إذا كان فيه خير وثواب، فقيه تدرب في مسألة قاض إلى قاض، ونقل ما خطر بباله من السواد إلى البياض، فرضي ذو مفاخرة ومجافخة[2]، لمهارته في قسمة المناسخة، كلامي حرر رسالة للرؤية والكلام، وشرح المقاصد عند مواقف أصحاب الأحلام، اعتلى على درجات الكمال، وارتقى إلى طبقات الجلال، منطقي له شرح الإشارات، وتهذيب المنطق بألطف العبارات، بياني بيده مفتاح العلوم الأدبية، وبدائع الصنائع اللفظية والمعنوية، نحوي علم فاعليته مرفوع اللواء، صرفي جميع أفعاله صحيح البناء، محدث[3] ينقل الحديث الموضوع والصحيح، ويفند[4] للطلبة كلا القسمين على وجه التنقيح، قاض يقضي لصاحب البديهة أبدا، ولا يعتبر بشهود الخارج وإن كانوا أكثر من تفاريق العدا، واعظ يذكر عن أحوال الآخرة والأولى، ويقول اليد العليا خير

---

(١) سورة العلق الآيات "١ : ٤".

(٢) الجفخ: الكبر. لسان العرب مادة "جفخ".

(٣) في (ل) بلفظ: "مدرس".

(٤) في (ل) بلفظ: "ويفيد".

من اليد السفلى ، سالك مرتاض مرشد يشير على من حوله بالخلوة والرياضة والتقى ، ويتلوا قوله تعالى : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[١] .

المحبرة لما غلب عليها سوداوية الطباع ، غلغلت بسلسلتين محكمتين من الذراع ، فأحضر المدب ، للدوا خيار شنبر[٢] .

أو الدواة وعاء بدواء المسك ملآن ، والقلم أدخل أصبعه فيه ليذوق بطرف البنان.

أو الدوي حقاق ، مملؤة بمفرحات الدرياق[٣] ، قد يتناول منها القلم بالبلع مثل أصحاب المذاق.

أو القلم من جياد السباق والرهان ، شق أنفه ليتنفس عند الجري في الميدان.

أو مريض حصل في بطنه الديدان ، يسيل من فيه اللعاب في أكثر الأحيان.

أو ما يأخذه من السبابة والإبهام ، قوس مصنوع في عدة عظام ، لفت من جميع جوانبها بالعصب.

أو فيه سهم مصنوع من قصب ، يرمى إلى كل غرض يراد ، ويتناضل به ذووا الأيدي الشداد ، والعجيب أنه لا يتجاوز عن القوي ، بل يبقي عليه ذا تذبذب ونوس[٤] ، وإن نصله وموقه[٥] من طرف واحد ، وإن تأثيره يتساوى فيه الأقارب والأباعد.

---

(١) سورة الكهف آية رقم " ١٦ " . وفي (ل) بلفظ : "وأووا إلى الهكف ينشر لكم من رحمته مرفقا " .

(٢) من هذا الموضوع يشحذ صاحب الرسالة زند خياله ويتخير أدواته ، ليعرض تشبيهات مفردة أو مركبة للقلم وحده أو مع دواته . وخيار شنبر: ضرب من الخروب شجره مثل كبار شجر الخوخ .
لسان العرب مادة "خير" .

(٣) الدرياق والدرياقة : كله الترياق. لسان العرب مادة "درق" .

(٤) هذا من عطف المترادفات ، فالنوس : تذبذب الشيء ناس الشيء ينوس نوسا ونوسانا تحرك وتذبذب متدليا ، وقيل لبعض ملوك حمير: "ذو نواس" لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه . لسان العرب مادة "نوس".

(٥) مؤق العين وموقها مؤخرها وقيل : مقدمها. لسان العرب مادة " مأق" .

أو هو بخور طويل كأنه ملوي فتيل[٢]، وقد وُقِد طرفه حيث ظهر، ويتبخر به الكتاب من أكمام ثيابهم في بعض الأحيان.

أو شمع طويل مصون عن العيب والشين، وحافته[٣] فتيلة ملوية من غزلين رقيقين، نكس على رأسه للإطفاء فصار فتيلته سوداء، أو تهافت[٤] عليه فراشة فاحترقت، وبقيت في طرف الشمع وبه التفت[٥].

أو هو قز[٦] إذا خرج من فيه لسانه المشقوق الحد، يلدغ[٧] به سرائر القلوب إلى ظاهر البدن والجسد. أو عقرب شالت بذنبها على الهوى، فاحتاج الناس للسع زبانيتها إلى الدوا[٨].

لا، بل هو جبان، أكحل العين، لا يؤذي[٩] في الدور، استأنس[١٠] مع صاحب بيته فيمشي كيف ما يريد ويدور.

سام أبرص يستعمل دمه ورأسه للدوا، أو حريش[١١] يدخل آذان المقالم والدوا.

والدوا.

---

(١) مؤق العين وموقها مؤخرها وقيل: مقدمها. لسان العرب مادة " مأق" .

(٢) في (ل) بلفظ: "قتيل" .

(٣) في (ل) بلفظ : "حافته" .

(٤) تهاف : سقط . لسان العرب مادة " هيف" .

(٥) في (ل) بلفظ : "التفتت" .

(٦) يشبه القلم هنا بدود القز الذي هو دود الحرير .

(٧) في (ل) بلفظ : "يلذغ" .

(٨) في (ل) بلفظ : "الهوي" وهو: لبن داو ذو دواية ، كما في المعجم الوسيط، وعدلت عنه لتتجانس السجعة .

(٩) في (ل) بلفظ : "لا تؤذي" .

(١٠) في (ل) بلفظ : "استأنس" .

(١١) الحريش : دابة لها مخالب كمخالب الأسد وقرن واحد في وسط هامتها. لسان العرب مادة "حرش"

ساق حر[١] من ذوات الأطواق، يطير ويقع ويهدر على ساق.

عرق من عروق الليفة يمص[٢] العلق[٣]، ثم يدب يمينا وشمالا ويتقيأ على أمد الورق. كميت[٤] ينصب أذنيه ويلتفت إلى جانبيه من النشاط، حيث جيء به متخلع اللجام، إلى ممارق[٥] المهارق من الرباط.

أو القلم مزراق[٦] يزرق به ذوات الأطواق.

أو شيطانة ترمي[٧] بها بنادق النقط على مراقي الأوراق.

أو منفاخ من يراعة[٨] ينفخ به في نيران الصدور[٩]، مطروحا لتلهبها[١٠] على كانون[١١] الصحيفة عيدان السطور.

عمود دائرة هندية ينصب لفيء الزوال، ويستخرج به المدخل والمخرج للإظلال.

مقراض قطْع تقطع به حسان الحروف المقطعة، وتلزق بالصموغ العربية بالأوراق المتنوعة.

---

(١) ساق حر: علم على ذكر القماري. المعجم الوسيط باب "السين".

(٢) في (ل) بلفظ: "بمص".

(٣) قد يراد به هنا إما الدم الغليظ أو الطين.

(٤) الكميت من الخيل للمذكر والمؤنث: ما كان لونه بين الأسود والأحمر وهو تصغير أكمت ترخيما. المعجم الوسيط باب (الكاف).

(٥) أماكن المروق.

(٦) المزراق: الرمح القصير. المعجم الوسيط، باب "الزاي"

(٧) في (ل) بلفظ: "يرمي".

(٨) اليراعة: واحدة اليراع للقصب، والقلم يتخذ من القصب، والأجمة، والقصبة التي يزمر فيها الراعي .المعجم الوسيط باب "الياء".

(٩) في (ل) بلفظ: "الصدود".

(١٠) في (ل) بلفظ: "ليلهبها".

(١١) في (ل) بلفظ "الطانون"، والكانون: الموقد. لسان العرب مادة "كنن".

فزجار متلاصق القدمين لم يمكن انفراجهما قط، لكن تخطط به دوائر النونات على مراكز النقط. الصحيفة سطح رخامة أبيض ناصع، قد وضع عليه أظلال الأصابع عليها مقياس محرر، أدرج خيطه فيه لأنه مجور.

أو هو في مقلة محكمة الصيانة، كأنه أهزع جيد أخر في الكنانة.

جانبه الأسفل قُطٌّ، إذا أقرن مع النون يحصل النقط.

أطال لسانه إلى الحاضر والبادي، فقطعوا لسانه بالأيادي، يباري السيف والرمح العال، ويقول بلسان الحال، وما أحسن من قال:

مالي وللسيف إن السيف من خدمي ومن سيعدل[1] بين الرأس والقدم
شتان من في حياض المسك مرتعه ووالغ يتروّى من حياض دم
والرمح كيف يضاهيني ويرقبني ومجتني السم والدرياق ريق فم
ينشر رباي فتلتذ[2] الأنوف إذا نثرت مسكا على الكافور من كرم

قالب تفرغ فيه سبيكة البلاغة، ويصاغ منها جلي عرائس الكلام أحسن صياغة.

رسول صادق، بالحق ناطق، يحاكي بعض الأنبياء الكبار، في نُبذ من المآثر والمفاخر والآثار:

فكأنه آدم علمه الله الأسماء كلها، أو إدريس استكمل دقائق النجوم جلها، أو يوسف حصل لأخوته الكبار العشرة، عصبية له فالقوة في غيابة جب المحبرة، كلما سجنوه على الجبين، أخذ في البكاء والأنين، وبعد أن كان مهانا بين يديهم، فاق إخوانه وصار عزيزا عليهم، أو سليمان يطير في الهوى على سحابة الأنملة، ولديه رجل جراد قد أهديت إليه من واد النَمِلَة[3].

---

(١) في (ل) بلفظ: "ومن يعدل" ويستقيم الوزن العرض بزيادة السين.

(٢) في (ل) بلفظ: " بنشر دباي تلتذ" وهي غير واضحة، وحتى بالتقدير الذي ذكرته يكون الوزن منكسر أيضا.

(٣) التقدير من وادي الأرض النملة، والأرض النملة هي الأرض الكثير النمل. لسان العرب مادة "نمل".

أو موسى قذف في التابوت فقذف في اليم من الأنامل، ثم بعد ذلك قد ألقاه في الساحل. أو عيسى يتكلم في المهد وهو رضيع من الصبيان، ويدعي التجرد عن العلائق وقد كان عنده إبرتان[١].

أو كأنه سيد الأنبياء الكرام عليه وعليهم أزكى التحية والسلام، وعنده العشرة المبشرة الذين بايعوه تحت الشجرة[٢].

أو كأنه من الصحابة الأخيار، في رواية الأحاديث ونقل الأخبار. أو هو ملك عادل، لأنوشروان معادل، حين علق سلسلة، عند باب المحبرة من معدله[٣] وكان من أول أمره تخضع له النواصي والأذناب، ومن ريعان عمره يعنوا له كل ذي ظفر وناب، يرجع إليه وهو صغير السن مفطوم لم تنبت له أسنان، وتتحصن به الأسود وهو رضيع يحميها بالسيف والسنان، فلا شاهد هذه الأحوال، قد ألغز البعض فيه وقال:

وأرشق مرهوف الأنام مهفهف ينَبَثُ شملُ الخط وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا وتعنوا له أملاكها وتطيع
حمى الملك معطوفا كما كان يحتمي به الأسد في الآجام وهو رضيع[٤]

القلم ألف إذا أخرج من النون يحصل منه طم[٥].

ولكن إذا انكسر من حرفه الأعلى نصف السن لا لم يلم. وهو مع تصلفه بالتفوق على الأمثال، يضع على راحة العبودية والرق جبين الابتهال، بين يدي علامة العالم، ومقتدى الجميع من الأمم، شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، المعتمد على

(١) الأشبه بالقلم في هذا المقام هو الإبرة بمعنى المسلة ولا أدري ما علاقتهما بسيدنا عيسى عليه السلام.
(٢) لعله تشبيها للقلم وهو في وسط الصفحة ومن حوله الكلمات.
(٣) أي من أخلاقه المعدلة.
(٤) يشير إلى أصله وهو في الشجرة.
(٥) يحكي هيئته عند خروجه من الدواة.

عصا قدم الإفتاء باليمين، مولى يحل بأنامل الفتيا عقد مشكلات الأنام، التي يكل عنها حلها أسنان البيان وأظفار الأقلام، سلطان أفاضل الروم والعرب والعجم، [وكوس دواةً][١] وكوس قلمه[٢] العالي على رفع خيام الفضائل على دعائم الهمم، وربطه بأطناب السطور وأوتاد القلم، إذا قبض بنانه وكفه الأقلام والأوراق، يبسط لعباده الفقراء بأياديه الأرزاق، إذا أتعب القلم بالراحة، يفوز الناس بالراحة، ومن لسان القلم ينقل في هذا المعنى نظم أجل :

أنا أنبوبة القصب القويمة وذو قدر ومرتبة وقيمه
وحسبي رتبة أني عتاد بكف القرن ذو الرتب العظيمة
أرفه عن خناق الخلق مهما تخفقني أنامله الكريمه

القلم سمك في لجج بحار أنامله الشريفة، يرى تحريك ذنبه من هاتيك البحار اللطيفة، وقد كان القلم بيد ذاك المولى رقيقا، هم هو بكتابة فصار هو بذاك عتيقا[٣]، وهو مع كونه أشم العرانيين وضع على ساحة بابه الجبين، فعلى قدره بالتفات من جانبه العالي، وانهاض فصار[٤] ببابه كاتب الفتوى ينقل المسودة إلى البياض[٥]، ألا وهو دوحة روضة المجد والإقبال، المناضلة[٦] في بستان الفضل والإفضال، عتبته جنة عاليه، قطوفها دانية، وبيده الأقلام أشجارها مرفوعة، فواكه غير مقطوعة ولا ممنوعة

(١) لعل هاتين الكلمتين هنا خطأ من الناسخ، وتصحيح العبارة وكوس قلمه العالي على رقع، والكوس: المَشي على رجل واحدة ومن ذوات الأَربع على ثلاث قَوائم وقيل الكَوْسُ أَن يَرْفع إِحدى قوائمه ويَنْزُوَ على ما بقي.
(٢) في (ل) بلفظ : " وكوس دواة كوس قلمه" .
(٣) في (ل) بلفظ : "فهم هو بكتابته فصار هو بذاك عتيقا " ، أي معتوق .
(٤) انكسر . لسان العرب مادة : " هيض " .
(٥) أي عجز عن الكتابة عندما كسر القلم .
(٦) في (ل) بلفظ : " المناصلة" .

قد زهى أزهارها، وثنا أنوارها، ولله در مديح من مقال :

في مديح ذي الفضل والإفضال لقد غدا بسَنَاه للهـدى علمـا
وأيـد الشـرع حتى شـد جانبـه وشاد من ركنه مَن ثُلّ[1] وانثلمـا[2]

فصل[3]

قال العلماء: لا شيء أجل من القلم؛ لأن به يمكن إعانة السالف والماضي، ومن فضله وشرفه أنه تعالى القائل: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[4]، وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾[5] وفي الحديث: (خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة)[6].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما[7] في قول يوسف: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ

---

(١) ثل: هدم . لسان العرب مادة " ثلل " .

(٢) انسلم: انكسر . لسان العرب مادة : " ثلم " .

(٣) هذا الفصل ينقل فيه كلام الغزالي في التبر المسبوك.

(٤) سورة القلم آية "١ ، ٢ " .

(٥) سورة العلق آية"٢ ،٣ " .

(٦) أخرجه البزار في المسند حديث رقم "٢٦٨٧" عن عبادة بن الصامت بلفظ: " إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اجر، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بني إن مت على غير هذا دخلت النار "، وصححه الألباني . انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم " ٣٧٨٠ " .

(٧) هكذا في (ل) وفي (ع) دون الترضي .

وابن عباس هو: الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة٦٨هـ. الأعلام للزركلي ٤/٩٥.

ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[١] معناه: كاتب حاسب[٢].

والقلم صائغ الكلام. قال ابن المعتز[٣]: العلم معدن، والعقل جوهر، والقلم صانع، والخط صناعة[٤].

وقال بليانس[٥]: القلم طبيب الكلام، وقال جالنيوس: القلم طلسم كبير[٦].

وقال الإسكندر: الدنيا تحت شيئين: السيف والقلم، والسيف تحت القلم[٧]، والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم، وبه يعرف رأي كل إنسان[٨] من قريب وبعيد.

---

(١) هكذا في (ل) وفي (ع): ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ ﴾ سورة يوسف آية رقم "٥٥".

(٢) لم أقف عليه معزوًا إلى ابن عباس، أما المعنى، فحكاه غير واحد من المفسرين كالبغوي ٢٥١/٤

(٣) ابن المعتز: أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم وصنف كتبا، منها "الزهر والرياض" و"البديع - ط" و"الآداب. توفي سنة ٢٩٦هـ.
الأعلام للزركلي ١١٨/٤.

(٤) هكذا في (ل) و(ع): وكذلك التبر المسبوك ص٩٣، و خالفهما ابن عبد ربه في العقد الفريد، فقال: "قال بِشْر ابن المُعتمر: القلب مَعدن، والحِلْم جوهر، واللسان مُستنبط، والقلم صائغ، والخطّ صيغة" ٥١/٢.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) في (ل) و(ع): "وقال جالينوس: القلم طبيب الكلام، وقال بليسانس: القلم طلسم كبير"، وفي التبر: المسبوك ص٩٣، وفي صبح الأعشى للقلقشندي ٤٧٧/٢ هكذا: "وقال جالينوس: القلم الطلسم الأكبر... وقال بليناس: القلم طبيب المنطق". فالمناوي نسب قول كل من الرجلين للآخر.

(٧) جاءت هذه الحكمة في العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٧٦/٢، وعزاها لحكيم يوناني لم يسمه، والظاهر أنه غير الإسكندر؛ لأنه ذكرها بعد كلام ساقه للإسكندر معزوا إليه، ثم قال: قال بعض حكماء اليونان وذكرها.

(٨) في (ل) و(ع): "وبه يعرف كل اللسان"، وفي التبر ص ٩٣: "وبه يعرف رأي كل إنسان".

وقال بعضهم: القلم أحد اللسانين وأحد البيانين.

ومهما كان الرجل مجرباً للزمان، فإنه ما لم ينظر في الكتب لم يكن كامل العقل؛ لأن الإنسان في هذا العمر القصير كيف يدرك بتجربته الأمور؟ وكم[1] يمكنه أن يحفظ بقلبه[2] والسيف والقلم حاكمان في جميع الأشياء، ولولاهما ما انتظم أمر الدنيا. وأما الكُتَّاب، فلا يعرفون أكثر حداً من حدود الكتابة؛ ليصلحوا لخدمة الأكابر[3].

وقال الحكماء[4]: وينبغي أن يكون الكاتب عالماً بعشرة أشياء: بُعْد الماء وقربه تحت الأرض[5]، ومعرفة استخراج الأفياء[6]، ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما، ومسير القمرين والكواكب، والاجتماع، والاستقبال، والحساب بالأصالة، والهندسة، والتقويم، واختيارات الأيام، وما يصلح للمزارعين ومعرفة

---

(١) هكذا في (ل) وفي التبر ص٩٣ وأما في (ع) فبلفظ: "ولم".

(٢) كذا في (ل) و (ع): بتصرف من المناوي في كلام الغزالي، ففي التبر المسبوك ص٩٣: "لأن مدة عمر الإنسان معلومة، ومعلوم أيضاً أن في هذه المدة القريبة، والعمر قصير كم يمكنه أن يدرك بتجربته؟ ومعلوم أيضاً كم يمكنه أن يحفظ بقلبه".

(٣) في التبرك المسبوك ص٩٤: "وأما الكتاب، فلا يجوز لهم أن يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الأكابر".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "قال" دون الواو.

(٥) إنما اشترط في الكاتب أن يكون عالما بذلك؛ لأن كتابته هي لسان الملك المقروء، فإن جرى على لسان الملك الناطق تفضلا بمنح أحد رعاياه قطعة من الأرض تكريما له، وأمره بكتابة ذلك، وكانت هذه القطعة في ناحية غائرة الماء بحيث يشقى بها الممنوح بدلا من أن يستغني، وما ذلك إلا لجهل السلطان بطبيعة تلك الناحية، فإن أخطأ اللسان الناطق، فعلى اللسان المقروء أن يستدرك ذلك حتى لا ينسب النقص إلى الملك، ومنها كان علم الكاتب بهذه الأمور من كمال مهمته وتمام عمله.

(٦) كذا في (ع)، وأما في (ل) فبلفظ: "الأفنا"، وفي التبر المسبوك ص ٩٤: "الإفتاء" وما في (ع) هو الأقرب قال ابن منظور: "الفَيْءُ ما كان شمساً فَنَسَخَه الظِّلُّ والجمع أَفْياءٌ" انظر اللسان مادة "فيأ"، ويكون المراد معرفة حساب الزمن عن طريق ملاحظة الظل.

الطب والأدوية، وريح الشمال والجنوب، والشعر والقوافي.

وينبغي مع ذلك كله أن يكون الكاتب خفيف الروح، طيب اللقاء عالماً بُبراية[(١)] القلم وتدبيره، عالماً أي حرف يجوز أن يمده، وأي حرف يكون مجتمعاً متصلاً، ويكتب الخط مُبَيَنَاً، ويعطي كل حرف حقه[(٢)].

وقد كان لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عاملٌ، فكتب إلى عمرو بن العاص فلم يظهر سين بسم الله، فقال له عمرو: لولا سين بسم الله لم توجه[(٣)] إلى عملك.

وأول ما ينبغي أن يعلم الكاتب بُرآية القلم، فإن الإنسان إذا كان يحسن الخط ويعرف[(٤)] أن يبري القلم كان الخط صالحاً.

وكان لشاهان شاه الرَّي[(٥)] عشرة وزراء منهم الصاحب بن عباد[(٦)]؛ فاجتمع الوزراء على نكثه[(٧)]، واتفقوا على التضريب عليه، فقالوا: إن الصاحب لا يقدر أن

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " براة " والبراية خالفت المذكر " البراء " من حيث الصيغة فالقياس أن يقال: براءة. قال ابن منظور: " إن ضرباً من المؤنث قد يُرْتَجَلُ غيرَ مُحتَذًى به نظيره من المذكر فجرت البُراية مَجْرى التَّرْقُوَةِ وما لا نظير له من المذكر في لفظ ولا وزن "وفي المسألة تفصيل فليراجع في لسان العرب، مادة " برى

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " ويعطي يكتب الحرف مبينا ويعطي كل حرف حقه ".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " يتوجه "، وفي التبر المسبوك ص٩٤: " أظهر أولاً سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك إلى عملك".

(٤) في (ل) و (ع) بلفظ: "فإن الإنسان إذا كان يحسن الخط يحسن أن يبري القلم كان الخط صالحاً"، وفي التبر ص٩٤: "فإن الإنسان إذا كان يحسن الخط ويعرف أن يبري القلم كان الخط صالحاً".

(٥) في (ل) و (ع) بلفظ: " الرأي "، ولعل الصواب " الري " اسم مدينة.

(٦) ابن عباد هو: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة.ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه، له تصانيف منها: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، و عنوان المعارف وذكر الخلائف. توفي سنة ٣٨٥ هـ. الأعلام للزركلي ١/٣١٦.

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "بكته".

يبري قلمه ؛ فلما علم شاهان شاه ذلك جمعهم، وقال الصاحب الكافي[١] : أي أدب فيكم لم يكن لي[٢] مثله حتى تتحاسدوا[٣]، وهذا أبي علمني الوزارة، ولم يعلمني براية القلم، لكن هل فيكم من يقدر أن يكتب كتاباً بقلم مكسور الرأس فعجزوا كلهم عن ذلك . فقال له شاهنشاه : فاكتب أنت، فكسر رأس قلم، وكتب به درجا تاما، فأقر الجماعة بفضله واعترفوا به[٤].

وأجود الأقلام ما كان مستقيماً، أصفر، رقيق الوسط، والقلم المُحرَّف إلى الجانب الأيمن يصلح للخط العربي والفارسي، وخير الأقلام ما وصفه به يحيى بن خالد البرمكي في كتاب كتبه إلى يحيى بن ليث[٥] : قلم لا غليظ ولا دقيق، وسطه رقيق.

وينبغي أن تكون[٦] السكين التي يبرى بها القلم حادة، وأن تكون برايته على شكل منقار الكركي[٧]، والمقط الذي يقط[٨] عليه صلباً للغاية، والكاغد مساوياً صقيلاً، وأن يحاذي النقوش، وكل كلمة أزيد[٩] من ثلاثة أحرف يمدها ؛ لئلا يتوحش بذلك الخط، وأن تكون صورة الحروف يشبه بعضها بعضاً، ولا يقدر على ذلك إلا حكيم عاقل، ومن تعودت بذلك أنامله.

---

(١) لفظة الكافي زيادة على نص القصة في التبر المسبوك، ولعلها إدراج من الناقل.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ : " له " ، والأصح "لي" كما في التبر ص٩٤ .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " تتجاسروا " .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع): " اعتروا به" هكذا في التبر ص ٩٥ : " واعترفوا " .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " يكون " .

(٧) يمتاز طائر الكركي بطول منقاره وحدته، ويسميه بعضهم بطائر الكرك.

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " يعط " .

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " أريد " .

وكان عبيد الله بن أبي رافع[١] كاتباً لعلي كرم الله وجهه[٢] فقال: كنت أكتب كتاباً لأمير المؤمنين فقال لي: أطل دواتك وقلمك، ووسع ما بين السطور، واجمع ما بين الحروف.

وكان[٣] عبد الله بن جبلة [٤]كاتباً محسناً فقال لغلمانه: لتكن أقلامكم محرفة صفرًا، واقطعوا عقدها؛ لئلا تنعقد الأمور.

ولا يجوز إنفاذ كتاب بغير ختم؛ لأن إكرام الكتاب ختمه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما[٥] في قوله تعالى﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾[٦] أي: مختوم[٧].

ولما أراد المصطفى عليه السلام أن يكتب إلى العجم قيل له: إنهم لم يقبلون كتاباً إلا مختوماً، فأمر أن يُنقش له خاتمٌ ففعل[٨].

ولما كتب إلى النجاشي رماه على التراب، ثم أنفذه، فلا جرم أنه أسلم، ولما كتب إلى كسرى لم يلقه على التراب، فلم يسلم، وقال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (تربِّوا كتبكم، فإن التراب مبارك)[٩].

---

(١) في (ل) و(ع) بلفظ: عبد الله بن رافع، والصحيح كما أثبته قال ابن حجر: "عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان كاتب علي وهو ثقة من الثالثة) انظر تقريب التهذيب ٣٧٠/٢

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " رضي الله عنه " .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " قال " .

(٤) عبد الله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني، أبو محمد، فقيه إمامي، من أهل الكوفة، من كتبه: الرجال، والصفة في الغيبة، والفطرة، والنوادر، توفي سنة ٢١٩ . العلام للزركلي ٧٦/٤ .

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فدون الترضي .

(٦) سورة النمل آية "٢٩".

(٧) تفسير المقباس لابن عباس رضي الله عنهما ٣٩٦/١

(٨) خبر الختم أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم " ٦٥" .

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في الأدب، حديث رقم ١٣٩ ،قال عن الشعبي، قال: قال رسول الله صلى الله=

وإذا كتب كتاباً يقرأه قبل طيِّه، فقد يسبق القلم بخطأ فيُصلحه.

ويجتهد الكاتب أن يكون اللفظ قصيراً والمعنى كثيراً، ولا يكرر كلمة يكتبها، ويحترز من اللفظ الثقيل والوحشي.

وفي(١) الكتابة كتب كثيرة وهذا القدر فيه كفاية.

=عليه وسلم: تربوا كتبكم أعظم للبركة." ضعفه الألباني.

انظر: السلسة الضعيفة حديث رقم " ١٧٣٩ ".

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فدون واو العطف.

الباب الثامن

في سفرائه ورسله[1]

اعلم أن الرسول يدل على عقل مرسله، وهو عينه فيما لا يراه، وأُذنه فيما لا يسمعه ولسانه في غيبته، فيختار أفضل من بحضرته عقلاً، وسيرة، وبصيرة، وهيبة، وحسن منظر، وأمانة.

ولا يحجر عليه في شيء، فقد يرى عند المعاينة الصواب في غيره؛ ولهذا ورد في الأثر: (ليس الخبر كالمعاينة)[2]، فإن لم يتيسر أن يكون الرسول متصفاً بذلك، فليكن أميناً ثقة، لا ينقص ولا يزيد فيما أرسل به وإليه، وأن[3] يكون حافظاً لوصيته، واعياً لما يسمعه من الأخبار والأجوبة، فإن لم يكن كذلك؛ فليكن أميناً يؤدي الكتاب ويأتي بالجواب ـ ذكره بعضهم أخذاً من كلام أرسطو ـ.

وقال بعضهم: يتعين على الملك أن يختار[4] لرسالته من هو وافر العقل، سديد الجواب ذكي فطن يؤدي الرسالة من غير تَقيَّة، وإن كان فيها ما يوجب التقية أدَّاه بلطف، ولا يكون كثير الكلام ولا متسرعاً بالإجابة، ولا عجولاً، ولا ممن يُستمال

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "في سفراء الملك ورسله".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " ليس المعاينة كالخبر"، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند بلفظ (ل) حديث رقم " ١٨٤٢ "، وقال شعيب الأرنؤوط: "صحيح". انظر تعليقاته على مسند أحمد ١/٢٧١.

(٣) هكذا في (ع) وسقط حرف " أن" من (ل).

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تختار".

بالشهوات واللذات، وإذا رجع رسوله بجواب ينكره، فلا يُحْدث شيئاً حتى يرسل إلى المرسل كتاباً يحكي فيه كتابه أو كلامه حرفاً بحرف، ويبعثه مع رسول آخر، فإن الأول ربما ناله تقصير من المُرسَل إليه، فيحرض مرسله عليه، ويغريه به، أو أفرط في إكرامه، فيحسِّن أمره، ويزين خطأه، وهو بخلافه، وهو فيهما خائن لصاحبه.

ومن فطنة الرسول الموجبة لتعظيم مرسِله ما فعله القاضي أبو بكر الباقلاني(١) لَّما وجهه عضد الدولة رسولاً إلى ملك الروم؛ فإنه(٢) وصل البلد، فعلم الملك بمحِلِّه من العلم، وكان من عاداتهم أن الرسول إذا رأى الملكَ خَرَّ ساجداً، فخاف الملك أن الباقلاني لا يفعله فيكون(٣) ازدراءً به؛ فقعد على سريره من وراء باب لطيف لا يدخله إلا من جثا على ركبتيه، وحنى ظهره، وامتد على يديه، فيكون كالساجد؛ فلما دخل القاضي، وأذِن له بالدخول من ذلك الباب فطن لذلك، فاستدبره بعجزه، ودخل منه على تلك الصورة، ثم قام، واستقبل الملك بوجهه(٤).

ومن غلط الرسول استعماله الغِلَظة(٥) مكان التآلف.

حكي أن السلطان صلاح الدين لما فتح حلب خاف عز الدين بن مسعود زنكي(٦) صاحب الموصل على مملكته؛ فجنح إلى المسالمة وتوسل إلى السلطان بشيخ الشيوخ

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن الطيب، القاضي، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد فتوفي فيها.. من كتبه: الملل والنحل، وكشف أسرار الباطنية، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. انظر: الإعلام للزركلي ١٧٦/٦

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "فلما وصل".

(٣) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "فيكون من (ع).

(٤) راجع: القصة عند السمعاني في الأنساب ٢٦٦/١ .

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع): " الغلط ".

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "عز الدين مسعود بن زنكي"، وهو: أبو المظفر عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي، صاحب الموصل أمرها بعد وفاة غازى سنة ٥٧٦هـ، وبني بها مدرسة للشافعية والحنفية، ودفن بها توفي سن ٥٨٩ هـ .

عبد الحليم[١] شافعاً عن الخليفة الناصر[٢]، وندب معه من جهته القاضي محيي الدين السهرودي[٣]، فَلَزِمِ الغلظة في أخلاقه، والسقط في أقواله، وجانب الرفق في أفعاله، فلما[٤] اجتمع شيخ الشيوخ بالسلطان أجابه لسؤاله، وأمر بتحرير عقد الموافقة وأن يستثني فيها من بادر[٥] من تلك الجهة إلى طاعته، فلما وقف على الاستثناء تكثر[٦]، وقال: لا أفعل، فامتنع السلطان وبطلت الموافقة؛ فاستأذن الرسولان في المسير[٧]، فخلع عليهما، ووصلهما، وخرجا إلى المخيم، وأراد السلطان استعطافهما، وخرج إليهما ليمضي عقد الموافقة، فأعرض القاضي، وناء بجانبه، وأوقف[٨] الأمر على استأمار البلوان ملك العجم؛ فلما سمع السلطان بذكر البلوان استشاط غضباً، وركب ثم سار إلى الموصل فأخذها.

وقيل لأردشير: أي الأشرار أكبر سوءاً ؟ قال: الرسل الخونة الذين يخونون في الرسالة، ولا يؤدون الأمانة لطمعهم[٩].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) الخليفة الناصر هو: أبو العباس أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن بن المستنجد، الناصر لدين الله: خليفة عباسي بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥هـ، وطالت أيامه حتى إنه لم يل الخلافة من بني العباس أطول مدة منه. يوصف بالدهاء على ما في أطواره من تقلب.

(٣) لعله يقصد به: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري، أبو النجيب السهروردي: فقيه شافعي واعظ، من أئمة المتصوفين. ولد بسهرورد. وسكن بغداد. فبنيت له فيها رباطات للصوفية من أصحابه، وولي المدرسة النظامية. وتوفي ببغداد. له: آداب المريدين، وشرح الأسماء الحسنى، وغريب المصابيح. توفي سنة ٥٦٣هـ. الأعلام للزركلي ٤/ ٤٩.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : و"لما".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " من ديار".

(٦) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " تكبر".

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " العود".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ " ووافق".

(٩) راجع: التبر ص٨٢.

فلا ينبغي إرسال حريص على المال، فقد يرضيه المُرسَل له بالمال، فيطلعه بأسرار مرسله وأحواله، سيما إذا كان يشرب الخمر[١]، فقد يسقيه المرسل إليه، فيبوح بأسرار مرسله، فيفضحه، ويفسد تدبيره.

وقال بعض الحكماء[٢]: كل خراب المملكة من الرسل الخونة، كم من دماء سفكوها، وحرم هتكوها، وجيوش هزموها، وأموال اجتاحوها، ويمين كذبوها، وعهود نقضوها، وكم وكم ![٣]، وكان ملوك الفرس في هذا الأمر يتحفظون، ومنه يحترزون، وما كانوا يرسلون رسولاً إلا بعد اختباره وامتحانه، وكانوا يرسلون مع الرسول جاسوساً يكتب جميع ما قاله أو سمعه، فإذا عاد الرسول قابلوا كلامه بنسخة الجاسوس[٤].

حكي أن الإسكندر أرسل رسولاً إلى ملك الروم، وأعاد الجواب، فشك الإسكندر في كلمة من كلامه، فلزمها عليه، فقال الرسول: سمعتها منه بأُذني، فكتب الإسكندر ذلك اللفظ، وأرسله مع آخر إلى ملك الروم ؛ فلما قرأ المكتوب كشط تلك الكلمة وأعاد الكتاب إلى الإسكندر؛ وكتب إليه: إن أساس الملك حسن سُنَّة المِلِك وصحة طبعه، وأساس صحة السلطان على صحة السُّنة وصدق مقالة الرسل الأمناء؛ لأن الرسول إنما يقول على لسان الملك، وقد قطعت[٥] الكلمة؛ لأنها ليست من كلامي، ولم يمكن قطع لسان رسولك[٦]، فلما عاد، وقرأ الإسكندر الكتاب، قال للرسول الأول: ما حملك على إتلاف ملك بكلمة ؟ ثم سل لسانه من قفاه[٧].

---

(١) من يشرب الخمر فاسق لا يجوز جعله في هذا المنصب، ورحم الله المؤلف فهو ينقل النصوص على علاتها ولا يحققها.

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ: "الحكماء" من (ل).

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "كم سفكوا من الدماء، وكم هتكوا من الحرم، وكم هزموا من الجيوش، وكم احتاجوا من الأموال، وكم يمين كذبوها، وكم عهود نقضوها".

(٤) راجع: التبر ص٨٢.

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "تفهمت".

(٦) في (ل) و (ع) بلفظ: "ولم يمكن لسانك رسولك"، وفي التبر ص ٨٣ "ولم أجد سبيلاً إلى قطع لسان رسولك"

(٧) القصة في التبر المسبوك ص٨٣.

الباب التاسع

في سياسة الملك لخواصه وندمائه

ينبغي للملك أن يعامل خواصه بأربعة أمور يستميل بها قلوبهم، ويستخلص بها مودتهم ومناصحتهم:

الأول: السَّعة عليهم في الأرزاق، والصِلات على قدر مراتبهم وأعمالهم؛ لئلا يشغلهم الفكر في مصالحهم عن القيام بما ينتظم[1] بهم من أعمالهم.

الثاني: أن لا يكدهم في الأعمال المنوطة بهم، فإن النفوس لا تحتمل التعب الدائم.

حُكي أن صلاح الدين دخل يوماً الحمام وقت الظهيرة وأمين الصناديق غائب وقد ختم عليها، فخرج السلطان، وطلب ثياباً غير التي دخل بها، فقالوا: الأمين غائب انفتح الصناديق بحضرة الكتاب، ونخرج منها ما تلبسه؟، قال: لا، ولبس ثيابه الأولى، وما تأثر، ولا عاتبه.

الثالث: أن لا يؤاخذهم بكل تقصير فرط منهم، ولا ينزل الصغير من هفواتهم منزلة الكبير، بل يقيل العثرة، ويقبل المعذرة.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ينتظر".

الرابع: أن لا يقبل في[1] أحدهم سعاية حتى يستبري[2]، ويُنْعم[3] الفحص؛ لأن أعداءهم وحسادهم يستعملون لطائف الحيل وغوامضها في الإفساد عليهم.

فصل

وعلى خواص الملك أربعة أمور:

الأول: الطاعة له فيما قلَّ وجل.

الثاني: الوفاء له بأن يكونوا معه في السراء والضراء؛ ولهذا قال تعالى توبيخاً لأهل المدينة ومن حولهم: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾[4].

وقال مروان بن محمد[5] لكاتبه عبد الحميد[6] حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى أن تصير إلى عدوي وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك، واحتياجهم إلى كتابك[7] يحسن ظنهم بك[8]، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، إلا لم تعجز عن

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "ألا يقبل من أحدهم".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ "تستبري".

(٣) أنعم الفحص: أي دقق وحقق ولم يعجل، جاء في لسان العرب: "أَنْعَمَ النظرَ في الشيءِ إذا أطالَ الفِكْرَةَ فيه" انظر: لسان العرب، مادة "نعم".

(٤) سورة التوبة "١٢٠".

(٥) هو: مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، الخليفة الأموي، ولد سنة ٧٢هـ. قتل في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، وانتهت خلافة بني أمية.
راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩١/١١.

(٦) هو: عبد الحميد بن يحيى بن سعد، المعروف بالكاتب عالم بالأدب، من أئمة الكتاب. يضرب به المثل في البلاغة. له "رسائل" قتل سنة ١٣٢ هـ -. راجع: الأعلام للزركلي ٢٨٩/٣.

(٧) هكذا في (ع) وسقط قوله: "إلى كتابك" من (ل).

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فإن إعجابهم بأدبك واحتياجهم بحسن ظنهم بك".

نفع حرمي بعدي، قال[١] : إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحهم بي ؛ وما لي غير الصبر معك حتى أُقتل[٢] وأنشد :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره[٣]

الثالث: النصح له في أعماله وإجرائها على أكمل وجوهها .

الرابع : كتمان السر، وسر الملك نوعان: أحدهما: ما توجب السياسة[٤] التحدث به وإفشاءه، والثاني ما ليس كذلك.

فمن الأول: كل أمر أُبْهم على الملك عاقبته في أمر دولته أو الدول المطبقة[٥] به به ومنه ما يُفضي به الملك إلى كاتب سره حين قراءةِ وَوُرودِ[٦] الكتبِ عليه وإصدار جوابها عنه بخطه، وقد مر ما يختص بالكاتب والمسير، ويزيد ـ هنا ـ أنه على كل منهما

---

(١) هكذا في (ع) وسقط لفظ : " قال " من (ل) .

(٢) في (ل) بلفظ : " حتى أمثل" وفي (ع) بلفظ : " حتى قتل " ، وفي العقد الفريد ١/ ٢٣ : "وما عندي غير غير الصبر معك ، حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك " ، ولعل ما في (ل) و (ع) : من تصرف المناوي في العبارات.

(٣) في (ل) :

أسر وفاه وأظهره غدره فمن لي بغدر أوسع الناس ظاهر

وفي (ع)

أسرَّ وداد ثم أظهر غدره فمن لي بغدر يوسع الناس ظاهر

وفي غير النسختين :

أسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٣، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين اليوسي ١/ ٣٠٨، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط ١/ ١٦ .

(٤) هكذا في (ل) وسقط لفظ : " السياسة " من (ع) .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " المطينة".

(٦) في (ع) بلفظ : " ورود " دون واو العطف، وسقطت هذه الكلمة من (ل).

صيانة أسرار الملك كصيانته لمهجته، ويكتمها حتى ينساها.

وأما النوع الثاني : فمنه ما يظهره الملك لغلبة الشراب عليه[١]، وهذا المجلس ينبغي أن يجتهد الملك غاية

الاجتهاد في أن لا يحضره إلا أعظم الثقات عنده، وأحبهم إليه، ومن هو معدن للأسرار لا تستنفره الرُشى[٢]، ولا ينفع فيه التهديد ولو بالنار.

حُكي أن طاهر بن الحسين[٣] دخل على المأمون[٤] بعد قتله الأمين، وحسين الخادم قائم على رأسه، وقد نال منه الشراب حتى[٥] تغرغرت عيناه[٦]، وقال: قتلني الله إن لم أقتلْك، فلما وصله طاهر أقبل عليه، وباسطه، وقضى حوائجه، فبعث طاهر إلى حسين الخادم ثمانية آلاف درهم، وسأله عما قاله المأمون عنه فأخبره، فأعطى إلى الوزير ثلاثة آلاف ألف درهم على أن يوليه خراسان، ففعل حتى أبعد.

ومنه ما يظهره الملك لستر ما خلاه.[٧]

---

(١) شراب الخمر ونحوها من المسكرات حرام، ومن كبائر الذنوب، وكان الأجدر بالمؤلف ـ عفا الله عنه ـ عدم نقل هذه الجمل ، أو نقلها والتنبيه عليها.

(٢) في (ل) و (ع) بلفظ : " لا يستفزه الرشا"، والرشى: جمع رشوه .

(٣) هو: طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي توفي سنة ٢٠٧ هـ

راجع: الأعلام ٢٢١/٣ سير أعلام النبلاء للذهبي ٩٠/١٩ .

(٤) المأمون هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه. توفي سنة ٢١٨هـ. الأعلام للزركلي ١٤٢/٤ .

(٥) في (ل) و (ع) دون لفظ : " حتى " .

(٦) قال ابن منظور: "تَغَرْغَرَت عيناه تردَّد فيهما الدمع" مادة "غرر" .

(٧) في (ل) و (ع) بلفظ: " استر واخلا "، والموافق للسياق والقصة المحكية بعده، أن يكون ذلك تصحيفا لقوله: " لستر ما خلاه " .

حكي أن المأمون أراد ولاية يحيى بن أكثم[(١)] القضاء فأعلمه واستكتمه، فأفشى[(٢)] يحيى ذلك، فبلغ المأمون فلامه، فقال: أحببت أن لا يقع خلافَ مقصود أمير أمير المؤمنين؛ لأن الظنون المختلفة إذا تواترت[(٣)] على أمر مستور كشفت ستره؛ فأردت أن أشغلها بما أظهرته عما كتمته، وألمَّ ابن المعتز بهذا المعنى بقوله:

لما رأيتُ الدمعَ يفضحني وقضتْ عليه شواهدُ الصبّ
ألقيتُ غيرَكَ في ظُنونِهِمُ فسترتُ وجهَ الحُبّ بالحُبّ[(٤)]

ومنه إظهار الملك موجدته على بعض بطانته.

حُكي أن أحمد بن أبي خالد[(٥)] وزير المأمون سمع منه كلاماً غَضًّا فيه من ابن مسعدة[(٦)]، فأخبره، فتوجه إلى المأمون، واعتذر، وقال: عائذ بالله من سخط أمير

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " أكتم " بالمثناة الفوقية، وهو تصحيف " أكثم "، ويحيى بن أكثم: هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن، قاضي القضاة، الفقيه العلامة، أبو محمد، التميمي ثم البغدادي. ولد في خلافة المهدي، وَليَ القاضي البصرة، توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين. راجع: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ١١/١٥٨.

(٢) في (ل) و متن (ع) بلفظ: " فأشار"، وفي حاشية (ع) بلفظ " فأفشى".

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: " توارت ".

(٤) هكذا في ديوان ابن المعتز ١/٨٣، وفي زهر الآداب ٢/٣٥٤ وفي (ل) و(ع):

لما رأيت الحب يفضي رقصت - وفي (ل) وقفت - على شواهد الصب
أوقعت غيرك في نفوسهم وسترت وجـه الحب بالحب

(٥) هكذا في(ل) وأما في (ع) فبلفظ: أحمد بن خالد، قال الصفدي: " أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن أبو أبو العباس ابن أبي خالد الأحول الكاتب مولى عاصم بن الوليد بن عتبه بن ربيعة، أصله من الأردن. كاتب كتب لأمراء دمشق وترقت حاله إلى أن وزر للمأمون " انظر الوافي بالوفيات ٣/١١٩.

(٦) ابن مسعدة هو: أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأموم، فرفع مكانته، وأغناه. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي سنة ٢١٧ هـ. الأعلام للزركلي ٥/٨٦.

المؤمنين، فقال المأمون لوزيره: يا أحمد أما لمجلسي حرمة !، أخبر بعض الناس ابن مسعدة بما قلت أمس، قال: أنا أخبرته، قال: ما حملك على ذلك؟

قال: النصح لك لأن[١] تتم نعمتك على خدمك، ولعلمي بأن أمير المؤمنين يؤثر أن أصلح له الأعداء فضلاً عن الأولياء؛ فأخبرته ليتدارك ما فرط منه، قال: أحسنت.

وشكى بعض الملوك لمن يثق به أن أسراره تظهر، ولا يدري من يذيعها، فكتب في أوراق أخباراً ملفقة، وقال للملك: اختبر خواصك واحداً واحداً، بواحدٍ واحدٍ[٢] من هذه الأخبار، واكتب على الخبر اسم صاحبه الذي أفضيت[٣] به إليه لتعلم[٤] من يشيع، ومن يكتم.

---

(١) هكذا في (ل) و(ع)، وفي كتاب: إعتاب الكتاب لابن الأبار ص١٨، ورد بهذه العبارة: "الشكر لك والنصح والمحبة لأن تتم نعمتك على أوليائك وخدمك".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ "واحدا بواحد واحد من هذه الأخبار".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أقصيت"، والقصة مذكورة، وفي كتاب الأذكياء لابن الجوزي ١/٢٣.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "تعلم".

الباب العاشر

في سياسة الملك لعامته

اعلم أن العامة قطب العمارة، ومركز دائرة السياسة، وبكثرة عددهم تسكن البلاد الموحشة، وتسد الثغور المخوفة، وتظهر[1] آثار السياسة في الأقطار.

ومن السياسة في حفظ المدن : حراسة الطرق وحماية المترددين فيها ، وحفظ أبواب المدينة ، ومعرفة من يدخلها ومن يخرج ، فإن بيت المقدس أُخذ من المسلمين بعدم ضبط من يدخله ويخرج منه ، فإنه كان عادتهم للزيارة ، لكن لا يدخلون جملة بل شيئاً فشيئاً بعدد مضبوط ، فأهمل ذلك ، فهجموا وقت صلاة الجمعة والناس بالمسجد، فسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، وسبوا الذرية والنساء.

واعلم أن سياسة العامة القاطنين بالمدن وضواحيها على ثلاثة أنواع :

الأول : من هم[2] بإزاء القوة النطقية[3] وهم أصناف :

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " يظهر .

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " وهم .

(٣) والمراد بهم: الذين يجيدون الفكر والرؤية والتأمل والاستنباط، فضلا عن التعبير عن ذلك بما يجري على ألسنتهم من العبارات الفصيحة والجمل البليغة، كما يقال لمن يجيد تدبير المال: "هذا إزاء مال " . جاء في لسان العرب : "إنَّه لإزاءُ مالٍ إذا كان يُحْسِنُ رِعْيَته ويَقُومُ عليه " انظر: مادة "أزا" .

الأول: الوُعَّاظ، فعلى الملك أن يمنعهم من أن يذْكر أحدٌ في وعظةٍ ما يكون سبباً لإثارة فتنة.

حُكي أن الشهاب الطوسي[1] كان يعظ ببغداد، ويحضره نجاح شرابي[2] الخليفة الناصر، فسئل في مجلس وعظه عن ابن ملجم[3] هل كفر بقتل علي كرم الله وجهه[4]؟ فقال: لا، فرُجم من جميع أقطار المسجد وهمَّ العامة بقتله، فوقف نجاح بمن معه يمنعون عنه حتى أخرجوه، فأمر الخليفة بنفيه.

وينبغي أن لا يجمع الملك في بلدة بين واعظين؛ فإن الخلاف يقع بينهما، وينتصر لكل منهما بجماعة.

حُكي أن القزويني[5] مدرس النظامية ببغداد كان يعظ كل ثلاثاء، وكان

---

(١) هو: أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد بن شهاب الدين نزيل مصر وشيخ الشافعية توفي بمصر سنة ٥٩٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٣٨٩.

(٢) هو: عز الدين نجاح الشرابي قائد الجيوش في عهد الناصر لدين الله العباسي.، قال ابن الأثير في الكامل ٣٠٣/٥ ـ وهو بمعرض الحديث عن أحداث سنة خمس عشرة وستمائة ـ: "وفيها توفي عز الدين نجاح الدين الشرابي خاص الخليفة، وأقرب الناس إليه، وكان الحاكم في دولته، كثير العدل والإحسان والمعروف والعصبية للناس؛ وأما عقله وتدبيره فإليه كانت النهاية وبه يضرب المثل".

(٣) هو: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كان من شيعة علي بن أبي طالب بالكوفة وشهد معه صفين، ثم فعل ما فعل. لما دفن علي أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه، وكحلت عيناه ثم قطع لسانه ثم أحرق في قوصرة.
الوافي بالوفيات للصفدي ١١١/٦.

(٤) هكذا في (ل) وسقط قوله: "كرم الله وجهه" من (ع).

(٥) هو: أحمد بن إسماعيل القزويني، واعظ، عالم بالحديث، وكان إمامًا في فقه الشافعية. له: "التبيان في مسائل القرآن" رد به على الحلولية والجهمية، و"تعريف الأصحاب سواء السبيل". توفي سنة ٥٩٠هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٩٦/١

ابن الجوزي[١] يغض منه، ويطعن عليه، فتعب لهما الشافعية والحنبلية[٢]، وكان القزويني[٣] يقول على منبره: لا يكذب على الله وأنا حي يعرض بالتشبيه لابن الجوزي، فأمر الخليفة بعقد مجلس بينهما يحضره الشافعية والحنبلية، وسيّر[٤] ابن فضلان[٥] رسولاً إلى القزويني يقول له: هيئ كلاماً للمناظرة يفهمه الحاضرون وإياك والتدقيق، فقال[٦]: قل له جزاك الله عن نصحك لي وللإسلام خيرًا هيئ أنت كلاماً للمناظرة معه، فإني أفض[٧] عليك في مناظرته، فعُقد المجلس، فقال الوزير للقزويني: تكلم؛ فأشار إلى ابن فضلان، فقال لابن الجوزي: ما تقول في كلام الله القديم القائم بذاته هل هو حروف وأصوات أم لا؟ فقال: ليس الكلام عندك إلا ما كان من حروف؟! فأخرج ابن فضلان مصحفاً، وقال: ما تقول فيما بين الدفتين أهو كلام الله أم لا؟ فإن قلت ليس بكلامه كفرت، أو كلامه فما نرى إلا حروفا بغير أصوات! فأطرق ابن الجوزي طويلاً؛ ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾[٨]

---

(١) ابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها.له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار، والأذكياء وأخبارهم .توفي سنة ٥٩٧هـ .
الأعلام للزركلي ٣/٣١٦ .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " الحنابلة" .

(٣) في (ل) بلفظ " ابن الجوزي " مكان القزويني " ، وقوله : " وكان القزويني يقول على منبره : لا يكذب على الله وأنا حي يعرض بالتشبيه لابن الجوزي ، فأمر الخليفة بعقد مجلس بينهما يحضره الشافعية والحنبلية" مما زادته (ل) على (ع) .

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وصير" .

(٥) - هو: أبو القاسم يحيى الواثق بن علي بن الفضل بن هبة الله بن بركة، البغدادي، شيخ الشافعية.، كان بارعًا في الخلاف والنظر، مات سنة خمس وتسعين وخمس مئة. سير أعلام النبلاء ٢١/٢٥٧ .

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وقال" .

(٧) في (ل) بلفظ: " أفض" ، وأما في (ع) فبلفظ: " أنصر" .

(٨) سورة مريم "٥٢" .

والمتبادر إلى الأفهام من لفظ النداء أنه الحروف والأصوات، فقال الفقهاء: انقطعت؛ لأنك انتقلت، فقال ابن فضلان: دعوه فإنه لا يدرك هذا فأنا أجاريه على حسبه، يا شيخ نداء الخالق يشبه نداء الخلق[1] أم لا؟ فإن قلت يشبهه أبطلت قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، أو لا؛ فكيف يلحق ما لا شبيه له بما له شبيه؟ فقال ابن الجوزي: للوزير أعفني من مجاراته، فقال الجماعة: الإعفاء لا يكون إلا بعد العجز، فقال: عجزت، فأمر الخليفة بأنه متى تكلم حنبلي[3] في المسألة ضربت عنقه، وانحسمت مادة الخلاف.

الثاني: الفقهاء، وعليه منعهم من التعصب للمذاهب بحيث يؤدي إلى التنقيص والطعن على السلف، حُكي أن في دولة صلاح الدين صنَّف ابن أبي اليعيش الحنفي[4] شرح القدوري[5]، وطعن فيه على الشافعية، فثارت الفتنة بينهم وبين الحنفية بدمشق، فأخذ صلاح الدين الكتاب من مؤلفه، وحرقه، ولم يتعرض

---

(١) في (ل) وفي (ع) بياض في موضع قوله: "نداء الخلق".

(٢) سورة الشورى "١١".

(٣) في (ل) و (ع): " حنفي"، ومن المعلوم أن ابن الجوزي حنبلي، وليس حنفي، فلعله تصحيف من الناسخ.

(٤) في (ل) و (ع): "بت أبي العيش"، وهو تصحيف " ابن أبي اليعيش " وهو: محمد بن إبراهيم الرازي أبو جعفر النوري الحنفي المتوفى بالموصل سنة ٦١٥هـ. له من الكتب: تذكرة على وضع التذكرة لابن حمدون، وفرائض الرازي النوري، وشرح مختصر القدوري في الفروع، واسمه: النوري في شرح مختصر القدوري. راجع: هدية العارفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي٢/٢، وكشف الظنون ٢/١٦٣١.

(٥) المقصود شرح " مختصر القدوري " وهو من أهم المختصرات في الفقه الحنفي، والقدوري هو: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد القدوري: فقيه حنفي. انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق، وصنف المختصر المعروف باسمه "القدوري في فقه الحنفية". ومن كتبه "التجريد" في سبعة أجزاء يشتمل على الخلاف بين الشافعي و أبي حنيفة وأصحابه، توفي سنة ٤٢٨هـ. الأعلام للزركلي ١/٢١٢.

للمؤلف، فخمدت النار[١].

الثالث: الزهاد والنساك والصوفية، فيمنعهم من التعرض للرعية بالأمر والنهي ليكونوا منقادين إلى الملك بحكم النظام، فإن أهمل ذلك حتى أطاعتهم العامة أدى ذلك إلى فساد يَعْسر إصلاحه أو يتعذر.

حكي أنه كان مبدأ أمر[٢] أبي ركوة الوليد بن هاشم[٣] الناجم على الحاكم صاحب مصر أنه كان يكتب الحديث، ويظهر النسك، فانقاد له جمع عظيم، فملك برقة، وأطاف به العسكر وكان من أمره ما كان، قال ابن أبي عرام[٤]: وبلغ الإنفاق في حربه حتى ظفر به الحاكم ستة عشر قنطاراً ذهباً.[٥]

فصل

وينبغي للملك كما مرَّ أن يحافظ على نشر العلوم والفضائل في مملكته، والصناعات العلمية والعملية بما يطلقه لأهلها من الصلات، ويوظفه لهم من العلوفات[٦]، فإنه

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " وخمدت النائرة".

(٢) هكذا في (ع) وسقط لفظ: " أمر " من (ل).

(٣) أبو ركوة: أموي من ذرية هشام بن عبد الملك كان يحمل الركوة في السفر، ويتزهد، ولقي المشايخ وكتب الحديث، ودخل الشام واليمن، وهو في خلال ذلك يدعو إلى القائم من بني أمية، ويأخذ البيعة على من يستجيب له، ثم جلس مؤدبا، واجتمع عنده بعض الصغار، فاستولى على عقولهم، وأسرّ إليهم أنه الإمام، ولقب نفسه الثائر بأمر الله، وكان يدعي علم المغيبات، ثم إنه حارب متولي تلك الناحية من المغرب وظفر به، وقوى بما حواه من العسكر، ونزل ببرقة واستولى عليها، وضرب السكة باسمه، فوجه الحاكم لحربه جيشا قاتلوه وظفروا به، وأتوا به إلى الحاكم، فقتله".

انظر: شذرات الذهب ١٤٨/٢.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) انظر: خبره مع حاكم مصر مطولا عند ابن الأثير في الكامل ١٤١/٤.

(٦) أي العطايا غير المنتظمة.

جمال لمملكته، وزينة لإقليمه، وكبت لأعدائه.

وكان يحكم أمير الأمراء ببغداد، ويقول: إن لم أكن من أهل العلم، فإني أوثر أن يكون في مملكتي رئيس كل صناعة، وإمام كل فضيلة، والمقدم في كل علم.

وينبغي للملك أن يستدين طاعة العامة؛ بأمرهم كل وقت أن يقبلوا على صنائعهم، ويتشاغلوا بعلمهم، ويجتنبوا الخوض في أمر السلطان وخواصه.

حكي أن المأمون همَّ بلعن معاوية، وأن يكتب بذلك كتاباً يُقرأ على الناس، فقال له يحيى بن أكثم[١]: إن العامة لا تحتمل هذا، ولا نأمن أن تكون لهم نفرة[٢]، وإذا كانت لم يدر ما عاقبتها، والرأي أن لا تظهر لهم الميل إلى فرقة من الفرق؛ فإنه أصلح للسياسة.

وينبغي للملك أن يتفحص عن أحوال رعيته، فمن افتقر بعد غنىً، أو ذل بعد عز، أو تعطل بعد ولاية، سد خلله، وأزاح علله، فإن أهمل ذلك، وكان منهم أرجاف بالمدينة، وتخوض على المملكة تلافاه بالإحسان والإغضاء.

حُكي أنه كان بمصر أعمى في أيام كافور[٣]، فقال يوماً في قصصه: انظروا إلى هوان الدنيا على الله أعطاها لمقصوصين[٤] لمعز الدولة بن بويه[٥] ببغداد، وهو أشل،

(١) في (ل) و(ع) بلفظ: "أكتم"، ولعله تصحيف "أكثم" سبقت ترجمته.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "نفرا".

(٣) كافور هو: كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك. الأمير المشهور، صاحب المتنبي، كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيدي ملك مصر (سنة ٣١٢ هـ - فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر (سنة ٣٥٥) وكان فطنا ذكيا حسن السياسة، توفي بالقاهرة. وقيل: حمل تابوته إلى القدس فدفن فيها. سنة ٣٥٧ ه، انظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٥

(٤) في (ل) بلفظ "لمنقوصين" وفي (ع) بلفظ: "المتقوصين"، وقال السيوطي: "لمقصوصين" انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ٢٠١/١.

(٥) في (ل) بلفظ: "لعز الدولة بن دويه" في (ع) "معز الدين بن بويه"، والأصح ما أثبته فقد كان معز الدولة بن بويه مقطوع اليد، ومعز الدولة هو: "أحمد بن بويه بن فناخسرو، من ملوك بني بويه في= العراق.

وكافور بمصر، وهو خصي، وبلغه[1] فأمر له بخلعة ومائة دينار، وقال: لم يقل ذلك إلا لجفائي له، وغفلتي عن النظر في حاله، فصار الأعمى بعد ذلك يقول: ما أُنجب من أولاد حام إلا ثلاثة: لقمان وبلال وكافور. وينبغي للملك أن يتفقد السجون كل قليل، وينظر في حال المسجونين، وما حبسوا لأجله، وأن يؤخر العقوبة بالقتل لمستحقه؛ ليجعل قتله ظاهرا؛ لقصد إقامة الهيبة في قلوب الرعية، وأن يعيِّن يوماً يجلس فيه بنفسه من الأسبوع أو الشهر للنظر في المظالم، وإنصاف المظلوم.

وكانت عادة ملوك الفرس أن الملك في كل نوروز يجلس للعامة ، ويضع تاجه على رأسه، ويجلس بين يدي موبذموبذان ـ ومعناه بالعربية قاضي القضاة ـ وينادي: من كانت له ظلامة[2] عند الملك فليتقدم؛ فإذا فعل ذلك لم يطمع أحد في الظلم[3]؛ فتظلَّم رجل للمهدي أن بعض قواده غصبه ضيعة ، فأحضره وقضى عليه .

=ويقال له: الأقطع لأن يده اليسرى قطعت في معركة مع الأكراد، امتلك بغداد سنة ٣٣٤هـ ـ في خلافة المستكفي، ودام ملكه في العراق ٢٢ سنة إلا شهرا. وتوفي ببغداد سنة ٣٥٦هـ، ودفن في مقابر قريش. الأعلام للزركلي ١/ ١٠٥ .

(١) أي بلغ الخبر كافور.

(٢) الظلامة: اسْمُ مَظْلِمتِك التي تَطْلُبها عند الظَّالم . لسان العرب مادة " ظلم " .

(٣) راجع: التبر ص٨٤ .



الباب الحادي عشر[1]

في الإمارة على البلاد

وإذا أمَّر الإمام أحداً على إقليم أو بلد فإمارته إما عامة وإما خاصة:[2]

فالعامة: أن يفوض إليه الولاية على جميع أهله، والنظر في العهود من أعماله بأن يقول قلدتك أو فوضت إليك ناحية كذا إمارة على أهلها، وانظر[3] فيما يتعلق بها، ولا يكون هذا عزلاً للوزير عن تصفحها ومراعاتها، وإذا قَلَّد الوزارة لم يكن عزلاً لهذا الأمير[4].

وللأمير أن ينظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم إن لم يقدرها الإمام، وله النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام، وجباية الخراج، وقبض

(١) هكذا في (ع) وفي (ل) الثاني عشر. لأن الناسخ جعل الحديث عن ولاة الحرب بابا مستقلا، وهو في (ع) ضمن الباب " الثالث عشر: في ولاة الحرب وسياسته والمديرين للجيش، فاعتمدت ما في (ع) لينسجم متن الكتاب مع ما ذكره في خطة الكتاب.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: " فإمارته على البلاد عامة أو خاصة - هذا ويختصر المناوي في هذا الباب كلام الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٢٧ ؛ ٧٣ بتصرف.

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "والنظر".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "لهذا الوزير الأمير".

الصدقات، وتقليد العمال فيها، وتفريق المستحق منها، وله النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام، وجباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيها، وتفريق المستحق منها، وحماية الحريم[١] والذب عن البيضة، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل، وإقامة حدود الله تعالى وحقوق[٢] الآدميين، والإمامة في الجمعة والجماعة، والاستخلاف عليهما، وليس لوزير التفويض عزله إن ولاه الإمام ولا نقله إلى إقليم أو بلد آخر، وإن تفرد الوزير بتقليده، فإن قلّده عن الإمام فكذلك أو عن نفسه أو أطلق فله عزله واستبداله ونقله.

وأما الخاصة: فهي أن يكون الأمير مقصور الأمر على تدبير الجيوش، وسياسة الرعية، وحماية البيضة والذب عن الحريم، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام، ولا لجباية الخراج والصدقات، ولا لإقامة الحدود المفتقرة إلى اجتهاد لاختلاف العلماء فيها[٣]، أو إلى بينة لإنكار[٤] الخصم.

وإن لم يفتقر: فإن كان حق الله تعالى كحد الزنا جلداً، أو رجماً فهو أحق باستيفائه، وإن كان من حقوق الآدميين كالقصاص وحد القذف؛ فالنظر إلى الطالب، فإن دُفع إليه فهو أحق، وإن رُفع إلى القاضي فالقاضي.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "الحرم". والحريم هو كل ما يدافع عنه الإنسان. انظر لسان العرب مادة "حرم".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "حدود".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "المفتقرة إلى الاجتهاد ولاختلاف العلماء فيها".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لإنكاء".

الباب الثاني عشر[1]

في عماله والناظرين على رعيته

قال الإمام[2] : الاستنابة للإمام لابد منها ، ولا غنى له عنها ؛ فإنه لا يمكنه تولي جميع الأمور بنفسه ، ولا يفي نظره بمهمات الخطة ، لكن لا يجوز له أن يولِّي إلا الكفاة للأعمال[3] ، ثم يقطع نظره عنهم ، ويترك البحث عن حالهم ، وإلا كان معطلاً فائدة الإمامة ، مبطلاً سر الرعاية والرئاسة ، بل عليه أن يمهد مسالك الأخبار إليه في مجامع الخطوب ، وينصب مُرتِّبين[4] للإنهاء وتبليغ الأخبار ؛ حتى تكون[5] خطة الإسلام بكلأته[6] مربوطة ، وبرعايته محوطة ، ومجامع الأمر برأيه منوطة ، ويرعى رعيته كأنه

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "عشر" من (ع).

(٢) يعني الإمام الجويني في غياث الأمم من التياث الظلم ص ١٣٥. وقد ساق المناوي كلام الجويني بتصرف كثير.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " لكن لا يجوز له أن يطوق الكفاءة الأعمال " .

(٤) في (ل) بلفظ : " مرتين" ، وأما في (ع) فبلفظ : " مرتبتين" ، وفي الغياثي ص١٣٥ ، " مرتبين " .

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : "متى يكون" .

(٦) أي تحت رعايته وملاحظته ، قال ابن منظور :"يقال : كَلأْتُ في أَمْرِك تكْلِيئاً أي تأَمَّلْتُ ونَظَرتُ فيه وكَلأْتُ في فلان نَظَرْت إِليه مُتَأَمِّلاً فأَعْجَبَنِي" انظر : لسان العرب ، مادة "كلأ" .

يراهم وإن شط المزار وتقاصت[(١)] الديار.

مطلب [(٢)]

وأقوى ذرائعه[(٣)] في الوقوف على أحوال العمال دعاؤه المتظلمين إلى جنابه، واستحثاثه[(٤)] أرباب الحوائج على شهود بابه.

إذا علمت ذلك فعليه: أن يستنيب الكفاءة المستقلين بالأمور، ومجمع[(٥)] جميعهم اشتراط الديانة والثقة والكفاءة به فيما يتعلق بالشغل المفوض[(٦)] إليه، ثم إن كان ذلك أمراً خاصاً يمكنه ضبطه بالنص عليه[(٧)] ؛ فلا يشترط أن يكون النائب فيه عالما ولكنه يقتص[(٨)] أثر النص ، ويكفيه فيما يُرشَّح له الديانة والاستقلال بما فوض إليه.

وينبغي في أمراء الأجناد وأصحاب الأولوية والمناصب أن يكونوا محيطين بما تقضيه[(٩)] مناصبهم، وإن كان الأمر المفوض[(١٠)] لا يضبطه النص، وكان عظيم الوقع، فلابد من الاستقصاء في بيانه - إلى هنا كلام الإمام[(١١)] .

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " تقاصته ".

(٢) هكذا في (ل) وسقط لفظ : "فصل " من (ع) .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " وأنحووا قول درايعه ".

(٤) في (ل) و (ع): " ويحث " وفي الغياثي ص ١٣٥ : " واستحثاثه ".

(٥) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ : " ويجمع ".

(٦) في (ل) بلفظ : "الشغل المفرض" : وفي (ع) بلفظ : " الشقاء المفرض "، وفي الغياثي ص١٣٥ "بالشغل المفوض " .

(٧) كأن يقول له : أنبتك في كذا من الأمور ويسمه له.

(٨) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "يقتض أثر النص".

(٩) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : "يقتضيه" .

(١٠) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ " المفرض " .

(١١) يعني الجويني.

وقال أرسطو: الرعية بيت مال الملك المأمون تلفه[١] المرجوّ خلفه، فعلى الملك أن ينزِّل رعيته منزلة البستان المحتوي على أنواع الشجر؛ لا منزلة الزرع الذي يأتي في الحول مرة واحدة، ويستأنف بذره؛ فإن الشجر قائم الأصول لا يستأنف بذره.

وإذا كانت الرعية بيت ماله، فيجتهد في دفع الضرر عنهم، ولا يستنكف[٢] ما عندهم، ولا يولي عليهم إلا ثقة مجرباً للأمور؛ أميناً يجتني الثمرة، ولا يهلك الشجرة، حسن الخلق، متحملا للأذى، حليماً؛ فإن لم يكن كذلك نفَّر[٣] النفوسَ المستأنفة، وأفسد الضمائر الخالصة.

ولا يكثر من ولاة الخراج، فيكثر الفسَاد عليه، إذ كل منهم يريد الظهور على صاحبه بإفساد حاله، ويسعى في إظهار الفائدة لنفسه، وإدخال الداخلة على الرعية، وكل يجتني[٤] لنفسه ما يقيم[٥] حاله، ويستأثر به على غيره.

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "بلغة".
(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "يستكف".
(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تفر".
(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يجني".
(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يقم".



الباب الثالث عشر

في ولاة الحرب وسياسته والمدبرين[1] للجيش

ينبغي[2] للملك أن يختار لولاة الحرب من يكون ماهراً فيها، ذا مواساة ليعطف[3] عليه القلوب ويمكّن[4] محبته في الصدور، وينبغي أن يقدم على ولايته إكرامَه والإنعامَ عليه؛ فإنه إذا ندبه بعد ذلك بادر ونهض لها.

حُكي أن الفضل بن سهل[5] - وزير المأمون - ندب طاهر بن الحسين[6] إلى قتال الأمين،

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "المديرين".

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وينبغي".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "لتعطف".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وتمكن".

(٥) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه وأسلم على يده (سنة ١٩٠ هـ) وكان مجوسيا. وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) توفي ٢٠٢ هـ، انظر: الأعلام ١٤٩/٥

(٦) هو: أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. توفي سنة ٢٠٧هـ. الأعلام للزركلي ٢٢١/٣.

فتثاقل، فقال له: ما نهاية مرامك من الدنيا ؟ قال: أن أخطب على منبر بوشنج[١]، وأن أملك مائة ألف ألف درهم، فأعطاه إياها وولاه بوشنج، وغفل عنه مدة، ثم دعاه إلى قتال الأمين فأسرع الإجابة، وقال: إذا نال الرجل المُنى خاض الدَّما.

وإذا ولي الملك بعض ثقاته الحرب، فلا يصغي لكلام أعدائه فيه؛ فقد يتكلمون فيه لثقل وطأته، وشدة بأسه، وهم يؤثرون الراحة.

وإذا قلد أحداً من ثقاته[٢] ولاية الجيش وسيره للحرب[٣]، فلا يُصْحِبه من يرى نفسه أحق بالرياسة منه؛ فإنه يفسد عليه تدبيره.

يحكى أن معز الدولة بن بويه بعث جيشاً، وجعل قائدهم سبكتكين[٤]، وكان فيهم بورريش بن سهلان[٥]، فلما وصل إلى الدِّيْنَور خلع بورريش الطاعة لغيظه من معز الدولة؛ حيث جعله تحت طاعة غيره، ودعا إلى نفسه الذين في عسكره فأجابوه، وهجموا على أمير الحرب في خيمته فنهبوه[٦]. وعلى أمير الجيش الرفق بهم، والسير على سير أضعفهم، وتفقد خيولهم، وتقوية قلوبهم.

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: "بوشنج بفتح الشين وسكون النون وجيم بليدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ" ١/٥٠٨.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "نيابه".

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "وسيرة الحرب".

(٤) هو: أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، الملقب أولاً سيف الدولة، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه "يمين الدولة وأمين الملة" واشتهر به. أغار على أطراف الهند، فافتتح قلاعاً كثيرة منها، وجرت بينه وبين الهنود وعظم جريدته، وعمرت أرض خزانته، مات في طريقه إلى موطنه غزنة قبل وصوله فحمل إليها في تابوت، وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٧٥.

(٥) في (ل) بلفظ: "تودويس" وفي (ع) بلفظ: "نورويس"، والأصح "بورريش" راجع: خبره عند ابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ٦ / ١٥٠. ولم أقف له على ترجمة.

(٦) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ونهبوه".

وأما سياسة الحروب [١]

فينبغي له إذا عزم على لقاء عدوه، ومباشرة حربه أن يبعث ثقاته؛ لينظر في أي الجيشين من هو أثبت في الحرب؛ فإن كان في رجاله من هو كذلك أكثر[٢] عمل على الملاقاة والمراجفة[٣]، أو عكسه جنح إلى الصلح.

حُكي أن ملك الإفرنج غزا بلداً بالأندلس، فخرج إليه صاحبها بجيشه، وكانت عدة كل منهما عشرين ألفاً، فبعث ملك الإفرنج بعض ثقاته، وقال: انظر كم في العسكرين ممن يصبر للحرب؟ فنظر، ثم قال له: في عسكرك ثمانية، وفي عسكر عدوك سبعة، فهنَّأ أصحابه بالظفر؛ ثم تراجفا[٤]، فكانت الغلبة له.

وخرج مؤنس المظفر[٥] لقتال مليح الأرمني[٦] في نيف وثمانين ألفاً؛ ومع مليح ثلاثة آلاف، فقال لبعض ثقاته: انظر كم معه ممن يصبر على الموت؟ قال: مائتا فارس، فقال مؤنس لكاتبه علوان النصراني: اكتب إلى مليح بالصلح، فقال: أحب

---

(١) من هنا وحتى آخر الفصل، جعل في (ل) بابا مستقلا وترتيبه " الحادي عشر " وذكرته هنا مشيا على ما في (ع)حتى ينسجم الترتيب مع الترتيب الذي ذكره المصنف في أول الكتاب.

(٢) هكذا في (ل) وسقط من لفظ: " أكثر " من (ع).

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "المراجعة". يقال: أَرْجَفوا في الشيء أَي خاضُوا فيه. لسان العرب مادة "رجف ".

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "تراجعا".

(٥) مؤنس المظفر هو: مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدى: أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك. كان من خدم المعتضد العباسي. وكان أبيض، فارسا شجاعاً من الساسة الدهاة. بقي ستين سنة أميرا. وندب لحرب المغاربة العبيديين. وولي دمشق للمقتدر، ثم حاربه. وقتل المقتدر، وخلفه القاهر بالله، فلما تمكن القاهر قتله. توفي سنة ٣٢١هـ. الأعلام للزركلي ٣٣٥/٧.

(٦) هو: مليح بن لاون الأرمني، كان مصافيا لنور الدين زنكي، يبالغ في خدمته، ويحارب معه الفرنج، فولاه سيس، ولما عوتب نور الدين في ذلك، قال: أستعين به على قتال أهل ملته، وأريح طائفة من جندي، وهو سد بيني وبين صاحب قسطنطينية. سير أعلام النبلاء ٧٢/٢١.

إليَّ[١]، وصدقك أحب إلي مما أحبه، ومعك هذا الجمع العظيم، وهؤلاء في قلة!، فقال مؤنس[٢]: ألم تسمع بعدة من معه ممن يصبر على الموت، وتأملت عسكري فما رأيت فيهم ممن يصبر على الموت غيري، فاصطلحا.

---

(١) لعل المراد: الصلح أحب إلي.

(٢) في (ع) بلفظ: " مؤنس " دون "فقال"، ولعل هنا سقط تقديره "فقال مؤنس"، وسقط قوله: " قال مؤنس" من (ل).

الباب الرابع عشر

في الجند

فعلى[1] الملك أن يُحسن سياستهم، ويَحْذر كل الحذر من فسادهم.

وفسادهم على سبعة أوجه:

الأول: أن يجمعوا جمع اضطرار[2] لا اختيار، فيؤخذ فيهم العاجز، والضعيف والجبان، والعسر الانقياد، ومن لا خبرة له بالحرب، فَيُعْدَم النفع بهم وقت الحاجة، ويكون ضررهم أكثر من نفعهم.

الثاني: تأخير أرزاقهم عنهم، فإن ذلك يكون سبب الخلاف والشغب[3] بينهم.

حُكي أن عضد الدولة أمر بصرف المشاهرة إلى الجند قبل تمام الشهر بثلاثة أيام فانقضى الشهر واستهل الثاني، فسأل: هل صُرِف لهم، فقالوا: نفعل؛ فغضب وقال: إذا أطلقنا لهم جوامكهم[4]، وقد بقي من الشهر بقية، فالفضل لنا، وإن تمَّ،

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "ليعلم".

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "أن يجتمعوا جمع إضرار".

(٣) في (ل) بلفظ: "والشعب" وفي (ع) بلفظ: "والتعب".

(٤) اختلف مدلول كلمة الجوامك عبر عصر الحكم الإسلامي فكان يستخدم بمعني ما يعطى من الرواتب في صورة ملابس وغيرها من الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان في المعيشية، ثم تطور في العثماني وأصبح

فالفضل في الصبر عنهم[(١)]، ثم إن تأخر الصرف حتى دخل الشهر الثاني حضروا للاقتضاء؛ فإن اعتذر لهم تجرؤا عليه، وانخرق حجاب الهيبة.

الثالث: الاستقضاء[(٢)] عليهم وقت الحاجة إليهم، والمحاسبة لهم بالماضي.

حُكي أن صلاح الدين لما تجهز لغزو الرملة أتى إلى بابه الأمراء بعد العرض، وقالوا لحاجبه: أبلغه أن كلاً منا عرض معه من الرماة جماعة زائدة عن عادته، ولا نطلب منه لهم تقريرا[(٣)] إلا بعد عوده من الغزو مُظفَّراً، فأخبره فقال: قل لهم هذا مدافعة عن التفاوت الواجب على أجنادكم، فقال له الحاجب: أخِّر هذا الجواب إلى انتهاء الغزو؛ فأبى، فخرج الحاجب، ثم عاد وقال: يكون الجواب بما يسرهم؟ فامتنع فأبلغهم الحاجب كلامه، فقاموا قيام رجل واحد، وفارق خِدْمَتَه فوراً عين الدولة الياروقي[(٤)]، وسار إلى دمشق، وتوجه السلطان للغزو، وكان من هزيمته ما كان.

الرابع: تجاوز الملك حد الانتقام في المذنب والجاني منهم.

فإن لكل ذنب عقوبة، ولكل مجرم حداً، حُكي أن السلطان ألب أرسلان السلجوقي[(٥)]

= يطلق على ما يعطى للموظفين من الرواتب النقدية.

(١) أي عند كثرة مطالبتهم. والقصة ساقها شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/١٢٧، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "والاستقصاء".

(٣) هكذا في (ل) وسقط قوله: " تقريرا" من (ع) فبلفظ.

(٤) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "الباروقي".هو: عين الدولة الياروقي: من الأمراء النورية الذين صحبوا صلاح الدين الأيوبي إلي مصر، ورفض طاعته، وعاد إلي نور الدين. راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥/١٠٥.

(٥) هو: عضد الدولة أبو شجاع: ألب رسلان ابن الملك داود بن ميكائيل بن سلجوق بفتح السين المهملة وضم الجيم بين الواو واللام، أول من قيل له: السلطان على منابر بغداد. وكان فى آخر دولته من أعدل الناس، وأحسنهم سيرة، وأرغبهم في الجهاد وفي نصر الإسلام. توفي سنة ٤٦٥هـ. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لليافعي ١/٣٣٨

استزل مستحفظ قلعته فَرْبَر[١]، وأمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويشج، ويسلخ، فقال: للسلطان يا مخنث؛ فغضب، وأمر بتخليته؛ فمشى إليه المستحفظ بسكين ليقتله، فنزل السلطان عن سريره، فعثر، وسقط، فأكب عليه المستحفظ فذبحه.

ووقع لهارمي ملك الإفرنج[٢] أنه بلغه عن بعض الخيالة ما أنكره، فأحضره، وبالغ في الإغلاظ عليه، فخرج الفارس ولم ينطق بحرف، ومضى لبيته، وغرز رمحه في جداره، وجرد سيفه، وضرب به حجرا ففلقه[٣]، ثم تحامل بصدره على سنان الرمح، فنفد من ظهره، فمات، فبلغ الملك ذلك، فركب لمشاهدته، فقال له قسيسه: أتعلم ما قال لك الفارس بلسان حاله[٤]، يقول: لا تُغضب لمن يفعل بالحجر كما يفعله الجزار باللحم[٥]، فتهون عليه نفسه، ويرتاح بالموت.

الخامس: إهمال مكافآت المحسنين.

كان ابن الزبير بخيلاً جداً؛ فلما حاصره الحجاج أجرى على أصحابه صاعاً من تمر كل يوم، فتثاقلوا عنه، فقال: أكلتم تمري وعصيتم أمري! فتفرقوا عنه، وقاتل منفرداً حتى قتل.

السادس: إهمال تفقدهم وقت الحرب في سلاحهم وكراعهم[٦].

حُكي أنه جاء رجل من جند ابن[٧] الزبير إليه وهو محصور، ومعه رمح قد

---

(١) قال ابن حوقل: " فربر: مدينة من جيحون قريبة، ولها قرى عامرة، وهى فى نفسها خصبة مقصودة بفاخر المطاعم و المآكل اللذيذة الطيّبة" انظر: صورة الأرض ٢/٤٩٠ .

(٢) لم أقف له على ترجمة .

(٣) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " فلقه " بفاء واحدة.

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "فقال له قسيسه: أيها العلم ما قال لك الملك بلسان حاله يقول لا تغضب".

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " لا تُغضب لمن يفعل بالحجر كما يفعله الجزار باللحم " .

(٦) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح . انظر: لسان العرب، مادة " كرع " .

(٧) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: " آل " .

كسره في صدور القوم؛ وطلب غيره فأعطاه؛ فقاتل به حتى انكسر الرمح الثاني، وطلب بالثالث، فقال له: إن بيت المال لا يحتمل ذلك، ولم يعطه شيئاً، ففر، وتركه.

السابع: إشعار الملك إياهم[١] أنه اطلع على جناية منهم قادحة في الملك أخفوها.

حُكي أنه لما قتل مصعب بن الزبير دعا عبد الملك كاتبه، وقال له: لم يبق من خاصة مصعب إلا من طلب مني الأمان في مكاتبة، فقال له: وعلمت يا أمير المؤمنين أنه لم يبق من أصحابك أحد إلا كتب لمصعب بذلك وهذه كتبــه، فقال: ما حاجتي بها؟ فإني إن نظرتها فسدت علي صنائعي، وغيرتُ قلوبَهم؛ فأحرقْها.

ولما تقلد ابن الفرات[٢] وزارة المقتدر، أمر بقبض ما في دور من بايع ابن المعتز، وحملها إلى خزائن الخليفة، فجاءوه[٣] بصندوقين عظيمين، وقالوا: وجدناهما بدار ابن المعتز، قال[٤]: فما فيهما، قالوا: جرائد بأسماء من بايعه، فقال: لا يفتحا؛ ثم أحرقها بما فيهما؛ ثم أقبل على الحاضرين وقال: لو فتحتهما، وقرأت ما فيهما لفسدت نيات الناس كلهم علي؛ واستشعروا الخوف منا، وقال لابن مقلة[٥]: قد أمَّنْتُ كل من بايع ابن المعتز، أكتب للناس بذلك.

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "إياه"

(٢) ابن الفرات هو: أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وزير المقتدر بالله بن المعتضد بالله، قتل سنة ٣١٢هـ. راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لا بن خلكان ٤٢١/٣.

(٣) في (ل) و (ع) بلفظ: "وجاءه".

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع): "قالوا".

(٥) ابن مقلة هو: محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير، وقد كان في أول عمره ضعيف الحال، قليل المال، ثم آل به الحال إلى أن ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي. وقد كان خطه من أقوى الخطوط، كما هو مشهور عنه.
راجع: البداية والنهاية لابن كثير١١/ ٢٢١.

الباب الخامس عشر

في عمال الخراج

يجب على الملك أن لا يُولِّي عملاً إلا خبيراً، عفيفاً، أميناً، فطناً.

حُكي أنه بلغ عبد الملك بن مروان[1] أن بعض عماله قَبِل هدية، فأحضره وقال: أَقَبِلْتَها ؟ قال: الأمور مستقيمة والأموال دارَّة، والرعية آمنة، وخراجك موفور، فقال: أخبرني عما سألتك؟! قال: قبلت، قال: إن كنتَ قبلتَ لا تنوي مكافأة المُهدي ؛ فإنك لئيم، أو لتستكفي من ليس بكا ؛ فأنت خائن، أو لتعوِّض المُهْدِي ؛ فقد قَبِلْتَ ما بسط عليك لسانَه وسلَبَكَ هيبةَ سلطانك ؛ ثم عزله.

وينبغي للملك إذا ولَّى عاملاً أن[2] لا يصغي إلى تظلم الرعية فيه إلا بعد

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي .حكم الخلافة بعهد من أبيه، وذلك في عام ٦٥هـ، وقد اجتمعت له الكلمة بعد خلاف طويل، وانتهى النزاع حول الخلافة، حتى سمي هذا العام بعام الوحدة، وتمت البيعة لعبد الملك من الحجاز والعراق، كما تمت له من قَبْلُ في الشام ومصر، وجاءته أيضًا من خراسان، واستردت الدولة الإسلامية مكانتها وهيبتها وسيادتها على الأعداء، واتسعت حدودها بعد أن أضاف إليها عبد الملك أقاليم جديدة ؛ تسلّم ؛. ومات عبد الملك سنة ٨٦ هـ.

(٢) في (ل) و(ع): "أنه لا يصغ".

البحث عن حاله .

حُكي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ استعمل المغيرة بن شعبة[١] على المجوس؛ فشكوا منه ، فعزله ، فخافوا أن يعيده، فقال لهم دُهْقَانهم[٢] : إن فعلتم ما أقول لم يُعِدْه: أجمعوا من بينكم مائة ألف درهم وأذهبُ إليه ، وأقل له: إن المغيرة اختلس[٣] نقداً من بيت المال، وأودعه عندي ، ففعلوا ذلك، فقال عمر للمغيرة: ما تقول؟، قال: كذب ـ أصلح الله أمير المؤمنين ـ إنما كانت مائتي ألف ادخرتها للعيال والحاجة، فقال عمر للعِلْج[٤] : ما تقول، فقال: والله لأصدقنك. وحكى له القصة.

وينبغي للملك أن يأخذ عماله بالعمارة، وطريقها العدل على العاملين، والرفق بهم ، وحفر الأنهار، ونصب الجسور، وبناء القناطر.

حُكي أن السلطان ملك شاه[٥] لما توجه إلى الشام أنفذ أبا الهيجاء[٦] رسولاً إلى ابن مروان إلى العراق[٧] يطلب منه ثلاثين ألف دينار، فأبلغه الرسالة، فقال: الجواب

---

(١) هو : المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أبو عبد الله : أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له : "مغيرة الرأي". ولد في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الإسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ -فأسلم. توفي سنة ٥٠هـ . الأعلام للزركلي ٢٧٧/٧ .

(٢) قال ابن منظور: "الدُّهقان: التاجر فارسي معرَّب" لسان العرب ، مادة " دهق " .

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل): " اختان " .

(٤) العلج: هو الرجل الفظ الغليظ الذي في طبعه حدة قال ابن منظور: "العِلْج الرجل الشديد الغليظ ، وقيل: هو كلُّ ذي لِحْية ، والجمع أَعْلاج وعُلُوج" انظر: لسان العرب، مادة " علج " .

(٥) السلطان ملك شاه هو: أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان. الملقب جلال الدولة، تولى الحكم بوصية من أبيه ألب أرسلان . كان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل، وعمر على كثير من البلدان الأسوار، وهو الذي عمّر جامع السلطان ببغداد، توفي سنة ٤٥٨ هـ .

(٦) أبو الهيجاء هو: سيف الدولة الحمداني: علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، صاحب المتنبي وممدوحه، توفي فيها سنة٣٥٦ هـ . انظر: الإعلام ١٧٣/٢

(٧) هكذا في (ل) وسقط حرف الجر: " إلى " من (ع) .

بعد أن تستريح، فأصبح، فأمر له بدخول الحمام، فدخل وفيها من الفرش وأواني الفضة والذهب ما يفوق الوصف، وأنفذ له ثياباً نفيسة وقال له: جميع هذه الآلات لك؛ فلبس الثياب ورد ما عداه؛ فأهمله أربعة أيام وأدخله الحمام، فوجد آلاتها وفرشها متضاعفة فاخرة، وقيل له كالأول، فلبس الثياب، ورد الجميع، ثم أمسك أربعة أيام، وأدخله الحمام، فوجد ما فيها من الفرش وأواني الذهب والفضة والثياب أغلا قيمة مما كان قبله وأنفس، فلم يقبل منه شيئاً، ولبس ثيابه وخرج، فقال له ابن مروان: أنفذت إليك ثياباً ما لبستها وآلة الحمام فما قبلتها فما الموجب؟ قال: جئت في شغل السلطان، فكأني ما جئت إلا لحاجة نفسي! قال: قد رأيت عمارة بلادي، وكثرة خيرها وبساتينها وضياعها وثمارها، فكيف يحسن بي أن أُخرِّب هذا كله من أجل ثلاثين ألف دينار! وقد حصلتها يوم قدومك، وإنما انتظرت أن يتجاوز الملك بلادي، فألحقه بالمال خوفاً أن يتضاعف ما يطلبه مني، فطب نفساً، فأُمْهِلتُ حتى تجاوز السلطان ديار بكر، فأعطاني المال وجميع آلات الحمام التي وقفت عليها في الأربعة أيام.

وينبغي للملك أنه إذا بلغه أن نهراً ارتدم والمنفعة به عامة أن يجدد حفره والنفقة عليه من بيت المال.



الباب السادس عشر

في استخراج الخراج

ينبغي للسلطان أن يستعين في استخراجه بمن يكون[(١)] رفيقاً بالمعاملين والمزارعين، فإن في الاستقصاء عليهم والمبالغة في إرهاقهم إضاعة المال وخراب البلاد.

واعتمد ضد ذلك الوزير أبو الحسن بن الفرات[(٢)]، حُكي عنه أنه قال يوماً: أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأمسك الحاضرون، ووثب رجل يقال له: ابن منصور[(٣)] فقال: أنا، فقال: استخرج ما على محمد بن جعفر[(٤)]، وأرهقه ولا تمهله، فأحضره، وجرده، وأوقع به وهو يقول[(٥)]: يكفي لله، وعذبه عذاباً شديداً

---

(١) هكذا في (ع) وأما في (ل): "من يكون".

(٢) ابن الفرات هو: أبو الحسن علي بن محمد بن موسى، ابن الفرات: وزير، من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد. وهو ممهد الدولة للمقتدر العباسي. ولد في النهروان الأعلى (بين بغداد وواسط) واتصل بالمعتضد بالله فولاه ديوان السواد. ثم بلغ رتبة الوزارة في أوائل أيام المقتدر، فتولاها ثلاث مرات. توفي سنة ٣١٢هـ. الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٤.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل): "أبو منصور". وأبو منصور هذا أخ لابن شبيب حاجب ابن الفرات. التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٢/ ١٥٩.

(٤) محمد بن جعفر بن الحجاج. من عمال علي ابن عيسى. التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٢/ ١٥٩.

(٥) القائل هو محمد بن جعفر.

لرضى بن الفرات؛ وعلقه ببكرة فيها حبال، وكان بديناً وأبو منصور تحته، فانقطعت الحبال، فوقع على عنق ابن منصور فقتله، فعجب الناس من قول ابن الفرات أريد رجلاً لا يؤمن بالله يطيعني[1].

(١) مثار العجب ـ هنا ـ كما حكاه ابن حمدون هو: نجاة محمد بن جعفر، ورده إلى محبسه، وهلاك أبي منصور، فكان الناس يتعجبون من قول ابن الفرات: أريد رجلاً لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر يطيعني أما الطائع له فقد تعجل الجزاء لوقته، وأما ابن الفرات، فأمهل، وكان عاقبة أمره قتله وقتل ولده، واستئصال بيته؛ وما أعد الله للظالمين أشد وأبقى.
انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون ١٥٩/٢.

الباب السابع عشر

في البريد

وهو حامل كتب الملك ورسائله، وهو غير السفير والرسول؛ لأنهما يبعثان لتأدية الرسالة، ويتصرفان[1] بالكلام، وينظران في الأمور، ويعودان بالجواب، وأما البريد كتاب فقط.

وينبغي لولي الأمر أن لا يبعث بريدا إلا حسن الوجه، حسن الاسم لقول المصطفى عليه السلام: (إذا أبردتم إلي[2] بريداً، فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم)[3] ذلك للتفاؤل به، وكانت أئمة العدل لا تبرد بريدا إلا لمهم من مهمات المسلمين لمثله تساق الخيول، وتزعج النفوس، والآن أكثر ما تهلك خيول البُرُد في الأعراض الدنيوية، من استعجال مال أو تجهيز شيء من الأمتعة ونحو ذلك، وقد كان عمر بن عبد العزيز يبرد البريد للسلام على المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهل يوجد الآن من يفعل ذلك[4].

---

(١) هكذا في (ل) وأما في (ع): " وينصرفان" .

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع): " علي بريدا " .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم "٣٣٦٧٩"، وأشار إليه السيوطي في الجامع الصغير بعلامة الحسن، حديث رقم "٣٣٧" .

(٤) هذه الرواية نقلها المناوي عن السبكي في معيد النعم ص ٣٢، وقد طعن في صحة هذه الرواية العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي "المتوفى: ٧٤٤هـ" وفي الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي ١/ ٢٤٤. فقال: " إن ما نقل عن عمر بن عبد العزيز من إيراده البريد من الشام قاصداً إلى=

ومن حق البريد أن لا يُسخِّر شيئاً من خيول الرعية[١]، وقد عم البلاء بذلك وطم حتى يهجمون البيوت والطواحين، ويقطعون الطريق على الناس، فيأخذون ما شاءوا من الخيول والبغال؛ فإن افتداه صاحبه بمال وإلا لم يعد يراه.

ومن حقه كتمان الأسرار، وستر العورات، وكف لسانه عن الفضول، وحمل رسائل الإخوان إليهم، ففي ذلك أجر عظيم، وأن لا يُجهد الفرسَ بالسَّوق؛ فقد كثر منهم ذلك بحيث تهلك تحتهم عدة، أما علم أنها خلق الله، فإذا فعل ذلك فقد تعرض لزوال نعمته.

=المدينة لمجرد الزيارة، ليس بصحيح عنه، بل في إسناده عنه ضعف وانقطاع".

(١) أي يأخذ شيئا من خيولهم لخدمته ادعاء منه بأنه صاحب بريد يوصل أوامر السلطان.

الباب الثامن عشر

في ناظر الجيش[1]

وهو الآن عبارة عن الأغوات[2] الخمسة المعروفة، وشَرْطه الكفاءة، والأمانة، والعدالة.

ومن حقه النظر في حالهم، وتجريد[3] من يرى فيه المصلحة والكفاءة والقدرة.

ولا يجوز له أن يجهز[4] عاجزاً لنحو مرض أو ضعف خلقي أو فقير، ولا أن يغري به السلطان، بل يذب عنه بما يمكنه كناظر اليتيم[5]، وقد عم البلاء بذلك الآن ؛ يعينون[6] الأقوياء للسفر، فيستعفي بعضهم بالرشوة أو بالشفاعة، فَيُعَيَّن بدله من الفقراء أو العاجزين، ولا يقبلون له عذراً، ويموت كثير منهم في الطريق، فليتق الله ربه، وإلا فلا يلومنَّ إلا نفسه إن زالت نعمته بعزل أو نكبة أو بلية.

---

(١) هذا الباب مما زادته (ع) على (ل).

(٢) آغا أو أغا أو آغة منقول لفظ تركي يعني "سيد" أو "رئيس"، وهو لقب مدني وعسكري كان مستعملا في عهد الدولة العثمانية. فكان قادةُ مختلفِ التشكيلات العسكرية العثمانية يحملون هذا اللقب.

(٣) المراد اختياره للمهام العظيمة والحروب الخطيرة التي يخوضها الجيش.

(٤) في (ع) بلفظ: " يجرد "، وفي معيد النعم ص٣٣ : " وحرام عليه أن يجهز عاجز الفقراء ".

(٥) عند السبكي " فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم " ص ٣٣ .

(٦) في (ع) بلفظ: " يعتنون ".



الباب التاسع عشر

في الطواشية[١]

اعلم[٢] أن الممسوح الذي ذهب ذكره وأنثياه، ومن ذكره أدنى شاخص[٣]، ذهب أكثر

---

(١) هم مجموعة من العبيد الخصيان الذين عهد إليهم في العهد المملوكي بتربية المماليك في طباق القلعة بمصر. ويذكر المقريزي أن هؤلاء الطواشية في عهده كانوا ذوي حرمه وافرة وكلمة نافذة، كذلك ذكر ابن تغري بردي في كتابه: " النجوم الزاهرة" أن الطواشي كانت لهم السطوة والمهابة على المماليك السلطانية حتى لا يتجرأ أحد أن يمر بين يديه بسبب أو بغير سبب، وحينما يقع بصره على هذا المملوك يأمر بضربه؛ لذا كان لديهم مكانة بين المماليك السلطانية.

(٢) يختصر المناوي - هنا - كلام السبكي عن الطواشية، راجع: معيد النعم ص ٣٩.

(٣) الممسوح لغة: اسم مفعول من مسح، ومن معانيه في اللغة: الخصي إذا سلت مذاكيره، والمغير عن خلقته، والمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي، ويعبر الحنفية والمالكية عن الممسوح في الغالب بلفظ المجبوب. فقد قال البابرتي الحنفي: المجبوب هو الذي استؤصل ذكره وخصيتاه.
وقد اختلف الفقهاء في حكم نظر الممسوح إلى الأجنبية إلى ثلاثة آراء:

الرأي الأول: يحرم نظر الممسوح إلى الأجنبية ولو امرأة سيده. وهو ما ذهب إليه الحنابلة والشافعية في القول المقابل للأصح، وهو ما يؤخذ من عبارات فقهاء المالكية.

الرأي الثاني: أن الممسوح كالفحل في النظر إلى الأجنبية حيث قالوا: إن المجبوب سواء جف ماؤه أو لا كالفحل في النظر إلى الأجنبية لقوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ النور: ٣٠. وهو قول الحنفية.=

الشافعية إلى جواز نظره إلى الأجنبية(١)، وحرمه الحنابلة(٢) والحنفية(٣)، ويسمى الذي

=**الرأي الثالث**: أن نظر الممسوح إلى الأجنبية كالنظر إلى المَحرَم، بمعنى أنه يحل نظره بلا شهوة نظر المَحرَم، سواء أكان الممسوح حرا أم عبدا. وهو رأي الشافعية في الأصح عندهم. انظر في تفصيل الأقوال: الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٩/٥١.

(١) بالتأمل في كلام المجيزين من الشافعية نرى أنهم قيدوا الإباحة بشروط هي:

-أن يكون الممسوح لم يبق له ميل إلى النساء أصلا.

-أن يكون مسلما، فإن كان كافرا منع على الأصح.

-أن يكون عدلا، فإن كان فاسقا لم يجز.

جاء في حاشية الجمل في فقه الشافعية١٦/٢٦٥: (ونظر ممسوح - وهو ذاهب الذكر والأنثيين بحيث لم يبق له شهوة - لأجنبية وعكسه - أي ونظر أجنبية لممسوح - ونظر رجل لرجل ونظر امرأة لامرأة كنظر لمحرم، فيحل بلا شهوة ما عدا ما بين سرة وركبة لما عرف "... وفي شرح الروض قال الزركشي: وينبغي تقييد الجواز في الممسوح بأن يكون مسلمًا في حق المسلمة.. وقوله: "ونظر ممسوح لأجنبية " أي بشرط عدالتهما، وبشرط أن لا يبقى فيه ميل للنساء أصلا، وبشرط إسلامه فيما لو كانت مسلمةً، ويلحق بالنظر - أيضًا - الخلوة والسفر).

(٢) قال المرداوي: " قال ابن عقيل: لا تباح خلوة النساء بالخصيان ولا بالمجبوبين؛ لأن العضو وإن تعطل أو عدم، فشهوة الرجال لا تزول من قلوبهم، ولا يؤمن التمتع بالقبل وغيرها، وكذلك لا يباح خلوة الفحل بالرتقاء من النساء لهذه العلة ". انظر: الإنصاف ٨/١٩.

(٣) قال ابن نجيم " قال - رحمه الله -: والخصي والمجبوب والمخنث كالفحل "؛ لقوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾النور: ٣٠، وهم ذكور، فيدخلون تحت الخطاب العام.

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: الخصي مثله، ولا يبيح ما كان حراما قبله، ولأن الخصي ذكر يشتهي، ويجامع، وهو أشد جماعًا؛ لأن آلته لا تفتر، فصار كالفحل، والمجبوب ذكر يشتهي، ويسحق، وينزل قال بعض المتأخرين: يسحق بفتح الياء، ويسحق بضمها قال العيني: أي ينزل الماء، وحكمه كأحكام الرجال في كل شيءٍ، وقطع تلك الآلة كقطع عضوٍ منه، فلا يبيح شيئا كان حراما، وإن كان المجبوب قد جف ماؤه، فقد رخص له بعض أصحابنا الاختلاط مع النساء؛ لوقوع الأمن من الفتنة قال الله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ النور: ٣١، فقيل: هو المجبوب الذي قد جف ماؤه، والأصح أنه لا يحل له لعموم النصوص". انظر: البحر الرائق ٢٢/ ١٥٠.

يختص بالنساء قديماً بالزمام[١].

ومن حق الطواشي النصح لسيده، وإعلامه بما يطلع عليه من ريبة ونحوها[٢]، وينبغي له غض بصره عن النساء، وقد كثر من هذه الطائفة القيادة لما جبلوا عليه من التشبه بالنساء؛ حتى قيل: ما اختلى طواشي بامرأة إلا حدثته نفسه بأنه رجل؛ ولا برجل إلا وحدثته نفسه أنه امرأة، وقيل: الطواشي أشد الناس غيرة، وأكثرهم استحساناً وقيادة لمن تحت يده من النساء والـمُرد، وحينئذ فعلى الملك وغيره أن لا يقتني منهم إلا من كان [٣]مأموناً مجرباً، وقد كثر منهم مساحقة النساء، فليحذر لذلك[٤].

---

(١) الزمام: هو الذي يتولى أمور النساء.

قال القلقشندي: "الزنان دار المعبر عنه بالزمام دار، وهو لقب على الذي يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الخصيان، وهو مركب من لفظين فارسيين: **أحدهما**: زنان بفتح الزاي ونونين بينهما ألف ومعناه النساء، **والثاني**: دار ومعناه ممسك كما تقدم، فيكون معناه ممسك النساء؛ بمعنى أنه الموكل بحفظ الحريم؛ إلا أن العامة والخاصة قد قلبوا النونين فيه بميمين فعبروا عنه بالزمام دار، كما تقدم ظنا أن الدار على معناها العربي، والزمام بمعنى القائد، أخذا من زمام البعير الذي يقاد به".

انظر: صبح الأعشى ٥/٤٣٢.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل): "ومن نحو ريبة ونحوها".

(٣) هكذا في (ع) وسقط قوله: "من كان" من (ل).

(٤) هكذا في (ل) وفي متن (ع) وقد علم عليها بعلامة التصحيح، وصححها في الهامش إلى: "فليتنبه من ذلك".

الباب العشرون

في سياسة صاحب الشرطة[١]

وهو الصوباشي[٢] الذي إليه[٣] أمر أصحاب الجرائم والجنايات، وحراسة البلد من اللصوص والنظر في الخمارين ونحو ذلك؛ وتوابعه، ويسمي[٤] الآن الوالي.

وعلى ولي الأمر أن لا يولي هذه الوظيفة إلا عاقلاً، خبيراً بالسياسة، مجرباً للأمور، وعَرِف أحوال الناس، واطلع على أحوال المفسدين.

ومن وظيفته الفحص عمن يغتال الناس، أو يسرق، أو يشرب مسكراً، أو يأكل حشيشاً، وعليه سد الذرائع، والستر على من ستره الله من ذوي المعاصي والفواحش، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم[٥]؛ لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)"[٦].

---

(١) هكذا في (ع) وسقط لفظ " سياسة" من (ل) ، والمناوي في هذا الباب يختصر كلام السبكي عن الوالي . راجع : معيد النعم ص ٤٣ .

(٢) في (ع) بلفظ : " الصوباسي " ، وهو تصحيف " الصوباشي " ، وهو : رئيس الشرطة.

(٣) هكذا في (ع) وأما في (ل) فسقط لفظ " الصوباشي " فالعبارة هكذا : " وهو الذي إليه أمر ...الخ " .

(٤) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " سمي " .

(٥) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ : " هياتهم " .

(٦) أخرجه أبو داود في السنن حديث رقم " ٤٣٧٧ " ، وصححه الألباني . انظر: صحيح الجامع الصغير=

زاد في رواية : (إلا الحدود)[١].

وليس له أن يتجسس على الناس، ولا أن يبحث عما هم فيه[٢] من[٣] منكر، فلا يكبس بيوتهم، ولا يخلع الباب، ويقتحم الجدار، ويتسور الحائط، ويتوصل من بيت الجار بمجرد القال والقيل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[٤]، وفي حديث مسلم: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تَجسسوا)[٥]. قالوا : أراد بالظن سوء الظن.

وقيل لابن مسعود[٦]: "هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا نهينا عن التجسس، لكن إنْ يظهر لنا شيئاً نأخذه به". رواه أبو داود.[٧]

فحق على الوالي أن يبعث رجلاً سراً ينهى عن المنكر، ولا يزيد على ذلك ما يفعله الولاة من كسر الأبواب، وهجم البيوت، وإرعابهم[٨]، وإزعاجهم، وهتك عيالهم، ونحو ذلك من تعدي الحدود الشرعية؛ ثم من ثبت عليه موجب الحد، فليس

=وزيادته حديث رقم "٢٠٦٥".

(١) أخرج رواية الزيادة هذه الإمام أحمد في المسند حديث رقم "٢٥٥١٣". قال شعيب الأرنؤوط: "حديث جيد بطرقه وشواهده" انظر تعليقاته على مسند أحمد ١٨١/٦.

(٢) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "ولا أن يبحث عن أخبارهم عما هم فيه".

(٣) في (ل) و (ع) بدون لفظة "من".

(٤) سورة الحجرات "١٢".

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم "٦٧٠١".

(٦) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين. توفي سنة ٣٢هـ.
الأعلام للزركلي ١٣٧/٤.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم "٤٨٩٢". قال الدكتور ماهر ياسين الفحل: "حديث حسن صحيح". انظر: رياض الصالحين بتحقيقه حديث رقم "٢٧١".

(٨) هكذا في (ع) وأما في (ل) فبلفظ: "وإزعاجهم وإزعاجهم".

عليه إلا جلده فقط؛ بسوط معتدل بين قضيب وعصي، لا رطب ولا يابس، ويفرق السياط على الأعضاء، ويتقي الوجه والمقاتل، قال أبو حنيفة: ولا يلقى على وجهه، ولا يمد، ولا يجرد من ثيابه، بل عن قدر ما يدفع وصول الألم.

فإن سمعت بِوَالٍ بلغه عن جماعة أنهم[١] على منكر، فأتى بخيله ورجله، وهتك سترهم، فبشره بأن الله يهتك ستره، ويفضحه بين خلقه يوم القيامة[٢]، فإن ضم لذلك أخذ مال منهم، فقد خسر خسراناً مبيناً، فإن ضم إلى ذلك أن حد الخامل الفقير دون المتجوه[٣] الغني، فهو ظلم على ظلم، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.

ويجب على الوالي كف شر المقدمين[٤] الذين هم ببابه[٥] عن الناس، وأن لا يتعرضوا إلا لمن اتضح فساده.

وعلى من ابتلي بخدمة والسيئ الخلق أن يعلم أنه وقع بين خطرين:

أحدهما: أن يكون مع الرعية وعلى الوالي، وفي ذلك هلاك دنياه ونفسه.

الثاني: أن يكون مع الوالي وعلى الرعية، وفيه هلاك دينه.

ووجهه الخلاص من هاتين الورطتين، يكون بأحد أمرين[٦] الموت أو المفارقة، ولا طريق له قبل المفارقة إلا الوفاء والمحافظة[٧].

---

(١) هكذا في (ل) وسقط لفظ: "أنهم" من (ع).

(٢) هكذا في (ل) وأما في (ع) فبلفظ: "يوم القيامة بين خلقه".

(٣) ذو الجاه.

(٤) جمع مقدم، وهو أحد رتب رجال الشرطة.

(٥) في (ل) بلفظ: "الذين ببابه"، وأما في (ع) فبلفظ: "الذين هم نيابه".

(٦) في (ل) بلفظ: "إما أن يكون بأحد أمرين".

(٧) في (ل) بلفظ: "إلى الوفاء والمحافظة".



والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد المبارك

التاسع عشر من شهر صفر الخير سنة ست وعشرين وألف

على يد أفقر العباد طويل السفر قليل الزاد

محمد جمال الدين المتبولي الأنصاري(١)

وصلى الله علي سيدنا محمد خاتم الأنبياء

وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

والحمد لله رب العالمين

---

(١) محمد بن جمال الدين بن شمس الدين بن أحمد المتبولي الأنصاري .



المراجع

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح. *المستطرف في كل فن مستظرف*. ط الثانية. بيروت: دار الكتب العلمية١٩٨٦م. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة.

ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس. *الزهد* . ط الأولى . بيروت : دار ابن كثير ١٤٢٠هـ .

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس. *ذم الغيبة والنميمة* .ط الأولى. دمشق: دار البيان ١٤١٣هـ . تحقيق بشير محمد عيون .

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد. *قضاء الحوائج*. القاهرة: مكتبة القرآن. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم.

ابن أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم. *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*. دار مكتبة الحياة.

ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. *إعتاب الكتاب*. ط الأولى. دمشق: :مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعة ١٣٨٠هـ .

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم. *الكامل في التاريخ*. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ .

ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي . *بدائع السلك في طبائع الملك* . القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. *الأذكياء*. ط الأولى. لبنان: دار ابن حزم ١٤١٨ه.

ابن القيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي. *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة* . بيروت: دار الكتب العلمية - ١٣٩٥ — ١٩٧٥م.

ابن المقفع، عبد الله .*كليلة ودمنة*. بيروت : دار الكتب العلمية .

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. *مجموع الفتاوى* . الرياض . دار العاصمة .

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله. *رحلة ابن بطوطة*.

ابن تغري بردي، الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن. *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* .ط الأولى. بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد ابن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام. درء *تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول*. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني. *رحلة ابن* جبير. ط الأولى. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. صحيح *ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. ط الثانية بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ.

ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني. *تهذيب التهذيب*. بيروت: دار الرسالة.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي. *التذكرة الحمدونية*. بيروت: دار صادر ١٩٩٦م .

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد . *مسند أحمد بن حنبل*. ط الأولى . بيروت : عالم الكتب ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م. المحقق : السيد أبو المعاطي النوري .

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي. *صورة الأرض*. الناشر : دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ١٩٩٢م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. *مقدمة ابن خلدون*. بيروت : دار الأرقم.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* . بيروت : دار صادر . المحقق : إحسان عباس.

ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري. *الطبقات الكبرى*. ط الأولى. بيروت : دار صادر ١٩٦٨م : المحقق : إحسان عباس.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم. *الأمثال*. ط الأولى. دمشق : دار المأمون للتراث ١٩٨٠هـ.

ابن سينا . *القانون في الطب* . مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

ابن عادل، أبو حفص عمر بن على الدمشقي الحنبلي. *تفسير اللباب*. بيروت : دار الكتب العلمية .

ابن عبد ربه . *العقد الفريد*. ط الأولى . دار الشروق للطباعة ١٩٩٥م .

ابن عثيمين، محمد بن صالح. شرح *لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد*. بيروت : دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. *البداية والنهاية*. ط الأولى. دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه : علي شيري.

ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. *سنن ابن ماجة*. بيروت : دار الفكر. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد . *تجارب الأمم وتعاقب الهمم* . بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٢٤ه .

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري. *مختصر تاريخ دمشق*. دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. *لسان العرب*.ط الأولى. بيروت دار صادر .

ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي. *لباب الآداب*. مكتبة السنة ١٩٨٧م . تحقيق : أحمد شاكر.

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم الحنفي. *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*. بيروت : دار المعرفة

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. *سنن أبي داود*. بيروت : دار الكتاب العربي -

أبو يعلي ، . أحمد بن علي بن المثنى الوصلي . *مسند أبي يعلي*. ط الأولى. دمشق : دار المأمون للتراث ١٤٠٤ – ١٩٨٤ تحقيق : حسين سليم أسد.

أرسطاليس. *سر الأسرار السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة*. بيروت : دار أعوم العربية بيروت ، تحقيق : سامي سليمان الأعور.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى. *معرفة الصحابة*. ط الأولى. الرياض : دار الوطن للنشر١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. تحقيق : عادل بن يوسف

الأصفهاني ، الراغب. *محاضرات الأدباء* . دار مكتبة الحياة .

الألباني ، محمد ناصر الدين . *السلسلة الضعيفة* . الرياض : مكتبة المعارف .

الألباني، محمد ناصر الدين . *صحيح الجامع الصغير وزيادته* (الفتح الكبير). ط الثالثة . بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

الألباني، محمد ناصر الدين . *ضعيف الجامع الصغير وزيادته* (الفتح الكبير).ط الثالثة. بيروت : المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. *غياث الأمم في التياث الظلم*. دار الدعوة ١٩٧٩م . تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم ، د. مصطفى حلمي

الإمام مسلم،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. *الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*. بيروت : دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة

الأيوبي ، محمد بن تقي الدين. *مضمار الحقائق وسر الخلائق*. القاهرة : عالم الكتب . تحقيق : الدكتور حسن حبشي .

البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. *الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه* "صحيح البخاري" .ط الأولى. القاهرة : دار الشعب ١٤٠٧هـ .

البرهان فوري ، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي . *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. ط الخامسة. القاهرة : دار الرسالة .

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. *مسند البزار* (المطبوع باسم البحر الزخار). المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم. المحقق : محفوظ الرحمن زين الله وآخرون.

البغدادي ، إسماعيل باشا. *هدية العارفين*. دار إحياء التراث العربي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل*. ط الرابعة. دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ميرية - سليمان مسلم الحرش .

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. *شعب الإيمان*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. *الجامع الصحيح. سنن الترمذي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

الثعالبي، أبو منصور. *غرر أخبار ملوك الفرس. طهران*: مكتبة الأسدي ١٩٠٠م.

الجمل، سليمان بن عمر. *حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب*. بيروت: دار الفكر.

الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله. *المستدرك على الصحيحين*. ط الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١ – ١٩٩٠م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله. *خزانة الأدب وغاية الأرب*. ط الأولى. بيروت: دار ومكتبة الهلال ١٩٨٧م. تحقيق: عصام شعيتو.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. *معجم البلدان*. بيروت: دار الفكر.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. *عيون الأخبار*. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ.

الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان. *المجالسة وجواهر العلم*. بيروت: دار ابن حزم ١٤١٩هـ: تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. *سير أعلام النبلاء*. ط الثانية. القاهرة: الرسالة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط الثانية. دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ.

الزركلي، خير الدين الدمشقي. *الأعلام*. ط الخامسة عشر. بيروت: دار العلم للملايين.

الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف. *نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي*. ط الأولى. دار القبلة للثقافة الإسلامية١٤١٨هـ/١٩٩٧م. المحقق: محمد عوامة.

السبكي، تاج الدين . *معيد النعم ومبيد النقم* . ط الثانية. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤١٣ هـ . تحقيق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي.

السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي. *طبقات الشافعية*. ط الثانية. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ . تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. د.عبدالفتاح محمد الحلو .

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. *تفسير القرآن*. الرياض: دار الوطن ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد بن سابق الدين. *الجامع الصغير من حديث البشير النذير*. بيروت: دار الفكر .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين . *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. القاهرة: دار هجر١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م . تحقيق: مركز هجر للبحوث.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين. جمع *الجوامع أو الجامع الكبير*. القاهرة: الأزهر مجمع البحوث الإسلامية .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين. *حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة*. المؤلف. ط الأولى. دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *لب اللباب في تحرير الأنساب*. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩١م .

الشوكاني، محمد بن علي. *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*. بيروت: دار المعرفة.

الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكى. *الوافي بالوفيات*. دار إحياء التراث العربي.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*. القاهرة: دار الحرمين ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. *المعجم الكبير*. مكتبة ابن تيمية.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *تاريخ الأمم والملوك*. المؤلف: ط الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري. *سراج الملوك*. مصر: من أوائل المطبوعات العربية ١٢٨٩هـ.

العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي. *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*. دار إحياء التراث العربي.

العراقي، أبو الفضل زين الدين. *المغني عن حمل الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار*. الرياض: مكتبة طبرية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م. تحقيق: أشرف عبدالمقصود الناشر.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد. *ديوان المعاني*. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ. تحقيق: أحمد حسن بسيج.

العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. دار بن كثير ١٤٠٦هـ. تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط.

الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد. *التبر المسبوك في نصيحة الملوك*. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

الفيروز آبادى، جمعه محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ). *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المنسوب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت ٦٨ هـ)*،

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. *أخبار العلماء بأخيار الحكماء*. ط الثانية. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

القلقشندي، أحمد بن علي. *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*. ط الأولى. دمشق: دار ١٩٨٧م - تحقيق: د.يوسف علي طويل.

القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري. *زهر الآداب وثمر الألباب*. ط الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م. تحقيق: أ. د / يوسف على طويل.

كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله. *كشف الظنون*. دار إحياء التراث العربي.

كحالة، عمر رضا. *معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية*. بيروت: مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. *الموسوعة الفقهية الكويتية*. صادرة عن الكويت ط: ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. *الأحكام السلطانية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس. *الكامل في اللغة والأدب*. ط الثالثة. القاهرة: دار الفكر العربي ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

المحبي، تقي الدين داود. *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*. بيروت: دار صادر.

المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان. *الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*. ط الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤١٩هـ.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على . *مروج الذهب*. الشركة العالمية للكتاب

المسعودي، أبو الحسن على عبد الحسين بن على. *أخبار الزمان*. ط الثانية. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

مصطفى، إبراهيم؛ الزيات، أحمد؛ عبد القادر، حامد؛ النجار، محمد. *المعجم الوسيط* - دار النشر : دار الدعوة - تحقيق: مجمع اللغة العربية.

معجم مكتبة *عارف حكمت الله بالمدينة المنورة*. الشاملة.

المقدسي، مطهر بن طاهر. *البدء والتاريخ*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر. *المواعظ والاعتبار*. بيروت: دار صادر.

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين. *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٨م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب* - ط الأولى بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. القاهرة: دار المأمون للتراث. المحقق: حسين سليم الداراني.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي. شرح *ديوان المتنبي*. بيروت: دار الكتاب العربي.

الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي. *غرر الخصائص الواضحة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي. *زهر الأكم في الأمثال و الحكم*. ط الأولى. المغرب: دار الثقافة ١٤٠١هـ



كشاف الموضوعات

نبذة عن المؤلف

المؤلف هو :أ.د/ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر

-عضو هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود.

-دكتوراه في الشريعة الإسلامية – تخصص السياسة الشرعية –.

-له عناية بفقه المعاملات المالية، والاقتصاد الإسلامي، وقدم فيهما مجموعة من الرؤى والأبحاث .

-مستشار وكيل جامعة الملك سعود للشئون التعليمية والأكاديمية.

-عضو الجمعية الفقهية السعودية.

-متعاون مع بعض الجامعات المحلية والهيئات الحكومية.

-شارك في بناء كثير من الخطط الدراسية والبرامج التعليمية لعدد من الجامعات والأقسام المتخصصة في الشريعة الإسلامية.

-عضو لجنة تطوير مواد متطلبات الجامعة من مقررات الثقافة الإسلامية.

-له كثير من المؤلفات المتخصصة في الشريعة الإسلامية منها :

- "العقود الإلكترونية - دراسة فقهية مقارنة -".
- "تعدد الشفعاء - صوره وأحكامه في الفقه الإسلامي - "
- "مفهوم الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي ـ دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم ".
- "الضوابط العامة للسبق وتطبيقاته المعاصرة" ـ
- "السياسة الشرعية في أفعال النبي - صلى الله عليه وسلم -".


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هذا الكتاب:

يعرض كتاب "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية" للإمام المحدث الفقيه زين الدين عبد الرءوف المناوي (ت ١١٣١هـ) صورة جلية للقواعد التي ينبغي أن تبنى عليها الأنظمة السياسية الشرعية، ويوضح بعبارة رشيقة الآداب التي ينبغي لولي أمر المؤمنين أن يأخذ بها نفسه حتى يستقيم ملكه ويطول حكمه، ويفلح العباد وتصلح البلاد.

ويمتاز هذا الكتاب عن سائر الكتب المصنفة في هذا المجال بنظرته الشمولية للآداب السلطانية. فقد جمع ما نُثر من حكم وآداب، فيما صنفه العلماء والكتّاب، سواء من علماء المسلمين؛ أو حكماء الحضارتين الشرقية والغربية. كما تعرض الكتاب لأبواب لم يتعرض لها غيره من المؤلفين في الأحكام والآداب السلطانية، كالحديث عن عناية الحكام بالعمران، وبيان أسباب دوام ملكهم وزواله، وحديثه عما ينبغي أن يكون عليه الحاكم في خاصة نفسه من أحكام الطب الروحاني والجسماني، إلى غير ذلك مما يهم كل ذي ولاية وصاحب رعاية.

وقد ظل هذا الكتاب حبيس أروقة خزائن المكتبات العربية فترة طويلة من الزمن، مخطوطا لم ينل حظا من العناية التي تليق به، وقد وجدت منه نسخا مختصرة، ونشرت منه نتفا قليلة قللت من قيمته العلمية، حتى وفق الله لخدمته من بذل الوقت لتحقيقه وتجليته، ووجه عناية جامعة الملك سعود إلى نشره في طبعة جديدة منقحة تقرب فنونه ونشر كنوزه.

ISBN 978-603-507-112-3

www.ksu.edu.sa